الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتــوري • قسنطينــة •

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم : التاريخ والآثار

رقم التسجيل : ....

الرقم التسلسلي : ....

المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق

أبو العبّاس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي

(ت 914 هـ / 1508 م)

دراسة وتحقيق

(أربعة أبواب من الكتاب)

(مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط)

تخصُّص : علم المخطوط العربي

إعداد الطالب :

طــوهارة فـؤاد

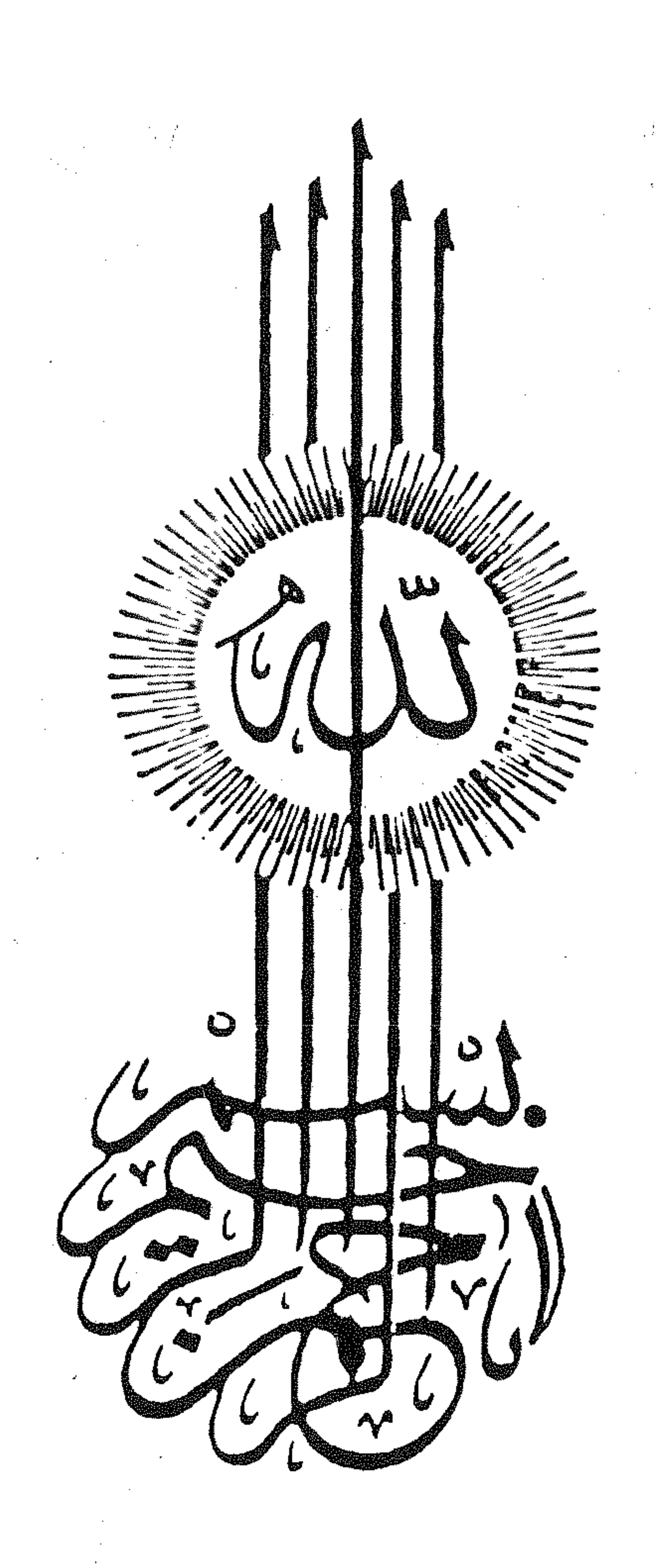
إشراف الأستاذ :

د. عبد العزيز فيــلالي

لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
علاوة عمـارة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة
عبد العزيز فيلالي	أستاذ محاضر	مقررا ومشرفا	جامعة منتوري – قسنطينة -
ابراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة غرداية

1431 – 1432 هـ / 2010 – 2011 م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من علّمني أقف بثبات فوق أرض متحركة

أبي العــزيــز

إلى رمز الحبّ والحنان والعطاء

أمــي الغاليــة

إلى أغلى ماأملك في الوجود قرّة عيني وروح فؤادي

إبنــتي نــهى

إلى أحب النّاس وأقربهم إلى قلبي سندي وشريكي في الحياة

زوجتي المخلصة آزرت وساندت وتحملت من أجل أن يكون هذا العمل

إلى جميع إخوتي وكل العائلة والأصدقاء ، وإلى كلّ أساتذة قــسم التّــاريخ الــذين درّسوني

إلى زملاء الدّراسة والعمل

إلى كل من ساعدني أو آزرني وشدّ على ساعدي ولو بطيب الكلمة

إلى هؤلاء جميعًا أهدي ثمرة جهودي العلمية

شكر وتقدير

الحمد لله والصّلاة والسلام على من لا نبيّ بعده وبعد:

فإنّي أتوجّه بالشكر أقصاه وأوفاه ، وبالحمد أخلصه وأكمله لمولاي الذي حباني كل نعمة ومنّ عليّ بكل منّة حتى كان ماكان ، وهو على ذلك لا يزال سبحانه منعمًا متفضّلاً .

أوليتني نعمًا أبوح بشكرها	وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنّك ما حييت وإن مت	فلتشكرنّك أعضمي في قبرها

فاللّهم لك الحمد حتّى ترضى ، وإذا رضيت وبعد الرضى .

ثم أتوجّه بالشكر الأحقّ لأستاذي الفاضل الدكتور فيلالي عبد العزيز ، الذي أحاطني بكرم إشرافه وتوجيهاته ، ولم يدّخر أي جهد في النصح والمساعدة لإنجاز هذا العمل .

والشكر موصول لعمّال ومسؤولي المكتبات داخل وخارج الوطن ، على صبرهم الجميل ، وتقديمهم يد العون والمساعدة .

كما لا أنسى جمعًا من خيرة الأساتذة والزّملاء على مسايرتهم ومساعدتهم المتواصلة لإتمام هذا العمل وإخراجه في أحسن حلّة علمية .

الرّموز والإصطّلاحات المعتمدة في البحث

الرّمز	المعنى المقصود
م.س	مصدر أو مرجع سابق
م.ن	مصدر أو مرجع نفسه
د.ت	دون تاريخ
د.ن	دون ناسخ
د.ر	دون رقم
ط	طبعة
/	إشارة بين الجزء والصفحة ، وبين التاريخ الهجري والميلادي وبين نهاية وجه وظهر الورقة من النسخة (ق)
هـ	هجري
م	ميلادي
مخ	مخطوط
و.و	وجه ورقة المخطوط
ض.و	ظهر ورقة المخطوط
+	زيادة كلمة أو جملة
–	نقصان كلمة أو جملة
[ ]	علامات للإضافة
« »	علامات لحصر أقوال العلماء والفقهاء
﴿ ﴾	علامات لحصر الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة
" "	علامات لتمييز أسماء الكتب الواردة في النص المحقق
ق	نسخة قسنطينة (د .رقم) - الجزائر-
هـ	نسخة الأزهر (رقم: 1265) - مصر -
ر	نسخة الرباط (رقم: 889 د) المملكة المغربية
ض	نسخة الدار البيضاء (رقم: 232) المملكة المغربية
ح	نسخة الدار البيضاء (رقم : 142 ح) المملكة المغربية
د	نسخة الدار البيضاء (رقم: 325) المملكة المغربية
ط	نسخة الرباط (رقم: 624 ح) المملكة المغربية

المقدّمة :

الحمد لله محي الحاضر بتراث الماضي، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد صــفيّه ونبيّه ، وأرض اللّهم عن آلــه وصحبه والعلماء العاملين على إحياء تراث الأمّة وبعثه وبعد .

تهتم الأمم الحيّة بالحفاظ على استمرار حضارتها وتطوّرها ، وتعمل دومًا على تأصّيلها من خلال الرجــوع إلى أسسها ومكوّناتها لربطها بواقعها المعاصر .

وتعدّ المخطوطات العربية الإسلامية تاريخ أمّة ونتاج حضارة كبرى ، وثروة فكريّة إنسانيّة ، تعبّر بوضوح عن جهودٍ جبّارة لنخبة من العلماء والفقهاء ، وتدلّ على رجاحة عقولهم و ســعة إطّلاعهــم ، وغــزارة علمهم ، خدمةً لعامّة المسلمين وتنظيمًا لحياتهم ، وفقًا لأحكام دينهم وتعاليم شريعتهم السمحاء.

لقد كان للفقهاء المغاربة دور مهّم في استنباط الأحكام الشّرعيّة، المتعلّقة بجوانب هامّة من المعاملات المدنيّة والتجاريّة، انطلاقًا من نصوص القرآن الكريم والسنّة النّبوية المطهّرة، وفــصلّوها تفــصيلاً، بيانًــا للــشّريعة الإسلامية، وتنظيمًا للحياة الاجتماعية في حالة السّلم والتنازع.

وتكريسًا لمبدأ حفظ الحقوق وضبط أمور النّاس طبقًا للقوانين الشّرعيّة ، بــرز الاهتمــام بعلــم الــشّروط والوثائق منذ نزول الوحي ، وازدادت أهميته العمليّة بعدما اتّسعت رقعة الدّولة الإسلامية ، ودعت الحاجــة إلى كتابة المعاملات وتوثيقها والإشهاد عليها ، ممّا عزّز مكانة الوثيقة وجعلها حجّة يــستنير بهــا القاضــي والحاكم في مجال التوثيق والإثبات ، حيث نبغ فيها فقهاء وقضاة خدموا هذا العلم وأدخلوا عليه تغــييرات جوهرية لكثرة المعاملات وتعدد أشكالها ، وألّفوا فيها مؤلّفات وتصانيف حسنة ومفيدة ، انتفع بهــا العــام والخاص في بلاد المغرب والأندلس .

وإذا كان السّبق التّاريخي يعود الفضل فيه لعلماء وفقهاء الأندلس ، فإنّ النّهضة الحقيقيّة لهذا العلــم بــرزت بوضوح في بلاد المغرب مع بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث ظهرت كتب قيّمــة ساهم في تألّيفها عدد من القضاة و رجال الفقه والتّوثيق المغاربة نخصّ بالذّكر منهم ، علم الأعلام وفخــر الأنام ، وحبر فاس وتلمسان ، حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة ، الفقيه : أبو العبّاس أحمــد بــن يحي الونشريسي المالكي ، الذي اشتهر بكثرة وجودة تصانيفه الفقهية ، في مقدّمتها كتابه :

" المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق وأحكام الوثائق " الذي يعدّ قمّة ما ألّف في علم الشّروط والوثائق في بلاد المغرب الأوسط .

ورغبة في إحياء التّراث وإعادة بعثه ، وباقتراحٍ من الأستاذ المشرف فيلالي عبد العزيز ، وموافقة عدد مــن الأساتذة ، وقع اختيارنا على هذا الكتاب ، لإعادة ضبطه وتخريجه بشكل صحيح يتماشي وقواعد التّحقيق العلمي ، مدركين في نفس الوقت ماينتظرنا من صعوبات في ذلك ، سائلين من المولى العون والتّوفيق .

ومن الأسباب الرّئيسيّة التي دفعتني لاختيار هذا الكتاب ، أهميته الفقهية وقيمته العلمية التي تظهر في :

- الرّغبة في المساهمة في بعث التّراث وإخراج كتاب من كتب الفقه ونقل سفر من أسفار العلم من خزائن حفظ المخطوطات التي بات الوصول إليها من المشقّة بمكان ، إلى عالم الطّباعة والنّشر والتّداول .
- التّعرّف على الفقه المالكي دراسة وممارسة من خلال العمل على تحقيق مصدر من مصادره.
- أهمية كتاب : " **المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق وأحكام الوثائق** " من النّاحيّة العلميّة والفقهيّة ويتضّح ذلك من خلال :
  - غناه بالأدلّة من الكتاب والسنّة وأقوال الصّحابة والتّابعين .
  - لنقله أقوالاً لفقهاء المالكية المحققّين أمثال ابن القاسم ، وسحنون ، وابن الماجشون ... وغيرهم
  - لحفظه نقولاً لمصادر عدّت في حكم المفقود في المذهب المالكي .
- لكون الونشريسي أحد كبار الأئمّة والعلماء والفقهاء الرّاسخين ، الذين ذاع صيتهم واتسّعت شهرتهم في المذهب المالكي مغربًا ومشرقًا .
- قيمة الكتاب عند المالكية ، من حيث كونه مصدرًا للفقهاء والقضاة وصنّاع التّوثيق ، كيف لا وقد اعتمده كبار فقهاء المالكية ونقلوا عنه أبواباً بأكملها .
- لحاجة المكتبة المالكية لهذه الإضافة المهمّة والمؤثرّة .
- رغبةً في ممارسة التّحقيق وخوض غماره .

لهذه الأسباب ولغيرها ، اخترت أن يكون " **المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق وأحكام الوثائق** " لمؤلّفه : **أبو العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي** ، موضوع دراسةٍ وتحقيق ، ومن الله أسأل العون والتّوفيق .

وكأيّ باحث في تحقيق التّراث وإعادة ضبطه بشكل سليم ، خصصّت قسمًا للدّراسة ، وآخر للتّحقيق، أمّا قسم الدّراسة فجعلته في أربعة فصول رئيسيّة ، تطرقت من خلال الفصل الأوّل :

للحديث عن الجوانب اللّغوية و التّاريخية والفقهيّة لعلم الشّروط والوثائق ، مع توضيح الصّفات المرتبطة بالموثّق ، وما يشترط في عمله ، وما يترتب عنه من نتائج وتأثيرات ذات صلة بالمجتمع .

ونظرًا لأهميّة الواقع السياسي والحضاري ، وتأثيراته على السّلطة والرّعية ، فقد شهد عصر الونشريسي في أكبر حاضرتين من حواضر المغرب الإسلامي (تلمسان ، فاس) ، وفي فترة متزامنة مظاهرًا سلبية يعكسها التّشتت السّياسي والصّراع على السّلطة بين أبناء الأسرة الواحدة ، رغبةً في الإمارة وإدارة شؤون المملكة ، ومن بين الإشكاليات التي يطرحها الواقع السّياسي للمغربين الأوسط والأقصى بحدّة ، في القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين :

هل كان الاحتكام للقوّة ، وإعلان الولاء والطّاعة معيارًا للاستمرار في الحكم وممارسة السّلطة ؟

أم أنّ تأثّير النّخبة من الفقهاء وشيوخ القبائل كان سببًا في ذلك ؟ لماذا استمرّ الضّعف السّياسي والتّطاحن العسكري بين الإخوة الأعداء (الدّولة الحفصيّة ، الدّولة الزيّانيّة ، الدّولة المرينيّة) ، رغم تقلّص نفوذ الدّولة ، وتزايد خطر النّصارى (إسبانيا ، البرتغال) ؟ و قد جاءت الإجابة على هذه الإشكاليات في المطلب الأول بعنوان : الأوضاع السّياسية في المغربين الأوسط و الأقصى (تلمسان ، فاس) خلال (834 – 914 هـ/ 1431 – 1508) ، من الفصل الثاني الذي حمل عنوان :
عصر الونشريسي ومدى تأثّره به ، أمّا المطلب الثّاني و الذي هو بعنوان : الأوضاع الاجتماعية ، فقد حاولت من خلاله أن أقف على طبيعة المجتمع المغربي (الأوسط ، الأقصى) وخصوصياته الدّينية والعرقيّة ، موضّحًا ما كانت تشكّله الفئات الاجتماعيّة على اختلاف مستوياتها من تأثير واضحٍ في المجتمع ، كلٌّ حسب درجة انتمائه ، وقدرة تأثيره في السّلطة والرّعيّة ، في مجتمع لايؤمن بالعصبيّة والتميّز ولا يحتكم لعادات وتقاليد ملوكيّة . وهو مايطرح عدة اشكاليات حول الواقع الاجتماعي وتأثيراته :
هل كان التنوع العرقي في التركيبة البشرية للمجتمع المغربي مظهرا للثراء السسيولوجي والوحدة ؟ أم كان سببًا من أسباب الفرقة والتفكك ؟ الى أي مدى ساهمت بعض العناصر السكانية في تأطير الحياة السّياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع المغربي ؟
ونظرًا لغياب معطيات إحصائية تتعلق بكميّة الانتاج ، فقد اكتفيت في المطلب الثّالث تحت عنوان :
الأوضاع الاقتصادية (المغربين : الأوسط و الأقصى) باستقراء وتحليل ما تضمّنته كتب الجغرافيا والرّحلات من قراءات وصفيّة للنّشاط الاقتصادي ، وما يتّصل به من ظواهرٍ مختلفة تجسّد مساعي السّلطة السّياسية والنّخبة الدّينية في تنظيم القطاعات الحرفيّة والتّجارية وإعادة ضبطها وفقًا لمعاييرمحدّدة ، خدمةً للمجتمع و وفقًا لما تقتضيه الشّريعة الاسلامية .
وعلى الرّغم من ضعف الأداء السّياسي وتراجع قوّة الدّولة أمام الخطر الخارجي ، إلاّ أنّ الأداء الثّقافي بلغ أوجّه في حاضرتي تلمسان وفاس ، وشهدت الحركة الفكريّة نشاطًا دؤوبًا ، تجسّده الجهود الخاصّة لفئة الحكّام والفقهاء .
ولتوضيح ذلك كان المطلب الرّابع بعنوان : الأوضاع الثّقافية انعكاسًا لدرجة الوعي السّياسي والأخلاقي الذي وصل إليه حكّام الدّولتين من بني زيّان وبني مرين ، بما خصّصاه من عناية فائقة ورعاية دائمة لفئة العلماء والفقهاء ، وما بذلاه من جهود مضنية في إقامة المؤسّسات والمعاهد التّعليمية ، ومخاطبة أهل العلم والفقه من مختلف حواضر العالم الإسلامي لاستقدامهم إلى حاضرتي الدّولتين (تلمسان ، فاس) ، كلّ ذلك كان له تأثير واضح في ازدهار الحركة العلمية نشاطًا وتأليفًا.
وللوقوف على حياة الشّيخ والفقيه أبي العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي ، استعنت بكتب التّراجم والسّير، التّي اكتفت بذكر اسمه ، وكنيته ، ونسبته ، وأغفلت جوانباً هّامة ذات الصّلة بأسرته ، ونشأته العلمية ، وأسباب محنته ، وهو ما تمّ توضّيحه في المبحث الأول ، من الفصل الثالث .

و ممّا يدل على فضل الونشريسي و مكانته بين علماء عصره تلك الشهادات العلمية التي صدرت في حقــه من قبل علماء وفقهاء عصره ، أو ممن جاءوا من بعده يعترفون فيها بعلوّ مكانته ، و سعة إطلاعه و مــدى إلمامه و مشاركته في علوم عدة ، هذا إلى جانب وفرة إنتاجه الفكري الخصب من خلال مؤلفاته و تصانيفه التي ذاع صيتها و أصبحت مصدرًا للفقهاء و العلماء من بعده ، وهو ما تمّ توضّيحه في المبحث الثاني ، من الفصل الثالث .

أمّا المبحث الثالث والذي جاء بعنوان : شيوخه وتلاميذه ، فقد كشف عن الأثر الفكــري الواضــح في تكوين وصقل الشّخصية العلميّة للونشريسي كتلميذٍ متلقّي للعلوم ، وكأستاذٍ ملقّن لها .

وخصّصنا الفصل الرّابع والأخير لدراسة الكتاب ، دراسة وصفية وتحليليّة ، مــن خــلال ثلاثــة مباحــث رئيسية ، حاولنا في المبحث الأول إثبات عنوان الكتاب ، ونسبته للمؤلّف ، حسب مــا جــاء في النــسخ المعتمدة في التّحقيق ، وما أوردته كتب التّراجم والسّير ، بينما خصصنا المبحث الثاني للوقوف على أسباب تأليفه ، وذكر محتوياته .

وأوضحنا في المبحث الثّالث : مصادر الكتاب ونقوله ، حيث جاءت متنوعة وجامعــة لعــدد مــن كتــب الوثائق وعلم القضاء ، وأمّهات كتب الفقه المالكي وتفاسيره، إلى جانب كتب السّير والتّراجم وغيرها من الكتب العامة .كما بيّنا منهجه في التأليف ، وطريقة في الطّرح التّي عالج بها موضوعاً ذا أهميّــة قــصوى ، جعله في ستة عشر بابًا ، لكلّ باب مجموعة من الفصول ، تنتهي في غالبها بعدد مــن التّنبيهــات الفقهيّــة الموثّقة ، بأسلوب محكم وطريقة ممنهجة .

وأنهينا المبحث الرّابع بفهرسة دقيقة للنّسخ المعتمدة في تحقيق النّص ، مع توضيح ماتقتضيه هذه الدّراسة من ملاحق وصفيّة لنسخ الكتاب .

و حاولنا في الخاتمة النّهائية لقسمي الدّراسة والتّحقيق أن نبرز النّتائج المتوصّــل إليهــا في ضــلّ الــتّغيرات السّياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عايشها الونشريسي في أكبر حاضرتين من حواضر المغرب الإسلامي (تلمسان ، فاس) ، والتي تركت أثرًا واضحًا في تآليفه الفقهية ، ومواقفه الصّريحة مــن حكّــام وسلاطين الدّولتين .

و للتّوضيح والاستدلال خدمةً للباحث والقارئ معًا ، أرفقنا الرّسالة بعدد من الملاحق ، والفهارس العامّة ، محترمين في ذلك القواعد العلمية المتّبعة في الدّراسة والتّحقيق .

وفي الأخير لا يسعنا المقام إلاّ لتقديم الشّكر والتّقدير للأستاذ المشرف ، جزاء ما قدّم من نصحٍ وعونٍ وصبرٍ وعناية ومتابعة ، وحين عرفت من شأنه ما عرفت تبيّن لي أنّها عادته مع طلاّب العلم وروّاد البحث فــالله درّه ، والشّكر موصول كذلك لأعضاء اللّجنة العلميّة المناقشة ، على جهدها المبذول لتقويم وتصحيح مــا تقف عليه من خطأ أو تقصير .

أولاً : عملي في التحقيق

إلتزمت في منهج تحقيق النص بالخطوات التالية :

1- بعد جمع نسخ المخطوط وعددها سبعُ نسخ ، إخترت النّسخة (ق) أصلاً مقارنة بباقي النّسخ :

أ / لقدم تاريخ نسخها ، إذ تعتبر الأقرب إلى عصر المؤلف دون غيرها .

ب / لدقّة نسخها وسلامالها من التحريف والتصحيف .

ج / لقلّة الأخطاء فيها ، وندرة سقطها مقارنة بباقي النسخ .

د / لكمالها ووضوح خطّها وسهولة قراءته دون عناء .

2- قمت بنسخ الأبواب التي إخترتها موضوعا للبحث ، من النّسخة الأصل حسب القواعد الإملائية ، مع الإجتهاد في إخراج النص سليمًا كما أراد له مؤلّفه أن يكون ، هذا وإن وجدت بعض السقط أو الغموض أدركته من النّسخ الأخرى .

3- ثم شرعت في كتابة النص المنسوخ على شكل فقرات ، مع الالتزام بأدوات الضبط والشكل ، ومايتصل بها من قواعد اللّغة العربية (كالنقطة ، الفاصلة ، النقطتين ، علامات الإستفهام ....)

4 - قابلتُ نسخ المخطوط وأظهرت إختلافاتها في الألفاظ أو في الرّسم أو في النص المنقول أو زيادةً أونقصانًا ، وإحالتها في الهامش .

5- وبعد ذلك حاولت قدر المستطاع توثيق النقول والأقوال والنصوص من مصادرها الأصلية ، وإن تعذّر ذلك عدت إلى المصادر البديلة التي نقل عنها المؤلف سواء صرّح بها ، أو امتنع عن ذلك مع إحالتها في الهامش .

6- أضفت للنصّ بعض العناوين الجزئية خاصّة للفصول وجعلتها بين معقوفتين ، لتمييزها عن أصل الكتاب .

7- قمت بتخريج الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية ، كمّا خرّجت الأحاديث النبوية بالشكل المتعارف عليه عند المحدثين ، إلى جانب الأقوال المأثورة لبعض الأعلام .

8- وضعت ملخصّات تراجم للأعلام الواردة في النص عند ذكرهم لأول مرّة ، بإستثناء من لم أقف على ترجمة له ، مع ذكر أهّم المصادر والمراجع التي ترجمت لهم .

9- تمّ واصلت العملية بشرح وتذليل بعض الألفاظ والمصطّلحات اللّغوية والفقهية بالإستعانة بالقواميس والمعاجم ، كما وضعت ملخصات تراجم للأماكن الجغرافية والبلدان ، إلاّ المشهور منها .

10- لجأت في بعض من الحالات إلى التعليق على بعض المسائل الفقهية بالزيادة أو التوضيح ، أينما كان الغموض .

11- وضعت في النهاية فهارسًا للكتاب خدمةً للقارئ والباحث معًا وذلك لتيسير الرجوع إلى أي عنوان أو معلومة كانت في متن الكتاب.

ثانيًا : الدّراسات السّابقة

أولاً : صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية سنة (1418 هـ/ 1997 م)
تحقيق الباحثة لطيفة الحسني [1] لكتاب : **" المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق ، وأحكام الوثائق "**

لمؤلّفه : **أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي** (ت 914 هـ/ 1508 م)
وقد سعيت للحصول على ما أمكن الحصول عليه من الكتاب المحقق حيث الأبواب المراد تحقيقها ، وبعدما تسنّى لنا ذلك ، شرعت في قراءة جادة لما قامت به الباحثة من جهدٍ مبذول في تحقيقها للكتاب المذكور ، وقد وقفت على جملة من النّقائص والأخطاء والتي لا تتماشى وأصول التحقيق العلمي ويتضّح أنّها :

1- لم توفِّ قسم الدّراسة حقّه ، خاصةً في توضيح الجوانب الهامّة في حياة الونشريسي ، والإلمام بما شهده عصره من أحداث سياسية واجتماعية و اقتصادية وثقافية في أكبر حاضرتين من حواضر المغرب الإسلامي (تلمسان ، فاس) ، بل اكتفت بدراسة مختصرة و فقرات موجزة رغم كثرة العناوين الفرعية التي لا يعكس مضمونها ما عاصره المؤلف عن قربٍ والتأثيرات الهامّة في حياته .

2- حداثة نسخ المخطوط [2] المعتمدة في تخريج النص [3]، وكثرة سقطها في الجملة [4]، زيادة على حالات

---

(1) المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق ، دراسة وتحقيق لطيفة الحسني ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مطبعة فضالة ، المملكة المغربية ، (1418 هـ / 1997 م)

(2) من المتفق عليه في قواعد التحقيق العلمي أن تقدّم النسخة ذات التاريخ الأقدم على أن تكون نسخة كاملة غير منقوصة ، خالية من التصحيف والتحريف ، وهي جديرة بأن تحتل المرتبة الأولى بين باقي النّسخ خاصة إذا كان عليها خطوط العلماء .
أنظر : المنجد صلاح الدين ، قواعد تحقيق المخطوطات ، دار الكتاب الجديد ، ط7 ، بيروت ، 1987 / 12 ، هارون عبد السلام ، تحقيق التصوص ونشرها ، ط5 ، مكتبة السنّة ، القاهرة ، 1994 / 37 ، الغرياني الصادق عبد الرحمن ، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ، منشورات مجمّع االفاتح للجامعات ، ليبيا ، 1989 / 76 - 95

(3) تشير الباحثة إلى اعتمادها على سبعة نسخ للكتاب المخطوط ، مع العلم أن نماذج النّسخ التي تم إلحاقها بالكتاب ، لايتعدى عددها خمسة ، وإذا نظرنا إلى الرموز والاشارات المعتمدة في وصف النسخ نجدها ستة ، وهو مايشير إلى وجود تناقض واضح وصريح في عدد النّسخ المعتمدة في التحقيق . أنظر : لطيفة الحسني ، م.س / 173- 191

(4) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : لطيفة الحسني ، م.س / 211 ، 212 ، 213 ،215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 224 251 ، 300 ، 302 ، 314 ، 315 ، 386 ، 298 ، 299 ، 300 ، 313 ، 314 ، 383 ، 384 ،385 (ومن بين أخطر حالات السقط التي وقعت فيها الباحثة رغم كثرة النّسخ ! نذكر من باب التوضيح فقط ماتم إسقاطه من فقرات بأكملها وردت في صفحة : 385 /
تفريع : فان أغفل الاعتذار حتى سبق وضع شاهد في الوثيقة عقب شهادته فليجعل الاعتذار عقب شهادته عطفًا بالواو فيقول : وبمصلحٍ أو بملحقٍ أو وبمقحمٍ أو ماكان كذا وكذا أو يقول : على أن فيها مصلحًا أو ملحقًا أو مقحمًا كذا وكذا صحيح به ، وإسقاط الواو يوهم أن الشهادة وقعت على المعتذر عنه فقط .
قال الرعيني : « وان كان ذلك لا يلزم فهو أولى لأنّ الوثائق شأنها رفع الالتباس ، وإنما يلزم إثبات الواو فيما يزيده الشاهد من شهادته زائدًا على نص العقد ، وإسقاطها في هذا خروج عن نص العقد ، وإيقاع للشهادة على ما تزيد منها خاصة، وإن أغفل الاعتذار حتى وضع الثاني شهادته فليكتب أحدهم وفلان ابن فلان أعاد شهادته لبشرٍ أو لحقٍ في الكتاب مالم يعتذر منه وهو كذا صحيح منه ثم يعيد الباقون شهادتهم .»

التصحيف والتحريف [1] التي تتكرر باستمرار في مواضع مختلفة من النص ، وتلك الزيادات التي لا وجـود لها في جميع النّسخ حسب ما أطلعت عليه .[2] وهذا ما يفسّر عـدم الوقوع على اختيار نسخة أصلية[3] ، تكون أساسًا لإخراج النص ، فجميع النّسخ التي تمّ إعتمادها تتشابه كثيراً في أخطائها وهوامشها نقـصًا أو زيادةً وهو مايؤكّد أنّها نقلت عن أصل واحد سيّما وأنّ معظمها متواجدة بالمملكة المغربية [4].

3- عدم وجود عناوين فرعيّة أو رموز وإشارات لتوضيح ملاحق نسخ المخطوط المعتمدة في تخريج النص ، ولا مايدّل على بداية ونهاية كلّ نسخة .[5]

4- تشير الباحثة في حواشي ذيل المتن أثناء مقابلة النّسخ إلى نسخ أخرى للكتاب المخطوط رمزت لها بـ : (ك) ، (ص) ، (ح) [6] مع العلم أنّه لا وجود لأي نسخ بهذا الرمز حسب ما وقفت عليه .

5- انتهاء الكتاب المحقق بناءً على النّسخ المعتمدة في إخراج النص عند الباب الخامس عشر ، مع العلـم أنّ الكتاب يتضمن ستة عشرة بابا [7] ، وهو مايفتح المجال للحديث عن مدى صّحة وكمال نـسخ المخطـوط المعتمدة في التحقيق .

---

(1) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : لطيفة الحسني ، م.ن / 195 ، 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 228 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 242 ، 243 ، 244 ، 245 ، 248 ، 250 ، 295 ، 296 ، 297 ، 298 ، 299 ، 300 ، 301 ، 302 ، 303 ، 304 ، 306 ، 307 ، 311 ، 314 ، 315 ، 316 ، 385 ، 386 ، 391 ، 392 ، 394

(2) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : لطيفة الحسني ، م.ن / 195 ، 211 ، 217 ، 220 ، 243 ، 297

(3) يتطلب في مراتب النسخ والمفاضلة بينها ، إختيار أحسن نسخة تعتمد لإخراج النص كما أراد له صاحبه أن يكون ، ويفـضّل أن تكـون بخط المؤلف فهذه هي النسخة الأم ، فإن لم توجد فالنسخة التي قرأها المؤلف أو قرئت عليه ، وأثبت ذلك بخطه ، ثم نسخة نقلت عن نـسخة المؤلف أو عورضت بها وقوبلت عليها ، ثم نسخة كتبت في عصر المؤلف عليها سمّاعات على علماء ، ثم نسخة كتبت بعد عصر المؤلف ، وفي هذه النسخ يفّضل الأقدم على المتأخر ، ذلك أنه كلما إبتعد تاريخ المخطوطة عن زمن المؤلف زاد فيها على الأغلب السقط والتحريـف مـن أيدي الناسخين .

أنظر : المنجد صلاح الدين ، م.س / 13 هارون عبد السلام ، م.س / 37

(4) تشير صاحبة التحقيق بقولها : وبعد البحث الدائم في فهارس المخطوطات تحصلت على نسخة مركز الملك فيصل للبحـوث والدّراسـات الإسلامية بالرياض – المملكة العربية السعودية – ، والتي رمزت لها بحرف (ف) وأعتبرتها أصلاً للنص المخرج لقولهـا بوجـود حاشـية علـى الصفحة الأولى للكتاب المخطوط تشير أنه كتب حوالي (1140 هـ / 1727 م) ، لكن هل هذا صحيح بالفعل ! في غيـاب مايثبـت وجـودًا للنسخة المذكورة ولا تاريخ نسخها (عند إطلاعنا على صور نسخ المخطوط المعتمدة من قبلها) ، وفي المقابل هل هـي النـسخة الأقـدم ؟! مقارنة بنسخة الأزهر الشريف (دون رمز) التي تمّ نسخها بتاريخ (1107 هـ / 1695 م) ، وهل فعلاً اعتمدت على نسخة الأزهر ؟!

(لا وجود لفهرسة وصفية لهذه النسخة ، ولا لصورة توضيحية ضمن صور نسخ المخطوط ، ولا مايدّل على اعتمادها في مقابلة النص) لكن زيادة على ذلك تؤكد في الأخير عن عدم وجود النسخة الأصلية بين النّسخ التي تحصّلت عليها ممّا جعل المقابلة في غاية الصعوبة .

أنظر : لطيفة الحسني ، م.س / 173 - 176

(5) أنظر : لطيفة الحسني ، م.ن / 181 -191

(6) أنظر على سبيل المثال : لطيفة الحسني ، م.ن / 194 – 239 – 260 - 297

(7) أنظر : موضوعات الكتاب كاملة : قسم التحقيق / 227 -228

6- عدم توثيق النقول والنصوص من أقوال العلماء والفقهاء ، الواردة في النص المحقق في مواضع مختلفة ، سواء تلك التي صرّح بها المؤلف [1] أو تلك التي نقل عنها دون ذكر أصحابها [2] .

7- غياب المصادر التوثيقية للأقوال والحكم المأثورة وبعض التفاسير[3] التي وردت في مواضع مختلفة من الكتاب .

8- لم تقف على مصادر بعض النظم و الأبيات الشعرية و لم تحدد انتماءاتها العروضية .[4]

9 – الإهمال التام لعدد من المصادر المعتمدة من قبل المؤلف (للتّوضيح والاستدلال) والتي لم تعد إليها الباحثة بشكل مطلق [5] .

10- التشكيك في مصداقية مصادر ونقول الونشريسي المعتمدة في النص ، باستخدام الباحثة عبارة :

لم أقف على هذا النص في [6] : التبصرة ، المدّونة ، المقصد المحمود .....إلخ وقد تكررت مثل هذه العبارات في أكثر من موضع ، إلاّ أنّ تسرّع الباحثة في الاطّلاع وعدم تدقيقها في تصفّح المصادر ، جعلها تصدر حكمًا غير مقبول في حق عالم وفقيه .

11- يبدو أن صاحبة التحقيق قد أخطأت في ترجمة عدد من الأعلام[7] الواردة أسماؤهم في متن النص المحقق ، وأغفلت عددًا آخر ممن لم تقف على ترجمة خاصة بهم [8]، هذا إلى جانب عدد من الأماكن والمواقع الجغرافية .[9]

12- أساءت تخريج[10] آيات القرآن الكريم تخريجا سليمًا ، رغم وضوح آياته و لم تقف على مصادر تفسيرها وتوثيقها ، إلى جانب عدد من الأحاديث النّبوية الشريفة .[11]

---

(1) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : لطيفة الحسني ، م.ن / 211 ، 212 ، 213 ، 215 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 228 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 236 ، 239 ، 244 ، 245 ، 250 ، 295 ، 298 ، 299 ، 317 ، 383 ، 385 ، 390 ، 391

(2) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : لطيفة الحسني ، م.ن / 211 ، 216 ، 217 ، 229 ، 230 ، 245 ، 246 ، 249 ،252 ، 295 ، 296 ، 297 ، 298 ، 299 ، 300 ، 301 ، 305 ، 306 ، 309 ، 313 ، 315 ، 392 ، 393

(3) م.ن / 231 ، 241 ، 242 ، 243 ، 244

(4) م.ن / 214 ، 222 ، 234 ، 236

(5) م.ن / 211 ، 213 ، 224 ، 225 ، 229 ، 230 ، 234 ، 235 ، 236 ، 241 ، 243 ، 244 ، 246 249 ، 251 ، 299 ، 304، 305 ، 306 ، 391 ، 392 ، 393

(6) م.ن / 223 ، 224 ، 226 ، 232 ، 235

(7) م.ن / 215 ، 217 ، 218 ،219 ، 223 ، 235 ، 242 ، 250 ، 304

(8) م.ن / 211 ، 214 ، 215 ، 225 ، ، 226 ، 239 ، 241 ، 242 ، 247 ، 250 ، 298 ، 320

(9) م.ن / 211 ،221 ، 222

(10) م.ن / 218 ، 228 ، 236 ، 237 ، 243 ، 244 ، 246 ، 247

(11) م.ن / 244 ، 247

13- إنعدام علامات التنصيص لضبط أقوال العلماء والفقهاء والنقول المقتبسة من قبل المؤلف[1] ، ممّا يجعل تلك النقول جزءاً من النص العام ، و قد يجعل القارئ في حيرة بين بداية ونهاية النص المنقول ، وقد وقعت الباحثة في هذا الخطأ في أكثر من حالة ، ممّا جعلها توثق بعضًا من النقول وتغفل البعض الآخر رغم أنها جزء لا يتجزأ ومصدرها واحد .

14- لم تراعي المحققة ضبط النص ضبطًا كاملاً [2]، خاصة في وجود بعض الأخطاء اللّغوية ، والنّحوية ، والمطبعية .

15- لم تقف على شرح وتذليل بعض الألفاظ والمصطلحات الفقهية واللغوية [3] ، رغم كثرتها ممّا يعيق الفهم العام والاستيعاب الكامل للنص .

16- إنعدام ملخصات التراجم لعدد من التصانيف والمؤلفات الواردة في متن الكتاب . [4]

17- عدم التزام الباحثة بالدّقة والصّدق في مقابلة النّسخ [5] مقابلة صحيحة ، و يتعلق الأمر بالنسختين التي رمزت لهما بـ : (م : الرباط) ، (ج : حجرية) ، والتي كانت صدفةّ من بين النّسخ التي اعتمدتها من مجموع سبع نسخ .

18- أهملت بشكل مطلق فهارس متن الكتاب [6] رغم أهميتها في الدّراسة والتحقيق .

---

(1) م.ن / 211 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 219 ، 220 ، 222 ، 223 ، 225 ، 226 ، 227 ، 228 ، 229 ،231 ، 232 ، 233 ، 234 ، 235 ، 238 ، 239 ، 241 ، 248 ، 249 ، 250 ، 251 ، 295 ، 296 ، 302 ، 306 ، 307 ، 385 ، 390 ، 391

(2) م.ن / 234 ، 304 ، 220

(3) م.ن / 211 ، 215 ، 216 ، 230 ، 231 ، 234 ، 248 ، 295 ، 383 ، 385 ، 392

(4) م.ن / 212 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ، 236 ، 296 ، 298

(5) م.ن / 194 ، 195 ، 212 ، 213 ، 218 ، 216 ، 221 ، 232 ، 235 ، 236 ، 239 ، 242 ، 299 ، 301

(6) لم تضف الباحثة أية فهارس للكتاب ، بإستثناء فهرس موضوعات الكتاب ، وفهرس لقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في قسم الدّراسة والتحقيق . أنظر: لطيفة الحسني ، م.ن / 463 – 487

يقول صلاح الدين المنجد عن أهمية صنع الفهارس كمرحلة متمّمة في تحقيق المخطوطات :

« أمّا صنع الفهارس فالمفروض فيمن يتصدّى للتحقيق عرفانها » ، فتحقيق المخطوطة وحده لا يكفي ولا يجدي نفعًا من دون صنع فهارسها ، لأنّ القصد من ذلك تيسير الإفادة ممّا في الكتاب المنشور والرجوع إلى محتوياته بسهولة ويسر .

أنظر : المنجد صلاح الدين ، م.س / 27 – 28 ، التونجي محمد ، م.س / 181 – 182 ، الغرياني الصادق عبد الرحمن ، م.س / 122

ثانيًا : صدر عن دار الكتب العلمية بلبنان (تحقيق ؟!) عبد الباهر الدّوكالي [1] لكتاب :

" المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

لمؤلفه : **أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي** (ت 914 هـ/ 1508 م)

وقد سعيت للحصول على نسخة من الكتاب المحقق ؟! ، وبعدما تسنّى لنا ذلك ، شرعت في قراءة جادة لما قام به الباحث ؟! .

بيد أن قراءتنا في الجهد المبذول في التحقيق ؟! جعلتنا نقف على العديد من الملاحظات التي تستحق الوقوف عندها :

1- يبدو أنّ صاحب التّحقيق المزعوم يفتقر أصول وقواعد التّحقيق العلمي ، بل لا يدرك حتى الفرق الاصطلاحي بين النّشر و التّحقيق .

2- عدم تخصيص قسمًا للدّراسة [2] للوقوف على حياة المؤلّف ومسيرته العلمية ، وعصره ، و منهجه ومذهبه وغيرها من المعطيات الهامّة .

3- إنعدام الجزء المتعلق بدراسة الكتاب [3]، والتّحقق من عنوانه ونسبته للمؤلّف ، ودواعي تأليفه ومحتوياته ، ومصادره ومنهجه في التأليف .

4- غياب الدّراسة الوصفيّة لنّسخ ؟! المخطوط [4]

---

(1) المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق ، تحقيق عبد الباهر الدوكالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2006 (هكذا ورد الإصدار بلفظه)

(2) من المتفق عليه في قواعد التحقيق العلمي لأي كتاب ، أن يخصص الباحث قسمًا لدراسة صاحب الكتاب (المؤلّف) والوقوف على حياته ومسيرته العلميه ، وعصره ، ومنهجه ومذهبه وغيرها من المعطيات الضرورية . أنظر : التونجي محمد ، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات ، عالم الكتب ، د.ت / 184 ، عبد السلام هارون ، م.س / 43 ، الغرياني الصادق عبد الرحمن ، م.س / 130

(3) من قواعد وأصول التحقيق العلمي : التأكد من صحة عنوان الكتاب ، ونسبته للمؤلّف ، ودواعي تأليفه وموضوعاته ، ومنهجه في التأليف ، مع وضع قائمة لمصادر الكتاب .

أنظر : عبد المجيد دياب ، تحقيق التراث العربي وتطوره ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1993 / 80 - 134- 137 ، الغرياني الصادق عبد الرحمن ، م.س / 88 - 93 - 131 ، التونجي محمد ، م.س / 184 - 185 ، المنجد صلاح الدين ، م.س / 15- 29

(4) بعد تجميع نسخ المخطوط ، يقوم صاحب التحقيق بدراسة وصفية لهذه النسخ بذكر عنوانها ومؤلفها كما ورد في الأصل ، ومكان وجودها، وعدد أوراقها ، وعدد السطور في كل صفحة ، وعدد الكلمات في كل سطر ، ونوع الخط الذي نسخت به ، وتاريخ نسخها ، وإسم ناسخها ، والرمز الذي إختير لها ، وذكر أولّها وآخرها ، وغيرها من القواعد الوصفية للمخطوط .

أنظر : الحفيان فيصل، فن فهرسة المخطوطات (مدخل وقضايا) ، معهد المخطوطات العربية القاهرة ، 1999 / 118 ، التونجي محمد ، م.س / 184 ، المنجد صلاح الدين ، م.س / 29 - 30

5- إعتماده على نسخة واحدة ؟! في تخريج النّص[1] ، و إنتهاء الكتاب المحقق ؟! بناءً على النّسخة المعتمدة عند الباب الخامس عشر [2] ، مع العلم أنّ الكتاب يتضمّن ستة عشرة بابا [3] .

6- إنعدام حواشي ذيل المتن [4] بصورة نهائية .

7- لا وجود إطلاقًا لفهارس[5] متن الكتاب المحقق ؟! رغم أهمّيتها العلمية .

8- إنعدام مقدمّة وخاتمة الكتاب .

9- إنعدام المصادر والمراجع المعتمدة في إعداد هذا العمل .

---

(1) لايجوز نشر كتاب عن نسخة واحدة ، إذا كان للكتاب نسخ أخرى ، ومن الخطورة بما كان الإعتماد على نسخة واحدة في نشر الـنص دون الإلتفات إلى أنّ هذا النشر لا يمثل الكتاب كما وضعه مؤلّفه .

أنظر : هلاّل ناجي ، محاضرات في تحقيق النصوص ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1994 / 37 ، المنجد صلاح الدين ،م.س/ 14

(2) أنظر : عبد الباهر الدّوكالي ، م.س / 15 - 178

(3) أنظر : موضوعات الكتاب كاملة : قسم التحقيق / 227 - 228

(4) يتطلب بعد تخريج النص ، وضع حواشي في ذيل المتن بغرض شرح الألفاظ الغامضة ، وترجمة الأعلام و أسماء الأماكن ، وتوثيق النصوص ، ومقابلة النسخ و تخريج الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و غيرها . والحق أنّ كثيراً من علماء الغرب والشرق يهتمون بالحواشي ، ويعدون إستخدامها فنًا وبراعةً وفائدةً جمّة للقارئ .

أنظر : التونجي محمد ، م.س / 178 - 179 ، الغرياني الصادق عبد الرحمن ، م.س / 101 - 113

(5) بإستثناء فهرس موضوعات الكتاب ، لم يضف الباحث أية فهارس أخرى رغم أهميتها العلمية .

أنظر : عبد الباهر الدّوكالي ، م.س / 179 - 181

ثالثًا : صدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا ، كليّة العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران – الجزائر – العدد الثّاني والثالث سنة (2004 – 2005 م) ، من :
المجلة الجزائرية للمخطوطات **مقالاً** بقلم الدكتور أحسن زقور [1] بعنوان :
تقديم مخطوط **" المنهج الفائق، والمنهل الرّائق ، والمغنى اللاّئق ، بآداب الموثّق ، وأحكام الوثائق "**
لمؤلّفه : **أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي** (ت 914 هـ/ 1508 م)
– وعلى الرغم من الأهميّة العلمية التي يكتسيها هذا المقال من حيث كونه إضافة جديدة في التّعريف بكتاب : " المنهج الفائق، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق ، وأحكام الوثائق " إلاّ أنّنا إرتأينا الإشارة إلى بعض الملاحظات في النّقاط التالية :
1- يبدو أنّ صاحب المقال لم يدقق النّظر في عنوان المخطوط [2] ، رغم أنّه يشير في دراسته الوصفية للكتاب إلى اعتماده على أربع نسخ [3].
2- اقتصر في ترجمته لأبي العباس أحمد الونشريسي[4] على ماورد من معلومات في مقدّمة كتابه "المنهج الفائق" ، دون أن يكلّف نفسه الاستعانة بالمصادر والمراجع التي ترجمت له ، إذا استثنينا الإشارة إلى وفاته في كتاب " نيل الإبتهاج" لأحمد بابا التنبكتي .
3- أغفل في مقاله جوانبًا هامّة في حياة الونشريسي نذكر منها : أسرته ، نشأته ، مساره العلمي ، محنته في تلمسان ورحلته إلى فاس ، مكانته العلمية والثقافية ، وغيرها من المعطيات الضّرورية للوقوف على مكانة هذا العالم حتّى ولو كان ذلك من باب الإشارة أو الاختصار .
4- اقتصر على ذكر أربعة أعلام من شيوخه ، وأربعة أعلام من تلامذته [5]، بينما يزيد عدد شيوخه على العشرة ، وعدد تلامذته كذلك ، ولاندري ؟ على أيّ أساس تمّ إختيار هؤلاء الأعلام واستثناء الآخرين .
5- ذكر خمسة عشرة كتابًا [6] لأبي العباس أحمد الونشريسي دون أن يوضّح المصادر التي اعتمدها في تعداد هذه التّصانيف .
6- إعتمد في التّحقق من عنوان الكتاب ونسبته للمؤلّف ، على مقدمة كتابه "المنهج الفائق" [7] ، ويؤكد إجماع كلّ المصادر التي ترجمت للمؤلف على ذلك ، دون أن يشخّص هذه المصادر بدقّة ، أو يحيل على ذلك في حواشي ذيل المتن .

---

(1) أحسن زقور ، تقديم مخطوط " المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمغنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق " ، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، العدد الثاني والثالث ، منشورات دار الأديب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (2004 – 2005 م) .
(2) ورد عنوان المخطوط هكذا : " المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، **والمغنى** اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "
أنظر : أحسن زقور ، م.س / 09
(3) أنظر : أحسن زقور ، م.ن / 21 -22
(4) أنظر : أحسن زقور ، م.ن / 10
(5) أنظر : أحسن زقور ، م.ن / 11 - 12
(6) أنظر : أحسن زقور ، م.ن / 13
(7) أنظر : أحسن زقور ، م.ن / 14

رابعًا : صدر عن عن دار البحوث للدّراسات الاسلامية وإحياء التّراث ، بدولة الامارات العربية المتّحدّة ، (1426 هـ/ 2005 م) تحقيق الباحث : عبد الرّحمن بن حمّود بن عبد الرّحمن الأطرم [1] لكتاب :

" المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق ، وأحكام الوثائق "

لمؤلّفه : **أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي** (ت 914 هـ/ 1508 م)

وبقدر ماتفاجأنا بوجود تحقيق آخر للكتاب المذكور ، بعد انهائنا لرسالة البحث ، اقتضت الأمانة العلمية الاشارة إلى هذا التحقيق ، والوقوف على ماتمّ تقديمه في هذا الشأن.

1- لم يقف الباحث بصورة مطلقة على الدّراسات التي سبقته في هذا المجال لكتاب :

" المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق ، وأحكام الوثائق " لمؤلّفه :

أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي (ت 914 هـ/ 1508 م)

وكان عليه من باب الأمانة العلمية ، والدّراسة الأكاديمية الوقوف على هذه الدّراسات ، وتوضيح ما تمّ تقديمه بصورة ايجابية أو سلبية ، أو على الأقل الإشارة لها .

2- لم يوفِّ الباحث قسم الدّراسة حقّه ، خاصةً مايتعلّق بعصر الونشريسي (تلمسان ، فاس) ، بل اكتفى بفقرات موجزة [2] للجوانب السياسية والعلمية رغم أثرهما الكبير في حياة المؤلّف ، وأهمل بصورة كليّة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية [3] ومايرتبط بها من تأثيرات حقيقية تبرز مكانة الفقهاء والعلماء ودورهم في توجيه وادارة الأحداث .

3- حداثة نسخ المخطوط [4] المعتمدة في تخريج النص ، مقارنة بعصر المؤلف ، إذ يزيد تاريخ أقدم نسخة

---

(1) المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق ، دراسة و تحقيق عبد الرّحمن بن حمّود بن عبد الرّحمن الأطرم ، دار البحوث للدّراسات الاسلامية وإحياء التّراث ، ط 1 ، (ج 1 ، 2) ، الامارات العربية المتّحدّة ، (1426 هـ/ 2005 م).
(هكذا ورد الإصدار بلفظه)

(2) أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن / 43

(3) رغم أهمية الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ومدى تأثيرها في حياة الفقهاء والعلماء (الونشريسيى) والمجتمع بصورة عامّة ، إلاّ أن الباحث لم يكلّف نفسه للوقوف على ذلك .
أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن / 43 – 51

(4) يشير الكاتب إلى وجود نسخ كثيرة للكتاب المخطوط منتشرة في : المملكة السّعودية ، ومصر ، وليبيا ، وتونس ، والمغرب ، وموريتانيا ، وهذه النّسخ إمّا أنّها لم يكتب عليها تاريخ النّسخ ، أو كتب لكنّه متأخّر ، ومن من مجموع النسخ السّتّة التي اعتمدها الباحث في تحقيق النص ، اهتدى إلى تقديم النسخة (ت) رقم : 15093 بدار الكتب الوطنية بتونس ضمن مجموع ، والتي يشير إلى أنّها نسخت في أواخر شهر صفر من عام (1097 هـ / 1685 م) وهي الأقدم مقارنة بغيرها من النّسخ ، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن اعتمادها كنسخة أصلية لتخريج النص ، وذلك لكثرة سقطها مقارنة بغيرها من النسخ ، إذ لا يخلو فصل واحد إلاّ وبه سقط في الجملة .

وضعها الباحث مفاضلةً ، في المرتبة الأولى دون غيرها ، عن قرن وثمانون سنة [1] مــن وفــاة الونشريــسي (914 هـ/ 1508 م) إلاّ أنّها لم تكن نسخة كاملة [2] مقارنة بغيرها من النسخ .

4- عدم اكتمال النص المنسوخ كما أراد له صاحبه أن يكون أو أقرب إلى ذلك ، رغم تعــدد النــسخ ، وذلك في وجود مواضع مختلفة من السقط [3] ، زيادة على حالات التصحيف والتحريف [4] الــتي تتكــرر باستمرار ، وتلك الزيادات [5] التي لا أثر لها في جميع النّسخ ، وهذا ما يفــّسر عــدم الوقوع على اختيار نسخة أصلية لتخريج النص ، وإنما اعتماد مبدأ المــقــاربة بين النسخ .

5- عدم توثيق بعض النقول والنصوص من مصادرها الأصلية ، في مواضع مختلفة ، سواء تلك التي صــرّح بها المؤلف [6] أو تلك التي نقل عنها دون ذكر أصحابها [7] ، والاكتفاء أحيانًا بمصادر بديلة .

6- الاهمال التام لعدد من المصادر[8] المعتمدة من قبل الونشريسي و التي لم يعد إليها الباحث بشكل مطلق.

---

(1) من المتفق عليه في قواعد التحقيق العلمي أن تقدّم النسخة ذات التاريخ الأقدم بشرط أن تكون : نسخة كاملة غير منقوصة ، خالية من التصحيف والتحريف ، وهي جديرة بأن تحتل المرتبة الأولى بين باقي النّسخ خاصة إذا كان عليها خطوط العلماء

أنظر : المنجد صلاح الدين ، م.س / 12 ، هارون عبد السلام ، م.س / 37 ، الغرياني ، تحقيق نصوص التراث م.س / 76 – 95

(2) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 03 ، 05 ، 34 ، 39 ، 40 ، 41 ، 50 ، 53 ، 55 ، 57 ، 62 ، 65 ، 67 ، 76 ، 77 ، 80 ، 88 ، 89 ، 94 ، 96 ، 100 ، 101 ، 170 ، 174 ، 176 ، 177 ، 178 ، 182 ، 189 ، 190 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 197 ، 198 ، 201 . (أنظر كذلك تعليق الباحث على هذة النسخة : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 134)

(3) أنظر على سبيل المثال لا الحصر :

عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 03 ، 04 ، 07 ، 31 ، 37 ، 38 ، 40 ، 45 ، 46 ، 49 ، 54 ، 59 ، 59 ، 72 ،77 ، 78 ، 79 ، 80 ، 82 ، 94 ، 98 ، 170 ، 176 ، 191 ، 192 ، 198 ، 203 ، 204

(4) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 04 ، 05 ، 06 ، 07 ، 31 ، 34 ، 35 ، 36 ، 38 ، 40 ، 41 ، 43 ، 47 ، 54 ، 63 ، 64 ، 65 ، 66 ، 68 ، 70 ، 71 ،72 ، 74 ، 75 ، 76 ، 77 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ، 86 ، 94 ، 96 ، 98 ، 101 ، 165 ، 168 ، 166 ، 167 ، 170 ، 171 ، 172 ، 174 ، 181 ، 188 ، 191 ، 195 ، 196 ، 198 ، 200 ، 202 ، 204 ، 300 ، 301

(5) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الــرّحمن الأطــرم ، م.ن ، 1 / 06 ، 48 ، 67 ، 72 ، 77 ، 78 ، 86 ، 91 ، 97 ، 98 ، 170 ، 190 ، 193 . (يضيف الباحث إلى نص الكتاب المحقق ماورد في النسخة (ت) من زيادة لا و جود لها في باقي النسخ أي : خمسة عــشر فرعًا و يعتبرها جزءً من الكتاب ؟! رغم نهاية الكتاب عند الباب السادس عشر . أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 999 - 1006)

(6) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 31 ، 59 ، 63 – 64 ، 69 ، 74 ، 75 ، 79 – 80 ، 307 ، 308

(7) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرّحمن الأطــرم ، م.ن ، 1 / 31 ، 82 ، 84 ، 86 ، 89 - 90 ، 90 - 91 ، 92 - 93 ، 95 ، 100 ، 168 ، 175 ، 189 ، 198 – 199 ، 201 – 202 ، 299 ، 300 ، 303 - 304

(8) أنظر على سبيل المثال لا الحصر :

عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 31 ، 54 ، 57 ، 58 – 59 ، 62 ، 68 ، 71 – 72 ، 73 – 74 ، 74 - 75 ، 78 – 80 ، 82 ، 83 ، 86 ، 92 – 93 ، 98 - 100 ، 189 ، 299 ، 300 ، 301 – 302 ، 303 – 304 ، 307 ، 308

7- لم يقف على مصادر بعض النظم و الأبيات الشعرية و لم يحدد انتماءاتها العروضية بشكل مطلق .[1]

8- يبدو أن صاحب التحقيق قد أغفل عدد من الأعلام ممن لم يقف على ترجمة خاصة بهم [2] وأخطـأ في ترجمة عددًا آخر. [3]

09- إنعدام ملخصات التراجم لعدد من الأماكن والبلدان الواردة في متن الكتـاب ، والاكتفـاء أحيانًـا بترجمة سطحية ومختصرة ، دون الاشارة إلى مصادرها الأصلية . [4]

10- لم يقف على شرح وتذليل بعض الألفاظ والمصطلحات الفقهية واللغوية [5] ، رغم كثرتها ممّا يعيـق الفهم العام والاستيعاب الكامل للنص .

11- - عدم وجود عناوين فرعيّة لبداية فصول [6] كل باب من الأبواب المحققة ، وذلك لتيـسير الافـادة علمًا ومنهجًا .

12- عدم التزام الباحث بالأمانة العلمية في مقابلة النّسخ [7] مقابلة صحيحة ، و يتعلق الأمر بالنسخ الـتي رمز لها بـ : (هـ : الأزهر) ، (س : حجرية) ، (ر : الرباط) ، والتي كانت مـن بـين النّـسخ الـتي اعتمدتها من مجموع سبع نسخ .

13- أهمل بشكل مطلق عددًا من فهارس متن الكتاب [8] رغم أهميتها في الدّراسـة والتحقيـق (فهـرس الأماكن والبلدان ، فهرس النظم والشعر ، فهرس الجماعات والأمم) لأنّ القصد من ذلك تيسير الإفادة ممّا ورد في الكتاب المنشور والرجوع إلى محتوياته بسهولة ويسر.

---

(1) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 36 ، 37 ، 38 ، 51 – 52 ، 53 ، 72 ، 74 – 75 ، 80 - 81

(2) أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 78 ، 96 ، 201

(3) أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 84 ، 203 ، (204 : وقد أخطأ في وضع اسم الفقيه ابن عرفة مكان الفقيه ابن المـسيب ؟! رغم أنّ ذلك غير وارد في جميع النسخ)

(4) أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 32 ، 39 ، 40 ، 51 ، 52 ، 56 ، 77 ، ، 176 ، 201

(5) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الـرّحمن الأطـرم ، م.ن ، 1 / 31 ، 34 ، 37 ، 38 ، 58 ، 67 ، 73 ، 81 ، 86 ، 93 ، 169 ، 183 ، 188 ، 191 ، 299 ، 301

(6) أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 31 ، ، 62 ، 165 ، 195 ، 197 ، 200 ، 299 ، ، 305 ، ، 307 ، 312

(7) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 1 / 64 ، 72 ، 75 ، 82 ، 85 ، 86 ، 87 ، 88 ، 89 ، 91 ، 92 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 99 ، 100 ، 101 ، 166 ، 168 ، 169 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 177 ، 178 ، 180 ، 183 ، 184 ، 188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 197 ، 198 ، 200 ، 202 ، 203 ، 205 ، 299 ، 300 ، 301 ، 305 ، 307 ، 308 ، 310 ، 312

(8) أنظر : عبد الرّحمن الأطرم ، م.ن ، 2 / 1007 - 1999

قسم الدّراسة

الفصل الأول : ماهية علم الوثائق ومعطياته

المبحث الأول : مفهوم علم الوثيقة لغةً واصطلاحًا

اختلفت الأراء في تحديد مفهوم علم الوثيقة وتعددت ، من حيث المعنى والشكل والمضمون ، وتحاول هـذه الدّراسة أن تحدد مفهوم علم الوثيقة معنى واصطلاحًا ، كما تحاول تحديد مفهومها حسب ماورد في بعض الدّراسات الفقهية والقانونية ، لارتباطها بعلم القضاء والمعاملات المدنية منها والتجارية .

أولاً : لغـةً

اشتقت كلمة الوثيقة من الثقة وهي الإئتمان على الشيء ، والوثاقة هي مصدر الشيء الوثيق ، وأوثقـه في الوثاق ، أي شدّهُ ، فالوثيق هو الشيء المحكم ، وجمعه وثاق أو وثائق ، ويقال : وثّق الشيء توثيقًا ، فهـو موثّق ، أي : أحكمه ، والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة [1].

وثبت أنّ كلمة وثيقة أو وثائق لم ترد بشكل صريح في القرآن الكريم ، بل وردت اثنتـا عـشر كلمة مـن مشتقاقا ، ذكرت سبعًا وثلاثين مرّة وهي : واثقكم [2]، يوثّق [3]، الوثاق [4] ، وثاقه [5] ، الـوثقى [6] ، موثّقًا [7] ، موثقهم [8]، ميثاق [9] ، ميثاقا [10]، ميثاقكم [11] ، ميثاقه [12] ، ميثاقهم [13] ، وكلّها تفيد

---

(1) إبن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت 711 هـ / 1311 م) ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، و هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، د.ت ، المجلد السادس ، 51 / 2283 (مادة وثّق)

(2) سورة المائدة ، الآية 7

(3) سورة الفجر ، الآية 26

(4) سورة محمد ، الآية 4

(5) سورة الفجر ، الآية 26

(6) سورة البقرة ، الآية 206 ، لقمان ، الآية 22

(7) سورة يوسف ، الآية 66 - 80

(8) سورة يوسف ، الآية 66

(9) سورة البقرة ، الآية 83 ، آل عمران ، الآية 81 - 187 ، النساء ، الآية 92 ، المائدة ، الآية 83 ، الأعراف ، الآية 169 ، الأنفال ، الآية 72 ، الرعد ، الآية 20 ،

(10) سورة النساء ، الآية 21 – 154 ، الأحزاب ، الآية 7

(11) سورة البقرة ، الآية 63 – 88 – 93 ، الحديد ، الآية 8

(12) سورة البقرة ، الآية 27 ، المائدة ، الآية 7 ، الرعد ، الآية 25 ،

(13) ، النساء ، الآية 154 – 155 ، المائدة ، الآية 13 - 14 ، الأحزاب ، الآية 7

معنى العهد ، وبما أنّ كلمة وثيقة هي في صيغة المؤنّث ، ولكنّها ليست اسمًا لعلم ، لذلك يمكن جمعها جمع تكسير ، فيقال وثيقة ووثائق مثل كبيرة وكبائر ، وطريدة وطرائد [1].

ويعرف علم الوثائق لدى الفقهاء ورجال القضاء بعلم الشروط ، والشرط في اللغة : هو العلامة ومنه أشراط السّاعة ، وهو عبارة عن كل الشيء يدّل على غيره ويعلم من قبله ، ولمّا كانت العقود يعرف بها ماجرى سميت شروطًا ، وسميت عقودًا لأنّها ربطت كتبه كما ربطت قولاً [2].

ثانيًا : اصطلاحًا

تعددت المفاهيم الاصطلاحية لعلم الوثائق بين القدماء والمحدثين ، كلٌ حسب اختصاصه وكيفية تفسيره ودرجة استفادته من فقه الوثيقة :

فابن مغيث الطليطلي (ت 459 هـ / 1067 م) يعرّفه بقوله :

« علم الوثائق علم شريف يلجأ إليه في ذلك الملوك، والفقهاء ، وأهل الشرف ، والسوقة ، والسّواد كلهم يمشون إليه، ويتحاكمون بين يديه، ويرضون بقوله، ويرجعون إلى فعله ... فليتنزّل كلّ طبقة على مرتبتها، ... ويجتنب في رسمها الكذب والزّور . » [3]

أمّا المتيطي (ت 543 هـ / 1148 م) فيقرن فقه الوثائق بعلم القضاء ، والأحكام ويجعله شرطاً أساسيًا من شروط ممارسة مهنة القضاء ويعرّفه بقوله :

« علم الوثائق من أجلّ العلوم قدرًا وأشرفها إنابةً وخطرًا ، إذ به تسترد حقوق الآنام ، وبه يستنير القضاة والحكّام ، ومن جَهَلَهُ منهم فهو في حجب الجهل و الآثام . » [4]

---

(1) الحسناوي محمد صكر ، الوثيقة مفهومها وأهميتها في الدراسات التاريخية ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد 53 ، السنة الرابعة عشر ، مركز جمعة الماجد ـ الإمارات العربية ، أفريل 2006 / 7

(2) إبن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي (ت 543 هـ / 1148 م) ، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترميذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت ، 5 / 220

(3) أحمد بن مغيث الطليطلي (459 هـ / 1067م) ، المقنع في علم الشروط ، تقديم وتحقيق فرانشيسكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد، 1994 / 14

(4) أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري المتيطي (570 هـ ، 1285 م)، النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام ، مخ ، رقم 3861 ، المكتبة الوطنية الجزائر / ورقة 01 ض

و يعرّفه طاش كبرى زادة (ت 968 هـ / 1560 م) بأنّه :

« علم يُبحث فيه عن إنشاء الكلمات المتعلّقة بالأحكام الشّرعية ، وموضوعه ومنفعته ظاهران ، ومبادؤه علم الإنشاء وعلم الفقه ، وله استمداد من العرف . » (1)

و لايختلف عنه حاجي خليفة (ت 1067 هـ / 1656 م) فيما أورده في كتاب " كشف الظنون " بقوله :

« علم يبحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسّجلات على وجه يصحّ الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال ، وموضوعه تلك الأحكام من حيث الكتابة ، وبعض مبادئه مأخوذ من الفقه ، وبعضها من علم الإنشاء ، وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحسانية ، وهو من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقًا لقوانين الشّرع ، وقد يجعل من فروع الأدب باعتبار تحسين اللّفظ . » (2)

أمّا المحدثون وأصحاب الاختصاص من حفظة الوثائق والأرشيف فيعرفّون الوثائق :

بأنّها كلّ المخطوطات القديمة والحديثة وسندات الملكية ، والعقود التوثيقية ، والمراسلات ، والسّجلات والمحررّات الرسمية ، والمستندات ، وكل وعاءٍ لحفظ المعلومات التي يتم تثبيتها بالحرف أو الرقم أو الصورة أو التخطيط . (3)

وهناك من الباحثين المعاصرين من حاول التّمييز بين الوثائق حسب مبدأ الأفضلية في الاستفادة ، والدقّة في التعبير فأطلق على الوثائق الأكثر أهمية اسم الوثائق الديبلوماتية ، نسبةً إلى علم الديبلوماتيك DIPLOMATIC المشتق من الكلمة اليونانية ديبلوماتيكوس DIPLOMATICUS ، والتي تعني في مفهومها الوثيقة المطويّة ، التيّ تصدر عن جهة رسميّة ، ثم توسع المفهوم ليشمل كلّ ماله علاقة أو صلة بالوثائق و القوانين والعهود والمخطوطات ، ويهدف هذا العلم إلى تحقيق الوثائق ونقدها وفكّ رموزها ومعرفة تاريخ كتاباتها . (4)

---

(1) طاش كبرى زادة أحمد بن مصطفى (968 هـ / 1067م) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1985 ، 1 / 249

(2) حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت 1067 هـ / 1656 م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، 2 / 1046

(3) الحسناوي محمد ، م.س / 10 - 13

(4) الحسناوي محمد ، م.ن / 19 - 20

المبحث الثاني : علم الوثائق : معطياته التاريخية و الفقهية

أولاً : عناية المسلمين بعلم الوثائق

برز الاهتمام بعلم الشّروط والوثائق منذ نزول الوحيّ على سيّدنا محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - أين شـرع كتبة الوحي في توثيق القرآن الكريم بعناية خاصة ، وحرص شديد على ضبط كلّ مايكتب ، فقد جـاء في رواية عن زيد بن ثابت أنّه قال : «كنت أكتب الوحيّ عند رسول الله- صلّى الله عليه وسلم - وهو يملـي عليّ فإذا فرغت قال : اقرأه ، فأقرأه فإن كان فيه سقط أقامه ، ثم أخرج به إلى الناس . » [1]

كما عكف السلف الصالح من صحابة رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - علـى تـدوين الـسنّة النبوّيـة وجمعها في دواوين ومصنفات على مناهجٍ مختلفة ، و لم ينته القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلاّ وقد ظهرت معظم تلك المصنّفات وأصبح الإعتماد على مافيها من أحاديث . [2]

وازدادت أهمية علم الوثائق عمليًا بعد ما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، حينما دعت الحاجة إلى كتابـة المعاملات وتوثيقها والإشهاد عليها ، إلاّ أنّ النّهضة الحقيقية انطلقت من الأندلس مع بداية القـرن الثالـث الهجري / التاسع الميلادي ، أين برز علم الشروط في ميدان المعاملات و ظهرت أشكال جديدة من الوثائق والعقود والرسوم ، لم تكن معروفة لدى الموثّقين الأوائل ، مما عزّز مكانة الوثيقة وجعلها حجّة يـستنير بهـا القاضي والحاكم في مجال التوثيق والإثبات [3].

وقد نبغ فيها فقهاء وقضاة ساهموا في خدمة هذا العلم وأدخلوا عليه تعديلات جوهريـة ، بـسبب كثـرة المعاملات وتعدد أشكالها ، مدنيّة كانت أوتجاريّة ، فألّفوا فيها مؤلفات متعددة الأشكال ، مختلفة الأحجام مابين مطوّل ومختصر ، وشارح أو مختصر له . [4]

---

(1) المشوخي عابد سليمان ، أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط 1 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1994 / 35

(2) المشوخي ، م.ن / 36 – 37 ، مصطفى أبو شعيشع ، دراسات في الوثائق ومراكز المعلومات الوثائقية ، دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دت / 24

(3) عمر الجيدي ، محاظرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عياض ، الرباط ، د.ت / 118

(4) عبد الطيف أحمد الشيخ ، التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1، 2004 / 335

ثانيًا : مشروعيّة علم الوثائق في الكتاب والسنّة

و ردت في القرآن الكريم عدّة نصوص تحثّ على الإشهاد في التعاقد وتوثيق المعاملات منها قوله تعالى : ﴿ياأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِديْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [1] ، وهي أطول آية في القرآن الكريم في أطول سورة قال عنها ابن العربي في تفسيره : « هي آية عظمى في الأحكام مبيّنة جملاً من الحلال والحرام ، وهي أصل في مسائل البيوع ، وكثير من الفروع » . [2]

وفي هذا دليل على أنّ الكتابة والتوثيق من الأدلّة التي تعتبر عند استيفاء شروطها ، وعلى أنّها واجبة في القليل والكثير [3].

وأقرّ الغرناطي في وثائقه عند هذه الآية بجواز التداين في البيع والإجارة ، وعلى جواز السّلم في الحيوان والعين ، لأن الله - تعالى - لم يخصّ دينا دون آخر ، بل عمّ جميع الديون من حيوان وعين وغير ذلك مما يجوز تعلقه بالذمّة ، وعلى جواز السّلم في الطعام والعروض وجميع ماينضبط بصفة ، وقوله تعالى : ﴿ إلى أجل مسمّى ﴾ يدّل على امتناع البيع نسيئة إلى أجل غير معلوم ، وقوله : ﴿ فاكتبوه ﴾ يدّل على وجوب كتابة الوثائق لدفع الدعاوي وحفظ الأموال والأنساب وتحسين الفروج ، على أنّ كتابة الوثائق واجب ، والنّسخ على عدد المشهودين [4] .

وقد ثبت في السنة النبويّة أنّ الصحابة كانوا يكتبون الوثائق على عهد النبيّ- صلى الله عليه وسلم - ففي صحيح مسلم وغيره ﴿ أنّ عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه - كتب الصلح يوم الحديبيه بين يديّ النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - .﴾ [5] وليس في السّنة النّبوية ما يدلّ على وجوب التوثيق بالكتابة ، ولا ما يدلّ على وجوب الإشهاد ، بل إنّ السنّة العملية تدل على عدم وجوبها ، فلم يثبت أن النّبي - صلّى الله عليه وسلّم - كان يكتب جميع مداييناته ، ولا كان يشهد على جميع مبايعاته [6] ، فقد روت عائشة - رضي الله

---

(1) سورة البقرة ، الآية ، 282

(2) إبن العربي أبو بكر محمّد إبن عبد الله ، أحكام القرآن ، تحقيق علي بن محمّد البجاوي ، دار المعرفة ، لبنان ، 1392 هـ ، 1 / 247

(3) المراغي أحمد مصطفى ، تفسير المراغي ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، ط 1، 1964 ، 3 / 71

(4) الغرناطي أبو اسحاق ابراهيم بن الحاج بن عبادة الأنصّاري (576 هـ ، 1183 م) الوثائق المختصرة ، أعدّها مصطفى ناجي ، مركز احياء التّراث المغربي ، الرباط ، ط 1، 1988 / 08

(5) أبو الحسن مسلم بن الحجّاج بن مسلم (261 هـ/ 874 م)، صحيح مسلم ، المطبعة المصرية بالأزهر ، مصر ، ط 1 ، 1930 / 134 -135

(6) محمد جميل بن مبارك ، التوثيق والإثبات بالكتابة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، مطبعة النجاح الجديدة ، 2000 ، 1 / 09

عنها - ﴿ أنّ النّبي - صلّى الله عليه وسلّم - اشترى طعامًا من يهوديّ إلى أجل ورهنه درعًا من حديد ، فلم يكتب هذه المداينة و لم يشهد عليها ﴾ [1] وقد رجّح ابن العربي : أنّ الإشهاد ليس واجبًا، وأنّ الأمر به أمر إرشاد للتوثّق والمصلحة . [2] وفي " شرح الهوّاري " : إنّ التوثيق بالإشهاد فرض كفاية كالجهاد ، والصّلاة على الجنائز ، ودفنها ، وطلب العلم ، وحفظ القرآن سوى الفاتحة ، وتحمّل الشهادة ، ...وعزا هذا الرأي لمالك والشافعيّ . [3]

ولمّا كان علم التوثيق على هذه الدرجة من الأهمية ، فقد استند في مشروعيته إلى مجموعة من القواعد الفقهية واللّغوية ، يتعلق الأمر بإتقان صنعة الوثيقة والتفقه في الفرائض والحساب ، وكذلك في الأقضيّة والأحكام أمّا صنعة الوثائق فأولّ ما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام هو الضّلوع في علم التوثيق نفسه، وإتقان علم الشروط كما كان يسمّى [4]، ولهذا كان القاضي محمد بن يحيى بن بكر الأشعري يقول :

« من لم يتمرّن في عقد الشروط ، ولا أخذ نفسه بالتفقه في كتب التوثيق ، فلا ينبغي له أن يكون قاضيًا وإن كان قويّا فائقًا في سائر العلوم ...» [5] وقد سبقه الإمام مالك حينما نبّه إلى أهمية علم الفرائض والتمكّن فيه قائلاً : « لا يكتب الوثيقة بين الناس إلاّ عارفا بها عدل في نفسه مأمون عليه [6] لقوله تعالى : ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾ [7]

وقد ذكر ابن مغيث : أنّ من ضوابط فقه الوثيقة أن يكون من وثّقها عالما بأصول الحلال والحرام وبأقوال الفقهاء المتقدمين ، وبما جرى به العمل بين المفتين ، ليكون ذلك أصلا يعتمد عليه ويطّلع على أجوبة المتأخرين ، ما يرجع في النّازلة إليه تشتمل عليه حلاوة الشّمائل وحفظ المسائل [8] ،وزاد غيره أن يكون عالما بالتّرسيل ، لأنّها صناعة إنشاء ولأنّه كما جاء في " شرح البنّاني " قد يرد عليه ما لم يسبق بمثاله ولا

---

(1) الترميذي أبو عيسى محمد بن عيسى (279 هـ / 892 م) ، الجامع الكبير ، تحقيق وإخراج بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1996 ، 2 / 503 (رواه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن أنس ، وهو حديث حسن صحيح ، باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل ،حديث رقم : 1213)

(2) إبن العربي أبو بكر ، أحكام القرآن ، م.س ، 1 / 258

(3) الهواري أبو محمّد عبد السلام بن محمّد ، شرح الهواري على وثائق البنّاني ، دار الكتب العلمية بتونس ، 1949 / 6

(4) محمّد جميل بن مبارك ، م.س / 11

(5) عبد العزيز بن عبد الله ، الوقف في الفكر الإسلامي ، ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1996 /333

(6) أحمد ابن مغيث الطليطلي (459 هـ / 1067م) ، المقنع في علم الشّروط ، تقديم وتحقيق فرانشيسكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد، 1994 / 14

(7) سورة البقرة ، الآية ، 282 .

(8) ابن مغيث ، م.ن / 13

حدا على مقاله [1] ولايجب أن يكتب الوثائق إلاّ من شهد له في ذلك بحُسن الخط ، وترتيب اللّفظ واتساع في العلم ، من رجل خيّر ، عالم ، ورع ، ليكفي للقاضي والحاكم عند رؤية خطه ولفظه البحث والتعقب فيها من براءة التدليس والتبليس ، وقطع وثائق العدم واجب لأنّها داعية إلى أبواب من الغرر كثيرة . [2]

أمّا علما الفرائض والحساب فهما من العلوم التي تتوقف عليهما صيّاغة الوثيقة ، وكتابتها وتحريرها ، فعلم الحساب شرط رئيسيّ لعلم المواريث خصوصا في باب قسم التركات، وتصحيح الفرائض بعد حصر عدد ورثة المالك وإحصاء ممتلكاته، وإعطاء ذوي الفروض وأصحاب التعصيب ما يستحقونه من تركة مورّثه ،وفي باب الحساب كتب آخر :كتابة عقدها كاتب فلان عبده فلانا بتسعين مثقالا نجمها على ستة أنجم معتدلة يؤدّي إليه عند اقتضاء كل نجم ثلاثة عشر مثقالا غير ثلث ، فليت شعري كيف يكون سدس التّسعين ثلاثة عشر غير ثلث... ؟ [3] وبالجملة فإنّ صيّاغة الوثيقة تتوقف على علميّ الفرائض والحساب خصوصا في باب تصحيح الفريضة ، وقسمة التركة وتوحيد المقامات وإزالة الانكسار وتقويم الممتلكات وإحصائها . [4]

ويشترط الموثقون لكي تكون الوثيقة صحيحة أن تصاغ بلغة صحيحة وواضحة ، لكنّ ذلك يتوقف عندهم على سلامة العبارة التي تكتب بها الوثيقة من أيّ إبهام أو غموض أو احتمال، ولذلك يقول علماء الأصول: الدّليل إذا تطرق إليه الاحتمال القويّ المعتبر بطل به الاستدلال ،أي : إذا تردد الدّليل بين الإمكان وعدمه ، بطل به الاستدلال على الإمكان أو الإبطال . [5]

وهذا الضبط اللّغوي يستلزم من الموثّق أن يكون عالما بفقه الوثائق و بنصوصها ، بارعا في الإنشاء ، لأنّه يحتاج إلى ذلك ، وأن يكون سالما من اللّحن الذي يغير المعنى [6]، لأنّ صناعة الوثيقة كما قال ابن فرحون

---

(1) إبن العربي ، أحكام القرآن ، م.س ، 1 / 258

(2) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، إعتنى بتحقيقه ودراسته ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي للأثار الشرقية ، القاهرة ، 13/1955.

(3) الهواري أبو محمد عبد السلام ، م.س / 06.

(4) محمّد جميل بن مبارك ،م.س / 11

(5) قطب سانو ، معجم مصطلحات أصول الفقه ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط 1، 2000 / 43

(6) محمّد بن معجوز ، وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، ط 1، 1984 / 328

المالكي في" تبصرته ": « صناعة جليلة شريفة ، وبضاعة عاليّة منيفة ، تحتوي ضبط أمور النّاس على القوانين الشّرعية ، وحفظ دماء المسلمين وأموالهم ، والاطّلاع على أسرارهم وأحوالهم ، ومجالسة الملوك ، والاطّلاع على أمورهم وعيالهم ، وبغير هذه الصّناعة لاينال أحد ذلك ، ولا يسلك هذه المسالك. » [1]

ونستنتج بعد هذا أن الجانب اللّغوي من الجوانب الأساسية التي يقوم عليها علم التوثيق ، لأنّ معرفة اللّغة العربيّة من الشروط العشر الواجبة في مجال التوثيق ، ويعتبر الجهل بها من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الموثّقين [2].

(1) إبن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799 هـ / 1396 م) ، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه جمال مرعشلى ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1995 ، 1 / 200

(2) إبن جزي أبو القاسم محمد الكلبي الغرناطي (ت 741 هـ / 1340 م) ، القوانين الفقهية ،دار القلم ، بيروت ، د .ت / 35.195

ثالثًا : كتب الوثائق والشروط (المغرب الإسلامي نمودجًا)

ارتبط علم الوثائق والشّروط في بلاد المغرب الإسلامي بانتشار المذهب المالكي ،وكثرة المعـاملات المدنيّـة والتجاريّة خاصةً مع بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، أين كانت الانطلاقة الحقيقية لهذا العلم من الأندلس لينتشر ويتوسع بعد ذلك إلى بقية أقطار المغرب الإسلامي [1] ، إذ برز فيـه فقهـاء وعلمـاء خدموا هذا العلم وأدخلوا عليه تغييرات جوهريّة ، وألّفوا فيه تصانيفًا متعددة الأشكال ، مختلفـة الأحجـام مابين مطول ومختصر ، وشارح أو مختصر له . [2]

وستحاول هذه الدراسة الوقوف على عددٍ من هؤلاء العلماء ، وما أوردته كتب التّراجم والسّير من قراءات وصفيّة ذات أهميّة تبرز مؤلفاهم وتصانيفهم ، التي ذاع صيتها وكثر تداولها بين العلماء والفقهاء في حياهم وبعد مماهم .

تذكر المصادر أنّ أوّل من ألّف في علم الوثائق في المذهب المالكي مع بداية القرن الثالث الهجري وطيلة القرن الرابع :

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت 268 هـ/ 881 م) من فقهاء المذهب المـالكي انتهت إليه الرئاسة في مصر ، له تآليف كثيرة في فنون مختلفة منها كتاب : " الوثائق والشروط" [3]
- أبو عبد الله محمد بن سعيد الموثق (ت 280 هـ / 893 م) المعروف بابن الملون : من أهـل قرطبـة ، كان حافظًا لرأي مالك وأصحابه ، عالمًا بالشروط وعقد الوثائق ، من أبصر النّاس بها ، لـه فيهـا كتـاب شريف متداول بين النّاس [4] ، ووصفه الخشني بقوله : « وله كتاب في الوثائق مستحسن » [5]
- فضل بن سلمة الجهني (319 هـ / 931 م) : من أعلم النّاس بمذهب مالك وعلمائها له : « جزء في الوثائق مفيد و حسن . » [6]

---

(1) عمر الجيدي ، م.س / 118

(2) عبد الطيف أحمد م.س 335

(3) إبن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799 هـ / 1396 م) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1996 / 331

(4) إبن الفرضي أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف (ت 403 هـ / 1012 م) ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، مكتبة الخانجي ، ط 2 ، القاهرة ، 1988 ، 2 / 14

(5) الخشني محمّد بن حارث (361 هـ / 971 م) ، أخبار الفقهاء والمحدثين ، دراسة وتحقيق ماريا لويس أبيلا و لويس مولينا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، 1991 / 154 - 155

(6) الحجوي محمّد بن الحسن الثعالبي ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، مطبعة النهضة ، تونس ، د.ت ، 3 / 107

5- أبو جعفرأحمد بن أحمد بن زيّاد (319 هـ / 931 م) : من فقهاء أهل إفريقيّة و ثقاتها ، عالمًا بالوثائق والعقود ، وضع فيها كتابًا من عشرة أجزاءٍ وقد أجاد فيها . (1)

- أمّا في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فقد أُلّفت ثلاثة كتب عدّت قمّة ما أُلّف في هذا الفن ، وقد توفي أصحابها الثلاثة في عام واحد (399 هـ / 1008 م) :

أولّها كتاب " الوثائق والسّجلاّت" (2) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله المعروف بابن العطّار ، قال ابن بشكوال : «كان فقيهًا ، عالمًا ، حافظًا ، متيقظًا ، متفننًا في العلوم ، رأسًا في معرفة الشروط وعللها، متقنًا لها ، مستنبطًا لغرائبها ، مدققًا لمعانيها ، لا يجاريه في ذلك أحد من أهل عصره ، وجمع فيها كتابًا حسنًا مفيدًا ، يعوّل النّاس في عقد الشروط عليه ، ويلجؤون إليه. » (3)

و لم ينج هذا الكتاب من نقد أبي عبد الله محمد بن عمربن يوسف ابن الفخّار القرطبي المالكي (ت 419 هـ / 1028 م) ،إذ أَلّف هو الآخر كتابًا في" الردّ على أبي عبد الله ابن العطّار في وثائقه " (4).

والثاني مصنف : لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المريّ الشهير بابن أبي زمنين ، يسمّى " المنتخب في الأحكام " (5) ، قال ابن فرحون : « وكان حسن التأّليف ، مليح التصنيف ، مفيد الكتب ، ككتابه المنتخب في الأحكام الذي ظهرت بركته ، وطار شرقًا وغربًا ذكره . » (6) وله كذلك كتاب آخر بعنوان "المشتمل في أصول الوثائق " .(7)

---

(1) إبن فرحون ، الديباج ، م.س/ 97

(2) إبن خير الإشبيلي (ت 575 هـ / 1179 م) ، فهرسة إبن خير الإشبيلي ، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1999 / 217

(3) أبو القاسم خلف بن عبد الملك إبن بشكوال (494 هـ ، 1183 م)، الصلة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ،ط1 ، 1989 ، 2 /710

(4) خير الدين الزركلي ، الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ،ط15 ، بيروت ، 2002 ، 6 / 312

(5) مخلوف محمد بن محمد ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة (1930- 1931) ، 1 / 101 ، الحجوي ، م.س ، 3 / 123 - 124

(6) إبن فرحون ، الديباج ، م.س/ 365

(7) إبن فرحون ، الديباج ، م.ن/ 365 ، إبن خير الإشبيلي ، م.س / 216 ، الحجوي ، م.س ، 3 / 123 - 124

والثالث كتاب : لأبي عمر أحمد بن سعيد بن إبراهيم الأموي الشهير بابن الهندي « الفقيه العالم بالشروط والأحكام ، كما أقرّ له بذلك فقهاء الأندلس ، ألّف كتابًا في الشروط مفيدًا جامعًا يحتوي على علم كثير، عليه اعتماد الموثقين والحكام » [1] ، قال ابن مفرج : « قرأت على أبي عمر "ديوانه في الوثائق" ثلاث مرّات ، وأخذتُه عنه على نحو تأليفه له ، فإنّه ألّف أوّلاً ديوانًا مختصرًا من ستة أجزاء ، فقرأها عليه، ثم ضاعفه، وزاد فيه شروطًا وفصولاً وتنبيهات، فقرأت ذلك عليه أيضًا، ثم ألّفه ثالثة، واحتفل فيه وشحنه بالخبر، والحكم ، والأمثال ، والنوادر، والشعر ، والفوائد ، والحجج ، فأتى الديوان كبيرًا ، واخترع في علم الوثائق فنونًا ، وألفاظًا ، وفصولاً وأصولاً ، وعُقدًا عجيبة، فكتبت ذلك كله وقرأته عليه. » [2]

وبرز من علماء الوثائق والشروط في القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين عدد لايحصى من الموثّقين ، أعطوا دفعًا قويًا لهذا العلم ، بما ألّفوه من مؤلّفات وتصانيف جديدة نذكر منهم على سبيل المثال :

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي المعروف بابن الباجي اللّخمي الإشبيلي (ت433 هـ / 1041 م) « كان من أجلّ الفقهاء دراية ورواية ، بصيرا بالعقود، متقدّمًا في علم الوثائق وعللها ، ألّف فيها كتابا حسنًا ، وكتابًا مستوعبًا » [3] ، قال البغدادي : « وله من الكتب كتاب" السجلاّت للقضاة "، و"كتاب الوثائق" . » [4]

- ابن مغيث أحمد بن محمد أبو جعفر الصّدفي (ت 459 هـ / 1066 م) قال ابن مطاهر : « أخبرني من سمع محمد بن عمر بن الفخّار مرات يقول : ليس بالأندلس أبصر من محمد بن محمد بن مغيث بالأحكام »[5] له كتاب مشهور ، اعتمده الفقهاء وعلماء الوثائق ، ذكره عدد من ترجم له بقولهم : « كان حافظًا ، بصيرًا بالفتيا والأحكام ، فهمًا ، نظّارًا ، فصيحًا ، أديبًا ، ألّف "المقنع في الوثائق ". » [6]

---

(1) مخلوف ، م.س ، 1 / 101 ، الحجوي ، م.س ، 3 / 123 - 124

(2) إبن بشكوال م.س ، 1 /42

(3) مخلوف ، م.س ، 1 / 114

(4) البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين ، هدية العارفين ، تحقبق محمد شرف الدين و رفعت بيلكله الكليسي ، دار إحياء الترات العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، 1 / 138، مخلوف ، م.س ، 1 / 101 ، إبن خير الإشبيلي ، م.س / 218

(5) إبن بشكوال م.س ، 3 /783

(6) القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ / 1149 م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1998 ، 2 / 359 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 118 - 119

– وقد جمع المصنّفات الأمّهات في علم الشّروط والوثائق ، أبو محمد عبد الله بن فتوح بن موسى بن عبد الواحد السّبتي البنتي الأندلسي (ت 460 هـ / 1067 م) ، قال عيّاض : « ألّف" الوثائق المجموعة "، وهو تأليف مشهور مفيد جمع فيه أمّهات كتب الوثائق و فقهها، و هو مستعمل . »[1]

– عيسى بن سهل الأسدي أبو الأصبغ القرطبي (ت 486 هـ / 1093 م) « كان من جلّة الفقهاء ، وكبار العلماء ، عارفًا بالنّوازل ، بصيرًا بالأحكام ، مقدّمًا في معرفتها ، وجمع فيها كتابًا حسنا مفيدًا يعوّل الحكّام عليه » .[2] ألّف كتاب " الإعلام بنوازل الأحكام" عوّل عليه شيوخ الفتيا والحكّام .[3]

– أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأنصاري المالكي الشّهير بالمتيطي (570 هـ/ 1174م) « الفقيه ، العالم ، المطّلع ، العارف بالشّروط وتحرير النّوازل ، لازم بفاس أبا الحجّاج المتيطي ،وبه تفقّه وبين يديه تعلّم عقد الشّروط »[4] ، حتّى أجاد في هذا العلم ، و لم يعد في وقته أقدر منه عليها[5] ، من مؤلّفاته كتاب كبير في الوثائق سمّاه : " النّهاية والتّمام في معرفة الوثائق والأحكام" ، اعتمده المفتون و الحكّام ، اختصره أعلام منهم : أبو محمد هارون بن أحمد بن عات الشّاطبي وسمّاه " اختصار النّهاية والتّمام في معرفة الوثائق والأحكام "[6] .[7]

---

(1) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، م.س ، 2 / 367 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 119

(2) إبن بشكوال م.س ، 2 /635

(3) مخلوف ، م.س ، 1 / 122

(4) مخلوف ، م.س ، 1 / 163

(5) التنبكتي أحمد بابا (ت 1036 هـ / 1626 م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم الهرامة عبد الحميد عبد الله ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ط1 ، طرابلس – ليبيا ، 1989 / 314

(6) للكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة أحمد عروة (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة – الجزائر–) ، تحت رقم : (6 / 5. 9 .216) وردت بعنوان : مختصر كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام

(7) البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقبق محمد شرف الدين و رفعت بيلكله الكليسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، 2 /693 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 163

– أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الغرناطي (579 هـ / 1183 م) من أهل المعرفة الكاملة والتفنّن في الأحكام ومسائل الفقه وعقد الشّروط ، وله في ذلك كتاب وصف بأنّه مختصر مفيد [1] يقول ابن فرحون : « كان فقيهًا ، أديبًا ، نبيلاً ، عارفًا بالفقه ، حافظًا له ، عارفًا بالوثائق ، نقّادًا لها ، وله تآليف ، قال أبو جعفر الزّبيري : هو صاحب "الوثائق المختصرة " و ألّف في الفقه كتبًا منها كتابه المسمّى بـ : " كتاب الشّروط والتّمويه مما لاغنى عنه لكلّ فقيه ".» [2]

– أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الصّنهاجي الجزّيري (585 هـ / 1189 م) أصله من بلاد الرّيف ونزل الجزيرة الخضراء فنسب إليها ، كان فقيهًا متمكّنًا اشتغل بالتّدريس وعقد الشّروط [3]، قال في شجرة النّور : « وله في الشّروط مختصر مفيد جدًّا سمّاه " المقصد المحمود في تلخيص العقود [4] " ، كثر استعمال النّاس له فجودته تدلّ على معرفته . » [5]

إذا كانت حركة التأليف خلال القرون السّابقة قد اقتصرت على الغالبيّة العظمى من فقهاء وعلماء الأندلس ، فإنّ النّهضة الحقيقية للمغاربة في هذا العلم برزت بوضوح مع بداية القرن الثّامن الهجري / الرّابع عشر الميلادي ،حيث ظهرت كتب قيّمة ساهم في تأليفها عدد من القضاة ورجال الفقه والتوثّيق نذكرمنهم على سبيل المثال لا الحصر :

– أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن التّازي الشّهير بابن بـرّي (731 هـ/ 1330 م) عالم وفقيه فرضي له إلمام بالحديث وتبصرة في صناعة الوثائق ، ولّي رئاسة ديوان الإنشاء للسّلطان المريني أبوسعيد (710 -731هـ /1310 -1331 م)، وأصبح كاتبا لولده أبي الحسن (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) وأستاذا له ؛ من كتبه : " شرح وثائق الغرناطي" ، " تأليف في الوثائق ". [6]

---

(1) مخلوف ، م.س ، 1 / 114

(2) إبن فرحون ، الديباج ، م.س / 145- 146

(3) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ط2 ، بيروت ، 1961 ، 1 / 146

(4) للكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة أحمد عروة (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة – الجزائر–) ، تحت رقم : (1 / 3 .216) وردت بعنوان : تلخيص أصول العقود

(5) مخلوف ، م.س ، 1 / 158

(6) إبن بري أبو الحسن علي بن محمد (731 هـ / 1330 م) ، القصد النافع لبغية الناشىء والبارع على الدرر اللوامع في مقرىء نافع ، تحقيق التلميدي محمد محمود ، ط 1 ، دار الفنون للطباعة والنشر، جدّة – المملكة السعودية ، 1993 / 14-15

– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي الفاسي (779 هـــ / 1377 م) مـــن كبـــار الفقهـــاء المشاركين في العلوم ، لكن غلبت عليه الفروع واقتصر على حفظ المسائل ، وتقدّم في علم الوثائق و اشتهر بعقد الشّروط [1] ،وصفه ابن الخطيب بقوله :
« صدر الصّدور في الوثيقة والأدب » [2] قال التنبكتي وغيره : « وله تأليف في الوثائق مشهور و مفيد » [3] يعرف "بوثائق الفشتالي" [4] ، ولأحمد بن يحي الونشريسي تعليق عليه سمّاه "غنية المعاصـــر والتّـــالي في شرح وثائق أبي عبد الله الفشتالي" . [5]
– أبو القاسم سلمون بن علي بن سلمون الكناني الغرناطي (767 هـ / 1368 م) : قال فيه صاحب " شجرة النّور الزّكية" : « وحيد عصره ، وفريد دهره علمًا وفضلاً وخلقًا ،إمام في كثير من الفنون » [6]
وزاد عليه الزّركلي بقوله : قاضي مالكي بغرناطة ، عالًما بالعقود والوثائق ، صنّف "العقد المنظم للحكـــّام فيما يجري على أيديهم من العقود والأحكام" [7] » [8]
– أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد لسان الدّين ابن الخطيب (776 هـ / 1374 م) : الإمام الأوحد الفذّ ، صاحب الفنون المنوّعة والتآليف العجيبة [9] ،من مؤلفاته في علم الوثائق : " مثلـــى الطّريقة في ذمّ الوثيقة ". [10]

---

(1) التنبكتي ، م.س / 447 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 235

(2) إبن الخطيب لسان الدين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776 هـ / 1374 م)، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ، ط 2 ، القاهرة ، 1973 ، 2 / 187

(3) التنبكتي ، م.س / 447 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 236

(4) للكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة أحمد عروة (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة – الجزائر–) ، تحت رقم : (3 / 5. 9 .216) وردت بعنوان : وثائق الإمام الفشتالي

(5) الزركلي ، م.س ، 5 / 328

(6) مخلوف ، م.س ، 1 / 214

(7) للكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة زاوية الشيخ محمد الحفناوي بوالديار من دون رقم (بلدية الناظور - قالمة – الجزائر -).

(8) التنبكتي ، م.س / 445

(9) الزركلي ، م.س ، 3 / 114

(10) المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1631 م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبطه وحققه وعلق عليه مـصطفى السقى ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1 ، القاهرة ، 1939 ،1 / 189

– أبو زكرياء موسى بن يحي بن عيسى المازوني المغّيلي التّلمساني (791 هـ / 1388 م) : الفقيه والمدرّس والقاضي بمدينة مازونة له تأليف في الوثائق سمّاه : " الرّائق في تدريب النّاشئ من القضاة وأهل الوثائق" [1] في مجلد . [2]

– أبو العباس أحمد بن الحسن بن يوسف ابن عرضون الشّفشاوني (992 هـ / 1584 م) : فقيه وعالم ، ولّي القضاء ببلده شفشاون ، عرف بكتابه : " اللاّئق في الوثائق" [3] [4] ، وصفه الكتّاني بقوله : وهو كتاب حسن في بابه . [5]

(1) للكتاب نسخة مخطوطة بمتحف سيرتا (قسنطينة – الجزائر-) ، تحت رقم : 14 وردت بعنوان : المهذب الرّائق في تدريب النّاشئ من القضاة وأهل الوثائق

(2) التنبكتي ، م.س / 606

(3) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة ، ط1، بيروت (1 / 1957 ،2 / 1993) ، 1 / 125 ، الزركلي ، ، م.س ، 1 / 121

(4) يظهر أنّ إبن عرضون قد تأثر فعلاً بماورد في كتاب : المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق لمؤلفه أبي العباس أحمد الونشريسي ، ويتضح ذلك في نقله الحرفي لثمانية أبواب بأكملها في كتابه اللائق لمعلم الوثائق . أنظر :
إبن عرضون أبو العباس أحمد بن الحسن بن يوسف الشفشاوني (992 هـ / 1584 م) ، الكتاب اللائق لمعلم الوثائق ، طبعة حجرية ، فاس ، المملكة المغربية ، 1271 هـ / 02 – 26 ، 37 – 54

(5) الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (ت 1354هـ ، 1935 م) ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق عبد الله الكامل وحمزة بن محمد ومحمد بن حمزة بن علي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 2004 ، 2 / 267 - 268

الفصل الثاني : عصر الونشريسي ومدى تأثره به

المبحث الأول :

في المغــرب الأوســط

(تلمســان)

أولاً : الأوضاع السياسية خلال (834 – 922 هـ/ 1431 – 1516م)

1- ضعف الدولة الزيانيّة واستمرار النفوذ الحفصي (834- 873 هـ / 1431- 1468 م)

أ) ولاية أبي العبّاس أحمد العاقل (834 – 866 هـ / 1431– 1462 م)

اسمه أبو العبّاس أحمد العاقل بن أبي حمّو موسى بن يوسف الزيّاني الملّقب بالمعتصم، تولّى عرش تلمسان سنة (834 هـ/ 1431م) [1] وقد صادف حكمه ولادة الفقيه أبي العبّاس أحمد الونشريسي [2] ، أمّا عن سياسته فيصفها المزاري بقوله : « فأظهر العدل في الرّعيّة ، وسار فيما تملّكه بالسيرة المحمودة المرضيّة وبانت شهامته ونجدته ، وقوّته وشدّته » [3]

ويومئذ أظهر بأسه للحفصيّين وأعلن رفض عهدهم سنة (837 هـ/ 1434م) فتحرّك لقتاله السّلطان أبو فارس عبد العزيز الحفصيّ (796 - 837 هـ / 1394- 1433 م) فاحتلّ جبل ونشريس قهرا وانظمّ أهله تحت طاعته ، ثم اتّجه إلى تلمسان لإخضاعها عنوة وماكاد يصل حتّى وافاه الأجل فتوفّي بطريقه إليها. [4]

لقد كان عهد أحمد العاقل ، الذي دام اثنان وثلاثون سنة ، عهد استقرار نسبيّ ورخاء ، ازدهرت خلاله الحياة الفكرية ، وكثر الإقبال على طلب العلم والمعرفة ، وبلغت المشاريع الدينيّة والتعليميّة والاجتماعيّة ذروتها [5] . إلاّ أنّه تعرّض إلى منافسة أقربائه ، فخرج عن طاعته أخوه أبو يحي زكرياء ابن أبي حمّو وثار عليه سنة (838 هـ/ 1435م) ، فاستولى على وهران سنة (840 هـ/ 1437م) ، و اتّخدها إمارة له ، وبقي مسيطرا عليها إلى غاية (852 هـ/ 1448م) ، حيث استرجعها أبو العباس أحمد العاقل، فهرب أبو يحي بحرا ، ونزل بجاية ثم زاد إلى تونس ، وبها توفيّ سنة (855 هـ/ 1451م) [6] .

وثار عليه كذلك حفيد أخيه ، أبو زيّان محمد المستعيّن بن أبي ثابت بن أبي تاشفين في أواخر (841 هـ/ 1438م) من تونس [7] واحتلّ مدينة الجزائر واستولى ابنه أبو عبد الله محمد المتوكّل على متّيجة والمديّة

---

(1) التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت 899 هـ / 1493 م) ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق ، محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 / 247 – 248

(2) موسوعة أعلام المغرب ، تنسيق وتحقيق محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، (1417 هـ / 1996 م) 1 / 10 ، سركيس يوسف إلياس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت ، 2 / 1925 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269

(3) المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق ودراسة ، يحي بوعزيز ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، لبنان ، 1990 ، 1 / 193

(4) الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 7، الجزائر ، 1994 ،2 / 197، محمد الطمار ، تلمسان عبر العصور ، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، تقديم عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 / 217

(5) دهينة عطاء الله ، الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 / 433 ، محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995 / 113- 114 ، بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 433

(6) الجيلالي ، م.س / 197

(7) المزاري ، م.س / 194

ومليانة وتنس ، ولكن أهل الجزائر غدروا بأبي زيّان وقتلوه سنة (843 هـ/ 1439م) [1] .

وفي سنة (850 هـ/ 1446م) ، ثار عليه ابن أخيه أحمد بن الناصر بن أبي حمّو موسى ، فلم ينجح له الأمر وأوتي به لأحمد العاقل فقتله [2] .

انتهى حكم أبي العبّاس بعزله سنة (866 هـ/ 1462م)، بعد ثورة ابن أخيه الأمير محمّد بن محمّد بن أبي ثابت المعروف بالمتوكّل [3] ، حيث ثار عليه ورفض طاعته ، فاستولى على مستغانم ووهران وتنس، وحاصر تلمسان يومين ودخلها في الثّالث ، وقبض على أبي العباس أحمد العاقل ، فمنّ عليه وصرفه إلى الأندلس واستقلّ بالملك [4] .

استغلّ الحفصيون نشوب الخلاف والشّتّات بين أمراء وسلاطين البيت الزيّاني ، وظلّوا يترقّبون الوضع المناسب للتّدخل فاعتبر السّلطان الحفصيّ أبو عمرو عثمان (839 – 893 هـ / 1435- 1488م)، انتصاب المتوكّل في تلمسان تحدّيا للسّلطنة الحفصيّة ، ممّا جعله يقرّر التدخّل المباشر في شؤون تلمسان [5] .

خرج السّلطان أبو عمرو عثمان بمحلّته ، قاصدا تلمسان بجميع عرب إفريقيّة ، فسار في جيوش عظيمة المدد مجهولة العدد ، ففزعت الرّعايا وأتت بجبايات الأوطان ، وقدم إليه الشّيخ الورع الصالح أبو العبّاس أحمد إبن الحسن ، والفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشّيخ قاسم العقباني ، وأبو الحسن علي بن حمّو بن أبي تاشفين ، بعقد شهود على صاحب تلمسان ، وترامو على المولى السّلطان في الكفّ عن البلد ، على أن يلتزموا له بالبيعة عن صاحبها ويدخل تحت طاعته ونظره ، فقبل إنابتهم و لم يحرم إجابتهم ، فعقدوا على أنفسهم عقدا بالبيعة ، وانصرفوا إلى بلدهم وقفل السّلطان راجعا إلى جهة تونس ، يوم الأربعاء السابع عشر صفر من عام سبعة وستين [6] .

ويذكر الرحّالة المصريّ عبد الباسط بن خليل اللّمطيّ الذي كان موجودا في تونس إذ ذاك ، أنّ صاحب تلمسان بعث مع ذلك الوفد بخط يده ، بأن يعاهده على الطّاعة والقيّام بدعوته ، وبعث إليه بعدد من الدّراهم والدّنانير مضروب عليها اسم السّلطان الحفصيّ فرحّب السّلطان الحفصيّ بذلك العرض وقبله [7] .

---

(1) التنسي ، م.س / 251

(2) المزاري ، م.س / 194 ، التنسي ، م.س / 249

(3) التنسي ، م.س / 254 - 257

(4) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمّد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 2002 / 152 ، المزاري ، م.س / 194

(5) محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 / 629

(6) روبير برونشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ، ترجمة حمادي الساحلي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ،1 / 291 ، الزركشي ، م.س / 153

(7) المطوي م.س / 630

ب) ولاية أبي عبد الله محمّد المتوكل (866 – 873 هـ / 1462– 1468 م)

اسمه أبو ثابت أبو عبد الله محمّد المتوكّل على الله بن أبي زيّان محمّد المستعين بالله بن يوسف ، تولّى الملك سنة (866هـ/ 1462م) ، بعد ثورته على أبي العبّاس أحمد العاقل حيث اقتطع لنفسه متّيجة والمديّة ومليانة وتنس ، فاتّسع نفوذه وسكّ نقوده ، وأخضع لسلطته العرب وجميع المخالفين وأعلن طاعته وولائه للسلطان الحفصي أبو عمرو عثمان (839 – 893 هـ / 1435- 1488م) فقبل منه السلطان ذلك [1] و شرع في قمع الثّوار من بني عامر وسويّد في الدّاخل، والتّصدي للإسبان في الخارج. [2]

وبعد ذلك ببضعة أشهر ، عاد أحمد العاقل من منفاه إلى المغرب الأوسط ، حاملاً معه تأييداً من القبائل المعارضة لحكم المتوكّل ، فضرب حصارا على تلمسان أربعة عشر يوما ، لكنّه قتل أثناء لقائه بجيش المتوكّل في الثالث عشر من ذي الحجّة سنة (867 هـ/ 1462م) [3] .

وفي سنة (868 هـ/ 1463م) ثار الأمير محمّد بن غالية على المتوكّل ، حيث تحصّن بجبل بني ورنيد فسمع به المتوكّل وبعث له حامية من الجند ، وحصل مصاف القتال بالجبل المذكور ، وقتل ابن غالية سنة (868هـ/ 1463م) وجيء برأسه للمتوكّل ثم بجسده ، ودفن مع العاقل بالعبّاد . [4]

في هذه الظّروف أعلن السّلطان أبو عبد الله محمّد المتوكّل رفض الدعوة الحفصيّة وطرد ولاّتها من أعمالهم ، فسعى به أعراب تلمسان من بني عامر وسوّيد وغيرهم لدى السّلطان الحفصي. [5]

وعاب عليه فقهاء تلمسان وعلمائها على غرار أبي العبّاس أحمد الونشريسي ضعفه في التسيير وسوء معاملتة للقبائل والاستبداد بهم ، وتزايد النفوذ الحفصي و سلبيته إزاء ما يحدث في الأندلس . [6]

وبعد أيّام توجّه السّلطان الحفصي إلى تلمسان فحاصرها وضرب سورها بألات الحرب ، وعندئذ أذعن المتوكّل للطّاعة وجدّد البيعة [7] وزوّج ابنته البكر للأمير الحفصي أبي زكريّاء بن مسعود [8] ورجع السّلطان

---

(1) برونشفيك ، م.س ، 1 / 291

(2) التنسي ، م.س / 257

(3) التنسي ، م.ن / 257

(4) المزاري ، م.س / 195 ، التنسي ، م.س / 258

(5) الجيلالي ، م.س / 200

(6) المهدي البوعبدلّي ، الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الامام أحمد بن يحي الونشريسي ، مجلة الأصالة (ملحق خاص بالملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي) العدد 83 ، الجزائر ، 1980 / 22 – 28 الونشريسي ، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ، تحقيق ودراسة أحمد بوطاهر الخطابي ، صندوق إحياء التراث الإسلامي ، الرباط ، المملكة المغربية ،1980 (قسم الدراسة) / 13

(7) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 434

(8) برونشفيك ، م.س ، 1 / 291

الحفصي إلى تونس بعد أن تأكد من امتداد نفوذه إلى سائر ربوع المغرب الأوسط [1] وبقي أبو ثابت أبو عبد الله محمّد المتوكّل على عرشه إلى أن توفيّ سنة (890 هـ/ 1485م) فخلفه ابنه أبوتاشفين الثالث [2].

ت) ولاية أبي تاشفين الثالث (873 هـ / 1468 م)

اسمه تاشفين بن أبي ثابت محمّد الرّابع ، لم يكد يستقرّ على عرشه ، حتى خلع من طرف أخيه أبي عبد الله محمّد الثابتي بعد حوالي أربعة أشهر من سلطنته ، فتوفيّ من سنته دون أن يترك أثرًا لدولته [3] .

---

(1) مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت ، 2 / 462 الجيلالي ، م.س / 200

(2) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 434

(3) الجيلالي ، م.س / 200 ، الميلي ، م.س 2 / 46

2- خطر النّصارى وتقلّص نفوذ الدولة الزّيّانية (873 - 922 هـ / 1468- 1516 م)

أ) ولاية أبي عبد الله محمّد الثابتي (873 – 910 هـ / 1468- 1505 م)

اسمه أبو عبد الله محمّد بن أبي ثابت الثّاني ، اشتهر بالثابتي [1] ، وفي عهده ضعف شأن الملوك الزّيانيين ، وأخذت بعض المدن مثل : تنس والجزائر وتدلس تستقل عن السلطة المركزيّة ، كما أنّ كثيراً من القبائل خلعت طاعة السّلطان ، وأصبحت تنضّم إلى أعدائه كلما هجموا على أراضيه . [2]

ونظرًا لسوء سيرته واستبداده خرج عليه بعض فقهاء وعلماء تلمسان ، كان في مقدمتهم أبي العباس أحمد الونشريسي منتقدين أداءه السياسي و معاملته للرعية ، و تماطله في الدفاع عن المدن الإسلامية التي وقعت تحت سيطرة النصارى . [3]

وفي سنة (897هـ/ 1492م) استولى الإسبان على غرناطة ، وقضوا بذلك على آخر دولة إسلامية بالأندلس [4] وفي هذه الظّروف قرّر السّلطان أبو عبد الله الغالب بالله مغادرة الوطن ، فنزل في مليلة ، ثم قصد إلى فاس واستقرّ بها في ظلّ ملكها أبي عبد الله محمّد الشيخ زعيم بني وطّاس .[5]

واستجابة لنداء المسألة الفقهية من أهل الأندلس بعد سقوط غرناطة ومكوث ماتبقّى من المسلمين بأرضها سارع الفقيه أبو العبّاس الونشريسي إلى ذلك بإصداره فتاوى تحرّم على المسلمين موالاة الكفار ومسالمتهم والاقامة بأرض الكفر (الأندلس) وتطالبهم بالهجرة الى أرض الإسلام ببلاد المغرب .[6]

وهكذا نزل أبو عبد الله محمّد بن سعد الزّغل ، من أمراء بني الأحمر ، وهران ثم تلمسان ، واستقبله محمّد الثّابتي بحفاوة وإكرام ، وكانت وفاته بعد ذلك بسنوات قليلة بتلمسان ، ودفن بالمقبرة الموّازية للمسجد الجّامع ، كما هاجر عدد كبير من الأندلسيين إلى المغرب ، فتبعهم النّصارى ، وأخذوا يغيرون على سواحله ، يحاولون الاستيلاء على الموانئ والثغور .[7]

وفي سنة (910 هـ/ 1505م) ، سارع البرتغاليون لاحتلال المرسى الكبير ، وقد تأثر محمّد الثّابتي لذلك كثيرا ، وتوفيّ بعد ذلك بقليل سنة (910هـ/ 1505م) ، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمّد .[8]

---

(1) الميلي ، م.س 2 / 462

(2) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 455

(3) الونشريسي ، إيضاح المسالك ، تحقيق ودراسة أحمد بطاهر الخطابي ، (قسم الدراسة) ، م. س / 13

(4) المزاري ، م.س / 209

(5) محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الرابع (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين) ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1997 / 278

(6) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمّد (ت 914 هـ ، 1508 م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 ، 2 / 119 -136

(7) الطمار ، م.س / 221

(8) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 456

ب) ولاية محمّد الخامس بن محمّد الثّابتي (910 – 922 هـ / 1505– 1516 م)

بعد أن تولّى أبو عبد الله محمّد الخامس أمر تلمسان ، تفاقم الوضع السّياسي واشتد خطر النّصارى ، فاستولى الإسبان على مدينة وهران ودخلوها سنة (914 هـ/ 1508م) وقد ساعدهم في ذلك بعض الخونة مثل بني عامر ، وشافع ، وكرشتل وحميان ، وأولاد عبد الله ، وأولاد عليّ .[1]

وقد صادف سقوط مدينة وهران وفاة الشيخ الفقيه العالم أبو العباس أحمد الونشريسي ، يوم الثلاثاء (20 صفر سنة 914 هـ/ 14جوان 1508م) .بمدينة فاس و عمره نحو الثمانين سنة .[2]

وهكذا احتل الإسبان بعدها مدينة عنّابة ، ثم أخلوها سنة (942 هـ/ 1535م)، نظير جزية سنويّة قدرها ثمانية ألاف دينارًا ، واقتحموا بجاية سنة (915 هـ/ 1510م) ، وعاثوا فيها نهبًا وفسادا ، فخشيت المدن الأخرى سطوتهم ، فقدمت تدلس والجزائر وتنس طاعتها لهم .[3]

وأما محمّد الخامس ، فإنه رأى أن يفاوض الإسبان ويصالحهم ، فوفد على ملك قشتالة بإسبانيا سنة (918هـ/ 1512م) ، وقدّم له هدايا ، وعقد معه صلحًا التزم فيه بالتبعيّة له ، وبدفع ضريبة سنويّة ، قدرها اثنا عشر ألف مثقالاً من الذهب فضلاً عن تموين حامية وهران الإسبانية بما تحتاج إليه من المؤن ، والمساهمة في الدّفاع عن ممتلكات اسبانيا .[4]

وفي سنة (920هـ/ 1514م) ، حرّر بابا عروج مدينة جيجل ، وشرع في جهاده ضد الاسبان ، ثم سيطر على الجزائر بطلب من أهلها ، وكذلك مليانة والمديّة وتنس ، وأصبح الأتراك العثمانيون يشكلون قوة لايستهان بها أمام الاسبان في المغرب الأوسط ، وبعد سنتين من ذلك توفي محمد الخامس سنة (922هـ/ 1516م) ، فخلفه أخوه أبو حمو الثالث .[5]

انتهج أبو حمّو الثالث (922 – 934 هـ / 1516– 1528 م) مبدأ مسالمة الإسبان ومصالحتهم ، متّبعا في ذلك أخاه محمّد الخامس ،حيث وطّد حكمه في تلمسان بحلفائه الإسبان ، ووضع حد لبابا عرّوج سنة(924هـ/ 1518م) ، لكن بوفاته تقلّص نفوذ الزيّانيين وتضاءل بشكل ملحوظ ، وأصبح أمراؤهم يرغبون في مصالحة أعدائهم من النّصارى ويرضون بالتبعيّة لهم ودفع الضريبة تفاديا لشرّهم .[6]

---

(1) المزاري ، م.س / 211 -212

(2) المقري ، أزهار الرياض ، م .س ، 4 / 184 – 214 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 1 / 10

(3) الجيلالي ، م.س / 203-206

(4) فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية) ، فوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 ، 1 / 76

(5) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 456

(6) م. ن / ص. ن

ثانيًا : الأوضاع الإجتماعية

1– أثر بعض العناصر السّكانية للمجتمع الزيّاني

أ) البربر

شكّل البربر السّواد الأعظم في البناء الإجتماعي للمجتمع الزيّاني ، فيما يعرف بقبيلة زناتة التي استوطنت المغرب الأوسط منذ العصور القديمة وكان لها تأثير واضح في الحياة الإجتماعية والسيّاسية. (1)

وفي شأن ذلك يقول ابن خلدون : « فاعلم أنّ جيل زناتة في المغرب ، جيل قديم ، معروف العين والأثر...والأكثر منهم بالمغرب الأوسط ، حتى أنّه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة » . (2)

وقد أطلق اسم زناتة على السّهل الواقع في الشّمال الغربي من تلمسان ، هذه المدينة التي أسّسها بنو يفرن في العصور القديمة ، وكانت منطقة التوطّن لقبيلة زناتة ذات الفروع المتعددة وثاني أقوى القبائل بعد صنهاجة. (3)

ومن جملة الفرق الزناتية التي سكنت تلمسان وضواحيها ، يذكر ابن خلدون :

« ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبني يفرن وجراوة وبني يرنيان ووجديجن وواسين ...وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد...وفي كلّ واحد من هذه الشّعوب بطون متعددة ، وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل أوراس والزّاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملويّة ، وكانت الكثرة والريّاسة فيهم قبل الإسلام لجراوة ثم لمغراوة وبني يفرن » . (4)

وجيل زناتة في بلاد المغرب ، فيما يعرف بالطبقة الثانية (5) هي زناتة المسلمة المستعربة التي تأثرت بالغزوة الهلاليّة ، وأخذت من عادات وتقاليد العرب ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « وهم لهذا العهد آخدون من شعار العرب في سكنى الخيّام ، واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتّقلب في الأرض ، وإيلاف الرحلتين ، وتخطّف النّاس من العمران والإبانة عن الانقياد إلى النصفة ، وشعارهم بين البربر اللّغة التي يتواطنون بها ، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر » . (6)

---

(1) شاوش ، م.س / 358

(2) عبد الرحمن إبن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) ، تاريخ إبن خلدون ، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان ، 2000 ، 7 / 03

(3) يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1999 ، 1 / 210

(4) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 11

(5) زناتة طبقتان ، الطبقة الأولى منهم مغراوة التي سيطرت على فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وزناتة الطبقة الثانية هم بنو مرين وبنو وطاس وبنو عبد الواد .

أنظر : إبن الأحمر ، تاريخ الدولة الزيانية ، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1 ، 2001 / 13

(6) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ،7 / 03

فهم على ذلك زناتيون متعربون في أسلوب الحياة والتفكير ، فقد تعلّموا من العرب الهلاليّة سكن الخيّام ، وجعلوا من الإبل والخيل وسيلة للتنقل والترحال ،وصاروا يتكلمون لغة العرب لكنّها مازالت ممزوجة بألفاظ وعبارات زناتية ، وما إلى ذلك من مظاهر الحياة وطرق العيش ، وهي ليست من خصال العرب الأوائل ولكنّها من خصال العرب المستعجمة ، لما كان من استعجام ألسنتهم وفقدانهم اللّغة العربيّة السّليمة ، ومن هؤلاء عرب بني هلال بن عامر بن صعدة ، وبني سليم بن منصور .(1)

أمّا مغراوة فقد كان موطنها بنواحي الشلف ، حيث استقلّ سلطانها منديل بن عبد الرحمن بتلك النّاحية ، وشكّل مملكة شملت مليانة وتنس وشرشال وما جاورها ، وتوسّعت إلى متّيجة ، ثم إلى جبل ونشريس ، فشملت الكثير من بلاده ثم أزاحهم عنها بنو عطيّة الحيو وقومه من بني توجين المجاورين لهم في أعلي منطقة الشلف ، أمّا بنو عبد الواد فقد أحكموا سيطرتهم على نواحي تلمسان ، بينما تمكّن بنو توجين من المنطقة الممتدة بين الصّحراء والتلّ من بلدة المريّة إلى جبل ونشريس ، وهكذا أصبح الخطر قائما على حدود بني عبد الواد من قبل مغراوة وبني توجين .(2)

وبرز من بطون بني توجين : بنو يدللتن ، وبنوقمري ، وبنومادون ، وبنوزنداك ، وبنو وسيل ، وبنو قاضي ، وبنو مامت ، ويجمع هؤلاء السّتّة بنو مدّن ، ثم بنو تيغرين ، وبنو يرناتن ، وبنو منكوش ، ويجمع هؤلاء الثّلاثة بنو سرغين ، ونسب بني زنداك دخيل فيهم ، وإنّما هم من بطون مغراوة .(3)

لم يستقر أمر بني توجين ، ودخل بعضهم في صراع مع بعض، فضعف أمرهم وتلاشت قوتهم ، وتغلب بنو عبد الواد على عامّة أوطانهم وأحيّائهم ، وانضمّ إليهم بنويرناتن وبنويدللتن ، وبقي البعض منهم بجبل ونشريس إلى أن انقرضوا .(4)

أمّا بني يفرن فلم تدم سيطرتهم على إقليم تلمسان طويلاً ، فقد دفعت الغزوة الهلاليّة فروعا من لوّاتة وهوّارة إلى الغرب من بينهم بنو عبد الواد ، فاستقروا في أراضي المراعي جنوب وهران ، وهناك عاشوا حياتهم البدويّة واختلطوا مع بني يفرن وأصبحت لهم السّيادة عليهم ، ثم اكتسبوا بعد ذلك حقّ الاستيطان في منطقة وهران ومايليها غربا حتّ تلمسان ، واشتدّ ساعدهم بتأيّيد الموحّدين لقاء معاونتهم ، ثم عهد إليهم بتلمسان فاستقروا بها وفي ماحولها وحصنوها ، وأصبحت إقطاعا ثابتا لهم .(5)

---

(1) إبن الأحمر ، م.س / 05 ، شاوش ، م.س / 358

(2) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 116

(3) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.ن ،7 / 206

(4) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.ن ،7 / 207

(5) إبن الأحمر ، م.س ، / 10-13

ب) العرب

يعود اتّصال العرب بمنطقة المغرب الأوسط إلى البدايات الأولى للفتح الإسلامي ، واستمرت هجرتهم الى المنطقة خلال القرن الثّاني للهجرة / الثامن الميلادي ، و لم يستوطنوها إلاّ في أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (1) ، أين شهد المغرب حدثا هاما غيّر ماكان عليه وضع العرب وجعلهم عنصرا مؤثّرا في التركيبة السكانيّة للمنطقة ، وتمثّل هذا الحدث في الهجرة الهلاليّة (2) أو كما يسميها بعض المؤرخين بالغزوة الهلاليّة . (3)

ومن بين القبائل التي حلّت بأرض المغرب : بنو سليم ، بنو هلال وأحلافهم من الحشم والخلط والمعقل (4) أمّا بنو هلال (5) فقد توطّنوا بين المسيلة وورقلة في المغرب الأوسط ، وأصبح لهم إقطاع (6) ببلاد الحضنة وقسنطينة وبجاية (7) بينما امتدت مضارب قبائل المعقل (8) من تلمسان إلى البحر المحيط، حيث كانت مواطنهم بقفار المغرب الأقصى، مجاورون لبني عامر من زغبة في مواطنهم من قبلة تلمسان (9)

---

(1) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 172

(2) شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1981 / 171

(3) يصف العديد من المستشرقين من ذوي النزعة الإستعمارية الهجرة الهلاليّة بالحركة الهمجيّة المسببة للدّمار والخراب الذي لحق بالبنية السياسية والإقتصادية والإجتماعية لبلاد المغرب ، ويحمّلون العرب المسؤوليّة الكاملة في اضمحلال الحضارة الغربية ، ونشر الفوضى وإدخال البداوة وإحتلال أراضي البربر وضمها عنوة . أنظر :

- Georges Marcais, La Berberie musulmane et l`orient au Moyen Age, Casablanca. Editions Afrique Orient. 1991, P 193
- Emil Felix Gautier, L`islamisation de l`Afrique du Nord , les siecle obsccurs du Maghreb,. Paris,1927,P 389

(4) أحمد جمال طه ، الحياة الإجتماعية في المغرب الأقصى في العصر الإسلامي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2004 / 62 ، الميلي ، م.س 2 / 178

(5) بنو هلال يعود نسبهم إلى قيس إبن عيلان من العدنانية ، فهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن أبي بكر بن هوزان ، ولهم بطون كثيرة منها مرداس ، بنو عامر ، بنو سعيد ، بنو سليم ... أنظر : عمر رضا كحالة ، معجم القبائل القديمة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968 ، 2 /1221

(6) الإقطاع يعني لغة وعرفا ، تفويض السلطة لشخص أو لجماعة على رقعة محددة ، ثم توسع المفهوم ليشمل جباية الأعشار ، وإستغلال الأراضي الفلاحية وإستخلاص فوائد الرعي ، وقبض الرسوم ، مقابل هذه الإمتيازات كان المستفيد من الإقطاع يتحمل مسؤوليتين الأولى دفاعية ردعية يحارب بموجبها أعداء السلطان ، والثانية جبائية يرغم بموجبها السكان على دفع مابذمتهم للخزينة العامة .

أنظر : العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب ، ط 2 ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية ، 200 ، 2 / 211

(7) ضيف أبو مصطفى أحمد ، أثر القبائل العربية في الحياة الإجتماعية المغربية (خلال عصري الموحدين وبني مرين) ، مطبعة دار النشر المغربية ، ط 1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1982 / 218

(8) قبائل المعقل يزعم أن نسبهم لأهل البيت وبالضبط إلى جعفر بن أبي طالب ، وذلك غير صحيح حسب إبن خلدون ، والصحيح أنهم من عرب اليمن و المعقل هو : ربيعة بن كعب بن ربيعة بن الحارث ، وهو من بطون مذحج اليمنيين وتنقسم المعقل إلى ثلاثة فروع : بنو عبيد الله ، ذوي منصور ، ذوي حسان . أنظر : عبد الرحمن إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 6 / 78-79

(9) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.ن ، 6 / 77

لقد كانت لهذه القبائل بمختلف بطونها تأثيرات كبيرة في علاقاتها بالدولة العبد الواديّة من جهة ، ودول الجوار من جهة أخرى نظرًا لما تشكّله القبليّة كوحدة إداريّة ضمن نظام الدّولة ، وهوما أكّده عبد الباسط بن خليل المصري بقوله :« من كان معه أمير العربان راج أمره ، ومن كان عليه كان في أدبار وتخوّف »[1]

فمنذ بداية عهد الدولة أحسّ يغمراسن بن زيّان بضعف موقفه تجّاه جيرانه ، خاصة أعراب المعقل ، فسارع إلى استقدام قبيلة بني عامر من أوطانهم وأقطعهم أراضي حول تلمسان لصدّ أعراب المعقل والذود عن دولته فكانوا بذلك أحلافًا له ضدّ خصومه وأعدائه من بني مرين وغيرهم .[2]

يقول ابن خلدون : « فلما ملك يغمراسن بن زيّان تلمسان ونواحيها ، ودخلت زناتة إلى التلول والأرياف ، كثر عبث المعقل وفسادهم في وطنها فجاء يغمراسن ببني عامر هؤلاء من محلاّتهم بصحراء بني يزيد وأنزلهم في جواره بصحراء تلمسان كيّادا للمعقل ومزاحمة لهم بأقيالهم فنزلوا هناك ، وتبعتهم حميان من بطون بني يزيد ...فصاروا في عداد بني عامر لهذا العهد ».[3]

ولما سقطت الدولة العبد الواديّة[4] على يد أبي الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) سنة (737 هـ/ 1336 م) بعد سنتين من الحصار، هرب جلّ بني عامر إلى الصّحراء ، وعادوا بعودة الدولة محالفين لأبي سعيد عثمان الثّاني، وعندما انهارت الدولة للمرّة الأخرى تركوا البلاد وهاجروا إلى الصّحراء وعلى رأسهم شيخهم صغير بن عامر،حتّ نهوض أبي حمّو موسى الثّاني ، فكانوا عصبة له وحاميّة لدولته .[5]

يقول ابن خلدون : « ولما هلك بنو عبد الواد وأفترق جمعهم ، فرّ صغير إلى الصّحراء على عادته ، وأقام بالقفر يترقب الخوارج ولحق به أكثر قومه من بني معروف بن سعيد ، فأجلب بهم على كل ناحية ، وخالف أولاد حسين بالمعقل على السّلطان أبي عنان أعوام خمسة وخمسين وسبعمائة ...وأوقعت بهم عساكر بني مرين ...وأثخنوا فيهم قتلاً وأسرًا ولم يزالوا كذلك شريدا في الصحراء ، وسويّد وبنو يعقوب بمكانهم من المجالات ، وفي خطّهم عند السّلطان حتّ هلك السّلطان أبو عنان وجاء السّلطان أبو حمّو أخو السّلطان أبي سعيد عثمان لطلب ملك قومه بتلمسان » .[6]

---

(1) العروي ، م.س ، 2 / 212

(2) بوزياني الدراجي ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 / 200-203

(3) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 6 / 56

(4) حاول السلطان أبي الحسن المريني ، اضفاء نوع من الشرعية الدّينية في حملته العسكرية على تلمسان ، وذلك باستقطاب بعض المتّصوفة واشراكه عددًا من علماء المالكية بالمغربين الأوسط والأقصى ، رغم المعارضة التي أبداها عدد آخر لمثل هذه الحملات التّوسعية لسلاطين بني مرين . أنظر : محمد القبلي ، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الأوسط ، الدار البضاء ، 1987 / 61 ، محمد فتحة ، المؤسّسة السلطانية والمجال (أمثلة من العصر الوسيط) ، مجلة البحث التاريخي ، العدد 02 ، 2004 / 19 - 20

(5) بوزياني ، م.س / 204

(6) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 6 / 71

وإلى جانب ولاء بني عامر لبني عبد الواد ، فقد أثبت عرب سوّيد من بني زغبة تحالفهم مع يغمراسن بن زيّان ، ومناصرتهم له في مختلف حروبه ضدّ بني مرين وبعض قبائل المعقل مثل بنو عبيد الله [1] الذين كانوا في عداء تام وفي صراع مستمر مع يغمراسن ، حتى يقال أنّه غزاهم اثنتين وسبعين مرة . [2]

ولما استقرّ أمر هذه القبائل واستفادت من تحالفها مع بني عبد الواد ، لم تجد من يقف في وجهها ويصدّ عدوانها في البلاد « فتشجعت على شنّ الغارات والأجلاب بخيلها ورحلها على الحواضر والبوادي ، ومن هنا نشأت عندها فكرة الاستيلاء والتغلّب على المغرب ، فكانت أجلاف العربان من بني سليم وبقايا بني هلال يعيثون في الأرض فسادًا ويأخدون الإتاوات من الناس ظلمًا وعدوانًا » . [3]

ت) الأندلسيّون

إلى جانب البربر والعرب ، شهد المغرب الأوسط وافدًا جديدًا ساهم بقدر كبير في إثراء البنية الإجتماعية والتأثير بشكل واضح في شؤون الحياة والسياسة ، بحكم الانفتاح الذي أبداه سلاطين الدولة الزيّانية في مجتمع لايؤمن بالعصبيّة ولا يحتكم لعادات وتقاليد ملوكيّة [4] يتعلق الأمر بالأندلسيّين ، ويطلق هذا اللّفظ على المسلمين من أهل الأندلس باستثناء البربر الطارئين كقوّة سياسيّة مسيطرة مرابطيّة كانت أم موحديّة ، وبصرف النظر عن الأصول الأولى لهذه الجماعة عربيّة كانت أم بربريّة أم من السّكان الأصليّين الذين أسلموا فاندمج أحفادهم في المسلمين ، أم العبيد الذين أعتقوا فغدوا جزءًا من مجتمع أسيادهم الأوّليين بالولاء . [5]

كان تردد العنصر الأندلسي على المغرب الأوسط منذ القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي ، ، في إطار التعاون التجاري المشترك ، وبحثًا عن الأمن والاستقرار أين مكث عدد منهم بمدن : تنس ، وهران ، المسيلة ، أرزيو و ساهموا في اعطاء دفعًا جديدا للحركة العمرانية و التجارية . [6]

---

(1) يجاورون بني عامر بنو زغبة من سلطان بني عبد الواد ، ومواطنهم مابين تلمسان إلى وجدة إل مصب واد ملوية في البحر ومنبعث وادي صامن القبلة ، وبينهم وبين بن عامر فتن وحروب . أنظر : إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 6 / 80

(2) إبن الأحمر ، م.س / 24 ، إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ،6 / 80-82

(3) كنون ، م.س ، 1 / 176-178

(4) العروي ، م.س ، 2 / 214 - 215

(5) عز الدين أحمد موسى ، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983 / 85

(6) أنظر نفصيل ذلك في : فيلالي عبد العزيز ، العلاقات السياسية بين الدّولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 / 96-109

و ازداد تواجدهم بكثافة في المغرب الأوسط مع نهاية القرن الثامن وطيلة القرن التاسع للهجرة / الرابع عشر ، والخامس عشرالميلادي ،خاصة بعد حروب الاسترداد التي استهدفت معاقل المسلمين فسقطت مالقة سنة (892هـ/ 1487م) والمريّة سنة (893هـ/ 1488م) وبسطة ووادي آشي سنة (895هـ/ 1489م) وكانت بدايةً لنهاية دولة الإسلام في الأندلس (بني الأحمر) بسقوط غرناطة سنة (897هـ/ 1492م) [1]
وينقل لنا صاحب كتاب " نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر" بعض حركات الهجرة التي وقعت على إثر سقوط غرناطة بقوله : « وخرج ما بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى باديس ، و أهل المريّة في نصف اليوم إلى تلمسان ، وخرج كثير من أهل غرناطة إلى بجاية ووهران » [2] وهو مايؤكد اختيارهم لمدن المغرب الأوسط كموضع للسكن والاستقرار .
لقد كان هؤلاء الوافدون من أهل الأندلس أصحاب مال وصنائع وثقافة ، تفوّقوا على سواهم في العلوم بصفة عامّة وفي الفنون والآداب بصفة خاصّة ، ونالوا مكانة متميّزة في الوسط الإجتماعي وجلبوا اهتمام السّلاطين والحكّام . [3]
وإذا نظرنا إلى هذه المعطيات من منظار إجتماعي سياسي، فقد أصبح العنصر الأندلسي أكثر منافسة وتأثيرًا من غيره في إدارة شؤون البلاد ، ويتّضح ذلك من خلال الأدوار التي أسندت لهم طيلة حكم بني زيّان.
ومن الأسر الأندلسيّة التي اشتهرت بأدوارها بنو الملاّح القرطبيّون الذين نزلوا بتلمسان مع جالية قرطبة فاتّخدهم السّلطان عثمان بن يغمراسن (681 – 703 هـ/ 1281-1303 م) وابنه أبي حمّو موسى الأوّل (708 - 718هـ/ 1308-1318 م) أمناء على بيت المال وفوّضا إليهم ضرب السكّة من دنانير ودراهم ، وأسندا لهم مناصبًا سلطانيّة كوزارة المال والحجابة ، لما يتمتعون به من خبرة ونزاهة وتواصلت خدمتهم للبلاط الزيّاني بتوليهم وظائفًا وزارية هامّة ، حيث جمع محمّد بن ميمون بن الملاّح بين الوزارة والحجابة في آن واحد ، وعيّن ابنه محمّد الأشقر من بعده ، ثم ابنه إبراهيم بن محمّد على نفس الخطّة بعدهما وأشرك معه في الوظيفة من قرابته عليّ بن عبد الله بن الملاّح . [4]

---

(1) عنان ، م.س ، 217 - 226 ، 311 ، الجيلالي ، م.س / 167 ، برونشفيك ، م.س ، 1 / 433

(2) مجهول ، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ضبطه وعلق عليه ألفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط2 ، القاهرة ، 2002 / 48

(3) جورج مارسي ، تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني ، دار التل للنشر ، الجزائر ، 2004 / 86 ، شاوش ، م.س / 402 ، حاجيات ، م.س ، 3 /464 ، بوزياني ، م.س / 125

(4) عبد الرحمن إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 140 - 141

ومن الأسر النازلة بتلمسان أيضًا آل الآبلي الذين استخدمهم السّلطان يغمراسن (633 – 681 هـ/ 1236- 1283 م) في قيادة الجيش وإدارة المعارك و برز منهم والد أبو عبد الله محمّد إبراهيم بن أحمد الآبلي الذي كان قائدًا عسكري لمرفأ هنين بتلمسان .(1)

كما وظّف عددًا من الكتّاب من أصل أندلسيّ من بينهم : الفقيه أبو بكر محمّد بن عبد الله بن داوود بن خطّاب الغافقي المرسي .(2)

و إلى جانب المراتب الإداريّة والمناصب السّلطانيّة التي تعكس مكانتهم لدى الأسرة الحاكمة ، فقد اندمج الكثير منهم في المجتمع وشاركوا العامّة في مختلف المهن ، فسكن البعض منهم البوادي واحترفوا وأتقنوا أساليبها ، فغرسوا الأشجار وأقاموا البساتين ، واختصّ آخرون في البناء ، في حين اتّجه البعض الآخر نحو التجارة ومختلف الصّناعات الحرفيّة ، ولاشك أنّ الأندلسيّين قد أدخلوا في هذين القطاعين من النشاط فروعًا وطرقًا جديدة .(3)

لقد كان للهجرة الأندلسيّة أثر واضح في النّهضة العلميّة والثّقافيّة التي شهدها المغرب الأوسط من خلال إسهامات العلماء الوافدين (4) ودورهم في تفعيل الحياة العلميّة والفكريّة رغم تدهور الأوضاع الإجتماعية والسياسية ، إذ اشتغلوا بالتدريس فكوّنوا خلفاءهم من العلماء والأئمّة ، وشاركوا في التأليف فتركوا تراثًا علميًّا زاخرًا ، وعن التأثير الثقافي للعنصر الأندلسيّ ، تشير احدى الدراسات (5) إلى احتكار الأندلسيّين لقطاع التعليم في المغرب الأوسط لاسيّما في المدن والحواضر ، ودورهم في تدريس علوم اللّغة والآداب ، والفنّ والموسيقى ، وبينما كان السكّان المحلّيون مسيطرين بصورة تكاد تكون دائمة على ميدان الشريعة والعلوم الدينيّة ، كان النّجاح حليف الأندلسيّين في كافة الميادين الأدبيّة الخالصة من الخطّ والنّحو إلى البلاغة والشّعر والتّاريخ والموسيقى.(6)

---

(1) إبن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيا سنة 1014 هـ / 1605 م) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، إعتنى بمراجعته محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، 1908 / 214 ، شاوش ، م.س / 402

(2) عبد الرحمن إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 106 ، يحي ابن خلدون ، م.س ، 1 / 129 ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، م.س ، م.س ، 2 / 427

(3) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 176 - 177 ، برونشفيك ، م.س ، 2 / 159-160

(4) من بين علماء الأندلس الوافدين على المغرب الأوسط : القاضي أبو عبد الله محمّد بن علي بن محمّد الشهير بإبن الأزرق الغرناطي ، الشاعر والأديب أبو عبد الله محمّد بن جابر الوادي أشي ، العالم أبو الحسن علي بن محمّد الشهير بالقلصادي ، العالم أبو عبد الله محمّد إبراهيم بن أحمد الآبلي ، الكاتب أبو بكر محمّد بن عبد الله بن خطاب المرسي ، القاضي أبو الحسن محمّد بن غلبون المرسي ...إلخ

أنظر : الطمار ، م.س ، 1 / 219 -220 ، الجيلالي ، م.س / 167 – 168 ، شاوش ، م.س / 402 -403

(5) سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1998 ، 1 / 47

(6) برونشفيك ، م.س ، 2 / 160

ث) اليهـــود

تشير العديد من الدّراسات [1] إلى تواجد اليهود في بلاد المغرب منذ القرن الأول الميلادي مؤكّدين بذلك على أنّ أوّل استقرار يعود إلى الفترة الرّومانيّة ، ثم انتظمت حركات الهجرة على فترات مختلفة خلال الحكم الوندالي والبيزنطي ، واستمرت بشكل ملفت بعد الفتح الإسلاميّ [2] .

لقد كانت حملات الاضطهاد والمتابعة التي استهدفت سكّان الأندلس من المسلمين واليهود مع نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، واستمرّت طيلة القرن التّاسع / الخامس عشر الميلادي لاسيّما في مملكة قشتالة وكتالونيا وجزر البليار وغرناطة سببًا في تدفق عدد كبير من اليهود على المدن السّاحليّة والدّاخليّة للمغرب الأوسط [3] ويبدو أنّ القادمين الجدد قد حظوا برعاية الحكّام والسّكان المسلمين[4] .

وحول ظروف استقرار اليهود بتلمسان ،تشير إحدى الدراسات [5] إلى استقبالهم من طرف الـسّلطان أبي العبّاس أحمد العاقل (834 – 866 هـ / 1431– 1462 م) ومنحهم قطعة أرض (المرجة) قرب أسوار المشور، فبنو بها دورهم واستقرّوا بها ، وأصبحت تدعى بدرب اليهود ، كما منحت لهم الحريّة التي أقرّها الشّرع في ممارسة شعائرهم الدينيّة وأنشطتهم التجاريّة ، لهم من الضّمان والأمان مايكسبهم حقوق الرعايا ويلزمهم بواجبات مماثلة ، إلاّ إذا نقضوا العهد كأهل ذمّة [6] وفي مقابل ذلك يلتزمون بدفع الجزيّة كشرط من شروط عقد الذمّة وتقدر بأربعة دنانير،أو أربعون درهمًا بالوزن الشّرعيّ عن كل شخص في كل عام [7]

---

(1) أنظر : ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1988 ، 2 / 283

Richard Ayoun Bernard Cohen et ,Les juifs d`Algerie 2000 ans d`histoire, Paris,1982, P 27-35

(2) محمد شحاته ريه ، م.س / 26 - 34

(3) برونشفيك ، م.س ، 1 / 433 ، مارسي ، م.س / 100

(4) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 /490 ، مارسي ، م.س .ص ن

(5) شاوش ، م.س / 364 - 365

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 2 / 217 -219

(7) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 2 / 253

وكانت لهم تنظيمات دينية شملت مايعرف بمجلس الطائفة يرأسه « المقدّم » ويدعى كذلك « الشيخ » وهــو القائد الرّوحي للطّائفة اليهوديّة المحليّة التي تجمّعت وتوحّدت حوله نشاطاتها الدينيّة وسلوكاتها الإجتماعيّة ، فهو الذي يسيّر نظامها القضائيّ الدّاخليّ ، ويمثّلها بصورة رسميّة لدى السّلطة الحاكمة بتلمسان [1].

ويلاحظ أنّ هؤلاء اليهود المهاجرين قد نقلوا إلى المغرب الأوسط علاوة عــن ثقافتــهم الدينيّــة وعــاداتهم وأخلاقهم ، ما اكتسبوه من مميّزات خاصّة وعامّة في المجتمع الأندلسيّ الإسلاميّ ، فكان منــهم مــن بلــغ درجة كبيرة في العلم والآداب كما كان منهم أطبّاء ، وتجّار، وصنّاع ، وأصحاب حرف ، وفنون [2].

فالصّياغة والصيرفة لم تكن بيد المغاربة المسلمين في أوّل الأمر ، ولم تكن لهم كذلك مهارة كبيرة في صــنع الأقمشة والملابس النسويّة على الخصوص كنظم العقد ، ونسج القيطان، وحبك السفيفة، وتطريز القفطان بالصقلي ، وإنّما انتقلت إليهم عن طريق اليهود الذين كانوا يباشرونها ويتفنّنون بها [3].

ومن بين الشّخصيّات اليهودية التي برز حضورها القويّ في الدّولة الزّيّانية اليهوديّ إســحاق هاقــادوش ، المعروف بــ : « ربّ النّقاوة » (Le Maitre Isaac Hakadosh Enakaoua) الذي كــان طبيبًــا خاصًــا للسّلطان أبو العبّاس أحمد العاقل (834 – 866 هــ / 1431– 1462 م) وأحد المقرّبين إليه ، و الحاخام إسحاق برفت بارشيشت (Isaac Barfat Bar chechet) المعروف باسم ريباش والذي فاز بتعيين سلطان تلمسان له حاخامًا كبيرا [4] .

ونال العالم موشي بن صمويل بن يهودا ، المعروف بابن الأشقر ، من التقدير والاحترام ، مالم ينالــه غــيره كأستاذ للطّب ومدّرسٍ له ، وذلك باعتراف عدد من تلامذته ، نظرًا لمهارته واتقانــه لهــذا العلــم بمدينــة تلمسان . [5]

وتذكر إحدى الدّراسات [6] اليهودي أستروك كوهين (Astruc Cohen) الذي نال مكانــة أكــبر لــدى الزيانيّين ، بحيث كان مستشارًا للسّلطان ورئيسًا للطّائفة اليهوديّة في تلمسان قبل مجيئ ريبــاش ، هــذا إلى جانب شخصيات ثقافية أخرى نذكر منها : علاّل بن سعدون ، يوسف الأشقر ، أبراهام الصرفاتي .

---

(1) سعد الله فوزي ، يهود الجزائر ، هؤلاء المجهولون ، دار قرطبة ، المحمدية – الجزائر ، ط 2 ، 2005 ، 1 / 107

(2) محمّد بن أحمد إبن شقرون ، مظاهر الثقافة المغربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء - المغرب ، 1985 / 40

(3) إبن شقرون ، م.ن / 42

(4) سعد الله فوزي ، م.س / 108 – 119

(5) Brunshvig roubert ,Deux récit de voyage inedits en Afrique du Nord au XV siècle Abdelbassi B .Hillal et Adore , Paris,1936, P 44

(6) سعد الله فوزي ، م.س / 113

وإلى جانب هذه الفئات الاجتماعية فقد شهد المغرب الأوسط على فترات متقطّعة روافدًا اجتماعية مختلفة ساهمت بقدر كبير في تشكّيل البنية الاجتماعية للمجتمع الزيّاني ، إذ تشير احدى الدّراسات [1] الى مجموعات عرقية دخيلة وذات أقليّة يتعلق الأمر بـ :

ج) الأغزاز

يعود اتّصالها ببلاد المغرب الى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، و استمر قدومها طيلة القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، أين تم استخدام أفرادها كجنود وقادة عسكريين في الجيوش .
وقد اشتهر من بينهم في عهد أبي حمّو موسى الأوّل ، وابنه أبي تاشفين الأول : على بن حسن ، وابنه موسى بن علي ، اللذين تقلـدّا وضائف سامية في الدّولة الزيّانية ، ووليا قيادة جيوشها ، وكان لهما دور كبير في قيادة الحروب ضد بني مرين وبني حفص . [2]

ح) الصقالبة (الأعلاج)

وهم من ذوي جنسيات أروبية مختلفة ، تم استخدامهم في المجتمع الزياني ضمن أعمال القصر لخدمة الحريم ، وتكونت منهم فرق خاصة في الجيش وحرس السلطان [3]، وقد اشتهر منهم في البلاط الزيّاني هلال القطلاني ، فأصله من سبي النصارى القطلونّيين ، تمّ اهداءه للسّلطان عثمان بن يغمراسن (681 – 703 هـ/ 1281-1303 م) ، وصار بعد ذلك الى السّلطان أبي حمّو ، فأعطاه إلى ولده أبي تاشفين (718 – 737 هـ / 1318– 1337 م) فيما أعطاه من الموالي المعلوجين ، ونشأ عنده وتربى ، وقد نال مكانةً متميزّة ، فقلده الحجابة والوزارة ، وأطلق يده في خطط الدولة ، واستولى على الأمر واستبدّ على السلطان [4]. حتّى أصبح من ذوي الملك والريّاسة ، اتّخد كتّابًا وضياعًا ، وتصدّى لمعارضيه في البلاط الزيّاني . [5]
ويعتبر هلال القطّلوني مثالأ لبقية الأعلاج الذين شكّلوا عنصرًا مؤثرًا في الحياة السياية والاجتماعية والعسكرية على غرار باقي الفئات الأخرى .

---

(1) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 182 - 183

(2) التنسي ، م.س ، / 142 - 144

(3) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 182 – 183

(4) عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 152

(5) إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، م. س / 175 ، عبد الرحمن ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 152

2- فئات المجتمع الزيّاني وأثرها

أ) فئة الحكّام

ارتبط مصطلح الفئة الحاكمة بمختلف الوظائف السّلطانية ومراتبها وما يتّصل بها من مهام مسندة حسب التّدرج الذي تحدث عنه ابن خلدون ، إذ يرى بأنّ مهام السّلطان الكبرى لاتزيد عن أربعة :

الأولى تختص بحماية الرعيّة كافة ، وأداتها الجيش والسّلاح ، والثانية تتعلق بالمكاتبات والمراسلات للخارج والداخل ، وإصدار الأوامر لمن هو بعيد عن السّلطان وغائب عنه ، والثالثة تهتمّ بشؤون الجبايات والإنفاق ومايتبعها من حسابات ، والرابعة تنشغل بحجب السّلطان ومنع النّاس عنه ، لكي يتفرغ للنّظر فيما يصلح حالهم [1].

يبدو أنّ الصّورة التي كوّنها ابن خلدون لمراتب الملك والسّلطان ، هي وصف دقيق للطبقة الحاكمة التي تعين السلطان في تسيّير شؤون الدّولة ، وتعكس في أن واحد المكانة الإجتماعيّة التي تحضى بها دون غيرها من فئات المجتمع الزيّاني .

لقد كان سلاطين بني عبد الواد محلّ تبجيّل واحترام ، يستأثرون بجميع السّلطات ويتلقّبون بمختلف الألقاب يبرزون سلطتهم بما وضعوه من مراسيم ، إذ كانوا يمرّون في أبّهة ومحفوفين بالحرس وسط قرع الطّبول والأبواق وكثرة الألويّة والرّايات [2]، وهي من مظاهر الأبّهة والبذخ التي تضفي على موكب السّلطان رونقا وهيبة تميّزه عن غيره .

وتشير المصادر إلى اعتماد شارات الملك والسّلطان خاصّة في الأعياد والحروب منذ فترة حكم السّلطان أبي تاشفين الثّاني (791 – 795 هـ / 1388– 1393 م) ، عملاً بوصايا والده أبو حمّو موسى الثّاني (760 – 791 هـ / 1359– 19389م) بقوله :

« يابنيّ ويستحسن للملك أن يتّخذ رجالاً أنجادًا كفاة أطوادًا ، يكونون مشّائين إذا ركبت ، ومنصرفين حيثما سرت ، يكون لهم ترتيب في اللّباس ، ويمتازون بذلك على سائر النّاس ، ويتزّينون بالأقبيّة الحسان المختلفات الألوان ، وبأيديهم الحراب عليها صغار الرّايات ، من أنواع الحرير مختلفات لأنّهم ممّا يزيدون في بهاء الملك وجماله ، وفخامته وكماله ، وهم مما يتزيّن به الملوك والأمراء » [3]

---

(1) إبن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ/ 1405 م) ، المقدمة ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان ، 2000 / 294 - 300

(2) بورويبة وآخرون ، م.س / 463

(3) أبو حمو موسى العبد الوادي (ت 791 هـ/ 1388 م) ، واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مطبعة الدولة ، تونس ، 1862 / 81

أمّا عن إقامتهم فتصف إحدى الدّراسات اهتمامهم بمظاهر السّلطنة في إقامتــهم لمقــرّات جديــدة ، إذ لم يكتف يغمرّاسن (633 – 681 هـــ / 1235– 1282 م) بقصر تاغرارت الموحّدي القــديم ، بــل أقــام قصرًا جديدًا شاهدًا على ملكه « واتّخد أمراء بنو زيّان المشور مقرًّا رسميًّــا لإقامتــهم ، ففيــه مــساكنهم ومسجدهم ومستودعاهم ، وفي بيوته يقيم الحشم ويترل الأمراء الأجانب وبــين أرجائــه تــنظّم حفــلات الاستقبال الكبرى » [1].

و لم يلبث المشور أن عرف ازدهارًا جديدا في عهد أبي حمّو موسى الثّاني (760 – 791 هـ / 1359– 1388م) ممّا يؤكّد الحياة الخاصّة للطبقة الحاكمة « لقد كانت الزّرابي تبسط على السّطح وعلى طول الحائط تصطّف المتاكي ، ويتجمّع أفراد البلاط حول السّلطان جالسين على المتاكي مقابل المانجانا ، ويجلس السّلطان على كرسيّ عال ، بينما يجلس مباشرةً على جانبيه أكابر أقاربه وعظام المملكة ، كلّ على حسب رتبته ، وتتجمّع الرعيّة على الزّرابي خافضين أصواهم احتراما لجلالة الملك ، ويتجوّل بينهم خدم يلبسون حريرًا مزركشًا يقدّمون جميع أنواع الطيب...وعند اللّيل يدخل رجال حاملون طاولات عريضة ومنخفضة مملوءة بالطّعام ، وعندما تفرغ الصّحون من الطّعام تبدّل بأخرى بها خضر وفواكه » [2].

وعن العلاقة بين السّلطان وأعوانه فقد حدّد أبو حمّو موسى الثّاني (760 – 791 هـ / 1359– 1388م) لولده السّلطان أبي تاشفين الثّاني (791 – 795 هـ / 1388– 1393 م) ، مجموعة من الوصايا السياسيّة التي تضمن السّير الحسن لدولته ودوام استمراريتها ، بقوله : « اعلم يابنيّ أنّه ينبغــي لــك أن يكــون أوّل داخل عليك مزوارك الموصوف ، وعونك المعروف ، ليعرّفك من ببابك ، من وزرائك وحجّابك ، وأرباب دولتك وكتّابك ، فأولّ من يدخل عليك كاتبك ووزيرك ، إذ هما صــلاحك وتــدبيرك ، وذلــك أهــمّ ماتبتدئ به من أمرك لتلقي إلى الكاتب ما أردت من سرّك ، ويعرض عليك الكتب الواردة مــن أقطــارك وأمصارك ، وذلك بحضور وزيرك المخصوص برأيك وتدبيرك ...وبعد دخول وزيرك وكاتبك ، وقــضائك ما أردته من مآربك ، يدخل صاحب أشغالك ، الموكّل بجبايات أموالك ، يعرّفك بما تجمــل وتــصير مــن مالك ، وبمحاسبات عمّالك ، وبجميع أشغالك المختصّة بدارك ، في إيراداك وإصدارك ...ثم يدخل صاحب شرطتك ، وحاكم بلد حضرتك ، ليخبرك بما تزايد في ليلتك ، حتى لايخفى عليك شيء من أحوال رعيّتك ..ثم تدعو للدّخول عليك الأقرب فالأقرب مــن خاصّــتك وخلــصائك ، وأشــياخ قبيلــك وأوليائــك ، فتشاركهم فيما ظهر لك من أرائك ، وتأخد معهم فيما عليهم ومالهم ... ثم تدعو إلى الــدّخول أشــياخ القبائل ، المقربيّن لخدمتك ، وقوّاد أجنادك المستمسكين بحرمتك .. .» [3].

---

(1) بورويبة وآخرون ، م.س ، ص.ن

(2) مارسي ، م.س / 91 -92 ، شاوش ، م.س / 466 – 467 ،

(3) أبو حمو موسى ، م.س / 81 - 85

لقد كان بنوزيّان يختارون وزراءهم وحجّابهم وكتّابهم وقضاتهم من عائلات معيّنة ، من ذلك أنّ أغلب الوزراء لم ينحدروا من سلالة الملك ، إذ كان يخشى كثيرًا طموحهم ، ولكن من جماعات ذات قرابة حصلت لهم خبرة في تصريف شؤون الدّولة [1]

ويبدو أنّ للحاجب في عهد يغمرّاسن (633 – 681 هـ / 1235– 1282 م) أهميّة تفوق مرتبة الوزير ، ويتّضح ذلك من العبارة التي استخدمها يحيّ ابن خلدون حيث قال : « وحاجبه الأقرب ومساوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمّد الحبّاك ، من فقهاء الحضرة » [2] ، ويواصل حديثه قائلاً : « وخاطبته ملوك الموّحدين بذلك ، وكان ذا رأي سديد وسياسة ، وله في البلد خلف من نمط التّجار أخيار » [3]

ويمكن تشخيص ظاهرة اختيّار الوزراء حسب مقياس الثّقة والقربى فيما قام به يغمرّاسن بن زيّان (633 – 681 هـ / 1235– 1282 م) حينما أسند منصب الوزارة إلى بني مقّن وهم إخوة بني زيّان من أولاد طاع الله ، برز منهم الوزير يحيّ بن مقّن ، ويبدو أنّ عثمان بن يغمرّاسن (681 – 703هـ / 1282–1304 م) ساير التقليد الذي أورثه إيّاه والده ، حيث اختار غانم بن محمّد الرّاشدي وهو من بني راشد أحد المقربيّن لبني عبد الواد وعصبتهم في أوّل عهدهم [4].

ومن الكتّاب البارزين في البلاط الزيّاني الفقيه الخطيب العالم أبو عبد الله محمّد بن هديّة القريشي ، أحد أئمّة اللّسان والآداب بصير بالوثائق والأحكام ، مشهور الفضل والدين ، كتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمرّاسن بن زيّان [5].

أمّا بخصوص خطّة الأشغال فقد احتكرها أقرب النّاس إلى السّلطان في مقدمتهم عبد الرحمن بن محمّد بن الملاّح ، أبو عبد الله محمّد بن علي العصامي ، محمّد بن قضيب الرصّاص ، وهي من المراتب السّامية التي لاتسند إلاّ لأهل الثّقة وحسن السيرة وفضيلة الأخلاق [6].

---

(1) بورويبة وآخرون ، م.س / 467

(2) يحي إبن خلدون، م.س ، 1 / 111

(3) يحي إبن خلدون ، م.ن / 62

(4) بورويبة وآخرون ، م.س / 468 ، بوزياني ، م.س / 119

(5) إبن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م) ، المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1 ، الدار البيضاء ، 2008 / 175 ، يحي إبن خلدون ، م.س / 127

(6) يحي إبن خلدون ، م.ن / 59- 193 ، بورويبة وآخرون ، م.س / 468

ب) فئة العلماء والفقهاء

شكّلت فئة العلماء والفقهاء مكانة متميّزة في المغرب الأوسط لتعـدّد مجـالات اختـصاصها في المجتمـع ، ولارتباطها بشؤون السياسة والحكم .

وقد نالت حيّزًا من وصايا السلطان أبي حمّو موسى الثّاني (760- 791 هـ /1359– 1388م) لولده أبي تاشفين الثّاني (791 – 795 هـ / 1388– 1393 م) ، حيث أمره باتخاد فقيه يخصّ نفسه به ، ويستشيره في أمور الدّين والسّياسة ، فحثّه بقوله : « فلتتخيّر لنفسك فقيهًا عالمًا موسومًا بالصّلاح ، سـالكًا طـرق الرّشاد والفلاح ، يرشد إلى الهديّ ، ويهدي إلى الرّشاد ، ويسدّد الأمور ويأمر بالسّداد ، ليبـيّن لـك مـا أشكل عليك من الأحكام ، وما تأتيه من الحلال وتدعه من الحرام وما تقف عنده من الأمور الشرعيّة ، التي هي قوام الملك والرعيّة ، ومايصلح لك من الأمور الدنيويّة والآخرويّة ، ويخولك للموعظة ويذكّرك أحوال الآخرة » [1]

يبدو أنّ الوظائف المسندة لفئة العلماء والفقهاء كثيرة ومتعددة منها : القضاء والفتوى والشّهادة والتّوثيق ، والخطابة والحسبة والنظر على الأوقاف وأموال اليتامى وغيرها من المراتب [2] وربّما مال أكثر الفقهاء إلى توليّ الرتب الشّرعيّة ، ولهذا فرّق ابن خلدون بين الوظائف الدينيّة والمدنيّة ، فسمّى الأولى الخطط الدينيّة ، وهي كلّها مندرجة تحت الإمامة الكبرى [3] وسمّى الثانية الخطط السلطانيّة والرتب الملوكيّة كالوزارة والكتابة والحجابة [4] وبحكم الوظائف المتعددة لهذه الفئة ، فقد كانوا مستشارين للسّلاطين وكانوا في أغلب الأحيان موظّفين في الدولة ككّتاب وقضاة ، وأصحاب جباية و حسبة . [5]

أمّا عن جهودهم في التّعامل مع السّلطة الزيانيّة فقد كانت متباينة بين مؤيّد و مشارك في الحكم ومعارض رافض لذلك ، ومحايدّ راكن للاعتزال متفرّغ للعلم والتأليف ، وقد شخّص العالم والفقيه أبو العبّاس أحمـد الونشريسي تطوّر علاقة العلماء والفقهاء بالسّلاطين والأمراء بقوله : « واعلم أنّ شـرّ العلمـاء علمـاء السّلاطين ، وللعلماء معهم أحوال ، فكان الصدر الأوّل يفرّون منهم وهم يطلبونهم ...ثم جاء أهل العـصر الثّاني فطمحت نفوسهم إلى دنيا ماحصل لهم ، ومنعهم قرب العهد بالخير عن إتيانهم ، فكانوا لا يأتونهم ، فإن دعوهم أجابوهم إلاّ القليل ، فانتقصوهم عمّا كان لغيرهم بقدر ما نقصوا من منابذتهم ، ثم كان فيمن

---

(1) أبو حمو موسى ، م.س / 61

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 2 / 492

(3) عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدّمة ، م.س / 273

(4) إبن خلدون ، المقدمة ، م.ن ، 1/ 294

(5) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، / 212

بعدهم من يأتيهم بلا دعوة ، وأكثرهم إذا دعي أجاب ، فاستنقصوا بقدر ذلك أيضا ، ثم تطارح جمهـور من بعدهم عليهم فامتنعوا عن دعاء غيرهم إلاّ على جهة الفضل ومحبة المدحة منهم ، فلم يبقوا عليهم مـن ذلك إلا النزر اليسير وصرفوهم لأجله في أنواع الـسخر والخـدم إلاّ القليـل ، وهـم ينتظـرون صـرفهم والتّصريح بالاستغناء عنهم وعدم الحاجة إليهم . » [1]

ومن الفقهاء الذين ركنوا إلى الاعتزال رغبة منهم في التّفرغ للعلم والتّأليف أو للعبادة والتّصوف :

الفقيه العالم أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني [2] حيث فاق أقرانه ونظراءه في العلم والعرفان وضرب به المثل في الزهد والعبادة ، وحاز قصب السبق في الحديث والأصول والمنطق مع الذّوق السّليم والفهم المستقيم .[3]

و نجد كذلك الفقيه إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التّنّسي المطماطي [4] الذي انتهت إليه الرئاسة في التدريس والفتوى في بلاد المغرب ، وذاع صيته حتى بقي السّلطان يغمراسن (633 – 681 هـ / 1235– 1282 م) يخطبه للورود على تلمسان ، فيمتنع ، يرد زائرًا ويقيم أشهرًا وينصرف إلى تنس ونزولا عند رغبة فقهاء وعلماء تلمسان ، استوطنها ودرس بها ، وظل بعيدا عن الرتب السلطانية .

ومن أشهر شيوخ التّصوف ، العالم والفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق [5] الذي كان يشتغل بالقراءة والفقه والحديث ، ثم انكبّ على كتب التّصوف وانقطع للعبادة ، وتجرّد للمطالعة ، ونسخ الكتب والمصاحف ، ونال من احترام السّلاطين وتقديرهم ماجعله يتفادى لقاءهم خاصّة في مسجد الطلبة حيث يصليّ الشيخ « فتارة يتلبّس بالنافلة حتى ييأس السّلطان يغمراسن من الانتظار ، وينصرف ، وتارة لا يشعر به إلاّ وقد خرج » [6]

ومن الفقهاء الذين وقفوا موقف المعارضة للسّلطان والتزموا الجرأة في قول الحقّ والنّصح عن طريق الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر ، الفقيه العالم أبو العباس أحمد الونشريسي الذي سارع إلى الإعلان عن مواقفه

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 2 / 480-481

(2) أنظر ترجمته في :

مخلوف ، م.س ، 1 / 254 ، إبن مريم ، م.س / 41 – 43 ، التنبكتي ، م.س، م.س / 118 ، الزركشي ، ، م.س، م.س / 140

(3) شاوش ، م.س / 434

(4) الحفناوي أبو القاسم محمد الديسي ، تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر ، 1906 ، 2 / 15 – 16

(5) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 226 ، إبن مرزوق ، المناقب ، م.س/ 149 - 153

(6) إبن مرزوق ، المناقب ، م.س / 148 - 153

الصريحة من سلاطين بني زيّان منتقدا ما يقومون به من تصرفات غير شرعيّة ، كتقديم الجهّال على العلماء في تولية المناصب الشّرعية كالقضاء والفتوى ، واعتبرها من البدع المحرّمة التي لايجوز السّكوت عنها [1] وعارض سياسة السّلطان أبوعبد الله محمّد المتوكّل (866 – 873 هـ / 1462– 1468 م) واتّهمه بالضعف والاستكانة ، وعدم قدرته على تسيّير شؤون الدّولة وإدارة الأحداث بتعقل و حكمة [2] و كيف ما كان السبب « فقد حصلت له كائنة من جهة السّلطان في أوّل محرّم من عام أربع و سبعين و ثمانمائة (01 محرم 874 هـ / جويلية – 1469م) فانتهبت داره ، وفرّ إلى مدينة فاس واستوطنها ».[3]
أمّا الفقيه أبو العبّاس أحمد بن يوسف الرّاشدي الملياني [4] فقد رفض البقاء في مدينة تلمسان مـدّة طويلـة بسبب معارضته لسياسة بني زيّان حيث عاب عليهم تدهور الأخلاق وانتشار الفـساد ، وانتقـد موقـف السّلطان أبي عبد الله محمّد الخامس بن محمّـد الثّـابتي (910 – 922 هــ / 1505– 1516 م) نتيجـة لمسالمته للاسبان ومصالحته لهم بعد احتلال مدينة وهران ، وظلّ ينتقد سياسة أبا حمّو الثّالـث بـن محمّـد الثّابتي (922 – 934 هـ / 1518– 1528م) إزاء مواقفه المخزيّة من العدوّ ، و سارع للاتّصال بالأتراك إلى جانب أهل تلمسان لمقاومة الإسبان.[5]

لقد كان هؤلاء العلماء والفقهاء نمودجًا لفئة فضّلت الابتعاد عن الحكّام ، ورفـضت أن تكـون موضـع تسخير لخدمتهم والدّعاية لشخصهم ، والكتابة باسمهم ونحو ذلك ، ولعلّ من أسباب انعزال البعض منـهم والتجائهم إلى الزّهد والتّصوف هو ضغط السّلاطين عليهم مع جهرهم بـالظّلم والـسّكوت عـن المنكـر والفساد .[6]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 2 / 491-492
(2) المهدي البوعبدلّي ، م.س / 22 – 28 الونشريسي ، إيضاح المسالك ، (قسم الدراسة) / 13
(3) التنبكتي م.س / 135 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 62 ، إبن مريم ، م.س / 53
(4) أنظر ترجمته في : الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تحقيق محمّد حجي ، دار الغرب للتأليف والترجمة ، ط2 ، الرباط ، 1977 / 124– 125 ، الحفناوي ، م.ن ، 2 / 97– 100
(5) الورثيلاني الحسين بن محمّد (ت 1193 هـ/ 1783 م) الرحلة الورثيلانية ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، تقديم محمّد بن أبي شنب ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت ، 1974 / 37 ، الحفناوي ، م.ن ، ص.ن ، بورويبة وآخرون ، م.س / 456
(6) سعد الله أبو القاسم ، م.س ، 1 / 57

ومن الفقهاء الذين ثبت اختيارهم من طرف السّلطة الحاكمة في تلمسان ، وساهموا بقدر كبير في استقرار الدّولة وتأطير شؤون الرعيّة فئة القضاة ، إذ يتم اختيارهم من ذوي المكانة في العلوم الشّرعية على مذهب الإمام مالك ، ويعيّنون من قبل السّلطان للنّظر في القضايا الشّرعية ، نذكر منهم : عائلة العقباني التي برز منها عدد من القضاة أمثال :

قاسم بن سعيد بن محمّد العقباني [1] علم الأعلام ، الفقيه الإمام وليّ قضاء تلمسان في صغره ، وعكف على تعليم العلوم وتدريس المعدوم منها والمعلوم ، فأفاد الأفراد وأمنع جهابذة النّقاد ، حضر جنازته السّلطان أبو العبّاس أحمد العاقل (834 – 866 هـ / 1431– 1462 م) فمن دونه .

والقاضي ابراهيم بن قاسم بن سعيد العقباني [2] من كبار علماء تلمسان ، حصّل وبرع وألّف وأفتى ، وتولّى قضاء الجماعة بتلمسان بعد عزل ابن أخيه .

والفقيه العالم محمّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني [3] من كبار علماء وفقهاء تلمسان ، وليّ قضاء الجماعة وكان عارفا بالنّوازل ذا ملكة في التّصوف .

وإلى جانب عائلة العقباني ، برز عدد أخر من القضاة من أمثال : أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عمرالتميمي [4] و محمّد أبو عبد الله التلمساني المعروف باسم حمّو الشريف [5]

أمّا عن الوضع الاجتماعي فقد كان القضاة يتقاضون مرتّباتهم من بيت المال ، إذ لا يزيد راتب قاضي القضاة في بجاية عن خمسة عشرة دينارا شهريًّا ، وهي أجرة لا توافق مكانتهم الاجتماعيّة كموظّفين كبار في الدّولة ، خاصّة إذا ماقورنت بما يتقاضاه قاضي الجماعة بفاس خلال نفس الفترة ، فكانت أجرته تقدّر بمثقال من الذّهب يوميًّا ، إلى جانب بعض الامتيازات من كسوة وإقطاع ومؤونة .[6]

---

(1) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 147 - 149 ، التنبكتي ، م .س / 365-366

(2) أتظر ترجمته في : الحفناوي ، م .س ، 2 / 6 ، شاوش ، م.س / 437

(3) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 224 ، التنبكتي ، م .س / 547- 548 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 85-86

(4) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 291

(5) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.ن / 252 ، التنبكتي ، م .س / 493

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 10 / 221 ، إبن فضل الله العمري أحمد بن يحي (ت 749هـ / 1348 م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، السفر الثامن ، تحقيق بسام محمد بارود ، المجمع الثقافي ، أبوضبي ، 2002 / 100

وفي مقابل ذلك نوّهت بعض المصادر بسعة حال بعض القضاة والفقهاء في تلمسان ، حيث ذكر ابن مرزوق أنّ هؤلاء أصحاب أموال وثروة أكثر من أن توصف .[1]

و على الرّغم من هذا فقد امتنع عدد آخر من القضاة في أخد الأجرة واعتبروا المال الذي يتقاضاه نظراؤهم من القضاة مالاً حرامًا رغم ضيق وسوء أحوالهم ، واستعان بعضهم بكتب الصدقات .[2]

ومن العلماء الذين ارتبط اسمهم بسّلاطين بني زيّان وسخّروا أقلامهم في هذا الاتّجاه : محمّد بن عبد الله بن عبد الجليل التنّسي [3] الذي نبغ في علوم عصره خاصّةً رواية الحديث والأدب والتّواريخ وساهم بقدر كبير في حركة التأليف والتدريس ، أما تآليفه فليست كثيرة ، إذ لايزيد عددها على ثلاثة ، منها كتابه" نظم الدر والعقيان في شرف بني زيّان وذكر ملوكهم الأعيان" ، الذي أهداه إلى السّلطان أبو عبد الله محمّد المتوكّل (866 – 873 هـ / 1462– 1468 م)بهدف التّقرب منه وكسب ودّه وتعاطفه بإظهار مكانة بني زيّان في التّاريخ والنّسب والآثار، ولذلك مدح السّلطان وبرهن على شرف أسلافه، وأبرز مدى مساهمتهم في الحضارة ونفوذ دولتهم [4] ، أمّا كتابه " راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمّو من الشّعر وقيل فيه من الأمداح ، ومايوافق ذلك على حسب الإقتراح " فهو كتاب في الأدب يضمّ شعر السّلطان أبي حمّو والمدائح التي قيلت فيه وماخطر ببال المؤلف من النكت والأمثال والطّرائف ، فكان من الموضوعات التي تقدّم إلى مجالس السّلاطين للتّسليّة والتّرفيه .[5]

وقد برز أبو زكرياء يحيّ بن خلدون من خلال تصنيفه لكتاب "بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" بطلب من السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني (760- 791 هـ /1359– 1388م) بغرض تخليد تاريخ الدّولة الزيّانية والوقوف على إنجازات وسيرة سلاطينها .[6]

وتشير إحدى الدراسات إلى الفقيه والعالم الأصولي محمّد بن عبد الرحمن الحوضي [7] الذي كان ينشد المال والجّاه والحضوة في بلاط السّلطان أبي عبد الله الزيّاني ، لاينّبه إلى الخطر الدّاهم ، بل ينشد رضى ملكه بقطع النّظر عمّا يحدث في المملكة من مظالم وفوضى وحروب .[8]

---

(1) إبن مرزوق ، المناقب ، م.س / 173

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 236 -237

(3) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.ن / 248 - 249 ، التنبكتي ، م .ن / 572 - 573

(4) سعد الله أبو القاسم ، م.س ، 1 / 70 – 73

(5) سعد الله أبو القاسم ، م.ن ، 1 / 71

(6) يحي إبن خلدون ، م.س / 3 -5

(7) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 252 ، التنبكتي ، م .س / 579

(8) سعد الله أبو القاسم ، م.س ، 1 / 59

ت) أصحاب المهن والصنائع

تشكّل هذة الفئة طبقة اجتماعية متميّزة من حيث تعدّد وتنوّع أشكالها في المغرب الأوسط ، وتضمّ عدّة أنشطة مختلفة تفسّر في مضمونها المستوى المعيشي و المكانة الإجتماعيّة .

لقد عبرت بعض المصادر عن الوضع المادي المريح لفئة التّجار ، فيذكرهم الونشريسي بقوله : « أكابر التّجار ذوي الأموال الطّائلة » [1] ويصفهم الوزّان بأنّهم « أناس منصفون مخلصون جدًّا وأمناء في تجارتهم ...وهم وافروا الغنى أملاكًا ونقودا » [2] ، وينطبق هذا الوصف على كبار التّجار الذين استطاعوا بفضل نشاطهم تبوأ مكانة اجتماعية راقية ، نظرًا للأرباح الطّائلة التي يجنونها من تجارتهم ،فاجتهدوا في شراء العقّارات وبناء الدّور والقصور وشراء العبيد والخدم ، ونافسوا بذلك أصحاب المناصب العليا من ذوي الدخل الكبير .[3]

أمّا فئة التّجار الصّغار ، فلم يكن حالهم كحال أكابرهم فهم يزاولون نشاطهم التّجاريّ بشكل محدود، وفي نطاق ضيّق بين المدن والبوادي [4] ،ورغم ذلك إلاّ أنّهم كانوا يجنون أرباحًا مكّنتهم من تحسين أحوالهم ومستواهم المعيشي[5] ولا شكّ أنّ أرباب الحرفيّين على اختلاف صنائعهم كالعطّارين والورّاقين والقبّابين والخرّاطين والإسكافيّين والسرّاجين والحدّادين والدبّاغين وغيرها من الصّنائع [6] كانوا يتمتعون بمستوى معيشي راق جدًّا نتيجة للأرباح التي يحققونها من وراء ترويج منتجاتهم الحرفيّة ، فقد كان أبو زيد عبد الرحمن بن النّجّار من كبار أرباب الحرف بتلمسان يزاول حياكة الصّوف الرّفيع في درب شاكر ، وكان أغلب هذا الدّرب له ولخدّامه ، يقصده كبار التّجار من المشرق والمغرب للاقتناء منها ، وكان يجني من بيعه

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 6 / 05 - 06

(2) الوزان الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ، 2 / 21

(3) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 214 – 215

(4) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 5 / 106 - 110

(5) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 216 –218

(6) الوزان ، م.س ، 2 / 20 -21

لهذا الصّوف ألف دينار في اليوم الواحد [1] وهو مايفسّر درجة الغنى والثّروة التي يتمتّع بها إذ تمثّل نمودجًا لكبار الحرفيّين والصنّاع في تلمسان ومختلف مدن الدّولة الزيّانية ، ويصف حسن الوزّان حياة هؤلاء بقوله :
« والصّناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ، ويحبّون التّمتع بالحياة » [2]
إنّ هذا الوصف الدّقيق الذي يعكس المستوى المعيشي والمكانة الاجتماعيّة المرموقة لاينطبق في مجمله على بعض الحرفيّين الصّغار الذين كانوا يمارسون عملهم كأجراء لدى أرباب المهن والصّنائع مقابل أجرة زهيدة لا تتعدّى نصف دينار، وهو ماتؤكّده بعض المصادر التي وصفت أحوالهم بالضّائقة والعسيرة .[3]

---

(1) إبن مرزوق ، المناقب ، م.س / 188 – 189

(2) الوزان ، م.س ، 2 / 21

(3) إبن مريم ، م.س / 39 ، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 290

3- بعض العادات والتّقاليد وأثرها في المجتمع الزيّاني

من عادات أهل تلمسان و سكّان المغرب الأوسط في العصر الزيّاني ، الاحتفال بالأعياد الدّينية على غرار المولد النّبوي ، وعيد الأضحى شأنهم في ذلك شأن المجتمعات والدّول الإسلاميّة .

ويذكر الونشريسي أنّ الاحتفال بالمولد النبوّي كان يلقي اهتمامًا كبيرًا من قبل ولاّة الأمر وسائر طبقات المجتمع ، حيث اعتاد النّاس على إيقاد الشموع ، والتزيّن بما حسن من الثيّاب ، وركوب الدّواب لإظهار الفرح والسّرور بمولده عليه السّلام [1] ، رغم معارضة عدد من الفقهاء لمسألة إيقاد الشّموع في منازل العامّة ، ودور العبادة واعتبارها بدعة خارجة عن الشّرع يجب قطعها . [2]

ويضيف التنّسي أنّ أبا زيّان محمّد بن أبي حمّو (796 – 801 هـ / 1394– 1399 م) ، كان يقيم الاحتفالات لمولد المصطفى عليه الصلاة والسّلام ، احتفال أسلافه الكرام الى الصباح وترفع اليه القصائد والمدائح بهذه المناسبة . [3]

كما كان أهل تلمسان وسلاطينها ، يحتفلون بيوم عاشوراء صومًا ، وزكاةً ، ويقومون بختان الأطفال اليتامى ، وكسوهم واطعامهم . [4]

و ورد في إحدى الدّراسات [5] أنّ أهل تلمسان إهتمّوا أيضًا بالاحتفال بميلاد أطفالهم ، فكانوا يعدّون العقيقة ، وهي وليمة يذبح فيها الخرفان ، وتعدّ فيها نوع من الحلوى اشتهر بها أهل المغرب تسمى العصيدة، ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب وأسرة المولود ، احتفالاً بقصّ أول خصلة من شعر الطفل في اليوم السّابع لولادته .

كما كانوا يحتفلون بختان الطّفل فيقيمون بهذه المناسبة مأدبة ، يدعى إليها الأهل والأقارب ، ويشاركون بعضهم البعض فيما يسمّى بالصنيع ، وهي مجالس اللّهو والطّرب التي كان يصحبها - غالبًا - النّفخ بالبوق والضّرب على العود واحتساء المصطار (عصير العنب قبل تخمّره) . [6]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 11 / 278 – 279 ، 12 / 48 – 49

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 2 / 471 – 472

(3) التنسي ، م.س / 212

(4) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 145

(5) كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996 / 45

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 6 / 416 – 418 ، كمال السيد أبو مصطفى ، م.س / 45 - 46

أمّا عن العادات المتّبعة في الأفراح ، فيذكر الوزّان ماتقوم به النّساء من صّياح وعويل ولطم على الوجوه والأطراف إذا مات لهنّ قريبًا بقوله :

« وفي آخر كل بيت تصيح النّساء ويخدشن صدورهنّ وخدودهنّ حتى يسيل منها الدّم بغزارة ، وينتفن شعورهنّ نائحات مولولات ، يدوم ذلك سبعة أيّام تلك هي عادة العامّة .» [1]

وبعد مرور سبعة أيّام على الوفاة يستأجر أهل الميّت أحد القرّاء لتلاوة ماتيسّر من القرآن على القبر ، وبعد ذلك يشرعون في تقديم طعام للقرّاء والفقراء والأقارب للتّرحم على الميّت وصلة الأرحام ، ويسمّى هذا الطعام بعشاء القبر . [2]

وكان أهل تلمسان يتصدّقون بثياب الميت وفرشه ، وماكان يتناول فيه من أواني وغير ذلك من مستلزماته الخاصة ، للفقراء والمساكين . [3]

---

(1) الوزان ، م.ن ، 1 / 258

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 1 / 317

(3) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 298

ثالثًا : الأوضاع الإقتصاديّة

1– الزراعة

أ) بعض أنواع الأراضي

• **أراضي الإقطاع :** أراضي ملك للدّولة ، ولايحقّ التّصرف فيها إلاّ من قبل السّلطان ، يجيز إقطاعها لمن يشاء من خلال تفويض السّلطة لشخص أو لجماعة على رقعة محدّدة ، ثم توسّع المفهوم ليشمل جباية الأعشار ، واستغلال الأراضي الفلاحيّة و استخلاص فوائد الرّعي ، وقبض الرّسوم ، مقابل هذه الامتيازات كان المستفيد من الإقطاع يتحمّل مسؤوليتين: الأولى دفاعيّة ردعيّة يحارب بموجبها أعداء السّلطان ، والثانيّة جبائيّة يرغم بموجبها السّكّان على دفع مابذمّتهم للخزينة العامّة . [1]

ويوضّح ابن خلدون استفادة عدد من القبائل بهذا النّوع من الأراضي « نظام الإقطاع » بقوله :

« وانبسطت أيدي العرب على الضّاحية وأقطعتهم الدّولة حتّى الأمصار وألقاب الجباية ومختصّ الملك ... وقاسموهم في جبايات الأمصار بالإقطاع ريفًا وصحراء وتلولاً وجريدًا . » [2]

وأوّل من عمل بنظام الإقطاع في دولة بني عبد الواد هو السّلطان يغمراسن بن زيّان (633 – 681 هـ / 1235– 1282 م) مؤسّس الدّولة ، حيث اقتطع مشايخ قبيلة سويد العامريّة بلاد البطحاء وسيرات وهوّارة [3] وتبعه في ذلك التّقليد بقيّة سلاطين بني زيّان .

هذا وقد طغى نظام الإقطاع بصفة خاصّة خلال عهد السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني (760 – 791 هـ / 1359– 1389م) حيث أصبحت الدّولة عبارة عن إقطاعات للقبائل والأشخاص [4] سواء كانوا من الأسرة الحاكمة أو من أنصارها [5].

وإذا كانت الدّولة الزيّانية قد وجدت في قوّة القبائل وولاء شيوخها سببا كافيًا لمنحهم عددًا من الإقطاعات، فإنّها انتهجت سياسة مماثلة إزاء العلماء والفقهاء بسبب نفوذهم الرّوحي وقوّة تأثيرهم على الرعيّة ويتّضح ذلك من خلال اهتمامها ببعض رؤساء الطّوائف الصّوفيّة ومنحهم أراضي واسعة وعيون من الماء . [6]

---

(1) العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 1999 ، 2 / 211

(2) إبن خلدون ، كتاب العبر ، ، م.س ، 6 / 103

(3) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.ن ، 6 / 59

(4) وفي هذا المجال يأتي ذكر عدد من القبائل ومشايخها من أمثال : قبيلة الحرث بن مالك ، وهم من العطّاف والديالم ، قبيلة زغبة ومنها قبائل بني عامر ، قبيلة ذوى منصور من المعقل ، قبيلة المنبات من ذوي منصور ، أمّا عن مشايخ القبائل نذكر منهم : عنتر بن طرّاد بن عيسى ، يوسف بن مهدي من مشايخ سوّيد ، داوود بن هلال بن عطّاف من مشايخ بني عامر ، أنظر : إبن خلدون ، م.ن ، 6 / 61 -110

(5) إبن خلدون ، م.ن ، 6 / 64 -65

(6) مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ، (الأحوال الإقتصادية والثقافية) منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2009 ، 2 / 21

ومن الذين استفادوا من هذا الإقطاع ، فقهاء تلمسان أمثال التّنسي والعقبانيّين ، فالتّنسي أقطعه يغمراسن (633 – 681 هـ / 1235– 1282 م) أرضًا للانتفاع بها بعد قدومه من تنس ، ثم بعد وفاته انتقلت إلى أبناء الإمام وهم من مدينة – برشك – في عهد السّلطان أبي حمّو موسى الأوّل (708 - 718هـ/ 1308- 1318 م) .[1]

- **أراضي الظّهير :**

يقطعها السّلاطين لمن يؤدّي خدمات للدّولة ماديّة كانت أو معنويّة من خلال « استخلاص و امتلاك جباية منطقة من المناطق أو الانتفاع بقطعة أرض من الأراضي التّابعة للدّولة . » [2]

ويطلق عليها كذلك اسم « المزيّة الجبائيّة والعقّاريّة » حيث ترخّص الدّولة للمنتفعين استخلاص الضّرائب الموظّفة على السّكّان المستقرّين لفائدتهم ، وأحيانًا الضّرائب الموظّفة على قبائل الأعراب الرّحّل الأضعف منهم ، وأحيانًا على أراضي المراعي والضيعات الزّراعيّة .[3]

ويعدّ منح أراضي الظّهير « إقطاع منفعة لا إقطاع رقبة » [4] يحقّ الانتفاع بها وبثمارها دون تملّكها و إذا أقطعت لشخص ما ، وتوفيّ أقطعت لغيره ولاتورّث عنه ، فهي منفعة لصاحب الإقطاع فحسب دون ورثته، و بشأن ذلك أورد الونشريسي مسألة فقهية جاء فيّها : « وسئل ابن عرفة عن الأرض التي تقطع للأعراب وغيرهم من النّاس هل تملّك ملكًا تامًا أم لا ؟ فأجاب : بأنّ إقطاعها إنّما هو إقطاع انتفاع لا ملك » .[5]

و يضيف قائلاً : « وسئل عمّن أقطعت له ثمّ مات وخلّف ورثته فجرد ظهيرها من إمام آخر » [6]

و تبعًا لذلك فقد كان الإقطاع يكتسي عمليًا في كثير من الحالات صبغة وراثيّة ، بل كان يتّجه نحو التحوّل إلى ملكيّة تامّة ومطلقة ، وقد كان الفقهاء يحتجّون في كلّ مناسبة ضّد هذا التّوجّه ، فحتّ بعد مرور مدة طويلة على حيازة الإقطاع ،كانوا يرفضون تمكين « أرباب الظّهائر » من حقّ التّصرّف في أرضهم كأنّها ملك خاصّ ، كما كانوا يحجرون عليهم تحبيسها مذكّرين بأنّها « ملك رقبة » . [7]

ويذكر الونشريسي نوعا آخر من أراضي الظّهير ، يمنحها السّلطان لأفراد نظير خدمات قدّموها للدّولة ، تتميّز بأنّها ملكيّة خاصّة ، يجوز بيعها وتوارثها ، وقد أطلق عليها اسم « الأرض القانونيّة ».[8]

---

(1) حساني ، م.ن ، ص. ن

(2) برونشفيك ، م.س ، 2 / 189

(3) م.ن ، ص. ن

(4) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 334

(5) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 9 / 73

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، ص.ن

(7) برونشفيك ، م.س ، 2 / 194

(8) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 6 / 133

• **أراضي الأوقاف :**

هي الأراضي التي يتنازل عنها صاحبها ، أو السّلطان إذا كان الأمر يتعلّق بأراضي الدّولة فعليّا - وهو مازال على قيد الحياة - عن حقّ الانتفاع بها ، لفائدة الفقراء والمشاريع الخيريّة ، ويمكن أن يكون المنتفعون الوسطاء أشخاصًا مهما كانوا ، أو وارثيهم حسب نظام محدّد من طرف المحبّس .[1]

وقد شكّل هذا النّوع من الأراضي انشارًا كبيرًا في المغرب الأوسط بفعل تزايد درجة التّأثير الدّينيّ في المجتمع الزيّاني ، خاصّةً عندما يتعلّق الأمر بعائداتها المالية التي تصرف على المرافق العامّة مثل: المساجد والمدارس والزّوايا .[2]

ويتكلّف بإدارة وتسيّير هذه الأراضي مجموعة من الموظّفين ، يأتي في مقدّمتهم « النّاظر » الذي يسهر على ضمان كراء واستغلال هذه الأراضي ، ومراقبتها على الدّوام ، وتحصيل ثمارها وجمع أموالها .

ويؤكّد هذه الوظيفة صاحب " المعيار" بقوله : « وسئل عن ناظر الأحباس هل يجب عليه تفقدّها أم لا ؟ فأجاب : يطوف النّاظر الحبس ، وشهوده ، وكتّابه ، وقبّاضه على ريع الأحباس أكيد ضروري لابدّ منه وهو واجب على النّاظر فيها لا يحلّ له تركه إذ لا يتبيّن مقدار غلاّتها ولا عامرها ولا غامرها إلاّ بذلك ، وما ضاع كثير من الأحباس إلاّ بإهمال ذلك .»[3]

• **أراضي الأموات :** وهي الأراضي البور التي يقطعها السّلطان لمن يحييها ويزرعها لعامّة المسلمين ، فتصبح ملكاً له ويجوز له بيعها .[4]

وقد وردت إشارة في إحدى النّوازل الفقهيّة تؤكّد ذلك ، جاء فيها : « جوابكم في مسألة رجل وجد أرضًا ... من العُبّاد مرّت عليها سنون وهي دائرة لايعلم لها مالك ، وافتتحها وخدمها وغرسها منذ أزيد من خمسين عامًا ، ثم باع ذلك إلى رجل آخر. »[5]

---

(1) برونشفيك ، م.س ، 2 / 195

(2) حساني ، م.س ، 2 / 15

(3) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 301

(4) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 7 / 34 ، برونشفيك ، م.س ، 2 / 194 -195

(5) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 5 / 116

ب) نظم استغلال الأراضي

يستند نظام استغلال الأراضي الزّراعيّة والاستفادة من محصولها إلى وثيقة عقد ، تبرم بين صاحب الأرض على اعتباره مالكا لها ، وبين العامل عليها الذي يكون طرفًا رئيسًا في الشّركة المبرمة حسب مانصّت عليه وثيقة العقد من شروط وأحكام تتّصل بنظم الاستغلال وإدارة الأرض وتوزيع المحصول .[1]

تشير إحدى النّوازل والفتاوى الفقهيّة [2] إلى بعض النّظم المتعلّقة باستغلال الأرض منها : المزارعة، والمغارسة ، و المساقاة .

- **المزارعة :** تكون بين طرفين وفي موضع معيّن ولمدّة زمنيّة محدّدة ، على أن يتّم استغلالها حسب ماورد في وثيقة العقد المبرمة بين صاحب الأرض وبين المزارع ، بعد أن قوّما كراء الأرض وعمل المزارع ، فيخرج ربّ الأرض نصف مايبذر فيها من الحبوب ، ويخرج المزارع النّصف الآخر ويخلطا الجميع ، ويتولّ المزارع تعمير الأرض : بزرّيعته ، وإجارته ، وأزواجه وآلته ، وعليه حصاده وانتقاله من الأرض المذكورة ، ودرسه حتى يصير حبًّا .[3]

ويتّم توزيع المحصول حسب ماتمّ الاتّفاق عليه في وثيقة العقد (مسألة شركة ، مسألة إيجار) ، فإن كانت إجارة كان لصاحب الأرض ثلاثة أرباع ، ولصاحب العمل الرّبع ، وإن كانت شركة تمّت مناصفةً ، وإن كان القائم عليها خمّاسا ، حصل على خمس المحصول ، والأربعة الباقية لصاحب الأرض .[4]

- **المغارسة :** وهي أن يدفع المالك أرضه إلى شخص آخر ، ليغرسها صنفًا من الشّجر أو أصنافًا يسمّيها، فمتى أثمرت وأطعمت كان ذلك بينهما مناصفةً ، وعلى العامل الغرس والحفر و الحرز والنّقش إلى ظهور صلاحها وبدء طيبها ، ولاتجوز المغارسة في : بقل و لازرع و لابصل [5] ويمنع أيضًا على صاحب الأرض من زراعة الأرض المغروسة ،لأنّه ضرر بالغرس إلاّ أن تكون هناك عادة .[6]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 143

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 8 / 137

(3) إبن مغيث م.س /262 -265

(4) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 152 - 154

(5) القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبو زيد (386 هـ / 994 م) ، النوادر والزيادات على مافي المدونة من غيرها من الأمهات ، تحقيق محمد عبد العزيز الدباغ ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1999 ، 7 / 387 - 397

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 174

● **المساقاة :** تكون بين طرفين شريكين ، أو بين ربّ الأرض وبين العامل عليها كأجير لمدّة زمنيّة محدّدة وحسب نوع الزرع أو الغرس، وهي ثلاثة أصناف : صنف أصله ثابت ، تنقطع ثمرته . فالمساقاة في ذلك جائزة في كلّ وقت ظهرت ثمرته أم لا . وصنف ثان إذا حدثت ثمرته لم يبق له أصل كالزّرع والمقثأة ؛ فالمساقاة في ذلك جائزة عند الضّرورة . وصنف ثالث لاتجوز مساقاته إذا لم ينبت وكذلك إذا نبت لأنّه لا أمد له ، كالبقول ، والموز ، والقضب ، وكل مايجذّ ويخلف . [1]

ولايجوز حسب الإمام مالك مساقاة : ماجاز بيعه ، أو جاز كراؤه ، لأنّه يترك في الأرض كراءً معلومًا ، ويرجع إلى غرز الجزء ممّا تنبت الأرض ويدع في الثمرة ثمنا معلومًا ، ويرجع إلى المساقاة فيصير أجره على جذّها ومؤنتها . [2]

أمّا عن مصادر السّقاية في المغرب الأوسط فهي متعدّدة ، وهو ماذهب إليه حسن الوزّان عند وصفه مدينة تلمسان بقوله : « وفي المدينة عدّة سقايات » [3] وحصرها ابن حوقل من خلال وصفه لمدينة برشك في الأنهار والآبار بقوله « ولها مياه جارية وآبار معين » [4] وحدّدها الونشريسي بشكل دقيق في : الأمطار ، والعيون ، والآبار ، و الأودية ، والصّهاريج [5].

و يشير القلقشندي إلى ذلك بقوله : « وهي مدينة (تلمسان) في سفح جبل ...ماؤها مجلوب من عين على ستّة أميال منها ، وفي خارجها أنهار وأشجار ويستدير بقبليها ، وشرقيها نهر يصبّ في بركة عظيمة من آثار الأوّل ، ويسمع لوقعه خرير على مسافة ، ثم يصبّ في نهر آخر ، بعدما يمرّ على البساتين ، ثم يصبّ في البحر . » [6]

---

(1) إبن مغيث ، م.س / 273 - 275

(2) القيرواني ، م.س ، 7 / 297

(3) الوزان ، م.س ، 2 / 20

(4) إبن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي (ق 4 هـ / 10 م) ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 / 78

(5) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 5 / 12 -13 – 20- 111

(6) القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ / 1418 م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922 ، 5 / 150

أما عن نظام الريّ في تلمسان ، فيوصف بالتّنظيم الدّقيق للغاية ، بحيث كان المتزارعون يتعاونون فيما بينهم على سقاية الأرض على نحو بلغ الغاية في التّرتيب ، فقد كان بتلمسان عين ماء مشتركة بين أهلها ، يسقون منها بساتينهم ومزارعهم بحصص دورية ، وبأوقات معلومة وهو ماتوضّحه هذه النّازلة :

« وسئلت من قبل القاضي بتلمسان أبي زكرياء يحي بن عبد الله بن أبي البركات : سيّدي رضي الله عنكم جوابكم في عين ماء مشتركة بين أناس يسقون منها جنّاتهم ، فمنهم من حظّه نهارًا ، ومنهم من حظّه ليلاً، ومنهم من حظّه في غدوة إلى الزّوال ، ومنهم من حظّه من الزّوال إلى العصر ، واستمرت العادة فيما ينيف على الخمسين عامًا ، فمنهم من كان يروي أرضه نهارًا ، ومنهم من يرويها ليلاً ، وفئة ثالثة كانت تروي من الغداة إلى الزّوال ، وفئة أخرى تروي من الزّوال إلى العصر ، واستمروا يزاولون هذا الإجراء لسنوات طويلة تنيف على الخمسين عامًا. » [1]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 5 / 111

ت) الإنتاج الزّراعي :

لقد كانت جودة الأراضي وخصوبتها [1] ، و تعدّد طرق ونظم استغلالها [2] ، وتنوّع مصادر المياه وأساليب السّقي[3] ، واعتناء سكّان تلمسان واهتمامهم بالنّشاط الزّراعي [4] ، عوامل مهمّة في تفسير نوعية وكمّية الإنتاج في الدّولة الزيّانية ، فمنطقة تلمسان وماجاورها من الأراضي شهدت نشاطا مكثّفًا يتّفق أغلب الجغرافيين على التّنويه بأثاره مع زيادة في الإنتاج .

- **الخضر والفواكه :**

تتوفّر زراعة الخضر والفواكه في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون ، في شكل مزارع و بساتين وجنان [5] ، حيث تشير كتب الجغرافيا إلى أنواع عدّة من الخضر منها : الجزر واللّوبيا والكرنب والبصل و الخيار والقثاء واللّفت والباذنجان والقرع وقصب السّكر ، والقنبيط والخّس والهليون. [6]

أمّا الفواكه فهي على أنواع وأذواق مختلفة مثل : العنب والتّين والسّفرجل والتّفاح والكمثري والزّعرور والخوخ والمشمش والتّوت واللّيمون والجوز والنّخيل وغيرها . [7]

وعن هذه المحاصيل يصف حسن الوزّان تلمسان بقوله: « وفي المدينة عدّة سقايات ... حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج أعنابًا من كلّ لون ، طيّبة المذاق جدًّا ،وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أر لها مثيلاً في جهة أخرى ، والتّين الشّديد الحلاّوة ، وهو أسود غليظ طويل جدًّا ، يجفّف ليؤكل في الشّتاء ، والخوخ والجوز واللّوز والبطّيخ والخيار وغيرها من الفواكه المختلفة » . [8]

ويشير يحي ابن خلدون إلى بعض المنتوجات الزّراعية التي تثمرها أرض تلمسان بقوله :

« ويوجد بخارجها...الحدائق الغلّب، بما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين من فواكه الرمّان ، والزّيتون ، والتّين ...وتنصبّ إليها من أعلى جبالها أنهار من ماء غير آسن ...ويسقي بساتينها خارجها ، ومغارس الشّجر، ومنابت الحبّ » . [9]

---

(1) إبن حوقل ، م.س / 79- 88

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 137 ، إبن مغيث ، م.س / 262 - 275

(3) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 5 / 12 -13 – 20- 111 ، عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني – حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 / 62

(4) العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد (ق 7 هـ / 13 م) ، رحلة العبدري المسمّاة الرحلة المغربية ، تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968 / 16

(5) الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 558 هـ / 1162م) ، نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د.ت 1 / 250 - 255

(6) الإدريسي ، م.ن ، 1 / 250 – 255

(7) الوزان ، م.س ، 2 / 20

(8) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 10

وأمّا تيهرت وتنّس وشرشال ومازونة ومليانة والبطحاء ووهران وغيرها من أراضي الدولة الزيّانية ، فكانت لاتختلف عن تلمسان ، بها فواكه حسنة مختلف ألوانها « والأراضي جيّدة تعطي غلّةً حسنة » . (1)
ويصف القلقشندي فواكه تيهرت بقوله : « وبها البساتين الكثيرة المونقة والفواكه الحسنة ، والسّفرجل الذي ليس له طعم أو شمّ » . (2)
ويضيف ابن حوقل ما تنتجه مدينة برشك بقوله : « ولها مياه جارية وأبار معين ، وبها فواكه حسنة غزيرة وسفرجل معنّق ،كالقرع الصّغار وهو طريف وأعناب » . (3)
أمّا النّاحية الممتدّة مابين مدينة تنّس والمسيلة فكانت هي الأخرى تنتج ما لذّ وطاب من الخضر والفواكه والتّوابل .
« ومن مدينة تنّس إلى المسيلة قرى كثيرة عبر مراحل ...لها كروم ذوات سوان ، يزرعون عليها البصل والسّهدانج والحنّاء والكمّون ، ولها كروم كثيرة ومعظمها على نهر الشّلف ، ومن التنّس إلى الشلّف مرحلتان » . (4)

- **الحبوب ومحاصيل أخرى :**

تتّم زراعة الحبوب في الأراضي الخصبة خاصّة السّهليّة منها ، كسهل تسّالة ، وسهل وادي الشلّف ، وسهل تيارت وسهول متّيجة ، بالإضافة إلى السّهول السّاحليّة الأخرى كسهل تنّس (الظّهرة) ، ووهران، وهنين ، والأراضي المحيطة بتلمسان ومن أهمّ أنواع الحبوب : القمح ، الشّعير ، الحنطة وغيرها . (5)
وحول نوعيّة وكميّة إنتاج القمح يشير حسن الوزّان إلى سهول تسّالة المجاورة لتلمسان بقوله : « أمّا مدينة تسّالة فتقع في سهل كبير يمتدّ على مسافة عشرين ميلاً ، ينبت قمحًا جيّدا جميل اللّون غليظ الحبّ يمكنه وحده أن يزوّد تلمسان بما تحتاجه من حبوب » وعن مدينة تنّس يقول : « وأمّا إقليمها فينتج الكثير من القمح » ويذكر أيضًا سهل البطحاء « في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة ، وكانت تحقّق لملك تلمسان دخلا يقدّر بعشرين ألف مثقال » . (6)

---

(1) الوزان ، م.س ، 2 / 30- 46
(2) القلقشندي ، م.س ، 5 / 111
(3) إبن حوقل ، م.س / 78
(4) الإدريسي ، م.س ، 1 / 252 – 253
(5) بوزياني ، م.س / 211 -212
(6) الوزان ، م.س ، 2 / 24- 37

أمّا حوض الشّلف وماجاوره من الأراضي الخصبة كسهول مليانة وبرشك فتنتج إلى جانب القمح ، الشّعير والحنطة والكتّان ، هذا إلى جانب المناطق الجبلية كجبل متغارة ، وولهاصة وبني يزناسن ومطغرة التي لا تنتج إلاّ الشّعير .[1]

ويذكر الوزّان مدينة برشك بقوله : « وتنتج البادية الجميلة من حولها كثيرا من الكتّان والشّعير » .[2]

وإلى جانب هذه المحاصيل تشير بعض المصادر الفقهيّة إلى زراعة القطن والقطاني والذّرة والمقاتي .[3]

فالقطن والكتّان من المحاصيل الزراعيّة الهامّة في المغرب الأوسط خاصّة في الصّناعات النّسيجيّة ، ممّا يفسّر انتشاره في عدّة مناطق ، وهو مايؤكّده حسن الوزّان بشأن سكّان مدينة ندرومة بقوله : « ويتنجون على الخصوص أقمشة القطن لأنّه ينبت بكثرة في النّاحية » .[4]

ث) نظام الرّعي وتربية الماشية :

تشير إحدى الدّراسات الحديثة [5] إلى أنّ أراضي الدّولة الزيّانية كانت في فترة من فترات تاريخها مرتعا ومرعى لمختلف الحيوانات والماشية خاصّة الأغنام والأبقار والإبل والخيول والحمير ، وتزاول من طرف القبائل التي توجد مضاربها ضمن محيط الدّولة .

ويصف ابن خلدون الحياة الرّعوية لبعض القبائل ضمن نطاق المغرب الأوسط بقوله : « ويضعن أهل العزّ منهم والغلبة لانتجاع المراعي ، فيما قرب من الرّحلة ، لايتجاوزون فيها الرّيف إلى الصّحراء والقفار الأملس ومكاسبهم الشّاة والبقر والخيل ...وربّما كانت الإبل من مكاسب أهل النّجعة منهم شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السّائمة » .[6]

ومن القبائل التي اشتهرت بتربية الماشية : قبائل بني توجين ، ومغراوة خاصّة في المرتفعات الجبليّة ، أمّا القبائل النّاجعة فأغلب حيواناهم الإبل ، بينما انحصرت تربية الخيول في المناطق السّهلية والهضاب .[7]

---

(1) الوزان ، م.س ، 2 / 33- 44

(2) الوزان ، م.ن ، 2 / 33

(3) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 145- 146

(4) الوزان ، م.س ، 2 / 13

(5) حساني ، م.س ، 2 / 32

(6) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 6 / 116

(7) بوزياني ، م.س / 21

وكثرت تربية الأبقار في المغرب الأوسط ، حيث المراعي والأعشاب ، والأراضي المستوية في الشّمال خاصّة في مدينة تيهرت وأراضي مطماطة ، بينما اشتهرت تربية الأغنام والماعز في الهوامش الشّمالية للصّحراء في الشّتاء ، و السّفوح الجنوبيّة في الصّيف . (1)

ويذكر ابن حوقل مواضع مختلفة من أراضي الدّولة الزّيانية ، ارتبط اسمها بتربية الماشية ، فيصف تيهرت بقوله :

« وهي أحد معادن الدّواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ، ويكثر عندهم العسل والسّمن » ، وهي إشارة إلى تربية النّحل ، ويشير إلى مدينة وهران وماجاورها بقوله : « وأكثر أموالهم الماشية ، ولهم منها الكثير » . (2)

وينفرد الوزّان بوصف دقيق للحياة الرّعوية لسكّان إقليم بني راشد التي لا تبعد كثيراً عن تيهرت بقوله : « يقيمون في البادية ويعيشون تحت الخيام معتنين بماشيتهم ، ولهم عدد وافر من الجمال والخيل » وأمّا عن البطحاء التي لاتبتعد كثيرا عن تلمسان ، فيصف أحد الرّعاة بقوله : « وتكاثر بقره وخيله وغنمه إلى حدّ أصبح هو بنفسه لايعرف عدد رؤوس تلك الماشية ...وأنّ له زهاء خمسمائة من الخيل ، وعشرة آلاف من الغنم ، وألفين من البقر » . (3)

---

(1) حساني ، م.س ، 2 / 39 - 40

(2) إبن حوقل ، م.س / 78 - 86

(3) الوزان ، م.س ، 2 / 26- 29

2- بعض أنواع الصّنائع والحرف

مثّلت بعض الحرف والصّنائع في المجتمع الزيّاني القاعدة الإنتاجية للمدينة ، بما كان يقدّمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية ، وذلك بإستغلال وتحويل الموادّ الأوّلية فلاحيّة كانت أو معدنيّة إلى بضائع استهلاكيّة قابلة للتّسويق ، ومن أهمّ هذه الصنائع :

أ) الصّناعات النّسيجيّة :

تعتمد هذه الصّناعة على موارد مختلفة كالصّوف ، و القطن، والكتّان ، والحرير والجلود المدبوغة على اعتبارها مادّة أوّليّة متوفّرة بشكل كبير في أراضي الدّولة الزيّانية ، وتشمل بوجه خاصّ : حياكة الملابس والزّرابي والحنابل، وصناعة الخيم و الأحذية والسّروج والعمائم والأحزمة وغيرها . [1]

وقد أثنى يحي ابن خلدون على هذه الصّناعة بتلمسان بقوله : « غالب تكسيبهم الفلاحة وحوك الصّوف ، يتغايون في عمل أثوابه الرّقاق ، فتلقى الكساء ، والبرنوس عندهم من ثماني أواقي ، والأحرام من خمس ، وبذلك عرفوا في القديم والحادث ، ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا » . [2]

ونوّه الزّهري بمكانة تلمسان في صناعة المنسوجات الصّوفيّة بقوله :

« وهي دار مملكة يعمل فيها من الصّوف كلّ شيء بديع من المحرّرات والأبدان وأحاريم الصّوف والسّفاسير والحنابل المكلكلة وغير ذلك وهذا من بديع ماخصّ به أهلها من جميل صنعهم ...ومنها يجلب لقيط الصّوف والأسيلة لسروج الخيل إلى بلاد المغرب و بلاد الأندلس » [3]

---

(1) مارسي ، م.س / 100 -101 ، الوزان ، م.س ، 2 / 14- 34 ، حساني ، م.س ، 2 / 92 – 94

(2) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 22

(3) الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ق 6 هـ / 12 م) ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت / 113- 114

فقد كان أبو زيد عبد الرّحمن بن النّجّار من كبار أرباب الحرف بتلمسان يزاول حياكة الصّوف الرّفيع في درب شاكر ، وكان أغلب هذا الدّرب له ولخدّامه ، يقصده كبار التّجّار من المشرق والمغرب للاقتناء منها، وكان يجني من بيعه لهذا الصّوف ألف دينار في اليوم الواحد [1] وانفرد جورج مارسي بوصف دقيق لخياطة وتطريز السّروج بقوله : « إلاّ أنّ الفرسان المحتفظين بتذّوق السّروج الفاخرة قد يجدون بتلمسان طرّازين أكفّاء يقومون ببسط مشبك الزّخرف المزدوج في شكل أغصان ملتفّة بالسّلك الذّهبي أو الفضيّ على جلد أو قطيفة السّروج والعمائم والأحزمة » [2] وتشير كتب التّراجم إلى وجود ورشات حرفيّة يديرها أرباب الحرف بمساعدة مجموعة من الصّبيان ، يخضع من خلالها الصّبي لفترة معيّنة حتّ يتعلّم الصّنعة، على أن تقدّم له أجرة لاتزيد عن نصف دينار كلّ شهر. [3]

---

(1) إبن مرزوق ، المناقب ، م.س / 148 - 189

(2) مارسي ، م.س / 101

(3) إبن مريم ، م.س / 38 – 39

ب) الصّناعات الفخّارية والخشبيّة :

ارتبطت حرفة الفخّار بوجود عدد من الأفران المتخصّصة في صناعة الفخّار والخزف والقرميد ، بمدينة تلمسان وضواحيها ، خاصة بالقرب من باب العقبة ، و يشير جورج مارسي إلى تراجع هذه الحرفة عمّا كانت عليه من تطور وازدهار منذ زمن طويل مقارنة بحرف أخرى كالنّسيج . [1]

ومن المؤكّد أنّ هذه الصّناعة قد تأثرت بشكل كبير من خلال فئة الأندلسيين ، الذين أدخلوا معهم إلى بلاد المغرب الأوسط صناعات جديدة كصناعة الزّليج ذو الألوان المختلفة . [2]

كما أنّ عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت في هذا العصر تركت أثارًا كبرى في تطوير الصّناعات الخشبيّة ، بما إحتاجته من أسقف ونوافذ وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفيّة ، وكانت السّقوف الخشبيّة تغشى بالقصدير والأصباغ الملّونة، والأبواب تغشى كلّها بالنّحاس الأصفر ، وكانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسيّة ونباتيّة ، وتطعم حشوات المنابر بالعاج والأبنوس والصّندل والعنّاب وأصناف الخشب العظيم . [3]

وقد برز كذلك في القرن التّاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، النّحت على الخشب بالنسبة إلى الأثاث والخزائن والصّناديق وأبواب المساجد ، ومن بين الآثار الدّالة على هذه المرحلة ثريّة مسجد تلمسان التي تعود إلى عهد يغمراسن بن زيّان(633 – 681 هـ / 1235– 1282 م) . [4] هذا إلى جانب النّحت على الجبس والزّخرفة والفسيفساء الفنيّة التي وجدت على سطوح الحجرات المبلّطة بالزّليج الملون ، وهو ماذهب إليه الحسن الوزّان في وصفه لمدينة هنين التي لايفصلها عن تلمسان إلاّ أربعة عشر ميلا بقوله : « ودورهم في غاية الجمال والزّخرفة ...أرضها مبلّطة بالزّليج الملون ، وسفوح الحجرات مزيّنة بنفس الزّليج ، والجدران مكسوّة كلّها بالفسيفساء الفنيّة . » [5]

وتعد المدرسة التّاشفينيّة آية في الزّخرفة والجمال ، إذ يصفها جورج مارسي بقوله : « ولعب التّلبيس الخزفي في الزّخرفة دورًا هامًا ...فجهّزت بالخزف محيطات الأبواب ورصف القاعات ، وتقدمت المصلى فسيفساء من المرمر تأطّرت بزخرفة ضفيريّة نباتيّة رقيقة. » [6]

---

(1) مارسي ، م.س ، ص .ن

(2) برونشفيك ، م.س ، 2 / 242 -243

(3) جمال أحمد طه ، م.س / 215

(4) حساني ، م.س ، 2 / 98

(5) الوزان ، م.س ، 2 / 15

(6) مارسي ، م.س / 55

ت) الصّناعات المعدنيّة :

هي من بين الصّناعات التي أخذت إهتمامًا خاصًّا من قبل السّلطة الزيّانية لارتباطها بالحياة المدنيّة من جهة والحياة العسكريّة من جهة أخرى ، ويعود السّبب في تطورها إلى وفرة الموارد الأوليّة في محيط الدّولة وقربها من مناجم الذّهب والزّنك و الحديد بشكل خاص . [1]

شملت هذه الصّناعة الأسلحة التّقليديّة كالسّيوف ، والرّماح ، والدّرق ، والمجانيق ، والعرّادات ، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار. [2]

كما استخدمت في مواضع مختلفة ، كمصاريع للأبواب ومقابض ومطارق لها ، إلى جانب بعض الأدوات البسيطة كالفؤوس والمحاريث والشّبابيك وغيرها . [3]

وارتبطت كذلك بسكّ العملة وصناعة النّقود من دنانير ودراهم ، بلغ عددها إثنان وثلاثون دينارًا ذهبيًّا في غاية الجودة والإتقان ، بما تحمله من أشكال هندسيّة ، وأقوال مأثورة لأسماء الملوك والسّلاطين ، وآيات من القرآن الكريم ، ومعلومات أخرى تفيد أنّها ضربت بمدينة تلمسان ، مما يؤكد وجود دار للسّكة. [4].

---

(1) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ / 1094 م) ، المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت / 70 ، الوزان الحسن بن محمد ، م.ن ، 2 / 24

(2) محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط2 ، الكويت ، 1987 / 286

(3) حساني ، م.س ، 2 / 98

(4) بوزياني ، م.س / 227 - 236

3– النّظام التّجاري

أ) تنظيم الأسواق وإدارتها

إنّ الحديث عن الحركة التّجارية في الدّولة الزيّانية يرتبط أساسًا بوضعية الأسواق وتنظيماتها في هذا العهد ، حيث تمثّل الأسواق مركزًا للنّشاط التّجاري بصوره ومراحله المختلفة.

فالأسواق هي مرآة عاكسة لحياة المدينة الاقتصاديّة وعنوان نشاطها التّجاري والصّناعي بل والاجتماعي أيضًا ، فمنذ إنشاء المدن رتّبت أسواقها ، ودعمّت ببعض المنشآت وأصبح لها تنظيمات وقواعد معيّنة خاصة بعدما تولّت الدّولة الإشراف عليها .[1]

ويتّضح من خلال ذلك ، أنّ لكلّ سوق وقت محدّد لإنعقاده ونوع معيّن من السّلع التي يختص بها ، حيث تشير بعض الدّراسات[2] إلى عدد من الأسواق الأسبوعية والموسميّة في البوادي والمدن:

كسوق سيدي بوجمعة الذي يعقد كل يوم أربعاء بمدينة تلمسان ، وسوق بني راشد الذي يعقد كل خميس ويباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل ، وكثير من المنسوجات وأشياء أخرى أقل قيمة ، كالحبال والسّروج والأعنّة وحاجيات الخيل .

كما وجد عدد آخر من الأسواق الحرفيّة مثل : سوق الخرّازين ، وسوق النّحاسيين ، وسوق العطّاريين ، وسوق الغزل والنّسيج ، وسوق الخضر والفواكه ، وسوق اللّحوم .[3]

وتشير إحدى الأبحاث[4] إلى رواج بعض الأسواق المتخصّصة في بيع العبيد السّود ، في مدينة تلمسان لفئة التّجار الأجانب خاصّة الكاتالونيّين والبنادقة والميورقيّين ، إذ يشكّلون بضاعة مربحة لتعدّد مجالات استخدامهم .

ويتحكّم في إدارة وتسيّير هذه الأسواق ، فئات التّجار على اختلاف أصنافهم ورؤوس أموالهم ، إلى جانب فئات أخرى تتكفّل بنقل وحمل السّلع ، وآخرون يحدّدون الأسعار كوسطاء بين البائع والمشتري .

---

(1) أحمد مختار العبادي ، من مظاهر الحياة الإقتصادية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، العدد 01 / المجلد الحادي عشر ، الكويت، 1980 / 157

(2) الوزان ، م.س ، 2 / 26 -27 ، حساني ، م.س ، 2 / 45

(3) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 3 / 157- 217 ، 10 / 242- 409 ، 11 / 125

(4) Dufourc Charles Emmanuel , L` Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV, Paris, 1966 / 13

ويمكن أن نميّز بين صنفين من التّجار :

تجّار صغار يزاولون تجارتهم بمفردهم ، وأغلب هؤلاء يكونون إمّا مستأجرين للدّكاكين والمتاجر، أو متجولين بين الشّوارع والأزقّة ، لاتزيد قيمة بضاعتهم عن مائتي دينار [1] وتجّار يتنقّلون بين المدن وأسواقها ، يشاركون التّجار الأجانب في البيع والشّراء ، ويوظّفون مابين مائتي دينار وخمسمائة ، وتجّار كبار يقومون برحلات نحو السّودان ودول أروبا ويحتكرون عددا من السّلع والبضائع .[2]

ولتنظيم حركة نقل السّلع والبضائع من مكان إلى آخر وجد الحمّالون ، الذين يزاولون مهامهم بترخيص من عامل المدينة ، ولهم أمين يفصل في نزاعاتهم ، كما وجد الدّلاّلون (السّماسرة) وهم عبارة عن وسطاء بين التّجار فيما يتاعونه أو يبيعونه إلى المشتري ، حيث يحمل الدّلاّلون السّلعة من دكّان إلى آخر مبتغين فيها أعلى الأثمان . [3]

وتفيد إحدى النّوازل الفقهيّة ماكان يسببه الدّلاّلون من أضرار جسيمة للباعة والتّجار ، لأنّ المشتري كان يقوم « بتقليب السّلعة في حوانيتهم قاصدًا الإشتراء ، ويرى السّلعة في المناداة أقلّ ثمنًا من التي في الحوانيت ...فيترك الإشتراء منهم ويميل إلى سلعة المناداة لدى الدّلاّلين ، وينتج عن ذلك عدم تسويق سلعهم إلاّ في آخر النّهار ، ممّا يضرّ بمصالحهم ، لأنّ التّاجر أو البائع يسعى إلى بيع سلعته في أولّ النّهار ليشتري بثمنها سلعًا غيرها . » [4]

ب) مراقبة الأسواق

تعكس أهميّة الرّقابة المفروضة على الأسواق في الدّولة الزيّانية قضايا متعدّدة ذات صلّة بحياة المجتمع وتقاليده ضمانًا للسّير الحسن للنّشاط التّجاري ، ورغبة لوضع حدّ للسّلوكات الدّنيئة الصّادرة عن بعض الباعة والتّجار ومن ذلك :

مراقبة المكاييل والموازين التي كان يستخدمها التّجار في تعاملتهم اليوميّة لوضع حدّ لطرق الغشّ والتّدليس في بيع وشراء السّلع ، وتذكر بعض المصادر عددًا من وحدات الكيل التي يستخدمها أهل تلمسان ومدن المغرب الأوسط في تعاملاتهم منها : الصّاع وهو ما يعادل أربعة أمداد نبويّة، مع العلم أن الصّاع الشّرعي يساوي أربع حفنات [5] ، أمّا الوسق ويسمّى الصّحفة فيعادل ستّون صاعًا بالصّاع النّبوي بإجماع العلماء ،

---

(1) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 215- 216 ، حساني ، م.س ، 2 / 41

(2) حساني ، م.ن ، 2 / 42 - 43

(3) مارمول كربخال (ق 10 هـ / 16م) ، إفريقيا ، تحقيق محمد حجي وآخرون ، مطبعة المعارف ، الرباط ، 1948 ، 2 / 149- 152 ، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 8 / 356 – 364 ، 6 / 78

(4) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 5 / 197

(5) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 5 / 90 ، 8 / 144

بصاع النّبي- صلّى الله عليه وسلّم -وهو مايعادل حفنة من الحبوب بكلتا اليدين مجتمعتين من ذوي يـدين متوسطتين بين الصّغر والكبر [1] ، أمّا وحدة الوزن الشّائعة فكانت الرّطل ، وكلّ رطل يساوي ستة عشر أوقية ، بينما حدّدت وحدة الأوزان الكبيرة بالقنطار ، في حين كانت وحدة وزن الذّهب هي المثقال . [2]

ويذكر الونشريسي أنّ من الباعة والتّجار من كان يلجأ إلى الغشّ والتّحايل ، ومن ثمّة يتعرض للعقوبة من جانب المحتسب أو صاحب السّوق ، ومن أمثلة الغشّ في الأسواق : بيع الخبز ناقص الوزن ، وخلط العسل الجيّد بالرّدئ والزّيت القديم بالجديد ، ومزج اللّبن بالماء . [3]

ويضيف لنا العقباني عرضًا لسلوكات الجزّارين بتلمسان بقوله : « قلت : وكذا تقرّرت ببلدنا تلمسان أنّ مايبيعه الجزّار من اللّحم يدخل في وزنه شيئًا من الكرش والمصران على قدر شدّة الثّمن وقلّته . » [4] ومن الباعة من يخلط القمح الجيّد بالرّديء ويبيعه ، ناهيك عن الغشّ في الخبز ومبيعات أخرى . [5]

ومن أجل تفعيل الرّقابة على الأسواق وتأمينها ، أسند هذا الأمر لعدد من الأمناء و محتسبي الأسواق وقد اشترط في اختيارهم لهذا المنصب جملة من الشّروط حدّدها محمّد بن أحمد بن عبدون التّجيبي بقوله :

« ويجب أن يكون المحتسب رجلاً عفيفًا ، خيّرًا ،ورعًا ، عالمًا ، غنيًّا ، نبيلاً، عارفًا بالأمور، محنّكًا ، فطنًا ، لايميل ولا يرتشي ، فتسقط هيبته ويستخفّ به ولا يعبأ به ويتوبخ معه المقدّم له. » [6]

ويبدو أنّ حكّام الدّولة الزيّانية لم يتقيّدوا بهذه الشّروط في أواخر عهدهم ، وأصبحوا يعهدون بها لأناس عاديّين لا تتوفر فيهم الكفاءة اللاّزمة لممارسة هذه المهنة ، إذ تكشف كتب النّوازل المعاصرة لذلك عن انتشار الغشّ في الأسواق والتّلاعب بالمكاييل والموازين ، وبالسّلع المعروضة في السّوق مقابل غضّ البصر من قبل ولاّة الأسواق وحصولهم على رشاوي ومنافع ماديّة من طرف التّجار وأصحاب الصّنائع . [7]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 11 / 144 ، 8 / 144

(2) برونشفيك ، م.س ، 2 / 195

(3) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 6 / 409 - 416

(4) العقباني محمد بن أحمد بن قاسم التلمساني (ت 871 هـ / 1467م) تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكروتغييرالمناكر، تحقيق ونشر علي الشنوفي ، مجلة الدراسات الشرقية ، المعهد الفرنسي داماس ، العدد 19 ، 1967 ، / 114

(5) العقباني ، م.ن / 118

(6) بروفنسال ، م.س /20

(7) العقباني ، م.س ، ص.ن

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بسبب عجزهم عن محاربة ظاهرة اللّصوصيّة التي كانت منتشرة بكثرة داخل الأسواق مستهدفة بذلك فئة التّجار ، وروّاد الأسواق . (1)

ت) نظام التّسعير في الأسواق

شكّلت ظاهرة التّسعير في أسواق الدّولة الزيّانية جدلاً فقهيًّا بين مؤيّد ورافض للفكرة ، إذ تشير بعض النّوازل الفقهيّة إلى حرمة سياسة التّسعير ، لأنّه مظلمة في حقّ التّجار والباعة في الأسواق سيّما في أوقات الغلاء لأنّ ذلك مقدّر من الله ولا دخل للإنسان فيه. (2)

في حين رأى بعض الفقهاء أنّ التّسعير واجب ، خاصّة إذا تعمّد التّجار سياسة الغلاء في أوقات الشدّة بإخراج ماعندهم من البضائع المحتكرة ومضاعفة أثمانها ، فإنّهم يجبرون على الحطّ من السّعر والالتحاق بأسعار السّوق حتّى لايضرّ ذلك بعامة النّاس . (3)

ومن بين الذين كانوا يحثّون على العمل بنظام التّسعير في أسواق المغرب الأوسط العالم والفقيه: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني بقوله : « قلت كان سيّدنا وشيخنا الجدّ الأقرب يقول : يتعيّن أن يكون التّسعير على أهل الأسواق في هذا الزّمن متّفقا عليه وتفقّدهم في كلّ لحظة فضلاً عن كلّ يوم لازم بما دانوا به من جميع المحضورات في البيع والابتياع ، ومن أخبث شرورهم وأشنع مرتكبات محذورهم أنّ الجالب إن أدركه سبب التعذّر ولو من وابل مطر أو شدّة وحل فإنّهم يعدّون ذلك عذرا لخلاء السّوق من المطعومات وغيرها ، إظهارًا منهم لفراغ ما بأيديهم من ذلك لتعذّر جلب الجالبين ومخازنهم به ملأى وما ذلك إلاّ من ترصدهما الحطيطة في السّعر لا من إخلائهم الأسواق ، فإذا حطّ لهم منه أوقية أخرجوا مختزنهم وباعوا منه الكثير مبادرة على إتيان المجلوب فيرخّص ما بأيديهم. » (4)

ويتّضح من خلال النّص أنّ العمل بنظام التّسعير كان سارياً في تلمسان ومدن المغرب الأوسط في القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين / الرّابع والخامس عشر الميلاديين، حتّى لايتجاوز التّجار حدودهم ويترصدّون الظّروف المناسبة للمضاربة والمغالاة .

---

(1) الوزان ، م.س ، 2 / 27 ، حساني ، م.س ، 2 / 49

(2) المجيلدي أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 1094 هـ / 1346 م) ، التسيير في أحكام التسعيير ، تحقيق موسى لقبال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1 ، الجزائر ، 1981 / 48 – 53 ، العقباني محمد بن أحمد بن قاسم ، م.س / 131 - 134

(3) المجيلدي ، م.ن ، ص.ن

(4) العقباني ، م.س / 135

وبما أنّ قيمة الأسعار مسألة نسبيّة قد تزيد أو تنقص ، نظرًا للتّغيرات المفاجئة والظّروف المحيطة ، فقد تأكّدت ظاهرة الغلاء في أسعار المواد الغدائيّة سيّما في أوقات المجاعة التي اجتاحت تلمسان أكثر من مرّة ، وكان من بينها المجاعة التي حلّت بها مابين (698 – 707 هـ / 1299-1307م) ، نتيجة الحصار المريني حيث نفذت الأقوات وفرغت المخازن من الطّعام وارتفعت الأسعار. [1]

ويقدّم لنا ابن خلدون وصفًا دقيقًا لهذا الوضع بقوله : « وغلت أسعار الأقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجوز حدود العوائد ، وعجز وجدهم عنه ، فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمّونه البرشالة ويتبايعون به ، مقدارًا إثنا عشر رطلاً ونصف مثقالين ونصفا من الذّهب العين ، وثمن الشّخص الواحد من البقر ستّين مثقالا ، ومن الضّأن سبعة مثاقيل ونصفا ، وأثمان اللّحم من الجيّف الرّطل من لحم البغال والحمير بثمن المثقال ، ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكّتهم ... والرّطل من الجلد البقري ميتة أو مذكى بثلاثين درهمًا ، وهرّ الدّواجن بمثقال ونصف ... والدّجاجة بثلاثين درهمًا ، والبيض الواحدة بستّة دراهم والعصافير كذلك ، والأوقيّة من الزّيت بإثني عشر درهما ، ومن السّمن بمثلها ومن الشّحم بعشرين ومن الفول بمثلها ، ومن الملح بعشرة ، ومن الحطب كذلك ، والأصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ، ومن الخسّ بعشرين درهما ومن اللّفت بخمسة عشر درهما ، والواحدة من القثاء والفقوس بأربعين درهما ، والخيّار بثلاثة أثمان الدّينار والبطّيخ بثلاثين درهما ، والحبّة من التّين والإجّاص بدرهمين ، وأستهلك النّاس أموالهم وموجودهم ، وضاقت أحوالهم. » [2]

ويضيف حسن الوزّان في وصفه لهذه المجاعة بقوله : « ودام الحصار سبع سنوات وأستفحل الغلاء إلى أن بلغ ثمن كيلو روجيو من القمح ثلاثين مثقالا ، وسكورزو من الملح ثلاثة مثاقيل ، ورطل من اللّحم ربع مثقال ، فلم يطق السّكان تحمّل مثل هذه المجاعة. » [3]

وللتّخفيف من حدّة الغلاء في الغذاء خاصّة أيّام المحن والشدّائد ، منع الفقهاء والقضاة احتكّار السّلع من قبل التّجار، وقاموا بحثّهم على إخراج القمح والشّعير وسائر الأطعمة المدّخرة وبيعها في الأسواق لحاجة النّاس إليها بسعر معقول ، كما أنّهم شدّدوا العقاب على البعض منهم إذا ماتبيّن امتناعهم عن إخراج سلعهم لبيعها ، وإن لم يفعلوا تخرج بضاعتهم وتباع قصرا ويعطى لهم رؤوس أموالهم والفائدة تفرق على

---

(1) إبن مرزوق ، م.س / 194 ، التنسي ، م.س / 130- 132

(2) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 128

(3) الوزان ، م.س ، 2 / 18

الضّعفاء تأدّيبًا لهم ، وإن لم ينتهوا عن ذلك كان الضّرب والسّجن لهم ، كما شدّدوا النّكير على متلقي السّلع في الفنادق، وألزموهم بإنزالها إلى الأسواق ليدركها الضّعيف والقويّ [1] ، وفضلا عن ذلك فقد أجاز فقهاء المغرب الأوسط التّسعير على التّجار خصوصًا إذا تجاوز هؤلاء حدودهم في البيع ، وكان الغلاء متفاحشًا [2] ، ويتحكّم في غلاء الأسعار أيضًا في غير أوقات المجاعة وظاهرة الاحتكار ، قانون العرض والطّلب ، فإذا كانت السّلعة نادرة الوجود تعمّد التّجار تخزينها حتّى يكثر الطّلب عليها وترتفع أثمانها في الأسواق [3] ،كما أنّ التّجار الذين يحتكرون الزّرع يستغلّون هذا الظّرف للزّيادة في أسعار القمح والشّعير ، أو يشترونه مباشرة من الدّور و الفنادق قبل نزوله إلى الأسواق قصد التّحكم في تسعيره [4] لذلك نهى الفقهاء عن هذا السّلوك ، ومنع الحنّاطين من شرائه في الدّور أوقات الغلاء ، لأنّه يدخل في باب المضرّة بالأسواق ، ومثلهم في ذلك مثل الطّحانين الذين يشترون القمح في الدّور ويطحنونه ويبيعونه دقيقًا للنّاس بسعر مرتفع ، لأنّهم يحتسبون في ذلك جهودهم في الطّحن . [5]

أمّا في الأوقات العادية فتشير إحدى الدّراسات إلى دور الدّلاّل في تحديد أسعار البضائع والسّلع لاتّصاله بأصحاب المهن والصّنائع من جهة ، ونظرته حول سعر المادة المعروضة في الأسواق خاصّة إذا تعلّق الأمر بمادتي الجلود ومختلف المواد المستعملة في الدّبغ . [6].

وفي بعض الحالات لا يقتصر تحديد الأسعار على المحتسب فقط ، بل يختار التّجار من له معرفة بأحوال السّوق ، وخبرة في تمّييز الجيّد من الرّديء فيحدّد لهم الأسعار ويلتزمون بها ، ولوكان ذلك مؤقتا . [7].

---

(1) العقباني ، م.س / 127-131
(2) العقباني ، م.ن / 135
(3) حساني ، م.س ، 2 / 60
(4) العقباني ، م.س / 128
(5) العقباني ، م .ن / 129
(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 9 / 120- 122 ، 5 / 220
(7) حساني ، م.س ، 2 / 65

ث) التّجارة الخارجيّة للمغرب الأوسط

كان للاستقرار السّياسي الذي شهده المغرب الأوسط في العصر الزيّاني أثره في ازدهـار وتنـشيط حركـة التّجارة به حيث شهدت أسواقه نشاطا متميّزا في البيع والشّراء ، وذلك بتشجيع كبار التّجار وصـغارهم على المشاركة في إقامة وتفعّيل الأسواق الأسبوعيّة في البوادي والمدن . [(1)]

ويتحكّم في تنشيط وتفعيل هذه الأسواق ، فئات التّجار على اختلاف أصنافهم ورؤوس أموالهم ، ويمكن أن نميّز بين ثلاثة أصناف من التّجار :

تجّار صغار يزاولون تجارتهم بمفردهم ، وأغلب هؤلاء يكونون إمّـا مـستأجرين للـدّكاكين والمتـاجر، أو متجولين بين الشّوارع والأزقة ، لاتزيد قيمة بضاعتهم عن مائتي دينار [(2)] وتجّار يتنقلون بين المدن وأسواقها ، يشاركون التّجار الأجانب في البيع والشّراء ، ويوظفون مابين مائتي دينار وخمسمائة ، وتـجّار كبـار يقومون برحلات نحو السّودان ودول أروبا ويحتكرون عددا من السّلع والبضائع . [(3)]

وتنفرد الفئة الثالثة عن غيرها بتنشيطها للتّجارة الخارجيّة ، إذ أصبحت مدن المغرب الأوسط مقصدا للقوافل والتّجار من مختلف الأقطار خاصّة القادمة من أروبا وغيرها من البلاد المسيحيّة [(4)] وقد لعبت الموانيء التّجارية دورا أساسيا في تفعيل المبادلات التّجارية عن طريق البحر الأبيض المتوسط .[(5)]

لقد كان التّجار المسيحيّون القادمون من أروبا يتمتعون بالأمن والحماية أثناء إقامتهم في موانئ المغرب الأوسط ، أو أثناء رحلاتهم البحرية متّجهين نحو هذه المناطق ، وزيادة على ذلك فقد كانوا أحرارًا في بيع سلعهم إمّا نقدا أو مقايضة على أن يلتزموا بواجبات مقابل هذه الضمانات منها الرقابة الدائمة على السلع والبضائع الواردة إلى أسواق المغرب الأوسط ، وعدم الإحتكار التجاري لسلعة معينة ، إلى جانب التقيد ببعض المحظورات المتعلقة بنوع البضائع المتبادلة ، ودفعهم للضرائب المفروضة على سلعهم للسلطة الحاكمة في تلمسان. [(6)]

---

(1) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 215- 216

(2) حساني ، م.س ، 2 / 41

(3) حساني ، م.ن، ص.ن

(4) الوزان ، م.س ، 2 / 30

- Dufourc Charles Emmanuel , op.cit . / 134 -139

(5) بورويبة وآخرون ، م.س / 479 - 480

(6) بورويبة وآخرون ، م.ن / 479 - 485

وتذكر كتب الجغرافيا والرّحلات ، عددًا من الموانئ التّي قامت بدور فاعل في الحركة التّجارية ، ومن هذه الموانئ ميناء تنّس فهو من أكبر الموانئ التي يتعدى إليها الأندلسيّون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم [1] أمّا المرسى الكبير الذي لايبعد عن وهران سوى بضعة أميال ، فهو من أشهر موانئ المغرب الأوسط، ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسّفن المحمّلة بالبضائع والقادمة من أروبا . [2]

كما كان لميناء مستغانم رغم صغر حجمه ، دورًا هامًا في استقبال منتجات أروبا لتغطية الاحتياجات الاستهلاكية للسّكان ، رغم أنّ أصحاب السّفن لا يحققون أرباحًا مهمّة لشدّة فقر السّكان . [3]

وفي مقابل ذلك عرفت مدن المغرب الأوسط على غرار مدينة تلمسان حركة تجارية نشيطة مع بلاد السّودان [4] ، فبرزت في المجتمع التلمساني عدّة عائلات مارست النّشاط التّجاري ، واشتهرت بالغنى ويسر الحال أهمّها : عائلة المقري التّي اشتهرت بتجارتها الواسعة للذّهب ، وامتلاكها لعدد من الوكالات التّجارية في الواحات الصّحراوية [5] إلى جانب عائلة النجّار التي اشتهرت بحياكة الصّوف والتّجارة فيه مع مختلف البلدان مشرقًا ومغربًا ، إضافة إلى عائلة المرازقة والعقباني وغيرها من البيوتات التي جمعت بين العلم والتّجارة في آن واحد . [6]

لقد كان هؤلاء التّجار يزاولون التّجارة بأنفسهم ، أو بواسطة مواليهم وعبيدهم وفي بعض الحالات لجأ هؤلاء إلى استئجار وكلاء ينوبون عنهم في مختلف عملياتهم التّجارية ، ســواء في السّودان أوبلاد المشــرق أو دول أروبا ، ومن الوكلاء من كان يختصّ بتاجر واحد ، والبعض منهم بعدد من التّجار حيث يستقبلون سلعهم ، وينقلونها بعد ذلك إلى المدن الدّاخلية . [7]

---

(1) إبن حوقل ، م.س / 78

(2) الوزان ، م.س ، 2 / 30

(3) الوزان ، م.ن ، 2 / 32

(4) الوزان ، م.ن ، 2 / 21 ، فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 213- 219

(5) المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1631 م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988 ، 5 / 205- 206

(6) إبن مرزوق ، م.س / 148 - 189

(7) حساني ، م.س ، 2 / 42 - 43

لقد حرص هؤلاء التّجار على تأمين مدن المغرب الأوسط تجاريًا ، وتغطية احتياجات سكّانها من البضائع والمؤن ، فيصفهم مارمول بأنهم « أناس طيبون أوفياء في تجارتهم ، معتزّون بالنّظم والحضارة وحسن التّدبير ، مهذبون مع الأجانب ، وأهم تجارتهم في غينيا حيث يحملون بضائعهم كلّ سنة ويأتون منها بالتّبر والعنبر والمسك وسنور الزّباد ورقيق السّود وأشياء أخرى من بضائع البلد ، ويتجرون بالتّبادل محققين كثيرًا من الرّبح حتّى لا تكفي رحلتان أو ثلاث ليستغني التّاجر. » [1]

ويضيف حسن الوزّان قائلاً : هم « أناس منصفون مخلصون جدّا وأمناء في تجارتهم ، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزوّدة بالمؤن على أحسن وجه ، أهم أسفارهم التّجارية هو الذي يقومون به إلى بلاد السّودان ، وهم وافروا الغنى أملاكًا ونقودًا . » [2]

---

(1) كربخال ، م.س ، 2 / 300

(2) الوزان ، م.س ، 2 / 21

رابعًا : الأوضاع الثّقافية

زيادة على كونها عاصمة سياسية للدّولة الزيّانية ، اشتهرت مدينة تلمسان ، كحاضرة علميّة وثقافية استوطنها كبار العلماء والفقهاء ، واحتضنت عددًا من المراكز والمؤسسات الدّينية والعلميّة ، وبلغت درجة كبيرة من التّطور الفكري والثّقافي ، مما جعلها تتبوأ مكانة متميّزة منافسةً بذلك مختلف الحواضر بالمغرب الإسلامي . [1]

1– رعاية الدّولة الزيّانية للعلم والعلماء

لم يقتصر سلاطين وأمراء بني زيّان على الاهتمام بالجوانب السّياسية والعسكرية للدّولة فحسب ، بل أسّسوا قواعداً وتقاليدًا راقيةً في ميادين الفكر والثّقافة تعكس إرادتهم القويّة وجهودهم المستمرة في رعايتهم للآداب والعلوم ، وعنايتهم الدّائمة بتشجيعهم للعلماء والفقهاء ، واستقبالهم من مختلف الحواضر الإسلامية .[2]

لقد كان السّلطان يغمراسن (633 – 681 هـ/ 1236-1283 م) شغوفًا بحبه للعلم والعلماء ، يبحث عنهم و يكاتبهم للقدوم إلى تلمسان ، فيقربهم إليه ويغدق عليهم بالأموال والهدايا ، يصفه التنّسي بقوله : « وله في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ماكانوا ، ويستقدمهم إلى بلده ، ويقابلهم بما هم أهله » [3]

و من هؤلاء العلماء أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنّسي [4] ظلّ السّلطان يغمراسن يكاتبه ، ويرّغبه في سكنى تلمسان فيمتنع ، يرد زائرًا ويقيم أشهرًا وينصرف إلى تنّس ، فورد ذات مرّة على تلمسان حيث إجتمع إليه طلبة العلم و فقهاؤها فبلغ خبره أمير المسلمين السّلطان يغمراسن ، فقرّر الذّهاب إليه والإجتماع به ، قال التنّسي :

« فركب بنفسه وجاء إليه ، واجتمع معه بالجامع الأعظم ومعه فقهاء تلمسان ، وقال له : ماجئتك إلاّ راغبًا منك أن تنتقل إلى بلدنا ، تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج ...فكان ذلك ، وأقطعه أمير المسلمين إقطاعات من جملتها (تيرشت) التّي أقطعت بعد إنقراض عقبه لإبني الإمام .» [5]

---

(1) يحي بوعزيز ، ماضي مدينة تلمسان وأمجادها الحضارية ، مجلة الأصالة ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1989 / 35- 36 ، الوزان الحسن بن محمد ، م.س ، 2 / 17 - 19

(2) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 319

(3) التنسي ، م.س / 247

(4) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 48 ، الحفناوي ، م.س ، 2 / 15 – 16، التنبكتي ، م .س /38 ، مخلوف ، م .س ، 1/ 218

(5) التنسي ، م.س / 126 - 127

و لم يزل يغمراسن يهتمّ بالعلماء ، ويرعى مصالحهم حتّى ذاع صيته في المغرب والأندلس وتسامع به العلماء والفقهاء، فتوافدوا عليه واستوطنوا تلمسان ، منهم خاتمة أهل الأدب [1] أبو بكر محمّد بن عبد الله بن داوود بن خطّاب الأندلسي [2] الذي انصرف من الأندلس واستقر بتلمسان ، فأحسن السّلطان نزله ومثواه ، وقرّبه من بساط العزّ وأدناه وجعله صاحب الحكم الأعلى [3] ، وفي ذلك يقول ابن خلدون :
« ووفد في جملته أبو بكر بن خطّاب ...وكان مرسلاً بليغًا ، وكاتبًا مجيدًا، وشاعرًا محسنًا ، فاستكتبه وصدر عنه من الرّسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمرّاكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنقل وتحفظ.» [4]

وكان العاهل الزيّاني ، يعقد المجالس العلميّة في قصره ويهتّم بالمذهب المالكي ويرعاه ، ونحا منحاه ابنه السّلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681 – 703 هـ/ 1282-1303 م) في تشجيع ذوي العلم والفقه ، فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه من العلماء والفقهاء والأدباء ، وأضاف لهم الشّاعر الصّوفي الكاتب المتميّز أبا عبد الله محمّد بن خميس [5] وقلّده خطّة الكتابة . [6]

أمّا السّلطان أبو حمّو موسى الأوّل (707 – 718 هـ/ 1307-1318 م) ، فقد سار على نهج سلفه في اهتمامه بالعلماء ، فخصّ إبنا الإمام [7] أبا زيد وأبا موسى بوافر الرّعاية والاعتناء [8] وقرّبهما إليه واختطّ لهما أول مدرسة في تلمسان عرفت باسمهما ، وأقاما عنده على مجرى أهل العلم وسننهم، وأختصّهما بالفتوى والشّورى .[9]

وسلك السّلطان أبو تاشفين (718 – 737 هـ/ 1318-1337 م) نهج أبيه في الإحتفاء بالعلماء وتقريبهم إليه ،كما فعل مع الفقيه أبا موسى عمران بن موسى المشذالي [10] إذ أنزله من التّقريب والإحسان

(1) التنسي ، م.ن / 127
(2) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 69 - 70 ، إبن مريم ، م.س / 227
(3) التنسي ، م.س ، ص.ن
(4) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 106
(5) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 39 – 40 ، المقري ، أزهار الرياض م.س ،2 / 301 ، إبن مريم ، م.س / 225 ، بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 447
(6) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 321
(7) أنظر ترجمتهما في : إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 516– 519 ، يحي إبن خلدون ، م.س / 71 – 72 ، الحفناوي ، م .س ، 2 / 201-213
(8) المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 216
(9) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 133 -134-516 ، التنسي ، م.س / 139
(10) أنظر ترجمته في : التنبكتي ، م .س / 350- 352 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 220، الحفناوي ، م .س ، 1 / 73-76

بالمحلّ المكين ، واتّخذه مدرّسًا بتلمسان .[1]

وكذا مع الفقيه أبي العبّاس أحمد بن عمران البجائي [2] وقاض الجماعة أبو عبد الله محمّد بن منصور[3] حيث قلّده السّلطان مع قضائه كتابة سرّه « وأنزله من خواصّه فوق منــزلة وزرائه ، فصار يشاوره في تدبير ملكه ، فقلّما كان يجري شيئًا من أمور السّلطنة إلاّ عن مشورته ، وبعد استطلاع نظره » .[4]

و لم يقتصر إهتمام أبو تاشفين بن أبي حمّو الأوّل (718 – 737 هـ/ 1318-1337 م) بجمع العلماء والاعتناء بهم فحسب ، بل تعدّى حرصه إلى إقامة المجالس و تفعيل المناظرات العلمية والأدبية في قصره ، في حضوره الخاص وسط كبار العلماء والفقهاء ، وصغار الطّلبة للاستفادة والإفادة . [5]

و لم يتغيّر الوضع في عهد أبي حمّو موسى الثّاني (760 – 791 هـ/ 1359-1389 م) ، بل كان اعتناؤه بالعلم وأهله أشدّ وأقوى من ذي قبل ، لما إمتاز به من إلمام بالعلوم واستعداد للمساهمة في النّشاط الأدبي ونظم الشّعر ، فحضيّ العلماء والطّلبة بعطفه وتشجيعه ، ونال الكتّاب والشّعراء من عطائه وكرمه ، فكان عهده عهد ازدهار علميّ وأدبيّ وتقدّم ثقافي [6] ،فهو الذي استدعى أبا عبد الله الشّريف التّلمساني [7] في أوّل إمارته بعد أن سئم المقام بفاس ، واشتاق إلى ذويه وموطنه بتلمسان ، فأصهر له في ابنته وزوّجها إيّاه ، وبنى له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه يعقوب وعمّيه أبي سعيد وأبي ثابت ، وعهد له بالتّدريس فيها . [8] وقرّب إليه أبو عبد الله محمّد بن أبي جمعة الشّهير بالتّلاليسي [9] واتّخذه شاعرًا من شعراء بلاطه ، وطبيبًا خاصًا للقيّام بصحّته . [10]

---

(1) المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 223

(3) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 51 - 52 ، إبن مريم ، م.س / 225 ، بوروبية وآخرون ، م.س 3 / 447 - 448

(4) النباهي أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ت ق 08 هـ / 14 م) ، تاريخ قضاة الأندلس ، المعروف بإسم المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط 5 ، بيروت ، 1983 / 134

(5) عن بعض هذه المجالس العلمية والفقهية أنظر :

المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 218 – 219 ، أزهار الرياض ، م.س ، 5 / 18 – 19، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 6 / 361 – 362

(6) حاجيات ، م.س / 159 - 229

(7) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، إبن مريم ، م.س / 117 -120 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 234 ، بوروبية وآخرون ، م.س 3 / 442

(8) إبن خلدون ، ، م.س ، 7 / 537

(9) أنظر ترجمته في : المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 1 / 247 ، يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، إبن مريم ، م.س / 117 -120 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 234 ، بوروبية وآخرون، م.س 3 / 442

(10) بوروبية وآخرون ، م.س 3 / 448 ، شاوش ، م.س / 500

لقد تألّق السّلطان أبو حمّو موسى الثّاني (760 – 791 هـ/ 1359-1389 م) كشاعر وأديب يقرض الشّعر ، ويحبّ أهله ، وبرز ككاتب ومؤلّف ، له تصنيف حسن في السّياسة ، لخص فيه " سلوان المطيع " لابن المظفّر ، وزاد عليه فوائد ، وأورد فيه جملة من نظمه ، وأمور جرت له مع معاصريه من ملوك بني مرين وغيرهم ، وصنّفه برسم وليّ عهده أبي تاشفين ، (791 – 795 هـ/ 1389-1392 م) وسمّاه ، "واسطة السّلوك في سياسة الملوك " وقد أودع فيه آراءه السّياسية وضمّنه قصائده الشّعرية . (1)

كما كانت له مجالس خاصّة يحضرها كبار العلماء وفحول الشّعراء ، تناقش فيها قضايا العلم والفقه والأدب والسّيرة النّبوية ، وكان له فيها رأي محمود ونقد بنّاء (2) ، ساهم في تأسيس مكتبة عامّة بالجامع الكبير بتلمسان سنة (760 هـ/ 1359 م) ضمّت مختلف الكتب النّفيسة الموجّهة للطّلبة والفقهاء. (3)

وكان السّلطان أبو زيّان محمّد الثّاني (796 – 801 هـ/ 1394-1399 م) كوالده شاعرًا ، وكاتبًا ، وعالمًا ، ومؤلّفًا شجّع على التّأليف ونسخ الكتب واقتنائها وحبسها بخزانته التّي شيدّها بالجامع الأعظم بتلمسان سنة (796 هـ/ 1394 م) ، قال بشأنه التنّسي : « فأقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع في نظم مجالسها ، وأوضح لأهل الأبصار والبصائر رسمها ، وأثبت في رسوم التّخليد وسمها وإسمها . » (4)

وكان له حظّ في التّأليف والنّسخ حيث نسخ بيده نسخة من "صحيح البخاري" و"المصحف الشريف" ، وكتاب" الشّفا " للقاضي عيّاض ، وألّف كتابًا في التّصوف سمّاه " الإشارة في حكم العقل بين النّفس المطمئنّة والنّفس الأمّارة "، وكان يحتفل هو الآخر بالمولد النّبوي - صلّى الله عليه وسلم - احتفال أسلافه الكرام بالمديح والأشعار. (5)

أمّا السّلطان أبو العبّاس أحمد العاقل (834 – 866 هـ/ 1431-1462 م) فكان يجالس العلماء وأهل الفضل والصّلاح ، ويشجّعهم على التّصنيف ويحضر دروسهم ومحاضراتهم ، ويزورهم بمنازلهم ويمشي وراء جنائزهم . (6)

---

(1) المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 1 / 245 ، حاجيات ، م.س / 185- 186
(2) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 323
(3) شاوش ، م.س / 400
(4) التنسي ، م.س / 211
(5) التنسي ، م.س ، ص.ن
(6 فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 324

وثبت أنّه حضر جنازة العالم والفقيه ابن مرزوق الحفيد سنة (842 هـ/ 1438 م) [1] ، وصلّى كذلك بالجامع الأعظم على جنازة العالم قاسم بن سعيد بن محمّد العقباني . [2]

و بنى مدرسة بزاوية أبو علي الحسن بن مخلوف أبركان [3] ، وأوقف عليها أوقافًا جليلة ، وأجرى الوظائف على أزيد ممّا كانت عليه قبل [4] ، ونبغ في عهده أئمّة وفقهاء كثيرون نذكر منهم :

أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن يحي الحبّاك [5] ، أحمد بن محمّد بن زكري المانوي [6] ، علي بن محمّد بن علي القرشي الشّهير بالقلصّادي [7] وعدد آخر ممن عاشوا بمدينة تلمسان ، وفي غيرها من حواضر المغرب .

وبصورة عامة فقد شهد عهده استقرارًا نسبيًا ورخاءً ، ازدهرت خلاله الحياة الفكرية ، وكثر الإقبال على طلب العلم والمعرفة ، وبلغت المشاريع الدّينية والتّعليمية ذروتها . [8]

---

(1) التنبكتي ، م .س / 499 -505، إبن مريم ، م.س / 201- 214 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 124-136

(2) إبن مريم ، م.س / 147 – 149 ، الزركلي م.س ، 5 / 176 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 85-87

(3) أنظر ترجمته في :

إبن مريم ، م.س / 74 -93 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 131-132 ، التنبكتي ، م .س / 161 ، مخلوف ، م .س / 262

(4) التنسي ، م.س / 24

(5) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 219

(6) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 38- 41 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 38-41 ، بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 445

(7) أنظر ترجمته في : بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 452

(8) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 537

2- المؤسسات التّعليمية في العهــد الزيّانــي

شكّلت المؤسسات التّعليمية على اختلاف أنماطها دورًا هامًّا في بعث الحركة الفكرية ، وإقبال الكثير مــن الطّلبة على اقتناء العلوم المختلفة من نقليّة وعقليّة واتقانها ، وكان سلاطين بني زيّان يولّون أهل العلم رعاية خاصّةً ويمنحون الطّلبة مايساعدهم على تحمّل أعبــاء دراســتهم ، فخصّــصوا لهــم الأرزاق والجرايــات ، وأنشؤوا المكتبات العامّة في المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات العلمية .[1]

أ) المــدارس :

لم يظهر نظام المدارس في مدينة تلمسان إلاّ في مطلع القرن الثّامن الهجري / الرابع عشر المــيلادي ، وقــد تأخر وجودها عن بلاد المشرق بنحو قرنين ، وعن إفريقية والمغرب الأقصى بنحو نصف قرن من الزّمن [2] ويعزى هذا التّأخر ، إلى الحركة العلمية التي كان يصدّرها المشرق الإسلامي إلى باقي الأقاليم الإسلامية منذ الفتح الإسلامي ، وانتظار المغرب الإسلامي مايأتيه منها .[3]

احتوت الدّولة الزيّانية على عدد هام من المدارس شيّد بعضها سلاطين بني زيّان طيلة فترة حكمهم[4] ،

---

(1) بوروبية وآخرون ، م.س 3 / 159

(2) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 324

(3) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 548

(4) من أهم هذه المدارس :

* مدرسة ابني الامام : وهي أوّل مدرسة أسست في تلمسان ، أمر ببنائها السّلطان أبو حمّو موسى الأوّل، في أوّل عهــده ســنة (710 هـــ/ 1310 م) تكريما للعالمين الفقيهين أبي زيد عبد الرحمن وأخيه الأصغر أبي موسى عيسى . أنظر حول هذه المدرسة :

إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 517 ، التنسي ، م.س / 139

-Rachid Bourouiba ,L`art religieux musulman en Algerie , S.N.E.D,Alger, 2`eme, édition 1981 / 197

-Atalla Dhina , Les Etats de l`Occident musulman aux XIII , XIV, et XV`eme ,siécle , édition , O.P.U- ENAL., Alger, 1984 / 316

*والمدرسة التّاشفينية : ثاني مؤسسة زيّانية أسست بالمغرب الأوسط ، بناها السّلطان أبو تاشفين بن أبي حمّو موسى الأوّل (718 – 737 هـــ/ 1318-1337 م) ، إزاء الجامع الأعظم . أنظر حول هذه المدرسة :

يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 434 – 435 ، التنسي ، م.س / 141

*والمدرسة اليعقوبية : أنشأها السّلطان أبو حمّو موسى الثّاني (760 – 791 هـ/ 1359-1389 م) سنة (765 هـ/ 1363 م) على ضريح والده أبا يعقوب . أنظر حول هذه المدرسة :

المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 216 يحي إبن خلدون ، م.س ، 2 / 104 ، إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 537

- Marcais Georges, L`Architecture musulmane de d`occident , paris , 1955 /265.

وبعضها ملوك بنو مرين لّمـا استولوا على تلمسان [1] ، كما ساهم أثرياء المسلمين ببناء عـدد آخـر [2] ، وكانت مدينة تلمسان وحدها تحوي خمس مدارس أشاد بها الوزّان في قوله :

« وخمس مدارس حسنة ، جيّدة البناء ، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية » [3] ، ويصفها إبن مرزوق الخطيب وصفًا جميلاً بقوله : « وكلها - أي المدارس - قد إشتمل على المبـاني العجيبـة والـصنّاع الغريبة ، والمصانع العديدة والإحتفال في البناء والنقش والجص والفرش على إختلاف أنواعـه مـن الـزلّيج البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش والمياه النميرة . » [4] و فيما يتصل بهندستها فقد ذكر:

« أنها مختلفة الأوضاع بحسب البلدان » [5] .

و لم تكن هذه المدارس مقتصرة على حاضرة تلمسان فقط بل انتشرت كذلك في باقي المدن الزيّانية مثـل : مازونة [6]، والجزائر [7]، ووهران [8] وغيرها .

وتكشف بعض النّوازل المدرجة في كتاب المعيار[9] أنّ السّلطة كهيئة سياسية لم تكن مهتمّة رسميًا بالمدارس

---

(1) من أهم هذه المدارس :

* مدرسة العُبّـاد : أمر ببنائها السّلطان أبو الحسن عليّ بن أبي سعيد عثمان المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) سنة (748 هـ/ 1347 م) بعدما استولى على تلمسان سنة (737 هـ/ 1336 م) ، وهي بالقرب من مسجد ضريح الشيخ أبي مدين شعيب بالعُبّاد . أنظر حول هذه المدرسة :

إبن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 / 460 ، إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 529 ، الوزان ، م.س ، 2 / 24 ، الميلي ، م.س ، 2 / 491 ، الحريري ، م.س / 112

* مدرسة سيدي الحلوي :

وهي ثاني مدرسة مرينية تؤسس في مدينة تلمسان الزيّانية ، بناها السّلطان أبو عنان فارس المريني بعد استيلائه على تلمسان سنة (754 هـ/ 1344 م) . أنظر حول هذه المدرسة : إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، م. س / 303 - 306

- Marcais Georges L`Architecture ,op.cit /

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 242

(3) الوزان ، م.س ، 2 / 19

(4) إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، م. س / 303

(5) إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، م. ن / 406

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 242

(7) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 406

(8) الغنيمي عبد الفتاح مقلد ، موسوعة المغرب العربي ، ، القاهرة ، ط 1 ، 1994 ، 5 / 178

(9) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 7- 10 ، 215 – 264 ، 351 – 369 ، 12 / 58

من حيث اسبال النفقات عليها ، والالتزام التّام بمواردها ، وترتيب الجرايات المنتظمة على موظفيهـا ، بـل تركت كل ذلك إلى نظام الوقف ، الذي يلزم المدرسة صرف رواتبها تبعًا لشروط المحبّس .

وزيادة على ذلك تعتمد في تمويلها على الاعانات التي تأتي من المحسنين التجار ، والعلماء وميسوري الحـال ومن السلطان والأمراء .[1]

وقد تأرجح مستوى المعيشة لموظّفي المدرسة من العلماء والفقهاء تبعًا لغلاّت الأحباس ، وكذا للمشرفين عليها ، ففي زمن الفقيه العالم أبو عبد الله الشريف التلمساني [2] ، الذي تقلّد التدريس في المدرسة اليعقوبية « كان الطلبة في وقته أعزّ الناس ، وأكثرهم عددًا ، وأوسعهم رزقًا » [3]، بينما قلّ نصيبهم في زمـن حسـن الوزّان ، حتى وصفـهم بأنـهم « أفقر الناس ، يعيشون عيشة بائسة في مدارسهم » [4] نظرًا لتوقف موارد المدارس من الأحباس .

وقد تولى التّدريس بهذه المدارس عدد كبير من العلماء الذين طبقت شهرتهم الآفاق ، وتخرّج عليهم عشرات الطّلاب ، في مختلف المعارف والعلوم ؛ ويؤكدّ ذلك صاحب كتاب " البغية " بقوله : « و بتلمسان خلق كثير ، ينتحلون العلم كبيرًا وصغيرًا بلغ كثير منهم مقام التّدريس و الفتيا ببجاية ، درس ونظر . » [4]

ومن هؤلاء عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله بن الإمام أبوزيد وأخيه الإمام العلاّمة أبو موسى عيسى ، ابني الإمام التلمسانين المشهورين شرقًا وغربًا .[5]

نوّه بخصالهما ومكانتهما العلمية أبو العبّاس أحمد الونشريسي وقال في حقهما : « وأمّا بنو الإمام فأعلاهم طبقة الشّيخان الرّاسخان ، الشّامخان ، العالمان ، المفتيان ، الشّقيقان ، الفقيه العلامة آخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الانصاف شـرقًا وغـربًا أبوزيد ، والعلاّمة النظّار آخر أهل النّظر ، وجامع أشتات المعارف أبو موسى ، إبنا الإمام . » [6]

---

(1) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1/ 141

(2) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، إبن مريم ، م.س / 117 -120 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 234

(3) التنبكتي ، م.س / 434

(4) الوزان ، م.س ، 2 / 21

(5) يحي إبن خلدون ، م.س / 7

(6) الحفناوي ، م .س ، 2 / 205 ، التنبكتي ، م .س / 248

ويبدو أنّ التّربية العلمية التّي تلقّاها سلاطين بني زيّان ، واهتمامهم بالعلم والعلماء وغيرها من المناقب التّي انفردوا بها ، شكّلت الرّكيزة الأساسية في تفعيل دور المدرسة والقيام برسالتها في هذا المـجال ، فقد كان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول (718 – 737 هـ/ 1318-1337 م) مـؤثّرا للعلمـاء والأدبـاء ، ينـزلهم منازل تليق بمقامهم ، مغدقًا عليهم الأموال والصّلات ، وفد عليه بتلمسان الفقيـه العـالم المتفـنّن قاضي الجماعة أبو موسى عمران المشذالي [1] ، من أكبر فقهاء عصره بمذهب مالك ، فأكرم منـــزله وأدام المسيرة به وألحقه بجانبه وولاّه التّدريس بمدرسته ، فدرّس الحديث والفقه والأصلين والنّحو والمنطق والجدل والفرائض وغيرها من العلوم النّقلية والعقلية ، وكان كثير الاتّساع ومديد الباع فيما سواهما . [2]

وإلى جانب المشذالي ، فقد حرص سلاطين بني زيّان على تعيين كبار العلماء والفقهاء ضمن هيئة التّدريس نذكر من بينهم : العالم والفقيه سعيد بن محمّد العقباني [3]، وأبو عبد الله محمّد المقري [4] ، و إبن مرزوق الخطيب [5] وأبوعبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني [6] ومحمد بن العبّاس التلمساني [7] وغيرهم من عيون العلماء ممّا لايحصى عددهم لعبوا جميعًا دورًا هامًّا ضمن هيئة التّدريس ، وخلّفوا تلاميذًا نبه ذكرهم وذاع صيتهم في الأقطار.

والحق أنّ المدارس في العهد الزيّاني على غرار مدارس المغرب الاسلامي ، قد اضطلعت بأدوار هامّة في نشر التعليم السنّي المالكي ، بإشراف الفقهاء والدّولة في المدن والبوادي منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، في الوقت الذي بدأت فيه الحركة الصوفية تتزايد وتتسع رقعتها مهيمنة على عقول الناس وعلى التعليم العام والاحترافي في الزوايا التي لاتراقبها الدّولة . [8]

وقد ساعد نظام المدرسة ومجانية التعليم والاقامة على استقبال عدد كبير من الطلبة ، قدموا إليها من مختلف الفئات الإجتماعية ومن المدن والبوادي ، لما توفره الدّولة من إعانة وإقامة وتدريس . [9]

---

(1) أنظر ترجمته في : التنبكتي ، م .س / 350- 352 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 220، الحفناوي ، م .س ، 1 / 73-76

(2) التنسي ، م.س / 141 ، المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 216 ، التنبكتي ، م .س / 350- 352

(3) أنظر ترجمته في : مخلوف ، م .س ، 1 / 250 ، الحفناوي ، م .س ، 2 / 153- 154

(4) أنظر ترجمته في : المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 223 ، التنبكتي ، م .س / 420 ، مخلوف ، م .ن ، 1 / 232

(5) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.ن ، 1 / 50 -51 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 136- 144 ، إبن مريم ، م.س / 184 – 190

(6) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، إبن مريم ، م.س / 117 -120 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 234

(7) أنظر ترجمته في : الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 148 ، القلصادي ، م.س / 109 ، إبن مريم ، م.س / 223 ، التنبكتي ، م .س / 547 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 264 ، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، بيروت ، 1980 / 77 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 778

(8) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 349

(9) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 237 – 239 ، 266 – 267

ب) المـــساجد والزّوايا :

لم يكن التعليم في حواضر المغرب الأوسط ومدنه حكرًا على المدارس فقط ، بل كان نطاقه أوسع من ذلك فقد كانت المساجد والزّوايا معاهدًا علمية مساعدة ومكملة للمدارس الكبرى ، فيها يتلقّى الطّلبة المبـــادئ الأوليّة للعلوم ، وينال العامة نصيبهم من العلم والثقافة . (1)

لقد حرص الزيانيون على بناء المساجد في المدن والقرى ، وكانوا أكثر عناية بها ، يجدّدون ما دثـــر منـــها ، ويقيمون عليها الأحباس الكثيرة ، خاصة بعد انتشار تيار التصّوف وظهور الزّوايا . (2)

وتذكر إحدى الدراسات (3) أنّ عدد مساجد مدينة تلمسان في عهدها الزاهر أناف على الـــستين مـــسجدًا (4) كدلالة على تقدم الحضارة والعمران بالمغرب الأوسط .

---

(1) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 437 – 438

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 237

(3) فيلالي ، تلمسان ، م.س، 1 / 148 ، الجيلالي ، م.س ، 2 / 252

(4) وكان من أبرز هذه المساجد والزوايا على سبيل المثال لا الحصر :

* مسجد سيدي أبي الحسن :

أسّسه السّلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681 – 703 هـ/ 1282-1303 م) ، سنة (696 هـ/ 1296 م) . للتفصّيل أنظر :

حاجيات ، م.س / 59 ، بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 496

-Rachid Bourouiba , op.cit . / 19 ، Marcais Georges L`Architecture ,op.cit / 272

* مسجد أولاد الإمام :

أمر ببنائه السّلطان أبو حمو موسى الأول (707 – 718 هـ/ 1307-1318 م) ، في أوّل عهده سنة (710 هـ/ 1310 م) .

للتفصّيل أنظر : حاجيات ، م.س / 59 ، فيلالي ، تلمسان ، م.س، 1 / 147، بورويبة وآخرون، م.س ، 3 / 497

*مسجد وزاوية المنصورة :

شرع في بنائه السّلطان أبو يعقوب بن عبد الحق وذلك سنة (702 هـ/ 1302 م) ، وأضاف إليه زاوية على ضريح والده .

للتفصّيل أنظر : إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، م. س / 402 -404 ، حاجيات ، م.س / 62 – 67 ، صالح بن قربة ، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 / 115 – 116

* مسجد وزاوية سيدي أبي مدين :

شيّدهما السّلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة (739 هـ/ 1339 م) بقرية لعبّاد ، وأعطاهما اسم ضريح الولّي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسن الغوث .

للتفصّيل أنظر : إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، م. س / 402 -403 ، إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 528

* مسجد وزاوية سيدي الحلوي :

تمّ بناء هذا المسجد إلى جانب مدرسة وزاوية بأمر من السّلطان المريني أبي عنان فارس ضمن مشروعه المعماري الكبير بعد استيلائه على تلمسان سنة (754 هـ/ 1344 م) . للتفصّيل أنظر :

إبن مريم ، م.س / 184 – 190 ، فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 148 ، الحريري ، م.س / 125 -131 ، بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 438 – 503

*مسجد وزاوية سيدي إبراهيم المصمودي :

أنشأهما السلطان أبو حمّو موسى الثاني (760 – 791 هـ/ 1359-1389 م) سنة (765 هـ/ 1363 م)

للتفصّيل أنظر : يحي إبن خلدون ، م.س ، 2 / 104 ، فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 1 / 147 ،بورويبة وآخرون ، م.ن ، 3 / 497

لقد امتازت هذه المساجد بالبناء الجميل ، احتوت على قاعة للصّلاة وعلى أروقة ، وصحن ، وصومعة ، وفناء [1] ، أمّا من حيث هندستها فقد كانت أحسن حالاً من تلك التي في القرى ، حيث كان يفرض على ساكينيها بناء مسجد للصّلاة ، وإيجاد مؤدب لأولادهم . [2]

ومن حيث الأداء الوظيفي كان يقوم على المسجد مجموعة من لموظفين ، يأخدون رواتبهم من السّلطان[3] ، أو ممّا تدر به الأحباس الموقوفة عليه ، مثل العقارات والحوانيت وغيرها ، وهو الغالب الأعّم .[4]

و قد أشارت احدى المصادر التاريخية إلى وظيفة المؤدب [5] ، وهو المعلم الذي يقوم بتعليم الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن الكريم للصبيان ، أمّا المفسّر [6] فيتولى تفسير القرآن الكريم ، ويشترط فيه أن يكون من كبار العلماء وحفاظهم ، ويكلّف المدّرس [7] بتدريس العلوم الشرعية من التفسير و الفقه والحديث و النّحو والتصريف ، ونحو ذلك. [8]

أمّا عن العلوم المدرّسة ، فغالبًا ماتكون مواد شرعية كعلم التفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوحيد والقراءات ، وأصول الدّين ، والفرائض ، واللّغة والنحو .[9]

وكان للعلوم العقلية كذلك نصيبًا وافر ضمن العلوم المدرّسة ، فقد أجاز الشيوخ قراءة الحساب بالمسجد [10] ، وتعلم الهندسة، والمنطق ، والجدل ، والجبر ، والمقابلة ، والطب [11] .

وقد استوعبت مساجد الدّولة الزيّانية ماسبق ذكره من العلوم ، ولم يقتصر حضورها على طلبة تلمسان فقط ، بل كثير من الطلبة يأتونها طلبًا للعلم والاجازة من فاس ، وبجاية ، وبلاد افريقية [12] .

---

(1) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 402 ، التنسي ، م.س / 125

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 1 / 139

(3) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 7 / 156

(4) التنسي ، م.س / 211

(5) المازوني يحي بن موسى بن عيسى المغيلي (883 هـ/ 1478 م) الدّرر المكنونة في نوازل مازونة ، (مخ ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، ج2 رقم 1336) ، 2 / ورقة 48 ض ، ورقة 49 و

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 05

(7) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 7 / 215 - 216

(8) القلقشندي ، م.س ، 5 / 464

(9) خالد بن حامد الحازمي ، أصول التربية الاسلامية ، دار عالم الكتب ، ط 1 ، 2000 / 305

(10) العقباني ، م.س / 44

(11) ابن مريم ، م.س / 67 ، 237 ، 246

(12) ابن مريم ، م.ن / 67 ، 119

ويعود ذلك إلى مستوى الشيوخ والمدّرسين وصدور العلماء ، أمثال أبي اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي[1] الذي كان مجلسه بالجامع الأعظم يتّسع للكثير من الفقهاء ، يحضرون دروسه ويتعلّمون منه [2] وقد تخرّج على يديه مالا يحصى من الطلبة والعلماء . [3]

وانفرد ابنه عبد الله [4] بمعرفته لطرق التعليم المختلفة ، واستيعابه لعلوم عصره ، حتى لم يكن في المغرب أكثر اجتهادًا منه في الاقراء وانتفاع الطلبة ، وارتحلوا اليه من الآفاق. [5]

كما درّس فيه كل من الحسن بن مخلوف أبركان [6] ، والشيخ إبن زاغو [7] ، وغيرهم من كبار العلماء وأعيان الفضلاء ، بكل كفاءةٍ واقتدار .

وإلى جانب الأساتذة وكبار العلماء المدّرسين ، فقد ساهمت خزائن الكتب والمخطوطات المسجدية في توفير المادّة العلمية للطلبة وعامة المسلمين وفي معظم الأوقات [8] ، بالمطالعة أو باعارتها خارج المسجد ، لبيوت الطلبة أو لعموم الناس ، للقراءة أو النسخ . [9]

لقد كان المسجد فعلاً مؤسّسة تعليمية رائدة ، ساهمت وبكل جدارة في تعليم المجتمع وتربيته ، وترقية العلوم وتوريثها ، وسمح بتخريج واجازة كبار العلماء والفقهاء .

---

(1) أنظر ترجمته في :
يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 48 ، الحفناوي ، م.س ، 2 / 15 – 16، التنبكتي ، م .س /38 ، مخلوف ، م .س ، 1/ 218
(2) التنسي ، م.س / 126 - 127
(3) ابن مريم ، م.س / 67
(4) أنظر ترجمته في : التنبكتي ، م .س /225 ، مخلوف ، م .س ، 1/ 234 ، ابن مريم ، م.س / 117
(5) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، ابن مريم ، م.س / 67
(6) أنظر ترجمته في :
إبن مريم ، م.س / 74 -93 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 131-132 ، التنبكتي ، م .س / 161 ، مخلوف ، م .س / 262
(7) أنظر ترجمته في :
مخلوف ، م.س ، 1 / 254 ، إبن مريم ، م.س / 41 - 43 ، التنبكتي ، م.س، م.س / 118 ، الزركشي ، ، م.س، م.س / 140
(8) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 1 / 136 ، 7 / 294
(9) الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 7 / 37

3- نظام التعليم في العهد الزياني

لعبت المؤسسات التعليمية على اختلاف أنماطها دورا هاما في الحركة الفكرية والنّشاط العلمي ،ضمن المهام المسندة للقائمين على وظيفة التّدريس والتعليم (1) ، على أن يتمّ ذلك وفق مراحل متتالية ، تكون المرحلة الأولى بدخول الطفل إلى الكُتّاب أين يتلقّى المبادئ الأولى للعلوم ، كتعلم الكتابة والقراءة ، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم ، والحديث الشريف (2) ، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله :

« اعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعار الدّين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ،لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث ...وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشدّ رسوخًا وهو أصل لما بعده . » (3) .

وعلى الرّغم من نجاح هذه العملية في مختلف مساجد المغرب الأوسط ، وتكفّل الأولياء بنفقة التعليم على حسابهم الخاص ، إلاّ أنّ عبث الصّبيان الصغار الذين لايتحفّظون من النجاسة وطيش أعمالهم، جعل الفقهاء يفتون بمنع تعليمهم في المساجد احتراما لأماكن العبادة وقدسيتها ، فظهرت الكتاتيب منفصلة عن المساجد ، وأصبحت خاصة بتعليم الصّبيان . (4)

وقد ثبت ذلك في نازلة سئل عنها سيدي عبد الله العبدوسي فأجاب بقوله : « لا يجوز للمعلمين إقراء الصّبيان لا في المسجد ولا في صحنه ، ولا في كلّ موضع يحكم له فيه بحكمه ، وسواء كان ذلك عامرا أو خرابا ، إذ خرابه لا يسقط حرمته ، وأمنعوا المعلمين من ذلك أشد المنع ... » (5) .

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 215- 216
(2) برونشفيك ، م.س ، 2/ 375 ، الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 7 / ص.ن
(3) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 740
(4) الأهواني أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، 1968 / 87
(5) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 7 / 83

ولتكريس السّلوك الحسن والتربية الخلقية أصبح المؤدّب (المعلم) مكلّف بالسّهر على مختلف العمليات التعليمية والتربوية تجاه الصّبي وطريقة معاملته ، وقد أجاز الفقهاء تأديب الصّبيان ومعاقبتهم بدنيًا شريطة أن لايبالغ المعلم في ذلك ، رفقًا بهم نظرًا لصغر سنهم ، وضيق عقولهم وقلة مداركهم .(1)

وقد أشار ابن سحنون إلى بعض طرق وأساليب العقاب ، بضرب الصبي الذي ارتكب الخطأ وتأديبه بلوحة الكتابة أو بالعصا ، وإذا كانت الحالة أخطر لجأ المعلم إلى ضربه بالسّياط ، أو على باطن قدميه ، وغالبا ماينجر عن مثل هذه العقوبات انعكاسات سلبية لاتخلو من الخطورة ، كعدم الانتباه ، والإفراط في التّحصيل العلمي .(2)

وحذّر محمد ابن أبي زيد المعلّم في متعلّمه والوالد في ولده من الاستبداد في التأديب بقوله : « لا ينبغي لمؤدّب الصّبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا » ، ومن كلام عمر رضي الله عنه : « من لايؤدبه الشّرع لا أدبه الله » ، حرصا على صون النفوس عن مذلّة التأديب وعلما بأنّ المقدار الذي عينه الشّرع لذلك أملك له ، فإنّه أعلم بمصلحته .(3)

وبوصول علماء الأندلس إلى المغرب الأوسط ، وعودة بعض شيوخ تلمسان من المشرق وإفريقية وامتهانهم التّعليم، طرأ تغير واضح في المنهج الدراسي والمواد المدرّسة في المؤسسات التعليمية ، ويظهر ذلك في بعض المواد الجديدة الموجّهة للصّبيان كرواية الشعر والترسّل، وقوانين اللّغة العربية ، والنحو والحساب ، وتجويد الخط والكتابة ، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، ووقوفهم على روايات القرآن وقراءاته المختلفة .(4)

(1) الأهواني ، م.س / 143 - 144

(2) برونشفيك ، م.س ، 2/ 375

(3) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 744

(4) إبن خلدون ، المقدمة ، م.ن / 741- 743

أمّا مدّة الدّراسة التي يتلقّاها الصّبيان في هذه المرحلة فقد حدّدت بخمس سنوات أو أقل ، يحضر من خلالها الصّبي بشكل منتظم طوال أيام الأسبوع ماعدا يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع ، أين تتعطل الدّراسة ويمنح الصّبي عطلة مؤقتة على غرار العطل الدّينية من كلّ سنة .(1)

ويتمّ توزيع العلوم المدرّسة على اليوم الدّراسي بشكل منظّم ، يدرّس الصّبيان القرآن من أوّل النهار في وقت مبكر حتّ الضحى ، ثم يتعلمون الكتابة من الضّحى إلى الظّهر ، وبعد ذلك ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغذاء ويعودون بعد صلاة الظهر ، وتدرّس بقية العلوم كالنحو والعربية والشعر والحساب إلى أخر النّهار .(2) وبعد إتمام المرحلة الأولى من التعليم وتحصيل مواد الدّراسة، ينتقل الصّبيان إلى مرحلة ثانية على أن يكون التعليم في مؤسسات مكمّلة كالمسجد أو المدرسة أو الزّاوية .(3)

ويمنح للطّلبة حقّ الاختيار والمفاضلة في مواد التدريس ، على أن تتساوى في ذلك العلوم العقلية والنقلية ، ونظرا لاستحواذ العلوم النقلية على مجموعة من العلماء ، وانتشارها بشكل أوسع في المغرب الأوسط ، كانت بلا شك صاحبة الشأن الأوفر في التدريس ، وفي شأن ذلك يقول ابن خلدون : « ثم إنّ هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملّة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك النّاظرين إلى الغاية التي لاشيء فوقها، وهذّبت الاصطلاحات ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق ، وكان لكل فنّ رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم ...وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب . » (4)

وهو ما يفسّر استحواذ العلوم النقلية على حصص التدريس في هذه المرحلة نظرا لشيوعها في المغرب الإسلامي من جهة ، ولطبيعة العصر الذي اعتنق الرواية والنقل عقيدة راسخة لا يستطيع الخروج عنها ، وصارت النّقول أهم ما يميّز الحركة العلمية.

ويختار البعض الآخر من الطّلبة العلوم العقلية رغم صعوبتها ، وعزوف البعض عنها ، ويعدّ أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف نموذجا لطلبة العلوم العقلية ، ظهرت نجابته في مختلف العلوم من معقول ومنقول ، ودرس التّنجيم والرياضيات وغيرها من العلوم العقلية على أبي عبد الله بن النجّار ، ثم فضّل الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة ، فرحل إلى فاس ولازم الآبلي وأخذ عنه علوما جمّة ، وخصوصا في التعاليم ، ثمّ عاد إلى تلمسان وانصب للتعليم .(5)

---

(1) برونشفيك ، م.س ، 2/ 378

(2) الأهواني ، م.س / 184

(3) برونشفيك ، م.ن ، 2/ 376

(4) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 551

(5) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 428

أمّا ولده أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف ، فقد درس على أبيه مختلف العلوم من اعتقاد ، وأصول الدّين ،وطبيعيات ، وفلسفة ، ومنطق ، وجدل ، ورياضيات ، وحديث وتفسير فنال بضاعة وافرة من العلوم ، أتقن حفضها وفهمها ، وبدأ بالتدريس بتلمسان في حياة أبيه ، ثم خلفه بعد موته بالمدرسة اليعقوبيّة ، واشتهر بغزارة حفظه للمسائل ، وتضلّعه في الفقه والتّقوى وتفوقه في منهج التعليم ، وإتقان الطّرق التربوية .(1)

والظاهر أنّ علوم الهندسة والحساب في هذا العصر ، كانت لها شهرة واسعة ، إذ أصبحت من أكثر المواد أهميّةً في النّظام التعليمي ، يدرّسها كبار القضاة والفقهاء من أمثال أبو عثمان سعيد العقباني (2) ، ومنصور بن عبد الله الزواوي (3) و محمد ابن يوسف السنوسي(4) ومحمد بن أحمد بن يحي الحبّاك (5) وأبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحّام (6) الذي اشتهر بعمله الهندسي الذي لايضاهيه عمل من أعمال علوم الهندسة في ذلك العصر ، ويتعلّق الأمر بساعة أليّة ضخمة تسمّى "المنجانة " وقد وصفه صاحب "البغية" بقوله : « وخزانة المنجانة ذات التماثيل اللّجين المحكمة قائمة المصنع تجاهه ، بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ، يخاتله فيهما أرقم خارج من كوة بجذر الأيكة صعدا ، وبصدرها أبواب مجوفة عدد ساعات الليل الزّمانية يصاقب طرفيها بابان مجوفان أطول من الأولى وأعرض ، فوق جميعها ودوين رأس الخزانة قمرا أكمل يسير على خط إستواء سير نظيره في الفلك ، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج ، فينقض من البابين الكبيرين عقابان ، بقي كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها إلى طست من الصفر مجوّف بواسطة ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة ، فيرن ، وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه ، فهنالك يفتح باب الساعة الراهنة ، وتبرز منه جارية محترمة كأضرف ما أنت راء ، بيمناها إذبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين أيّده الله . » (7)

إنّ هذا الوصف الدّقيق لصناعة هذه الساعة وماتحويه من فنون علم الهندسة وحركاتها العجيبة ،يؤكد مدى تطور علم الهندسة وتعدد استخداماته خاصة في أدقّ الصّناعات والاستخدامات العلمية .

---

(1) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، إبن مريم ، م.س / 117 -120 ، بورويبة وآخرون، م.س 3 / 428
(2) إبن مريم ، م.س / 106 -107
(3) التنبكتي ، م .س / 350- 352
(4) إبن مريم ، م.س / 237 - 248
(5) إبن مريم ، م.س / 219 ، التنبكتي ، م .س / 543
(6) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 56
(7) يحي إبن خلدون ، م.س ، 2 / 40 - 41

أمّا عن طريقة إلقاء الدّروس ،فقد جرت العادة أن يجلس المدرّس على الكرسي [1] بينما يجلس الطلبة على الحصر [2] ،ويشرع المدرّس في اختيار أنجب طلاب المجلس ويكلّفه بقراءة نصّ من الكتاب [3] المعد سلفا للدراسة ، ويتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة ، حسب ماتيسّر له من غزارة حفظه وسعة اطّلاعه [4]، ويضيف إليه بعض تأويلاته الشّخصية ، منبّها إلى ما فيه من صعوبات . [5]

ومن الأساتذة من يتخذ متن الكتاب موضوعا للمناقشة مع الطّلبة ، بالوقوف على ألفاظ النصّ ، ودلالته اللّغوية ، وتصحيح الرّوايات ، والتّنبيه على ما في الكلام من زيادة أو نقصان ، مع تتبع السّند ومدى صحته أو بطلانه ، وهناك من يمزج بين الطّريقتين . [6]

ومن خلال ذلك يقوم الطّلبة بتقييد مايسترعي انتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته على أسئلة الطّلبة [7]، ممّا يؤكّد وجود طريقة حوارية بين الطّالب والأستاذ أساسها المناقشة العلمية .

وكان بعض العلماء يعتمدون طرقا مبتكرة لتيسير الفهم خاصة في المواد المتصلة بالعلوم العقلية ، فقد استعمل القلصادي قواعد علم الحساب في حلّ المسائل الفرضيّة ، كما استعمل الجداول للإيضاح والبيان ، ومزج بين النظرية والتطبيق في تدريسه للحساب ، والفرائض . [8]

والظّاهر أنّ بعض العلوم العقلية خاصة علم العدد ، والهندسة ، والفرائض ، كان تدريسها يخضع لعملية الكتابة في اللّوح ، أو الورق، لإثبات التمارين الحسابية . [9]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س، 2 / 475 - 486

(2) التنسي ، م.س / 180 ، إبن مريم ، م.س / 171 ، الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 2 / 478

(3) الوزان ، م.س ، 1 / 227

(4) بورويبة وآخرون، م.س 3 / 438

(5) الوزان ، م.س ، 1 / ص.ن

(6) المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 3 / 22

(7) إبن مريم ، م.س / 118 ، بورويبة وآخرون، م.س 3 / 438

(8) القلصادي أبو الحسن علي (ت 891 هـ ، 1486 م) ، رحلة القلصادي أو تمهيد الطالب ومنهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، د ت / 44

(9) التنبكتي ، م .س / 621

لقد كانت المناقشات والمناظرات العلمية ميزة كبار العلماء والطلبة من حيث الشّجاعة في الطرح ، والبحث والتفكير ومقارعة الحجّة بالحجّة ، حتّى أنّ الشريف التلمساني كان يجلس وينظر إلى طلبته ، وهم يتباحثون في فهم مسألة ما ، ويشجّعهم على المناقشة ، ويأمرهم بتقييد النتائج التي توصلوا إليها ، لفهم المسائل على حقيقتها ، ولتنمية قدراتهم ومداركهم في البحث والتّفكير . [1]

وتطورت المناقشات العلمية في بعض الأحيان تطورا نوعيا ، فلم تعد مسألة المناظرة والمحاورة خاصة بمجلس معين ، بل تتعداه إلى مجالس أخرى ، وعلماء آخرون ، عندما يبقى الخلاف قائما بين الطّلبة ومدرّسهم ، فقد ذكر صاحب المعيار أنّ طلبة مازونة توجهوا بسؤال بقي عالقا في حلقة درسهم ،إلى بعض علماء تلمسان وتونس للإجابة عنه [2] ، وتلقوا أجوبة العلماء ، ممّا يؤكّد الحرص الكبير الذي يوليه الطّلبة لفهمه واستيعاب المسائل العلمية على حقيقتها ، ولو اقتضى الحال مراسلة العلماء في أقطار إسلامية أخرى.

وبعد انقضاء مدّة الدّراسة التي يزاولها الطّلبة ، يتوّجون في نهاية مشوارهم الدّراسي بشهادة علمية تسمّى الإجازة ، تعكس مستواهم العلمي ومدى تمكنهم من العلوم والكتب التيّ درسوها ونالوا ثقة روايتها وتدريسها لفظا أو كتابة ، تجعلهم في مصاف العلماء والفقهاء ، ممن لهم مكانة في المشيخة العلمية. [3]

(1) إبن مريم ، م.س / 118 - 119

(2) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 12 / 345

(3) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 356

4- الرّحلة في طلب العلم ولقـــاء المشيخة

كانت الرّحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة ،من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عموما ،باعتبارها عاملا هاما في تمتين العلاقات والروابط بين الدّول ، والتقريب بين العلماء والمشائخ من مختلف الأقطار[1] ، وقد تزامن ذلك بوجه خاص مع موسم الحجّ إلى البقاع المقدسة ومقابلة العلماء ومناظرتهم ، والأخذ عنهم بتداول المعارف ، وتبادل الإجازات، إمّا باللّقاء المباشر أو عن طريق المكاتبة ، فأتاحت هذه العوامل تلاقحا فكريا ودعما للروابط الثقافية ،بين علماء فاس وتلمسان ونظرائهم من حواضر المشرق والمغرب .[2]

لقد نتج عن هذه الرحلات تبادل للمعارف والأراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية، حيث كان علماء المغرب يتّصلون بعلماء المشرق والأندلس ،ويتبادلون معهم الكتب والمصنفات وشتى ألوان المعارف ويتدارسونها، فكانت الحركة العلمية مستمرة بين فاس ، وتلمسان ، وتونس، وغرناطة ،والشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز للاستزادة من العلــوم والإجــازة ، والتعمــق أكثر في دراســة الفقــه وأصولــه وسائــر العلوم .[3] والأمثلة كثيرة عن علماء تلمسان وعواصم المغرب الأوسط، الذين تنقلوا إلى مختلف الحواضر الإسلامية مشرقا ومغربا ،نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر هذه الفئة ، وإن كان عددها قليل إلا أنّها كافية لإعطاء صورة واضحة عن دورهم في تمتين الروابط الثقافية ،وتمتين العلاقات الفكرية والمساهمة في النّهضة العلمية بالمغرب عامة ومنهم :

1- الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسّي (ت 680 هـ/ 1281 م):

ذكره ابن مريم بقوله : « وإليه الرّحلة من المشرق والمغرب » [4] ويضيف التنبكتي قائلا : ولقي في رحلته أعلاما بمصر والشام من أصحاب الشيخ أبي الحسن ، وروى عن ابن كحيلاء ، وابن علــي ناصــر الــدين المشذالي ، وقرأ بتونس على جماعة ، وبالقاهرة المحصول على شمس الدين الأصبهاني ، والمنطق والجدل على القرافي ، وحضر على سيف الدين الحنفي الإرشاد للعميدي حتّ ختمه ...ولازم ابن دقيق العيد بمصر مدة وأخذ عنه كثير . » [5]

---

(1) خالد بن حامد ، م.س ، / 351 - 352

(2) فيلالي ، تلمسان ، م.س ، 2 / 327

(3) الزواوي رشيد ، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد 1 ، الجزائر ، 1993 / 324 - 339

(4) إبن مريم ، م.س / 67

(5) التنبكتي ، م .س / 38 -39

2- الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي : (ت 757 هـ / 1356 م) :

وصفه تلميذه المقري بقوله : « هو الإمام نسيج وحده ورحلة وقته في القيام على الفنون المعقولة وإدراكه وصحة نظره » [1] ، أخذ العلم عن مشيخة تلمسان ، ثمّ ارتحل في آخر المائة السابعة ، قاصدا المشرق ، فدخل مصر والشّام والحجاز والعراق ،ولقي به وبغيره كثيرًا من العلماء الأعلام [2] ،منهم ابن دقيق ، وابن الرّفعة ، والصّفي الهندي ، والتّبريزي ، وغيرهم من فرسان فن المعقول . [3]

وبعد عودته إلى تلمسان بعلم غزير من المعقول والمنقول ، فضّل الرحلة إلى المغرب الأقصى ، للاستزادة عن علمائها [4] ، ثمّ التحق بشيخ قبيلة هسكورة ، علي بن محمد بن تروميت ، فعكف عنده على النّظر ، إلى أن فاق أهل زمانه في العلوم العقلية بأسرها ، وأصبح لايعرف في المغرب وإفريقية فقيها ، إلاّ وله عليه مشيخة . [5] ثم قرأ بفاس على شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي ، فأخذ فنونها ومهر فيها ، ثمّ ارتحل إلى مرّاكش سنة (710 هـ/ 1310 م) ، ونزل على الإمام ابن البنا شيخ المعقول والمنقول المبرز في التصوف، فلازمه ودرس عليه علم المعقول والتعاليم والحكمية . [6]

3- الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد المقري : (ت 759 هـ / 1358 م) :

ولد بتلمسان ونشأ بها ، ودرس على علمائها من أمثال ابني الإمام وأبي موسى عمران المشذالي ، وأبي محمد المجاصي وأبي عبد الله منصور بن هدية ، وأبي عبد الله البلّوي ، والأبلي وغيرهم من مشائخ تلمسان . [7]
ولّما احتّل أبو الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) تلمسان سنة (737 هـ/ 1337 م)

---

(1) إبن مريم ، م.س / 214
(2) المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 244
(3) إبن مريم ، م.س / 214 -215
(4) المقري ، نفح الطيب ، م.ن ، 5 / 244
(5) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57
(6) إبن مريم ، م.س / 214 -215
(7) مخلوف ، م .س ، 1 / 232

قدم معه علماء فاس ، فدرس عليهم المقري ، واستفاد من أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي في الحديث والعربية ، ومن السّطّي في الفقه والفرائض ، ومن الأبلي في التعاليم وغيرها .[1]

ثمّ رحل إلى بجاية فلقي بها من العلماء أبا عبد الله محمد بن يحي الباهلي ، المعروف بابن المسفّر وغيره ، ثمّ سار إلى تونس ، فأخذ بها عن القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام ، والفقيه عبد الله بن هارون ، والشيخ الصّوفي أبي الحسن المنتصر ، والكاتب أبي عبد الله بن الجيّاب وغيرهم .[2] وعاد المقري إلى تلمسان ، ثمّ مالبث أن غادرها في إتجاه المغرب الأقصى ، فأقام مدّة بفاس ، ودرس على علمائها ، من أمثال الشّيخ أبي زيد عبد الرحمان بن عفان الجزولي ، وأبي العباس المكناسي ، وغيرهم .ثم توجه نحو المشرق ، فلقي بها أباحيان النحوي وشمس الدين الأصبهاني وابن عدلان ثمّ رحل إلى الشام فلقي ابن قيّم الجوزية وصدر الدين الغماري المالكي وغيرهم .[3]

ثمّ قام بفريضة الحج ، ولقي بمكة أبا عبد الله بن عبد الرحمن التوزري ، وبالمدينة أبا محمد عبد الوهاب الجبرتي ، ثمّ رحل إلى الشام ، فلقي بدمشق شمس الدين بن القيم الجوزية ، وببيت المقدس أبا عبد الله بن مثبت ، وشمس الدين بن سالم وغيرهما .[4]

---

(1) إبن مريم ، م.س / 156

(2) التنبكتي ، م .س / 421 -422

(3) حاجيات ، م.س / 47

(4) حاجيات ، م.ن ، ص.ن

4- الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 792 هـ / 1389 م) :

أجاد في وصفه ابن خلدون بقوله : « شيخنا الفقيه العالم الأعرف... أحد رجال الكمال علمًا ودينا ، لايعزب عن علمه فن عقلي إلاّ وقد أحاط به ، بلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر ، وفصاحة اللّسان عند الإلقاء ، واحد عصره » [1]. من أكابر علماء تلمسان ومحققيهم ، نشأ حريصا على طلب العلم والاستزادة منه، قرأ على مشيخة تلمسان، ثمّ انتقل مع أبيه إلى فاس فدرس بها القرآن على أبي عبد الله بن زيد النّجدي، والنحو على أبي عبد الله ابن حياتي ،والحديث على الخطيب ابن مرزوق ، والفقه على أبي عمران موسى العبدوسي، وأبي العباس القباب والحسن الونشريسي، وأبي العباس ابن الشماع وغيرهم من الشيوخ والعلماء. [2] ثمّ درس على أبيه مختلف العلوم من اعتقاد ، وأصول الدين ، وطبيعيات ، وفلسفة ، ومنطق ، وجدل ، ورياضيات ، وحديث وتفسير ، فنال بضاعة وافـرة من العلـوم ، أتقن حفضها وفهمها . [3] وبعد وفاة أبيه جلس بمجلسه ، وحضره من يحضر أباه و لم ينتقد عليه شيئا ، وأعترفوا بتقديمه ، حتىّ أنّ القاضي علي أبو الحسن المغربي كان يقول : انتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيه ، لحسن تقريبه وبسطه ، ثم نقل إلى الجامع الأعظم فأقرأ " أحكام عبد الحق "و" فرعي ابن الحاجب" ، وكان يحضره طلبة فاس وشأنهم حفظ المسائل والنقل خلاف عادة التلمسانين ، فكان يوفيهم حقّهم [4]، له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية، دخل غرناطة فأخذ عن شيوخها وتوفي غريقا وهو عائد إلى تلمسان. [5]

5- الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م) :

ذكره تلميذه أبو الحسن القلصادي في رحلته بقوله : « الشيخ الفقيه ، الإمام العلامة ... قطع الليالي ساهراً ، وأقتطف من العلم أزاهر، فأثمر وأورق ، وغرّب وشرّق ، حتّى توغّل في فنون العلم ، واستغرق إلى أن طلع للأبصار هلالاً ، لأنّ المغرب مطلعه ... لقي الشيوج الجلّة الأكابر ، وبقي حمده مغترفا من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المحابر » [6].

إختار ابن مرزوق طريق الرحلة في طلب العلم ، ولقاء المشيخة ، فكان له الفضل الإقراء من المغرب إلى الديار المصرية ، أين أخذ العلم عن شيوخ تلمسان [7]، ثمّ ارتحل لأوّل مرة إلى المشرق سنة (718هـ /

---

(1) يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57

(2) إبن مريم ، م.س / 117

(3) حاجيات ، م.س / 169

(4) التنبكتي ، م .س / 226 -227

(5) إبن مريم ، م.س / 117

(6) التنبكتي ، م .س / 504

(7) الحفناوي ، م .س ، 1 / 128 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 252 -253

1316 م) ، فأقام مدة مع والده بالحرمين ، ثمّ عاد إلى القاهرة ، ولازم برهان الدين الصّفاقسي ، ومن تلمسان أجاز إلى الأندلس، فأسندت إليه الخطابة في جامع الحمراء سنة (754هـ / 1352م) ، ثم عاد إلى وطنه فساهم رفقة عمّه في الإشراف على بناء مسجد أبي مدين شعيب بالعبّاد ، وتولى الخطابة به بعد وفاة عمّه ، وفي تلك الأثناء كان يلازم مجالس الأخوين ابني الإمام العلمية [1] .

وفي سنة (766هـ / 1364 م) استقر بتونس ، فولاه السّلطان أبو إسحاق بن أبي يحي الحفصي (751 – 770 هـ / 1350– 1378 م) الخطابة بجامع الموحدين ، والتدريس بمدارس تونس ، ثمّ سمح له بالرحلة إلى المشرق ، فحلّ بالإسكندرية ، ثم القاهرة ، واتصل بالسّلطان الأشرف ، فأكرم مثواه بمجلسه ، وولاه التدريس وقضاء المالكية ، وأقام ابن مرزوق بالقاهرة عزيز الجانب ، عالي القدر إلى أن توفي سنة (781هـ / 1379 م) [2].

---

(1) إبن مريم ، م.س / 147 – 148 ، بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 442

(2) السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ ، 1497 م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ، 1992 ، 7 / 50 – 51 ، المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 425 ، حاجيات ، م.س / 165 – 168

المبحث الثاني :

في المغــرب الأقصى

(فــاس)

أولاً : الأوضاع السياسية خلال (874 – 914 هـ/ 1469 – 1508م)

1– نهاية الدّولة المرينية واعتلاء بني وطاس عرش الدّولة

(874 – 914 هـ / 1469– 1508م)

أ) ولاية الشريف أبي عبد الله الحفيد (869 - 875 هـ / 1464-1470م)

اسمه محمّد بن علي بن عمران الإدريسي من أهل البيت بويع في السابع عشر من رمضان سنة (869هـ/ 1464م) ،من طرف الفقيه أبو فارس الورياكلي خلفا للسلطان عبد الحق ، وتولى أهل القلقلين من أحياء فاس أمر إتمام البيعة للسّلطان الجديد . [1]

أمّا الفقيه الورياكلي فقد قاد الثورة ضد السّلطان عبد الحق ، فخرج بالثائرين إلى فاس الجديد، فهاجموا حارة اليهود وقتلوا من بها وأخذوا أموالهم ، « ولما علم السّلطان عبد الحق بأنباء الثورة عاد مسرعا إلى فاس وأضطرب عليه أمر الجند فأيقن بالنكبة وعاين أسباب المنية وقبض عليه وأنتزع منه خاتم الملك وأدخل البلد في يوم مشهود حضره جمع كبير من أهل المغرب، وأجمعوا على ذمه وشكروالله على أخذه ثم جنب إلى مصرعه فضربت عنقه » [2] يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة [3] .

وبالصراع على السّلطة والتّنازع على الإمارة ، انتهى أمر بني عبد الحق من بني مرين ، وأنتصبت دولة بني وطاس ، وهم فرع من بني مرين . [4]

استمر السّلطان أبو عبد الله الحفيد في الحكم إلى سنة (875 هـ/ 1470م) ، أين خلع من طرف أبي الحجاج يوسف ابن منصور ابن زيان الوطاسي ، ليخلفه السّلطان أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي ، وقد شهد عهده استيلاء البرتغال على مدينة أنفي في حدود سنة (875 هـ/ 1470م) ، وعلى أصيلا سنة (875 هـ/ 1470م). [5]

وفي ظلّ هذه الظروف المتأزّمة حلّ بأرض المغرب (فاس) عالمًا من علماء تلمسان ، يتعلق الأمر بالفقيه أبي العبّاس أحمد الونشريسي ، فارًا من بطش ومتابعة قادة السلطان الزياني أبو عبد الله محمّد المتوكل (866 – 873 هـ / 1462– 1468 م) [6] .

---

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى القسم الثاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1955 ، 4 / 96- 97 ، الزركشي ، م.س / 156

(2) الحريري ، م.س / 186- 187 ، الناصري ، م.س ، 4 / 99 - 100

(3) الكتاني ، سلوة الأنفاس م.س ، 3 / 168

(4) كنون ، م.س ، 1 / 182

(5) الناصري ، م.س ، 4 / 116-117

(6) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 172 ، موسوعة أعلام المغرب، ، 1 / 10

ب) ولاية أبي عبد الله محمّد الشيخ الوطّاسي (875 - 910 هـ / 1470-1504م)

اسمه أبو عبد الله محمّد الشّيخ بن أبي زكرياء الوطّاسي ، تولى حكم مدينة أصيلا في حياة السّلطان عبد الحق ، وظلّ يترقّب الوضع للاستلاء على السّلطة بعد تولي السّلطان أبي عبد الله الحفيد حكم الدّولة . [1]

قال منويل في أخبار محمد الشّيخ : « وفي تلك المدّة كان بأصيلا محمد الشّيخ الوطاسي، وكان شجاعا مقداما ، وأحسّ من نفسه بالقدرة على الاستيلاء على كرسي فاس وتنحية الشريف عنه ... فجمع جندا صالحا وزحف إلى فاس ...وحاصرها نحو سنتين ...وضيّق على الشريف بها حتّ خرج فارا بنفسه وأسلمها إليه ،فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته » . [2]

فيما كان محمد الشّيخ يحاصر فاس ، استولى البرتغال على مدينة أصيلا ، فاضطر إلى عقد هدنة معهم قبل أن يفرغ من فتح فاس التي تمكن منها سنة (876 هـ/ 1471م) ، وانصرف لنشر سلطانه وتثبيت حكمه في القبائل المجاورة لفاس وسائر المغرب الأقصى ، وباعتلاء محمد الشيخ عرش الدّولة ينتهي عهد بني مرين، ليعلن عن قيام الدّولة الوطاسية . [3]

وقد شهد عهده :

– تمرد عددا مـن القبائل وانفصالهم عن الحكم المركزي ، وفي مقدمتهم بنو راشد ،الذين رفضوا الهدنة التي عقدها محمد الشيخ مع البرتغال في عهد ألفونسو الخامس ، أما بنو هنتاتة فقد ظلوا مستقلين استقلالا ذاتيا بمراكش ، بينما قامت دويلة صغيرة من بني مرين بدبدبو واستمرت مدينة أنفا في شكل دويلة مستقلة [4].

– قيام ثورة عمرو بن سليمان المغيطي الذي اشتهر بالسّياف ، واستمرت عشرين عاما وقد قتل سنة (890هـ/ 1485م) و لم يظهر أثر لتدخل محمّد الشّيخ في الجنوب بالرّغم من خطورة هذه الحركة . [5]

---

(1) الناصري ، م.ن ، 4 / 119

(2) الناصري ، م.ن ، 4 / 120

(3) عطاء علي محمد شحاته ريه ، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين ، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، سوريا ، 1999 / 39-40

(4) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ – من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين – دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1978، 2 / 197

(5) حركات ، م.س ،ص.ن

– تدخل البرتغال واستيلائهم على المدن المغربية منها أصيلا و طنجة سنة(876هـ/ 1471 م) ، وبنائهم لعدد من الحصون العسكرية كحصن فونتي قرب أغادير بغرض الاستقرار والتّمهيد للاحتلال . [1]

– وصول السّلطان أبو عبد الله ابن الأحمر سلطان غرناطة إلى حضرة فاس رفقة أهله وأولاده، فاستوطنها تحت كنف سلطانها محمد الشّيخ ، معتذرا عمّا أسلفه ، متلهفا على ماخلّفه وظلّ بها إلى أن توفي سنة (940هـ/ 1533م) . [2]

ت) ولاية أبي عبد الله البرتغالي (910 - 932 هـ / 1504-1525م)

اسمه أبو عبد الله محمد بن محمد الشّيخ الوطاسي ، ويعرف باسم محمد البرتغالي ، بويع بعد وفاة والده سنة (910هـ/ 1504 م) [3] وقد شهد عهده :

وفاة علم الأعلام حبر فاس وتلمسان أبو العبّاس أحمد الونشريسي سنة (914هـ/ 1508م) [4] ، فأظلمت فاس بفقدان أحد علمائها وفقهائها ، بل الغرب كلّه على من كان قطب زمانه . [5] وشهد المغرب من بعده تزايدا للخطر البرتغالي على سواحله فكان احتلال مدينة آسفي (918هـ/ 1512م) ، وأزمور (919هـ/ 1513م) ، والمعمورة (921هـ/ 1515م) . [6]

حاول أبو عبد الله البرتغالي أن يكثف من نشاطه العسكري ضد البرتغال في الشمال، وضد خطر السّعديين في الجنوب [7] ،حيث قام بمحاولات لاسترداد بعض المدن، وتمكن من استرجاع المعمورة سنة (926هـ/ 1519م) إلاّ أنّه لم يوفق في استرجاع مدينة طنجة ، وأصيلا رغم المحاولات المتكررة أمام قوة البرتغال. [8]

لم يلبث أبو عبدالله في الملك سوى حوالي خمس سنوات ، حتّى ظهر الأشراف السعديون بناحية سوس التي اشتغل أهلها بحرب البرتغال ، ورأى السّعديون الفرصة سانحة للتدخل ، فكانت البداية باسم الجهاد ضد النصارى ، ولمّا أدركوا استعدادهم للاستيلاء على الحكم ، استعانوا بأمراء هنتاتة ، واحتلوا مراكش سنة (930هـ/ 1523م) ، وبينما كان أبو عبد الله البرتغالي يحاصر أبو العباس الأعرج أمير السعديين في مراكش ، بلغه خبر إنتفاض فاس ومبايعة أهلها لأحد إخوته ففك الحصار ، وعاد إلى فاس ، ثم لم يلبث أن توفي سنة (932هـ/ 1525م) ، ووليّ الأمر من بعده أخوه أبو حسون بن محمد الشيخ الوطاسي (932هـ/ 1525م). [9]

---

(1) الناصري ، م.ن ، 4 / 135 - 140 ، العروي ، م.س ، 3 / 23

(2) الناصري ، م.ن ، 4 / 130

(3) الناصري ، م.س ، 4 / 140

(4) التنبكتي ، م.س / 136 ، إبن مريم ، م .س / 54 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 59

(5) المقري ، أزهار الرياض ، م .س ، 3 / 306 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 155

(6) حركات ، م.س ، 2 / 199 -200

(7) محمد شحاته ريه ، م.س / 40

(8) حركات ، م.ن ،ص.ن

(9) الناصري ، م.ن ، 4 / 147 - 148

ثانيًا : الأوضاع الإجتماعية

1- أثر بعض العناصر السّكانية للمجتمع المغربي

أ) البربر

يعدّ البربر [1] أهم عنصر من العناصر السّكانية في المجتمع المغربي ، فمنهم وعلى أكتافهم تأسست مختلف الوحدات السياسية التي شهدها المغرب ، وبخاصة قبائل [2] صنهاجة ومصمودة ولواتة وزناتة، التي لعبت دورًا أساسيًا في توجيه تاريخ المغرب في العصر الإسلامي .

ومنذ تأسيس مدينة فاس تحولت كقبلة استقرت بها العديد من القبائل البربرية كصنهاجة ، ولواتة ، ومصمودة ، وزناتة كما توافد عليها برابرة التّل والجبال وبرابرة الصحراء من لمطة . [3]

ومن القبائل البترية التي قطنت فاس منذ أيام المرابطين والموحدين قبيلة مغيلة [4] ،ويحدد ابن خلدون مواطنهم بقوله : « ولم يبق من مغيلة بذلك الوطن جمع ولا حي ، وكان جمهورهم الآخربالمغرب الأقصى ... وبقاياهم لهذا العهد بمواطنهم مابين فاس وصفرون ومكناسة » [5] أمّا قبيلة صدينة التي كانت في تحالفٍ دائم مع قبيلة مغيلة ، فيذكر البكري أنّ موطن استقرارهم بالقرب من مدينة فاس . [6]

وكانت لقبيلة مطماطة مواطنها المعروفة بها بين فاس وصفرون ، بينما بقي لقبيلة مضغرة بعدما تفرق جمعها بقايا بجبل فاس ، يتصلون بقبيلة كومية ويدخلون حلفهم . [6] كما قطنت المدينة بعض من بقايا قبائل زناتة الذين استولوا على السّلطة في فاس مرات عديدة ، وتنضوي تحتهم قبائل وبطون عديدة . [7]

أمّا البربر البرانس ، فقد نزلت منهم بفاس قبائل مصمودة وصنهاجة ولمطة وهسكورة وكزولة وأوربة ، وأوربة هم بنو أورب بن برنس ، ومن قبائلهم رغيوة ، ولجّاية ، ومزياتة ومواطنها شمال مدينة فاس . [8]

---

(1) البربر صنفان البرانس والبتر ، أمّا طائفة البربر البتر فتنتمي إلى مادغيس ، ومنهم بطنان نفزاوة وهم بنو لوا الأكبر، ولواتة بنوا لوا الأصغر المسمّى بإسم أبيه ، ومن قبائل البربر البتر التي قطنت فاس شعب أداسة ومن أشهر قبائلهم وشتاتة ، ومن قبائل ضريسة البترية التي إستقرت بفاس كذلك قبيلة مطغرة . أنظر : عبد الرحمن إبن خلدون ، كتاب العبر ، 6 / 152 ، عبد الوهاب منصور ، قبائل المغرب ، المطبعة الملكية، الرباط ، 1960 ، 1 / 297 – 305

(2) يقوم النظام الإجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة ، فالقبيلة هي عماد النظام ومحور الحياة سواء كانت تعيش على الريادة والغزو ، أو مستقرة تتكسب من الفلاحة والرعي ، وتتشكل القبيلة البربرية من مجموعة عشائر و أسر تربطهم رابطة العصبية القبلية التي تقوى كلما ضاق المجتمع ، وتضعف كلما إتسع ، أنظر : عبد الوهاب منصور ، م.س ، 1 / 280

(3) إبن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي (ت 741 هـ / 1341 م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط ، 1972 / 46

(4) البكري ، م.س / 117

(5) إبن خلدون ، كتاب العبر ، 6 / 165 ، عبد الوهاب منصور ، م.س ، 1 / 297 – 30

(6) البكري ، م.س / 117 ، إبن أبي زرع ، م.س / 139

(7) إبن خلدون ، كتاب العبر ، 7 / 2 - 74 ، عبد الوهاب منصور ، م.س ، 1 / 311

(8) عبد الوهاب منصور ، م.ن ، 1 / 301- 302 ، 314

أمّا صنهاجة فنسبهم يعود إلى بنو صنهاج بن برنس ، وينتشرون في كل مدن المغرب الأقصى ، إذ لايكاد يخلو منهم جبل ولا سهل ،[1] وترجع قبائل صنهاجة في فاس إلى أصلين : أحدهما صنهاجة الشمال ، والأخرى صنهاجة الجنوب ، ويبدو أن وجود الصنهاجيين الجنوبيين في فاس يعود إلى أيام الدولة المرابطية ، وذلك عندما تقدمت القبائل الصنهاجية من الصحراء إلى المغرب الأقصى ، واستقرت في مدن مختلفة ، ومنها مدينة فاس .[2]

ومن البربر البرانس قبيلة لمطة - أخوة صنهاجة - وهم قبائل وبطون أكثرهم أهل وبر ، ومنهم فرقة استقرت أيام المرابطين بجبل زالغ المطل على فاس .[3]

و زيادة على هذه القبائل التي برز دورها بشكل ملفت في تاريخ المغرب ، فإن قبيلة زناتة التي استوطنت المغرب منذ العصور القديمة ،كان لها تأثير واضح في الحياة الإجتماعية والسياسية خاصة في قيام دولة بني مرين [4] ،و قبيلة زناتة طبقتان ، الطّبقة الأولى هي التي كان منها مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وزناتة الطبقة الثانية هم بنو مرين وبنو وطاس ملوك فاس والمغرب الأقصى ، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط . [5] وفي شأن ذلك يقول ابن خلدون :

« فاعلم أنّ جيل زناتة في المغرب ، جيل قديم ، معروف العين والأثر... ومواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب ... ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخر ، وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين ، وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم ، و لم يزل الملك يتداول في شعوبهم .» [6]

---

(1) إبن خلدون ، كتاب العبر ، 6 / 152 ، عبد الوهاب منصور ، م.س ، 1 / 328 - 329

(2) إبن خلدون ، كتاب العبر ، 6 / 182 – 186

(3) عبد الوهاب منصور ، م.س ، 1 / 316

(4) شاوش ، م.س / 358

(5) إبن الأحمر ، ، م.س / 13 ، الناصري ، م.ن ، 3 / 03

(6) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 03 -04

ومن جملة الفرق الزناتية التي سكنت المغرب ، يذكر ابن خلدون :

« ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبني يفرن وجراوة وبني يرنيان ووجديجن وواسين ...وبني مرين وتوجين وبني عبد الواد وبني راشد...وفي كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة ، وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات طرابلس إلى جبل أوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثمّ إلى وادي ملوية ، وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الإسلام لجراوة ثم لمغراوة وبني يفرن . » [1]

ويضيف الناصري أنّ دخول بني مرين بلاد المغرب كان سنة (609 هـ / 1212م) : « وكانو يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة ، يتنقلون في تلك القفار والصحاري لا يدخلون تحت حكم سلطان ولاتنالهم الدولة ولايؤدون لها ضريبة كثيرة ولاقليلة ، ولايعرفون تجارة ولاحرث إنّما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد ...وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوله زمان الربيع والصيف ...فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجمهم على عادته للارتقاء ... فأقبلوا مسرعين وانتشروا في نواحي المغرب وأوجفوا عليها بخيلهم وركابهم واكتسحوا بالغارات والنّهب بسيطها ، وتمّ لهم ماأرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله وانتجاع مواقع طلّه ووبله . » [2]

ب) العرب

يعود اتّصال العرب بمنطقة المغرب الأقصى إلى بدايات الفتح الإسلامي ،أثناء القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي [3] ، وبدأ يتزايد عددهم بقيام دولة الأدارسة أين وفد على المغرب وبخاصة مدينة فاس وفود العرب من إفريقية والقيروان والأندلس والعراق ، فأسكنهم الإمام إدريس بن إدريس بالمدينة وجعلهم بطانته دون البربر .[4]

وتزايد تأثيرهم في المنطقة مع بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشرالميلادي أين شهد المغرب حدثًا بارزًا عرف بالهجرة الهلالية التي بفضلها عرفت مدن المغرب الأقصى حركة تعمير جديدة [5] ، ومن بين القبائل التي حلّت بأرض المغرب : بنو سليم ، بنو هلال وأحلافهم من الحشم والخلط والمعقل [6]

ويوضح لنا المراكشي ذلك بقوله : « كانت القيروان حاضرة المغرب ، فلما اضطرب أمرها بعبث العرب فيها فرّ منها أهلها ، ونزل أكثرهم مدينة فاس .» [7]

---

(1) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 11 -12

(2) الناصري ، م.ن ، 3 / 04 - 05

(3) إبن شقرون ، م.س / 24 ، شاوش ، م.س / 359

(4) إبن أبي زرع ، م.س / 47 ، 39 ، 29

(5) شكري فيصل ، م .س / 171

(6) الميلي ، م.س ، 2 / 178 ، أحمد جمال طه ، مدينة فاس ، م.س / 62

(7) المراكشي أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد (625 هـ / 1227 م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، 1963 / 446

ولّما خلص أمر المغرب للموحدين سنة (541 هـ / 1146م) ، دخل الخلفاء الموحدون في مواجهات عنيفة مع العرب الهلالية إلاّ أنّها لم تدم طويلاً ، لتتحوّل إلى مسالمة وتحالف خاصة بعد تشجيع عدد كبير من هذه القبائل للاستقرار بالمغرب الأقصى .[1]

ويذكر ابن خلدون : أنّ عرب الخلط وسفيان وبني جابر وهم من بطون جشم ، انتهت رئاستهم إلى قبيلة سفيان سائر أيام الموحدين ، ولّما وهن أمر بني عبد المؤمن ، ودبّ الوهن في جسد الدّولة الموحدية كانت لهذه الجموع الغلبة على مقاليد الحكم وذلك لكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة ، ولّما حاول بنو مرين الاستيلاء على فاس ، لم تكن فيها حامية أشدّ منهم بأسًا ومن قبيلة رياح أيضًا ، حيث كانت لهم مع بني مرين وقائع وحروب ،استلحمهم فيها بنو مرين إلى أن حقّت الغلبة واستكانوا لعزّ بني مرين وصولتهم وأعطوهم صفة الطّاعة ، وأصهر بنو مرين منهم إلى الخلط ، واستقرت رئاسة جشم بعد أن كانت على عهد الموحدين في سفيان .[2]

---

(1) المراكشي عبد الواحد، ، م.س / 293 - 295

(2) ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 6 / 37

ت) الأندلسيون

إلى جانب البربر والعرب ، شهد المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسّادس الهجريين / الثاني والثالث عشر الميلاديين وافدا جديدا ساهم بقدر كبير في إثراء البنية الإجتماعية والتأثير بشكل واضح في شؤون المجتمع المغربي ، يتعلق الأمر بالعنصر الأندلسي .[1]

لقد توالت هجرات الأندلسيين على المغرب منذ ارتباط العدوتين إلى أن اشتدّ هذا الارتباط وقوي في عصر بني مرين قبل أن يتلاشى وينهار بسقوط دولة بني نصر ، ومهما اختلفت أسبابها ومقاصدها ، إلاّ أنّها قويّت وتلاحقت في زمن قصير أيام المحن ولاسيما بعد سقوط القواعد الإسلامية بالأندلس .[2]

ويذكر عبد الواحد المراكشي : أنّه لما اضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت محمد بن أبي عامر وابنه ، رحل منها من كان فيها من العلماء والفضلاء من كلّ طبقة فرارًا من الفتنة ، فترل أكثرهم مدينة فاس .[3]

وبوجه خاص فقد كانت هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأقصى منذ القرن السّابع للهجرة / الثالث عشر الميلادي وتزايد عددهم بكثافة في المجتمع المغربي مع نهاية القرن الثامن وطيلة القرن التاسع للهجرة / الرابع والخامس عشر الميلاديين ، خاصةً بعد حروب الاسترداد التي استهدفت معاقل المسلمين فسقطت مالقة والمريّة وبسطة ووادي آشي وكانت بدايةً لنهاية دولة الإسلام في الأندلس بسقوط غرناطة سنة (897هـ/ 1492م).[4]

وبعد قرار الملك فيليب الثالث ملك إسبانيا سنة (1018 هـ / 1609 م) بطرد كل المسلمين من إسبانيا، التجأت منهم أفواجًا كثيرة إلى المدن السّاحلية ، وقد لقي هؤلاء ترحيبا من المغاربة ، وسرعان ما اندمجوا في المجتمع بكلّ مايملكون .[5]

---

(1) عز الدين أحمد موسى ، م.س / 85

(2) ان شقرون ، م.س / 32

(3) المراكشي عبد الواحد، ، م.س / 443

(4) الجيلالي ، م.س / 167 ، عنان ، م.س ، 217 - 226 ، برونشفيك ، م.س ، 1 / 433

(5) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) ، دار المعارف ، ط 1 ، القاهرة ، د.ت / 303

لقد كان الحضريون من الأندلسيين فقهاء وعلماء وأصحاب حرف وصناعات ،ارتقوا بطرق الرّي و التي ألفوها في الأندلس ، واختار كثيرون منهم منطقتي الرّيف والهبط في الشمال. (1)
ولمهارتهم في الرّماية انخرط عدد منهم في الجيش المريني ،وكانوا من حملة الأقواس بصفة خاصة ، وتولوا قيادة المراكب السّلطاني ، وكان أشهرهم إبراهيم البطروجي ، ومنهم من كان يزاحم المغاربة في كل المجالات العلمية والحرفية ، وكانت لهم غالبًا الأفضلية لما تمتعوا به من خبرة وإجادة مكنتهم من الاستحواذ على العديد من المناصب الهامة في الدولة ، وتحقيق مكانة مرموقة . (2)

ث) اليهود

ارتبط دخول اليهود واستقرارهم بأرض المغرب الأقصى نتيجة ثلاث هجرات متفرقة ، فالهجرة الأولى جاءت بعد الأسر البابلي من فلسطين إلى المغرب ، أما الهجرة الثانية فقد كانت بصحبة الفينيقيين ، وهذا ماسمح لليهود بالتوغل ببلاد البربر بين كثير من قبائل الأطلس ، وقبائل جنوب المغرب الأقصى ، والهجرة الثالثة كانت في العصر الروماني وبالضبط من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم . (3)
أما في العصر الوسيط فقد استمرت حركات الهجرة بعد الفتح الإسلامي على فترات مختلفة ، وتشير إحدى الدراسات الحديثة (4) ،أن الملك إدريس بن إدريس بعد بناء مدينة فاس سنة (192 هـ / 808 م) سمح لعدد من الأسر اليهودية بالسّكن داخل أسوار المدينة ، ووافق على بناء حي سكني لهم ، مقابل دفع ضريبة الرأس المقدرة سنويًا بمبلغ ثلاثين ألف دينار .
لقد كان لليهود دور كبير في الحياة السّياسية ،واهتمامات المجتمع خاصة بعد العناية التي وجدوها من قبل سلاطين بني مرين ، حيث خولوهم من الامتيازات مالم يسبق لليهود أن نالوا مثله بالمغرب من قبل (5) ، وبرهن المرينيون عن تسامح ديني عظيم نحوهم ، فسمحوا لهم بفتح المتاجر والمصانع ومعايشة المسلمين وممارسة معتقداتهم بكل حرية ، وأظلوهم بحمايتهم ، وكان لكبار موظفيهم مقام سام لدى سلاطين بني مرين ، حتّ قيل أنّ أبا خزر بن إبراهيم بن وقاصة اليهودي بلغ في الحضرة عند أبي الربيع المنزلة التي لم يبلغها عنده أحد . (6)

---

(1) شوقي ضيف ، م.ن ، ص.ت
(2) الحريري ، م.س / 317
(3) محمد شحاته ريه ، م.س / 23 - 28
(4) محمد شحاته ريه ، م.ن / 32
(5) عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات ، المدينة في العصر الإسلامي (قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الإسلامي) ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 1994 / 86 - 91
(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 11 / 300 - 301 ، حركات ، م.س ، 2 / 111 - 112

كما وصل البعض منهم إلى أرفع المناصب السياسية ، فكان خليفة بن حيون بن زمامة حاجبًا للسّلطان يعقوب بن عبد الحق (656 - 685 هـ / 1258 - 1286 م)، وتولّت أسرة بني وقاصة اليهودية قهرمة القصر السّلطاني في عهد السّلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (685 - 706 هـ/ 1286 - 1306 م) [1] ونظرًا لحسن سلوكهم أسقطت عنهم الجزية من قبل السّلطان أبي الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م). [1]

وفي عهد آخر سلاطين بني مرين ، السّلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني (831 - 852 هـ / 1427 - 1448 م) ، تولى منصب الوزارة اثنين من اليهود هارون وشاويل ، وجعل قائد شرطته حسين اليهودي و قد أثار هذا التصرّف معارضة واسعة ، وفقد السّلطان عبد الحق تأييد شعبه بسبب سياسة الوزيرين اتجاه أهل فاس خاصة الأشراف والفقهاء . [2]

أمّا في عهد السّلطان أبي العباس أحمد الوطاسي الذي تولى الحكم سنة (932 هـ / 1525 م) ، فقد استعمل عبد الرحمن المنجور ، اليهودي الذي أسلم على جباية مكوس وضرائب المغرب . [3]

ج) العبيد (العنصر السوداني)

يشكلون رافد من روافد المجتمع المغربي ، حتّ ولوكان عددهم قليلا مقارنة بباقي العناصرالسكانية الأخرى إذ يتم جلبهم من بلاد السّودان عن طريق الشّراء ،وخاصةً من مدينة برنو التي تعتبر أهم المدن الواقعة جنوب الصحراء [4]، وكذلك عن طريق أودغشت [5]، وقد تواجدوا بمدينة فاس وأغمات على وجه الخصوص ، استخدموا كجنود ضمن فرقة من فرق الجيوش [6]، وكخدم وحراس في الدور و القصور [7] ، وقد اتخذ السّلطان يوسف بن عبد الحق بعضًا منهم في منصب الجباية ،نذكر من هؤلاء المولى عتيق وعنبر[8] .

---

(1) الحريري ، م.س / 317

(2) الناصري ، م.س ، 4 / 96- 98 ، عنان ، م.س / 165 ، السبتي و فرحات ، م.س / 87-88 ،

(3) الناصري ، م.س ، 4 / 158

(4) ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيًا سنة 712 هـ / 1312 م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط 2 ، بيروت ، 1983 ، 4 / 23 ، الزهري ، م.س / 119

(5) البكري ، م.س / 158

(6) ابن عذارى ، م.س ، 4 / 23 ، حركات ، م.س ، 2 / 133

(7) روجيه لوترنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نيقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1962 / 116

(8) ابن القاضي أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت 1025 هـ / 1616 م) ، جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، المملكة المغربية ، (1973 – 1974) ، 2 / 548 ، ابن أبي زرع ، م.س / 375

2- مظاهر الحياة الإجتماعية للمغاربة

أ) جوانب من الحياة اليومية للسّلاطين

اعتاد سلاطين بني مرين على بداية عملهم في بكرة كل يوم بعد صلاة الصبح ، ثمّ يشرع السّلطان بعد ذلك في عقد مجلس للعلم والعلماء ، وصفه ابن بطوطة الذي كان في حاضرة فاس سنة(750هـ/1349 م) بقوله : « وأما اشتغاله بالعلم فيما هو ، أيده الله تعالى بعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم ، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلّى الله عليه وسلم ، وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة ، وفي كل علم منها له القدح المحلى ، تجلو مشكلاته بنور فهمه ، ويلقي نكته الرائعة من حفظه ، وهذا شأن الإئمة المهتدين والخلفاء الراشدين .» [1]

وبعد الانتهاء من مجالس الذكر والعلم ، يتكرّم السّلطان على الحضور باعداد موائد ذات ألوان مختلفة من الطعام والحلوى ، ذكرها القلقشندي بقوله : « فيعدّ لهم السّماط (الموائد) ثرائد في جفان ، حولها طوافير (المخافي) فيها أطعمة ملونة منوعة ، ومع ذلك الحلوى بعضها مصنوع بالسكر ، ومعظمها مصنوع بالعسل والزيت ، فيأكلون ثم يتفرقون .» [2]

وفي آخر النهار وبالضبط بعد صلاة العصر يشرع السلطان في الخروج من قصره رفقة عدد من جنده إلى مكان فسيح من الصحراء ، وغالبًا ما يكون ذلك يومي الإثنين أو الخميس لحضور عرض عسكري فيقف على نشز من الأرض (منصة العرض) ، وتتطارد أمامه الخيل وتتطاعن الفرسان ، وتتداعى الأقران وتقام صفوفها على سبيل التمرين وكأنّها يوم حرب حقيقية [3]. وغالبًا ما يحضر هذا العرض كبار الشّخصيات من أبناء الملوك والسّفراء والوزراء والأعيان ، وبعد الانتهاء من ذلك يعود موكب السّلطان ومن معه إلى قصره .[4]

ثمّ يعقد السّلطان مجلسًا يدعوا فيه فضلاء الناس وأعيانهم إلى محاضرته حينئذٍ ، فيمد لهم مرة أخرى السّماط بين يديه فيأكلون ويؤاكلهم ، ثمّ يأخذ كاتب السّرّ في قراءة القصص والرقاع والكلام في المهمّات .[5]

---

(1) لوترنو ، م.س / 117

(2) القلقشندي ، م.س ، 5 / 205

(3) لوترنو ، م.س / 118

(4) الحريري ، م.س / 330

(5) لوترنو ، م.س / 118

وغالبًا ما يتطرق في مجلسه للنّظر في المظالم ، وقد جرت عادة من له ظلامة أن يترقّب السّلطان أثناء مرور موكبه ، فإذا اجتاز به السّلطان ، صاح من بعده لا إله إلاّ الله ، أنصرني نصرك الله ، فتؤخد قضيته وتدفع لكاتب السّر ،ثمّ تعرض من جملة مايعرض على السّلطان فينظر فيها بما يراه .[1]

وينقل لنا ابن بطوطة الذي شاهد هذا الأمر بأم عينه ، إذ يقول : « أما عدله فأشهر من أن يسطر في كتاب ، فمن جلوسه للمشتكين من رعيته وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم ، وتقسيمه ذلك بين الرجال والنساء ، وتقديمه النساء لضعفهن ، فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة إلى العصر ...فإن كانت متظلمة عجّل إنصافها ، أو طالبة إحسان وقع إسعافها ، ثمّ إذا صليت العصر قرئت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيها ، ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد إليهم ماتعلق بالأحكام الشرعية ، وهذا شيئ لم أرى في الملوك من يفعله على التمام ويظهر فيه مثل هذا العدل .» [2]

وكان السّلطان يظهر أحيانًا أمام الرعية إما بمناسبة الأعياد الدينية أو لتفقد الرّعية ، ولم يكن يحضر إلاّ على صهوة جواد ، وكان دوما يتبع نظامًا دقيقًا في سيره ، وقد وصف حسن الوزان ذلك بقوله :

« عندما يرغب السّلطان في الركوب، يخبر رئيس التشريفات باسم الملك سعاة البريد ، فينقلون الخبر إلى أهل الملك والقواد وسائر الفرسان ، فيجتمعون كلهم في السّاحة أمام القصر وفي الأزقة المجاورة ، وعندما يخرج الملك من القصر يقوم سعاة البريد بتنظيم الموكب ، يتقدم حملة الأعلام ويتبعهم أصحاب الطّبول ، ثمّ يأتي رئيس الاصطبلات مع مرؤوسيه وخواصه ....يتقدم بين يدي الملك بعض القواد الراكبين على الخيل ، يحمل أحدهم سيفه ، والثاني ترسه ، والثالث قذيفته ويسير حول الملك خدامه المسلحون يحمل أحدهم حربته ، وآخر غطاء سرج جواده وزمامه ، وعندما يترجل الملك يغطى السّرج بهذا الغطاء ، ويوضع الزمام فوق اللّجام ليقاد الجواد باليد ، ويحمل خادم آخر قباقب الملك ، وهي أحذية من خشب مزدانة بتطريزات متناهية الجمال ، تعد من مظاهر الأبهة والفخامة .» [3]

---

(1) القلقشندي ، م.س ، 5 / 206

(2) لوترنو ، م.س / 119 - 120

(3) الوزان ، م.س ، 1 / 290

وعندما يعسكر الملك في البادية ، يشرع في إقامة سور الفسطاط الملكي وسط المعسكر ، وهو سور من كتّان على صورة أسوار بشرفاته مربع الشّكل ، وله أربعة أبواب يقف عند كل واحد منها حرس من الخصيان ، وتقام حول السور خيام القواد المصنوعة من جلود الماعز ، وغير بعيد عنها خيام الفرسان الخفاف الذين يأكلون في مطعم الملك ، ويقع الإصطبل بعيدًا قليلاً من هناك ، ويخيم بغّالو الموكب الملكي خارج المعسكر ، حيث تقام دكاكين الجزارين والبزازين وبائعي القديد ، أما التجار والصناع الذين يتبعون الجيش فينصبون خيامهم بجانب خيام البغّالين ، ويوجد في وسط المعسكر بيت المؤونة والمطبخ وقاعة الطعام الخاصة بخدم الملك في خيام عظيمة ، ويصير المعسكر الملكي وكأنّه مدينة حقيقية .[1]

ب) طعام أهل المغرب

كان أهل المغرب يتناولون ثلاث وجبات في اليوم ، تأتي الوجبة الأولى بعد صلاة الفجر ، تتكون من خبز وفاكهة وثريد أو عصيدة تزيد كثافتها في الشتاء عنها في الصيف ، والثانية كانت عقب صلاة الظهر ، وتكون خفيفة في الشتاء كالخبز والسلطة والجبن أو الزيتون وثقيلة في الصيف ، إذ تكون عندها الفترة بين الوجبتين الأولى والثانية أطول ، ويكون موعد الوجبة الثالثة بين صلاة المغرب والعشاء وغالبًا ما تستهلك كميات كبيرة من الخبز ، أو تعوض باللحم المطبوخ مع طعام الكسكس .[2]

ومن عادة السكان في التغذية أن يتناولوا اللّحم الطري مرتين في الأسبوع ، لكن الأعيان يأكلونه مرتين في اليوم حسب شهيتهم ، وليس من عاداتهم أن يأكلوا اللّحم المشوي ، إنّهم يأكلون على الأرض وفوق موائد منخفضة ، بدون فوط ولا أغطية ولا يستعملون أية أدوات غير أيديهم ، وإذا أكلوا الكسكس تناوله جميع المدعوين في صحن واحد بدون ملاعق ، ويكون المرق واللّحم معًا في قدر واحد من فخار يتناول كل واحد منها قطعة اللحم التي تروقه فيمسكها بيده وينهش منها .[3]

ت) لباسهم وكسوتهم

اختصّ السّلطان المريني لنفسه بلبس البرنس الأبيض الرفيع ، ولايلبس هذا النوع من الثياب ذو سيف غير السّلطان[4] أما الزي العسكري للسّلطان والأشياخ وعامة الجند في سائر الأيام فإن الجميع كانوا يتعممون بعمائم طويلة ، قليلة العرض مصنوعة من الكتان ، مع إحرامات يلفونها على أكتافهم .[5]

---

(1) الوزان ، م.س ، 1 / 290

(2) لوترنو ، م.س / 97

(3) الوزان ، م.س ، 1 / 253

(4) القلقشندي ، م.س ، 5 / 203 - 204

(5) المنوني محمد ، ورقات عن الحضارة المغربية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مطابع أطلس ، المملكة المغربية ، 1979 / 72 ، الحريري ، م.س / 336

وكانت تغلب عليهم الطبيعة البدوية ، إذ كانوا يتقلّدون سيوفهم تقليدًا بـدويًا ، ويلبـسون الخفـاف في أرجلهم ، وتسمّى عندهم الأنمقة ، ويشدّون فوق هذه الأنمقة المهاميز ، ويتخذون المناطق وهي الحوائض ، ويعبرون عنها بالمضّمات مصنوعة من الفضة أو الذّهب ، وربما بلغت كلّ مضمة ألـف مثقـال ، ولكـن لايلبسونها إلاّ في يوم الحرب أو التميّيز (العرض العسكري) .[1]

وتختلف الملابس التي يرتديها الناس باختلاف طبقاتهم ومركزهم في المجتمع ، فلباس العامة من الناس عبارة عن كساء من الصوف ،ومطرفة من أرجوان وجلموسًا غليظا على الرأس ، كما كانوا يتقلـدون بـسراف وهو سكين كبير .[2] ولا يلبسون الجوارب في أقدامهم ، ولا يغطون سيقانهم بشيء فوق الحذاء ، اللّهم إلاّ ماكان من سراويل الكتان ، وإذا أرادوا ركوب الخيل في الشتاء انتعلوا أحذية كبيرة .[3]

وكان لباس الفقهاء وأهل الصّلاح كسوة تشتمل على برنس وبرد كلاهما أبيض من صـوف ، ثمّ أحـرام للتّردية ومنديل يتعمم به ودراعتين ، وقبطية سداسية .[4]

أما الفقراء من العامة فيرتدون ثوباً أبيض مصنوع من نسيج الصوف الخشن ،وبرانسهم من القماش نفسه . وغالبًا مايربطون ثيابهم بالأحزمة ، ونظرًا لوضعيتهم الإجتماعية تتكفل الدولة بتوفير كسوتهم .[5]

ولباس النساء جميل جدًا ، إلاّ أنّهن لايرتدين في أيام الحرّ سوى قميص يحزمنه بنطاق لا يخلـو مـن قـبح ، ويلبسن في الشتاء ثيابًا عريضة الأكمام ومخيطة من الأمام كثياب الرجال ، وعندما يخرجن يلبسن سـراويل طويلة تستر كل سيقانهن ، وخمارًا على عادة نساء الشام يغطي الرأس وسائر الجسم ، ويحجبن الوجه كلـه بقطعة من قماش لا تظهر منها إلاّ عيونهن .[6]

ويضعن في آذانهن أقراطًا كبيرة من ذهب مرصع بحجارة كريمة بديعة ، وفي معاصمهن أساور مـن ذهـب كذلك ، سوار في كل ساعد ، قد تبلغ زنته مائة مثقال (نحو 350 غ) ، وتتحلـى نـساء غـير الأعيـان بأساور من فضة ، ويضعن خلاخل مثلهن في أرجلهن .[7]

---

(1) القلقشندي ، م.س ، 5 / 203 - 204

(2) حركات ، م.س ، 2 / 147

(3) الوزان ، م.س ، 1 / 252

(4) إبن القاضي ، م.س ، 2 / 439 ، حركات ، م.ن ، 2 / 147

(5) لوترنو ، م.س / 97

(6) الوزان ، م.س ، 1 / 252

(7) لوترنو ، م.س / 99 - 100

ث) بعض العادات والتقاليد

- **الإحتفالات والأعياد :**

كان أوّل من احتفل من بني مرين بالمولد النبوي السّلطان يعقوب بن عبد الحق (656 – 685 هـ/ 1258 – 1286 م) ، خلال فترة حكمه تعظيمًا واجلالاً لرسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - وظلت هذا العادة محلّ اهتمام و افتخارٍ من قبل المغاربة حكّامًا ومحكومين ، إذ لم يتوان السّلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (685 – 706 هـ/ 1286 – 1306 م) في إعطاء طابعا رسميًا للمولد وجعله من الأعياد الدّينية للدّولة حيث أمر « بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال له ، وصيّره عيدًا من الأعياد في جميع البلاد وذلك في شهر ربيع الأول .» [1]

و أصدر بشأن ذلك مرسومًا ملكيًا عندما كان في قاعة صبرة من أقاليم الريف في آخر صفر من عام (691 هـ / 1292 م) [2] بإشارة من الفقيه أبي طالب عبد الله بن القاسم العزفي .[3]

وكان السّلطان يوسف قد أناب للإشراف على إقامة رسم الاحتفال بفاس خطيب القرويين محمد بن أبي الصبر أيوب بن ينكول الجاناتي [4] ،وبهذا صار يوم الثاني عشر من ربيع الأول عيدا رسميًا بالمغرب . [5]

وأصبح الاحتفال بالمولد النبوي فيما بعد موسمًا أدبيًا على جانب كبير من الأهمية ، زيادة على مظهره الديني ، ففيه تظهر مواهب الشعراء لبعض المشاعر الدّينية ،وإظهار المكارم والمدائح النبوية أو مايعرف بالمولديات[6] ،وفي عصر ازدهار الدّولة المرينيّة كان السّلطان يدعو علماء المدينة وأدباءها إلى قصره للاحتفال بفحول الشّعراء ، ويأمر كل واحد منهم بإنشاد قصيدته المولدية بين يديه أمام الجميع ، فيتبارون ويصعد المنشد على منصة عالية ، وحيث مايقضي به رجال أكفّاء يعطي الملك الفائز من الشعراء مائة مثقال وفرسًا وجارية ، كما يأمر لكلّ واحد من الآخرين بخمسين مثقال . [7]

وكان اهتمام بنو مرين بمناسبات دينية مهمّة لدى المسلمين ، ألا وهي ليلة القدر ، فقد كان السّلطان يأمر بتقديس هذه الليلة والاحتفال بها ،وإسراج الثرايا بجامع القرويين في كل ليلة من ليالي السابع والعشرين من رمضان من كل عام . [8]

---

(1) إبن أبي زرع ، م.س / 383 ، المنوني محمد ، م.س / 268

(2) التاصري ، م.س ، 3 / 90 ، المنوني محمد ، م.س / 268

(3) إبن أبي زرع ، م.س / 383 ، المقري ، أزهار الرياض ، م.س / 268

(4) إبن أبي زرع ، م.ن / 383 ، التاصري ، م.س ، 3 / 90 ، المنوني ، م.س / 268

(5) المنوني ، م.س / 268

(6) إبن القاضي ، م.س ، 1 / 549

(7) الوزان ، م.س ، 1 / 260

(8) الجزنائي ، م.س / 69 ، إبن القاضي ، م.س ، 1 / 69

فضلاً عن اهتمامه بالعيدين ويوم الجمعة ، لأنّها تعد من المناسبات المهمّة لدى المسلمين ، وقد أولى السّلطان اهتمامًا خاصًا بهذه المناسبات من خلال تأكيده على صلاة العيدين وصلاة يوم الجمعة ، وكان هو أول من يتقدم من المصلين للصلاة حيث يظهر بثوب أبيض جدّ حسن ويؤم الناس ، فإذا انتهت الصلاة يشرع الواعظ السّلطاني في إلقاء خطبة العيد ، فإذا انتهت الخطبة يسارع الحضور لتقديم الولاء للسّلطان ، ثمّ يتفرق الجميع لتبادل الزيارات واستقبال الأقارب . [1]

- **الأفراح والأقراح**

يتحدث ابن خلدون في إشارات موجزة عن بعض الأفراح السّلطانية ،فيذكر زواج الأمير أبو الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) من فاطمة ابنة السّلطان أبي يحي ابن أبي زكريا الحفصي ، زفت إليه العروس في موكب ضخم من أساطيل الدولة الحفصية حتّى وصلت إلى سواحل الدولة المرينية عند مرسى غساسة سنة (731 هـ/ 1330م) [2]

وكان السّلطان أبو سعيد المريني (**0**710 -731هـ /1310 -1331 م) والد أبي الحسن(731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) قد أعدّ مواكب الدواب لاستقبال العروس ، ونقلها إلى قصرها هي وأمتعتها وأثقالها ، « وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب ، وأحتفل أبو سعيد لوفدها و أعراسها بما لم يسمع بمثله في دولتهم ، وتحدث الناس به دهرًا . » [3]

أمّا عن صداق العروس يشير الزركشي إلى خمسة عشرة ألف دينار من الذهب ومائتا خادم ، دفعهما السّلطان أبو الحسن(731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) في زواجه للمرة الثانية ،بعد وفاة زوجته فاطمة من أختها عزونة . [4]

أمّا على مستوى الرعيّة فالأفراح طابعها الخاص ،إذ يقدر الصداق المقدم لأهل العروس في عادة متوسطي الحال ، ثلاثين مثقالاً نقدا وجارية سوداء قيمتها خمسة عشر مثقالاً ، وقطعة قماش من الحرير والكتان ذات ألوان مختلفة ، ومناديل صغيرة من حرير يغطى بها الرأس ، وزوج أحذية مطرزة بطريقة جميلة جدًا ، وزجين من القباقب ،وعدداً من حلي الفضة وأشياء أخرى كالأمشاط والعطور والمراوح الأنيقة . [5]

---

(1) التازي عبد الهادي ، التاريخ الديبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم ، مطبعة فضالة ، الرباط ، 1988 ، 2 / 204 ، لوترنو ، م.س / 198 - 199

(2) إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 353 – 354 ، الزركشي ، م.س / 68 ، التاصري ، م.س ، 3 / 117

(3) التاصري ، م.س ، 3 / 117

(4) الزركشي ، م.س / 68 ، التاصري ، م.س ، 3 / 117

(5) الوزان ، م.س ، 1 / 254

وكان من عادات الناس تحضير ثلاث ولائم ، الأولى يوم الزّفاف والثانية في الليلة التالية ولايستدعى لها غير النساء ، والثالثة بعد أسبوع ويحضرها أهل الزوجة وأقاربها ، وفضلاً عن هذه الولائم الثلاث التي تكون في بيت الزوج ، تقام وليمتان أخريان في بيت الزوجة .(1)

وإلى جانب الولائم تقام حفلات الغناء والطرب وتعزف الموسيقى في جوّ بهيج ، ويستمر الوضع أسبوعاً كاملاً حتىّ تنقل العروس إلى بيت زوجها في آخر ليلة من ليالي الأسبوع ، حيث توضع في محفّة مثمنة الشّكل مصنوعة من الخشب مسدلة الستائر الجميلة المصنوعة من الحرير والدّيباج ، وتحملها الحاشية على الأكتاف ، فإذا بلغت باب الغرفة استقبلها زوجها ، وغالبًا مايكون هذا أوّل لقاء لهما .(2)

أما عن العادات المتبعة في الجنائز والحزن عن الموتى، فيذكر الوزّان ماتقوم به النساء إذا مات لهن قريبًا من العائلة بقوله :« تجتمع النساء مرتديات لباسًا خشنًا ، ويلطخن وجوههن بسواد دخان القدور ثم يستدعين أولئك الأنذال الذين يتجولون وهم لابسون ثياب النساء ، ليضربوا على دفوف مربعة ويرتجلوا أنظامًا حزينة مبكية في رثاء الميت ، وفي آخر كل بيت تصيح النساء ويخدشن صدورهن وخدودهن حتى يسيل منها الدم بغزارة ، وينتفن شعورهن نائحات مولولات ، يدوم ذلك سبعة أيام تلك هي عادة العامة .» (3)

بعد ذلك يتمّ تغسيل الميت جيدًا ثمّ يلّف في الكفن ويحمل إلى المقبرة على الآلة الحدباء (النعش) ، وكان الرجال فقط يسيرون في الجنازة مرددين أدعية دينية ، وفي الطريق يتوقف الموكب في مسجد للصلاة على الميت والدعاء له ، ثمّ يحمل نحو المقبرة فيوضع الجثمان في موضع القبر ويهال عليه التراب ، بعد أن يوسد الرأس بحيث يتجه الوجه نحو القبلة ، وكان لكلّ قبر شاهدان من الرخام محفور عليهما إسم الميت وتاريخ وفاته ويرافق ذلك أدعية أو آيات قرآنية .(4)

ويشير الونشريسي إلى عادة مغربية تسمى سابع الميت ، ونعني بها اليوم السابع للوفاة حيث يصنع أهل الميت طعامًا للقراء والفقراء والأقارب للتّرحم على الميت وصلة الأرحام ، ويسمّى هذا الطعام بعشاء القبر ، كما كانوا يضربون – في هذا اليوم – الفسطاط على قبر المتوفى ، ويستأجرون أحد القراء لتلاوة ماتيسر من القرآن على القبر ، وذلك على الرّغم من حث الفقهاء على نبذ تلك العادة التي أعتبرت من البدع ، ومما أحدثه الناس .(5)

---

(1) الوزان ، م.ن ، 1 / 256

(2) لوترنو ، م.س / 102

(3) الوزان ، م.ن ، 1 / 258

(4) لوترنو ، م.س / 104

(5) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 1 / 317

ثالثًا : الأوضاع الإقتصادية

1- الزراعة

أ) عوامل ازدهار قطاع

اهتمّت الدّولة المرينيّة بقطاع اهتمامًا كبيرًا وأسهمت بطرق مختلفة في تطورها وازدهارها ، وقد ساعدها في ذلك عوامل مختلفة في مقدمتها : وفرة مصادر المياه ، وجودة التربة ، وتنوع المناخ الذي كان له أثر واضح في زيادة كمية الإنتاج وتنوع المحاصيل والثمار .[1]

وقد نوّه المراكشي بخصوبة أرض المغرب قائلا : « وهي أخصب رقعة على الأرض فيما علمت وأكثرها أنهارًا مطردة وأشجارًا ملتفة وزروعًا وأعنابًا . »[2]

وأشهر مصادر المياه في المغرب الأقصى ،تلك الأنهار[3] المنتظمة الجريان التي لايقل ماؤها ولايتقطع شتاءً ولاصيفًا ، منها على سبيل المثال نهر الجوهر (واد فاس) الذي وصفه الجزنائي بقوله :

« وله منظر جميل لصفائه وانهماله على الرّضراض ، فيجتمع مايخرج من تلك العناصر من المياه فيصير نهرًا كبيرًا يجري في بسيط من الأرض ...وحواليه مروج مخضرّة ، لاتزال كذلك في جميع فصول السنة ، إلى أن ينحدر إلى البلد فينقسم في داخلها على جداول كثيرة ، فيشقّ أكثر جهاتها ، ويتشعب في داخلها ، فينتفع به في مساجدها وسقاياتها ودورها وأرجائها وحماماتها وسقي جناتها . »[4]

إلى جانب حيوية وانتظام جريان هذه الأنهار ، ينعم المغرب الأقصى بالآبار والعيون الطبيعية المتصفة بالغزارة والتي توفر للزراعة الكثير من المياه [5] زيادة على مياه الأمطار ، ولكن الأمطار غير منتظمة في أوقاتها أو تواليها ، فقد تتوالى أيامًا وشهورًا ، وربما تحتبس لمدة عام كامل أو أعوام متصلة .[6]

---

(1) ابن حوقل ، م.س / 79 – 88 ، الحريري ، م.س / 288

(2) المراكشي عبد الواحد ، م.س / 79

(3) يتوفر المغرب الأقصى على عدد هام من الأنهار مثل : نهر ملوية الذي ينبع فيما بين تلمسان ورباط تازة ويصب في البحر المتوسط ، ونهر سبو الذي يحيط بمدينة فاس شرقها وغربها ، ونهر ورغة المجاور لنهر سبو ويصب كلاهما في البحر المحيط ، ونهر أم الربيع وأبو الرقراق بين سلا ومراكش ، وينبعان من جبال صنهاجة ويصبان في البحر المتوسط ويتفردان بوفرة مياههما وإنتظام جريانهما ، ونهر شفشاوة وهوببلاد حاحة ويصب في البحر . أنظر : ياقوت الحموي أبو عبد الله البغدادي (ت 626 هـ ، 1228 م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1977 ، 4 / 230 ، كربخال ، م.س ، 2 / 27 – 28 ، الإدريسي ، م.س ، 5 / 235 ، 237 ، 244 ، 246 ، الحريري ، م.س / 288

(4) الجزنائي ، م.س / 35

(5) القلقشندي ، م.س ، 5 / 153 ، الزهري ، م.س / 114

(6) ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيًا سنة 712 هـ / 1312 م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد إبراهيم الكتّاني ، محمد بن تاويت ، محمد زتيبر ، عبد القادر رزمانة ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1985 / 16

وزيادة على ذلك فقد ساهم سلاطين بني مرين في خدمة الأرضي وإحيائها ،من خلال إعادة توزيعها علـى القبائل الموالية للسّلطة ، وعلى كبار الأعيان والفقهاء ، والأسر الكبيرة .[1]

لقد انعكست هذة العوامل بصورة إيجابية على الحياة الإقتصادية ، حيث عمّ الرّخاء وانخفضت أسعار المواد الغدائية ، فقد قيل أنّ السنة التي بويع فيها السّلطان أبو يوسـف يعقـوب (656 - 685 هـ/ 1258 - 1286 م) ، بيع فيها القمح بستة دراهم والكبش بخمسة دراهم والشابل وحدة بقيراط ، وهـو مايفسر كثرة الإنتاج وانخفاض الأسعار ، واستمر الرّخاء على ماهو عليه في عهد السّلطان يوسف بن يعقوب بـن عبد الحق (685 - 706 هـ/ 1286 - 1306 م) .[2]

ب) نظام الرّي

تعتمد أراضي المغرب الأقصى على مصادر متعددة في عملية الرّي لمختلف مزروعاتها ، خاصة مياه الأنهار التي لاتكاد تنقطع ، فنهر سبو وهو نهر عظيم يخترق مدينة فاس ويتشعب في داخلها ، يشكّل جداولاً وخلجانًا ، تستغل لسقي الجنان والبساتين .[3] هذا إلى جانب إحتواء أرض المغرب على عدد من العيون الطبيعية ذات المياه العذبة ، يصفها الزهري بقوله : « وكذلك في هذا الصقع مدينة فاس ... فيها أعين كثيرة ومياه غزيرة عذبة ، يقال أنّ أعينها على عدد أيام السنة ... وهي كثيرة الزّرع والضّرع والجنان والرّياض . »[4]

وكان لارتفاع الجبال المجاورة لفاس أهمية في سقوط الأمطار وتكوين الثّلوج ، فنهر سبو الذي تسقى منه مدينة فاس منبعه من عيون جبال صنهاجة ، وهي مصدر توزيع المياه في المغرب الأقصى[5] أما نهر تانسيفت فيستمد مياهه من العيون المنبعثة من أعالي جبال درن من ناحية مدينة أغمات .[6]

ولتنظيم عمليات الرّي اعتمد بنومرين على غرار أسلافهم ،على توفير المياه للمزروعات بشكل منظم من خلال حفر الآبار ، وسحب مياه الأنهار وتخزينها في برك وصهاريج معدة للسّقي .[7]

---

(1) جمال أحمد طه ، م.س / 203

(2) حركات ، م.س ، 2 / 150

(3) الإدريسي ، م.س / 247 ، القلقشندي ، م.س ، 5 / 154- 155 ، الزهري ، م.س / 115- 140

(4) الزهري ، م.ن / 114

(5) مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ،نشر وتعليق سعيد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية ،1987/ 184 ، الزهري ، م.ن ص.ن ، كربخال ، م.ن ، 1 / 36 ، الإدريسي ، م.س / 242- 24

(6) الإدريسي ، م.ن / 235

(7) الإدريسي ، م.ن / 233 – 234 ، لوترنو ، م.س / 56

وتشير المصادر أنّ سعة الصّهاريج والمخازن المعدة للسّقي كانت كبيرة جدًا ، لضمان استمرار عمليات السّقي خاصة في أيام القحط والجفاف .[1]

وخلافًا للصّهاريج ، تمّ حفر الآبار خاصة في المدن والمناطق التي عرفت بقلة مياهها ، حيث يوجد الماء قريب من السّطح يستخرج ليسقى منه في عدة أماكن بسهولة[2] ، وهو ماذهب إليه الإدريسي بقوله :

« و لم يزل الناس يحفرون الأرض ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتّ كثرت الباستين والجنات . »[3]

وللاستفادة من مياه الأنهار والعيون و الآبار ، استخدم سلاطين المغرب وسائلاً متعددة ، فكانت الرّوافع و السّواقي من أكثر وسائل الرّي إنتشارًا في مدن المغرب الأقصى[4] ، يصفها مارمول بقوله :

« وفي خارج أسوار فاس الجديد ، يرفع ماء النهر بواسطة عجلات تحمل الماء فوق الأسوار، ويوزع من هناك على قصور ، وحمامات ، وبساتين المدينة كلها ، ويوجد مثل ذلك في سهل طليطلة ، حيث يرفع ماء النهر الطاج لسقي البساتين ... وهذه العجلات التي ترفع الماء موضوعة على جانب النهر ، في قناة ضيقة جدًا ، ليديرها الماء الذي يدخل بقوة في القواديس المحيطة بها بسرعة أكثر ، وعندما تكون في الأعلى تصب الماء لدى نزولها ، لكي تقضي ساعة كاملة لإتمام دورة واحدة ... وقد كان أهل فاس في القديم يجلبون ماء العين التي تسيل الآن تحت الأرض عبر قنوات . »[5]

ويضيف لوترنو شرحًا آخر لأحد نظم السّقي المعتمدة في حدائق سلاطين بني مرين بقوله :

« وقد كان لأحد سلاطين بني مرين ، ولعلّه السّلطان أبو يوسف ، حديقة ملكية ...وقد كان فيها بركتان (صهريجان) لاتزال بعض آثارهما قائمة إلى الآن ، وكانت البركتان لري الحديقة كما كانت مبعث سرور السّلطان وجلسائه ، وكانت توصل المياه إليهما ناعورة ضخمة كانت تقوم على مقربة من باب السّباع ، فكانت الناعورة ترفع المياه من النهر إلى القناة تحمله بدورها إلى البركتين ، ولاشكّ في أنّ المكان كان رائعًا لما نمت الأشجار وأينعت الزّهور . »[6]

---

(1) القلقشندي ، م.س ، 5 / 157 – 158 إبن القاسم محمد الأنصاري السبتي ، إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، الرباط ، 1983 / 40

(2) كربخال ، م.س ، 2 / 159

(3) الإدريسي ، م.ن / 234

(4) مجهول ، الإستبصار ، م.س / 180 ، الإدريسي ، م.ن / 157 ، كربخال ، م.س ، 2 / 160

(5) كربخال ، م.س ، 2 / 160

(6) لوترنو ، م.س / 56

ت) المحاصيل الزراعية

- **الحبوب :**

اشتهرت مدن المغرب الأقصى بزراعة الحبوب على إختلاف أنواعها ،خاصة ذات الاستهلاك الواسع من قبل السّكان ، ويأتي في مقدمتها : القمح ، والشعير ، والحنطة ، والقطان ، والبقول الجافة : كالفول ، والسّلت ، والحمص ، والعدس ، والأرز ، والسّمسم .(1)

ذكرها القلقشندي بقوله : « ففيها من أنواع الحبوب ، القمح ، والشعير، والفول ، والحمص ، والعدس ، والدّخن ، والسّلت ، وغير ذلك ، أما الأرز فإنّه عندهم قليل ، بعضه يزرع في بعض الأماكن من برّ العدوة ، وأكثره مجلوب إليهم من بلاد الفرنج ، على أنّهم لا همة لهم في أكله ولا عناية به ، وبها السمسم على قلة ، ولايعتصر منه بالمغرب شرج لإستغنائهم عنه بالزيت . » (2)

ومن أهم المناطق التي انفردت بزراعة أنواع محددة من الحبوب ، مدينة فاس التي كانت توجد بها حقولاً كثيرة صالحة للزراعة ،خاصة في منطقة جبل زلاغ -على بعد خمسة فراسخ من فاس - تسقى بماء النهر بواسطة النّاعورات ،وكان يعمل في هذه الحقول سكان الجبل ، ويمتلك أعيان فاس أكبرحصة من أراضيهم في هذه المنطقة ، أما حقول القمح الواسعة فقد انتشرت في سهل الجبل المطل على فاس من ناحية الشرق ، وفي غرب فاس حيث سهل السّايس (3) ، وأمدت منطقتي أزغار وبني ومود مدينة فاس بالكثير من غلال القمح التي كانت تحصد بهما .(4)

كما اشتهرت مدن : مغيلة ،سجلماسة ، البصرة ، وطنجة ، وأزيلي ، ولطيفة ، وماسيتة بزراعة القمح ، والشعير ، والحنطة ، والقطان ، ويعود الفضل في ذلك لخصوبة أراضيها السّهلية ، وكثرة مياهها ، وشساعة حقولها .(5)

ومما يدل على وفرة الإنتاج من الحبوب بمدن المغرب ، تلك المخازن التي أقامها السّلاطين كمطامير لتخزين الحبوب خاصة القمح والشعير والحنطة ، إما لفائض الإنتاج أو لوقت الحاجة ، ويصف القلقشندي هذه المطامير بقوله : « وهي مكان يستدير عليها سور منيع عليه باب، وغلق داخله المطامير . » (6)

---

(1) ابن حوقل ، م.س / 80 – 81 ، الإدريسي ، م.س / 229 – 237- 242 ، الزهري ، م.س / 114- 115

(2) القلقشندي ، م.س ، 5 / 175

(3) كربخال ، م.س ، 2 / 180 – 181 ، جمال أحمد طه ، م.س / 206

(4) الوزان ، م.س 2 / 301 -302

(5) ابن حوقل ، م.س / 80 – 81 ، مارمول ، م.س / 184 ، القلقشندي ، م.س ، 5 / 164

(6) القلقشندي ، م.س ، 5 / 157

- **القطن والكتان ومحاصيل أخرى :**

زرعت في غرب مدينة فاس مساحات واسعة من القطن والكتّان ، خاصة في السّهول والحقول المجاورة للمدينة ، ومما ساعد على ذلك خصوبة أراضي فاس لإنتاج هذه المحاصيل ، مع توفر إمكانات السّقي الهائلة وملاءمة المناخ .[1]

و يضاف إلى مدينة فاس ، مدينة سلا التي ذكرها ابن الخطيب بقوله : « وفي نواحي سلا كان يزرع القطن والكتّان . »[2]

وبالقرب من مدينة أغمات تجد مدينة داي التي لاتبعد عنها سوى أربعة أيام ، اشتهرت بكثرة مزارعها وتنوع محاصيلها خاصة نبات القطن ، ولكن مدينة تادلة التي لا تبعد عن تالة سوى مرحلة واحدة ، يزرع بها القطن بكميات كبيرة ، توجه للمدن المجاورة قصد استغلالها .[3]

كما اشتهرت مدينة سبتة ،وسلا، والسوس ، ومراكش بزراعة قصب السّكر[4] في حين اشتهرت منطقة مغيلة بمحاصيل أخرى كالقنب ، والبابونج ، والكرويا ، والكبّار التي تحمل إلى مدينة فاس لبيعها .[5]

- **الفواكه و الخضر والرياحين :**

تنتج أرض المغرب الأقصى أنواعاً مختلفة من الفواكه اللّذيدة ، طيبة المذاق حددها القلقشندي بقوله :

« فيها أنواع الفواكه المستطابة ، اللّذيذة ، المختلفة الأنواع ، بين النخل ، والعنب ، والتين ، والرمان ، والزيتون ، والسفرجل ، والتفاح على أصناف ، وكذلك الكمثري ...وبها المشمش ، والبرقوق ، والقراصيا ، والخوخ ، وغالب ذلك على عدة أنواع ، والتوت على قلة ، والجوز ، واللوز ، ولايوجد بها الفستق ، والبندق إلاّ مجلوبًا ، وبها الأترج ، والليمون ، والليم ...وبها البطيخ الأصفر ، والأخضر...وأما رياحينها، ففيها الورد ، والبنفسج ، والياسمين ، والآس ، والنرجس ، والسوسن ، والبهار ، وغيرذلك . »[6]

---

(1) كربخال ، م.س ، 1 / 162 ، جمال أحمد طه ، م.س / 207 ، المنوني ، م.س / 111
(2) حركات ، م.س / 150
(3) القلقشندي ، م.س ، 5 / 171
(4) القلقشندي ، م.ن ، 5 / 158 -176 ، المنوني ، م.س / 112
(5) كربخال ، م.س ، 2 / 184
(6) القلقشندي ، م.ن ، 5 / 175 -176

ومن بين مدن المغرب الأقصى ، انفردت فاس بأصناف مختلفة من الفواكه التي لاتوجد في غيرها من البلاد إلاّ متفرقة في أقاليم شتى ، في حين توجد في فاس مجتمعة في غاية الحسن والطيب ، وتميزت عدوة القرويين بفواكه الخريف ، وعدوة الأندلس بفواكه الصّيف [1] ، ويوضح ذلك ابن أبي زرع بقوله :

« وبها (عدوة القرويين) الرّمان السّفري الذي ليس في المغرب مثله حلاوة ولذة وولادة ، والتين الشعري ، والسبتي الطيب الحسن ، والعنب ، والخوخ ، والجوز، والعناب ، و السفرجل ، والأترج ، وسائر الفواكه الخريفية ، تأتي في عدوة القرويين في نهاية الطيب والحسن والحلاوة ، وتختص عدوة الأندلس أيضًا بحسن الفواكه الصيفية وطيبها ، كالتفاح الطرابلسي الحلو الأصفر ، الذي ليس مثله في جميع المغرب لحسنه وحلاوته ، ولذة مطعمه وخفته ، ورقة قشره ، وطيبة رائحته ، واعتدال خلقته ، والتفاح اللّيوبي ، والطلحي ، والكلخي ، وأصناف الكمثري ، والمشمش ، والبرقوق ، والتوت ، كل ذلك بها في نهاية الطيب والحسن . » [2]

وشملت بساتين وجنان المغرب أنواع مختلفة من فاكهة العنب الذي تميزت زراعته بوفرة الإنتاج وجودته ، حيث اشتهرت مدينة فاس بوجود جبل يسمى جبل العنب على بعد نحو ميلين منها ، وقد عرف بهذا الاسم لأنّه كان يوجد بسفحه كثير من أشجار العنب والكروم . [3]

أما مدينة سجلماسة وبفضل موقعها المتميز ،فقد اشتهرت بكثرة ثمارها من العنب ، والزّبيب ، والرّمان ، وفواكه أخرى [4] ، وعلى نهر صغير نجد مدينة الحمر التي تبعد عن العرائش بأربعة عشر ميلاً ، كلها أراض جيدة محاطة بكروم ذات أعناب شهية . [5]

وعلى الرّغم من عدم صلاحية أراضي مدينة طنجة لزراعة الحبوب ، إلاّ أنهّا تكثر فيها الحدائق التي تنتج البرتقال واللّيمون وبعض الكروم وغيرهما من الثّمار. [6]

---

(1) ابن أبي زرع ، م.س / 44

(2) ابن أبي زرع ، م.ن / 45

(3) الزهري ، م.س / 115

(4) المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1877 / 231

(5) الوزان ، م.س ، 2 / 311

(6) الوزان ، م.ن ، 2 / 314

ويضيف ابن غازي ماتنتجه مدينة مكناسة من أنواع وأصناف الفواكه بأسمائها المختلفة بقوله :

« أما مدينة مكناسة فهي بلدة خصيبة ، ذات عيون وأنهار وثماركثيرة وأشجار ، وهي كثيرة الفواكه والمزارع فيها أنواع كثيرة من الهلالج المسمّى بغرب الأندلس العبقر ، ويسمونه كذلك البرقوق ، لايكاد يوجد مثله في غيرها من البلاد كثرة وطيبًا ، وفيها المشمش ... وفيها أنواع من التفاح طيبة من جملها نوع يسمى الطرابلسي حلو عطر يعقد مرتين في العام ... وفيها أنواع كثيرة من الإجاص ، وفيها سفرجل كثير طيب حلو وحامض ، ويركب التفاح فيه فيجود ، ويركب فيه أيضًا الإجاص وفيها أنواع من الرمّان كثيرة طيبة كالسفري ، والراهي ، وميمونة ، والنعيمي ، والأخضر ، ورمانها القديم صنف يقال له القابسي ، وهو جليل شديد الحلاوة ...وفيها الجوز ، والخوخ ، وفيها أنواع العنب الأبيض والأسود كثير طيب يطبخ ولايزبّب ، وفيها من التين أنواع منها الشعري ، والسبتي ، والإنبضار، وغير ذلك من أنواع التين كالأشكوز ، والشبلي ، والحمراء ، والغذان ، والحافر ، والنقال ، وغيرها ويجلب إليها البلوط الجليل الحلو ، وأما الزيتون فهو فيها كثير جدًا لذلك أضيفت إليه (مكناسة الزيتون) وأشتهرت به ...وفيها أرض بيضاء للخضر والكتان . » [1]

وإلى جانب هذه المحاصيل ، شهدت أراضي المغرب الأقصى زراعة شتى أنواع الخضر للاستهلاك اليومي ، وقد ذكر القلقشندي بعضًا منها وهي : « الخيار ، والقثاء ، واللفت ، والبادنجان ، والقرع ، والجزر ، واللوبيا ، والكرنب ، والشمار، والصعتر ، وسائر البقول . » [2]

---

(1) ابن غازي المكناسي أبو عبد الله محمد بن أحمد (919 هـ / 1513 م) ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، الرباط ، 1952 / 4

(2) القلقشندي ، م.س ، 5 / 176

ث) الثروة الحيوانية

اهتمّ سكان المغرب بتربية أنواع كثيرة من الحيوانات والدّواب ، بهدف استغلالها في حياتهم المعيشية ، كواسطة نقل رئيسية و إحدى وسائل الرّي والفلاحة ، زيادة على قيمتها الغذائية [1] ،وقد عدّد القلقشندي مواشي المغرب الأقصى بقوله : « وأما مواشيها ، ففيها من الدواب الخيل ، والبغال ، والحمير ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، أما الجاموس فلايوجد عندهم ... وأما الطير فيها منه الإوز ، والحمام ، والدجاج ونحوها ، والكركي عندهم كثير على بعد الدار ، واسمه عندهم الغرنوق ، وهو صيد الملوك ...وفيها أيضًا النعام والغزال والمها . » [2]

كذلك كانت أنهار المغرب مصدرًا لتزويد السّكان بمختلف أنواع الأسماك ، ويعد نهر سبو الذي يمر وسط مدينة فاس أحد أهم الأنهار للثروة السّمكية ، ذكرها الجزنائي ، حيث يخرج من هذا النهر أنواع من الحوت اللبيس ، والبوري ،والسيناخ ، والبوقة ، ووصفت هذه الأنواع بأنها لذيذة الطعم كثيرة المنفعة . [2] وكانت الكميات التي تخرج من هذا النهر وفيرة ، وتصل إلى مدينة فاس بأحمال كثيرة ، وقد أشار إليها صاحب كتاب " الاستبصار "بقوله : « ويتصيد في هذا الواد الشابل الكبير ... والحوت الكثير ، كما يتصيد في بعض الأحيان البوري الكبير ، وذكر الثقات أنّه بيع واحد منه بثلاثة عشر درهمًا ، والرطل الكبير منه بدرهم ونصف ، كما يصل إلى فاس الحوت الكبير المسمى عندهم بالقرب يحمله الحمار، وبه أنواع اللبس ، والشولي . » [3]

---

(1) القلقشندي ، م.س ، 5 / 176 -177

(2) الجزنائي ، م.س / 35

(3) مجهول ، الإستبصار ، م.س / 184 - 185

2- الصّناعة

ازدهرت الصّناعة في المغرب الأقصى خلال العصر المريني بفضل توفر دعامتين أساستين ، يتعلق الأمر بوفرة المواد الخام سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية ، ووفرة اليد العاملة المؤهلة ذات الخبرة والمهارة التي تجمعت لدى العامل المغربي عبر السنين [1] ، ضف إلى ذلك ماورثه بنومرين من قاعدة صناعية خلفها أسلافهم الموحدون . [2]

أ) المواد الخام

ارتبط تقدم الصّناعة وازدهارها بمدن المغرب الأقصى ، بمدى وفرة المواد الخام خاصة المعدنية منها ، ويذكر الونشريسي أنّ بلاد المغرب اشتهرت ببعض المعادن ، من أهمها الملح الذي كان يستخرج من صحراء المغرب ، من ذلك أنّ : « قومًا بصحراء المغرب كان لهم معدن (أي منجم) ملح يستخرجونها من جوف الأرض ويقطعونها ألواحًا كألواح الرخام ... وألواح الملح هي معظم تجارتهم ، حيث كانوا يحملونها من بلد إلى آخر ، ولاغنى لجميع بلاد المغرب عنها . » [3]

ويؤكد البكري ماذكره صاحب "المعيار" بقوله : « ومن غرائب تلك الصّحراء معدن الملح ... ويسمى هذا المعدن تاتنتال ... ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان . » [4]

و تذكر المصادر الجغرافية ، وفرة معدن الحديد والزئبق بجبل قرب مدينة أرزوا ، كما اشتهرت مدينة طنجة بالرخام والأحجار الكريمة ومختلف أصناف الجواهر . [5]

أما مدينة داي الواقعة بالقرب من جبل درن فتتوفر على معدن النحاس الخالص بكميات كبيرة ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله : « وهي مدينة بها معدن النحاس الخالص الذي لايعدله غيره من النحاس بمشارق الأرض ومغاربها ، وهو نحاس حوّل لونه إلى البياض يتحمل التزويج ، ويدخل في لجام الفضة ...وهذا المعدن يحمل إلى سائر البلاد ويتصرف فيه في كثير من الأعمال . » [6]

---

(1) جمال أحمد طه ، م.س / 210 ، الحريري ، م.س / 284

(2) الجزنائي ، م.س / 44 ، ابن أبي زرع ، م.س / 48

(3) الونشريسي، المعيار ، م.س ، 5 / 136 - 137 ، كمال السيد أبو مصطفى ، ، م.س / 66

(4) البكري ، م.س / 171

(5) البكري ، م.ن / 70 - 109

(6) الإدريسي ، م.س / 241

ويشير الزهري إلى وجود معدن الفضة بالقرب من واد أم الرّبيع ، بأنواعه المختلفة من غوان وركناس [1]
ويذكر صاحب كتاب " الاستبصار "وفرة معدن الفضة والحديد والنحاس ، في منجم عوام الشهير القريب من مدينة فاس . [2]
كذلك كان الذّهب يجلب من منطقة أودغست جنوب المغرب الأقصى ، ويعتبر ذهبها من أجود ذهب الأرض ، هذا إلى جانب معدن الياقوت المستخرج من جبل هزرجة من بلد هكسورة. [3]
كما توفرت مدن المغرب الأقصى على مادة الأخشاب بفضل انتشار الغابات الكثيفة ذات الأنواع المختلفة من أشجار البلوط ، والأرز ، [4] وغيرها هذا إلى جانب وفرة الورود ، والأزهار، والرياحين التي تستخدم كمادة أولية في صناعة العطور والروائح الطيبة . [5]

ب) بعض أنواع الصّنائع والحرف

- **صّناعة النسيج :**

تحتل صناعة النسيج والحياكة مركز الصدارة بين أنشطة المدينة الإقتصادية في المغرب الأقصى ، نظرًا لارتباطها الوثيق بالاحتياجات الهامة للسّكان المغاربة و متطلباقم من الأغطية ، و الألبسة، والأثواب من جهة ، وتوفر المادة الخام من القطن والكتّان من جهة أخرى . [6]
وتشير المصادر إلى ازدهار صناعة النسيج من الكتّان في أماكن خاصة من مدينة فاس [7] ،ويتعلق الأمر بصناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التي كان يتم تبطينها ، والتي كانت تستخدم في تغطية صحون المساجد والمساحات العامة من الشمس ،كما هو الحال بالنسبة لمسجد القروين بفاس .[8]
كما ازدهرت صناعة النسيج من القطن والحرير ، مثل الأشرطة والشّربات التي توضع على صدور الخيل مع عدة السّروج وكلاهما مصنوع من مادة واحدة ، و الأقمشة الرقيقة ، ورباطات الحريرالخام ، والفرش ، والوسائد ، والزرابي المزركشة بالذهب والحرير . [9]

---

(1) الزهري ، م.س / 115
(2) مجهول ، الإستبصار ، م.س / 181
(3) مجهول ، الإستبصار ، م.ن / 216 ، البكري ، م.س / 153 – 159
(4) ابن أبي زرع ، م.س / 35 - 36 ، الجزنائي ، م.س / 35 ، ابن القاضي ، م.س ، 1 / 44
(5) كربخال ، م.س ، 2 / 159 ، إبن القاضي ، م.ن ، 1 / 44
(6) جمال أحمد طه ، م.س / 210
(7) كربخال ، م.س ، 2 / 148 – 149 ، الوزان ، م.س ، 1 / 171 – 184
(8) ابن أبي زرع ، م.س / 63
(9) كربخال ، م.س ، 2 / 149

وارتبط بهذه الصّناعة فن صباغة الأقمشة ، ومما يؤكد ذلك وجود عدد من الصباغين الذين كانت لهم أماكن على جانبي النهر على مقربة من جسر الصباغين ، وكان هؤلاء يستعملون في الصباغة مواداً معدنية الأصل ، كانت توجد على مقربة من مدينة فاس وكانت تهيأ في دكاكين خاصة بها .[1]

وكانت فئة الدباغين ذات أهمية كبيرة في الصّناعات الجلدية ، فهم الذين يزيلون الشعر عن الجلود ، ويعدون المساحيق اللازمة للذباغة ، ثمّ يقومون بدبغ الجلود [2] إذ يهيئونها لصناعة الأدوات الجلدية كأكياس النقود ، وأحزمة الجلد المزخرفة بالحرير الملون ، وأنواع من الأزمّة المذهبة لقيادة الخيل ، كما كان الإسكافيون يصنعون أحذية مطرزة ، إلى جانب الأخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحرير .[3]

- **صناعة الزيوت وبعض المواد الاستهلاكية :**

اشتهرت بعض مدن المغرب الأقصى على غرار مدينة فاس ، ومكناسة بزراعة مساحات شاسعة من أشجار الزيتون [4]، حيث تنقل أحمال كثيرة إلى عدد من المعاصر أين يقوم الصّناع باستخراج زيت الزيتون بطرق مختلفة ، إمّا عن طريق العصر أو الطحن أو الغلي .[5]

ففي مدينة فاس : « كانت ثمّة جرن حجري ، يقوم في وسط فسحة في البيت أو في عرصته ، يوضع فيه الزيتون ، وثمة رحى طاحون تقام على زاوية قائمة من سطح الجرن وتدور فيه فتهرس الزيتون ، وهذه الرحى كان يديرها حيوان يدور بالجرن طول النهار ، ويحمل الزيتون المهروس ، بعد أن يكون قد أخذ منه بعض الزيت في سلال من الحلفاء إلى المكابس لعصره ، والمكابس كانت مصنوعة من خشب الزيتون بإطارها وألواحها ولولبها . . » [6]

أما عن أماكن تواجد معاصر الزيتون بمدينة فاس ، فيشير إلى ذلك تورنتو بقوله :

« وكانت معاصر الزيتون تقوم على مقربة من البابين اللّذين كانت أحمال الزيتون تدخل منهما – باب الجيسة وباب الفتوح – إلاّ أن المعاصر القريبة من باب الجيسة كانت أكثر عددًا ، وكانت هذه توازي الأسوار . » [7]

---

(1) لوترنو ، م.س / 133

(2) لوترنو ، م.ن ص.ن

(3) كربخال ، م.س ، 2 / 148 – 151- 153

(4) ابن غازي ، الروض ، م.س / 04 ، لوترنو ، م.س / 128

(5) جمال أحمد طه ، م.س / 214

(6) لوترنو ، م.س / 129

(7) لوترنو ، م.ن / 128

وبفضل كمية الإنتاج الوفيرة من الزيوت ،ازدهرت صناعة الصّابون في حوانيت خاصة [1] ، لاسيما الصّابون الأسود الذي لايوجد غيره بإفريقيا ،ثمّ يحمل بعد ذلك مباشرة إلى السوق الذي سمي باسمه ،و يظم أزيد من خمسين دكان لبيع الصّابون . [2]

أما صناعة السّكر فقد انتعشت في بعض المدن التي ارتبط اسمها بزراعة قصب السّكر ،على غرار مدينة سلا ومراكش ، أين يعصر ويصنع منه القند ، ومن القند يكون السكر على أنواع ، ويصنع منه كذلك المكرّر الفائق ، ونظرًا لشهرة عسل النحل وكثرته بهذه المدن فإنّ السكر لم يكن يستعمل إلاّ للغرباء أو المرضى. [3] وكانت في مدينة مراكش لوحدها أربعون معصرة لصناعة السّكر ، حتىّ أنّ حمل الحمار من هذا القصب كان يباع بدرهم لوفرته . [4]

- **الصّناعات المعدنية :**

شهدت مدن المغرب الأقصى تطورًا كبيرًا في الصّناعات المعدنية في العصرين المريني والوطاسي ، بفضل وفرة المواد المعدنية ، وتتعدد استخدامات هذة الصّناعة مدنيًا وعسكريًا .

وقد كان للصّناع اليهود حظهم في بعض الصّناعات المدنية ، خاصة ماكانت مادته الفضة والذهب ومعادن أخرى « حيث يحتكرون صناعة المماشط لتمشيط الصوف ، وصناعة الحلي ، فكانت الأساور، والخلاخيل والأقراط ، والأطواق، والخواتم الذهبية، والفضية ، من الأشياء التي يقتصر صنعها عليهم . » [5]

كما استخدم معدن الحديد والنحاس في صناعة الأنابيب لسحب المياه إلى المدن أو توزيعها على الأحياء ، وتمّ استخدام الرصاص في تلبيس الصّهاريج ، وفي صناعة قواديس لجر المياه [6] واستخدم النحاس في صناعة الخصة والأنابيب التي تصب الماء ، فصنعت بجامع القرويين خصة من نحاس أحمر مموه بالذهب ، قامت على ساق من نحاس منقوش يبلغ طوله خمسة أشبار من الأرض ، وتفنن صنّاع فاس في ذلك فقسموا الساق إلى نصفين ، يصعد الماء من نصف منها فيفور في وسط الخصة من تفاحة فيها عشرة أنابيب ، كما صنعت أكواب مموهة بالذهب بسلاسل من نحاس دائرة بها يشرب الناس منها . [7]

---

(1) ابن أبي زرع ، م.س / 48 ، الجزنائي ، م.س / 44

(2) كربخال ، م.س ، 2 / 152

(3) القلقشندي ، م.س ، 5 / 176

(4) الحريري ، م.س / 285

(5) لوترنو ، م.ن / 139

(6) ابن أبي زرع ، م.س / 58 – 64 – 70 ، الجزنائي ، م.س / 73

(7) ابن أبي زرع ، م.ن / 64 - 66 ، الجزنائي ، م.ن / 72 - 73

كما صنعت ثرية جامع القرويين في فاس من النحاس مؤلفة من خمس مائة وتسعة قنديل تزن (17.5 قنطارًا و 13 رطــلاً من النحاس .[1]

ومن الصّناعات الدقيقة التي برع فيها علماء بنو مرين ، صناعة الساعات والإسطرلابات ، ففي سنة (685 هـ/ 1286 م) ، صنع المعدل محمد ابن الحباك[2] ساعة لمعرفة الوقت وهي عبارة عن « بدن مــن فخــار بالقبة العليا وفيه الماء، وجعل على وجه الماء طنجيرًا من نحاس فيه خطوط وأثقاب ، ويخرج منها الماء بقدر معلوم إلى أن يصل للخطوط فتعلم بذلك أوقات الليل والنهار في أيام الغيم ولياليها . »[3]

وصنعت ساعات أخرى كتلك التي صنعها المعدل أبو الحسن علــي بــن أحمــد التلمــساني (منجانــة) ، للسّلطان أبي عنان المريني سنة (758 هـ/ 1356 م) « بطيقان وطوس من نحاس مقابلــة لبــاب مدرســته الجديدة (المدرسة البوعنانية) التي أحدثها بسوق القصر من فاس ، وجعل شعار كــل ســاعة أن تــسقط صنجة في طاس وتنتفخ طاق . »[4]

كما اهتمت الدولة المرينية بسك النقود المعدنية ، ووضع علامة السّلطان عليها للدلالة على جودتها وكونها ذات عيار ثابت[5] ،وأقامت لذلك مراكزًا لصناعة السكة وضرب النقود في كل من فاس ، وسجلماسة ، ومراكش ، وأزمور ، ومكناس وغيرها[6] ، وكانت القطعة المستخدمة تتــألف مــن الــدينار الــذهبي ، والدينار الفضي والدرهم الكبير ، والدرهم الصغير ، أما عن الشكل فقد كانت العملة مستديرة وبداخلها مربع وسط دائرة تحيط به دائرة أخرى تتكون من نقط ، وبداخل المربعات عبارات دينية .[7]

---

(1) ابن أبي زرع ، م.ن / 66

(2) أنظر ترجمته في : الونشريسي ، الوفيات ،م.س / 260 ، ابن مريم ، م.س / 219 - 219 ، التنبكتي ، م.س / 543

(3) ابن أبي زرع ، م.ن / 50 -51

(4) ابن أبي زرع ، م.ن / 53

(5) ابن خلدون ، المقدمة ، م.س / 323 - 324

(6) المنوني ، م.س / 99

(7) حركات ، م.س / 141 - 143 ، المنوني ، م.س / 97 – 98 - 99

3- التّجــارة

ارتبط النشاط التجاري في مدن المغرب الأفصى بما أقامه سلاطين بنو مرين وبنو وطاس من تنظيمات تجارية تتعلق بإقامة المنشآت ، وترتيب الأسواق الداخلية منها والخارجية ، وضبط المكاييل والموازين ، و تحسين طرق الجباية ، ومراقبة أنشطة وسلع التجار وفق قواعد ونظم معينة .

أ) تنظيم الأسواق

لقد كانت مدن المغرب الأقصى على غرار مدينة فاس ، تحوي عددًا من الأحياء التجارية ، يظم كل حيّ مجموعة من الأسواق و يختص كل واحد منها بنوع معين من السّلع التجارية [1] ، ولرسم صورة واضحة لأسواق المغرب الأقصى ، ينقل لنا حسن الوزان وصفًا دقيقًا لقيسارية فاس بقوله :

« هذا السوق شبه مدينة صغيرة مسورة بجدران ينفتح فيها إثنا عشر بابًا ، يعترض كل باب منــها سلــسلة تمنع الخيل وسائر الدواب من الدخول إليه . وينقسم هذا السوق إلى خمسة عشر حيًــا ، إثنــان مخصــصان للخرازين الذين يصنعون أحذية للأعيان لا يمكن للصناع ولا للجنود ولا لرجال الحاشية أن ينتعلــوا مثلــها وفي هذا المستوى من جمال الصنعة . وهناك حيان آخران مخصصان لتجــار الأقمــشة الحريريــة ، ويبيــع بعضهم الجدائل والطرز الخاصة بطقوم الخيل وغيرها من أنواع الزينة ، ويشغلون نحو خمسين دكانًا ، بينمــا يبيع الآخرون الحرير الملون لتطريز القمصان والوسائد ، ولهم نفس عدد الدكاكين بالتقريب ... ويأتي بعد ذلك حيان آخران يشغلهما تجار الأقمشة الصّوفية ، أي المستوردة من أروبا ، وكلــهم أندلــسيون ... ثمّ يأتي مكتب محصل الضرائب ...وبعد ذلك يحتل الخياطون ثلاثة أحياء ، بعدها حي خاص بالعمــال ...ثمّ حي لتجار الكتان وتجار القمصان والأقمشة النسائية ...وأخيرًا هناك حي يعاد فيه بيع القمــصان القديمــة المصنوعة من الكتان ، والأغطية ، والفوط...إلخ » [2]

ويضيف لنا الأنصاري السبتي وصفا آخر لأسواق مدينة سبتة بقوله : « وعدد الأسواق مائة وسبعون سوقًا ، تخص منها المدينة بمائة وإثنين وأربعين سوقًا ، والأرباض الثلاثة العامرة بإثنين وثلاثين ، ومن أشرفها قدرًا وأجملها مرأى سوق العطارين الأعظم ، وسماط العدول الموثقين . » [3]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س 3 / 157 – 217 ، الوزان ، م.س / 240 ، كمال السيد أبو مصطفى ، م.س / 70

(2) الوزان ، م.س / 240 – 241

(3) ابن القاسم الأنصاري السبتي ، م.س / 36

واهتمّ سلاطين بنومرين ومن بعدهم بني وطاس على غرار أسلافهم الموحدين بإقامة الفنادق وتجديدها لأهميتها الإقتصادية، فهي موضع إقامة التجار والغرباء ممن لهم أثر كبير في الحركة التجارية ، فضلاً عن كونها مخازن لمختلف أنواع السّلع والبضائع ، حيث كان التجار الوافدون يخزنون فيها بضائعهم لتوزيعها بعد ذلك على التجار بالجملة . (1)

ويشير الأنصاري أن عدد الفنادق بمدينة سبتة ثلاثمائة وستون فندقًا « أعظمها بناءً وأوسعها ساحة الفنـدق الكبير المعد لاختزان الزرع ، وهذا الفندق من بناء محمد أبي القاسم العزفي... ويليه في الكبر مـن الفنـادق المعدة لسكنى الناس وغيرهم الفندق المعروف بفندق غانم ...وأبدعها صنعة فندق الوهراني ... » (2)

ولتنظيم الحركة التجارية داخل الأسواق ، وجد الحمالون والبغالين لنقل البضائع والسّلع بين الأحياء والدكاكين ، ويقومون بمهامهم بترخيص من عامل المدينة ، ولهم أمين يفصل في نزاعاتهم ، كما وجد الدلالون في زقاق خاص بهم ، وهم عبارة عن وسطاء بين التاجر والمشتري ، يقومون بنقل السلعة من دكان إلى آخر مبتغين فيها أعلى الأثمان . (3)

وإلى جانب الفنادق والقيسريات ، تشير إحدى النوازل أن بعض النسوة في المغرب كنّ يبعن السلع عند أبواب دورهن ، وفي ذلك يذكر الونشريسي أنّ إمرأة مغربية كانت تبيع الزيتون عند باب دارها ، مقابل أجر معين يعرف بالسمسرة (4) ، كما كان بعض الباعة من المسلمين وأهل الذمة يتصدرون لبيع السلع للنساء في الدور ، وكان النساء يخرجن إليهم سافرات الوجه عندما يشتد الحرّ في فصل الصيف (5).

ولوضع حدٍ لظاهرة الغش والتدليس وإحتكار السلع ، خضعت إدارة أسواق المغرب الأقصى لأمناء الأسواق الذين كانوا تحت إشراف ولاة الأمر ،حيث يسألون عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم ، ويذكر الونشريسي أنّه : « ينبغي للوالي أن يتحرى العدل وأن ينظر في أسواق رعيته ، ويأمر أوثق من يعرف ببلده أن يتعاهد السوق ويعير عليهم صنجتهم وموازينهم ومكايلهك كلها ، فمن وجد غير ذلك شيئأ عاقبه على قدر مايرى من جرمه وإفتياته على الوالي وإخراجه من السوق حتّ تظهر منه التوبة . » (6)

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س 6 / 426 ، كمال السيد أبو مصطفى ، م.س / 74 ، الحريري ، م.س / 293

(2) الأنصاري السبتي ، ، م.س / 38 - 39

(3) كربخال ، م.س / 149 ، الونشريسي ، المعيار ، م.س 6 / 78 ، جمال أحمد طه ، م.س / 226

(4) الونشريسي ، المعيار ، م.ن 6 / 78

(5) الونشريسي ، المعيار ، م.ن 5 / 197 ، كمال السيد أبو مصطفى ، م.س / 71

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.ن 6 / 407

ب) المكاييل والموازين

استخدم سكان مدينة فاس وباقي مدن المغرب الأقصى في تعاملاتهم اليومية ، وفي شـراء إحتياجاتـهم مـن البضائع والسّلع ، عددًا من المكاييل والموازين التي أشارت إليها العديد من المـصادر[1] والـتي لاتختلـف في مجملها عما هو متعامل به في دول المغرب الإسلامي ومن أهمها :

- **المد القروي أو المغربي** :حدد البكري سعته بقوله : « ومدهم يسع من الطعام ثمانين أوقيـة » ويطلـق على هذا المد اسم اللّوح [2] ، ويذكر الونشريسي أنّ المد النبوي كان يساوي مدًا وثمن مد قروي . [3]
- **الأوقية** : ذكرها البكري باسم الأواقي ، جمع مفرده أوقية ، وهي وحدة وزن خصصت للمـأكولات من زيت ، وعسل ، ولبن ، وزبيب [4] ، والمعروف أنّ الرّطل كان يساوي إثنتي عشر أوقية ، وعلى هـذا فإن المد النبوي يزن ست عشرة أوقية [5] ،ويضيف المنوني أنّ : الأوقية تقدر نقدا بتسعة وستون درهمًا . [6]
- **الوسق أو الصحفة** : يعادل الوسق أو الصحفة ستون صاعًا بالصّاع النبـوي ، وهـو ماسـعته كـيلاً (365.544 لترًا) [7] ، والصّاع الشرعي يعادل أربعة أمداد نبوية ، وهو مايساوي أربـع حفنـات ، وقـد وقف الونشريسي على ذلك بنفسه فوجده صحيحاً . [8]
- **القنطار و المثقال** :

فالقنطارمقداره الشرعي مائة رطل [9]، أما المثقال فهو وحدة وزن صغيرة وزنه (04.72 غرام) يـستخدم لوزن الذهب والفضة والمواد الثمينة . [10]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 1 / 399 ، 1 / 399 ، 2 / 73 - 74 ، 3 / 276 ، 4 / 390 ، 5 / 14 - 90 ، 8 / 144 ، 11 / 144 ابن أبي زرع ، م.س / 66 – 67 - 270 ، القلقشندي ، م.س ، 5 / 177 ، البكري ، م.س / 117، مجهول ، الإستبصار ، م.س / 184

(2) البكري ، م.س / 117

(3) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 2 / 73 - 74 ، 4 / 390

(4) البكري ، م.س / 117

(5) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 1 / 399

(6) المنوني ، م.س / 104

(7) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 5 / 90 ، 8 / 144 ، ابن القاضي ، م.س 2 / 549 ، المنوني ، م.س / 104

(8) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 5 / 90 ، 8 / 144، كمال السيد أبو مصطفى ، م.س / 82

(9) البكري ، م.س / 91 ، ابن أبي زرع ، م.س / 66 - 67 ، مجهول ، الإستبصار ، م.س / 184

(10) برونشفيك ، م.س ، 2 / 260

ت) التجارة الداخلية والخارجية للمغرب الأقصى

- **التجارة الداخلية :**

بفضل التنظيم المحكم لأسواق المغرب الأقصى ، وحسن إدارتها وتسيرها إلى جانب وفرة الإنتاج وتنوعه ، تحولت أكبر مدن المغرب لاسيما مدينة فاس ، إلى عاصمة إقتصادية تشدّ إليها الركائب وتقصدها القوافل التجارية القادمة من مدن أخرى للبيع و الاستزادة من السّلع والبضائع والأمتعة الحسنة .[1]

ويشير الجزنائي إلى ذلك بقوله : « ومنها مَيلُ الناس لسكناها ، فقد سكنها جملة من أصناف الناس ، وأهل الكور والأمصار ، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدّانية ، فليس من أهل بلد ولا إقليم إلاّ ولهم بها مترل ومتجر وصناعة ومتصرف ، واجتمع فيها ماليس في مدينة من بلدان الدنيا ، وأتتها التجارات وأهل الصناعات من كل صقع حتىّ تكامل بها كل متجر، وسيقت إليها خيرات الأرض ، وجمعت فيها دخائر الدنيا . »[2]

لقد تحولت متاجر فاس ودكاكينها إلى أسواق رائجة بمختلف البضائع والسّلع والأمتعة الحسنة ، حيث قصدها تجار مكناسة بأنواع مختلفة من العنب والزيتون ، وكانوا يعودون بدورهم إلى مدينتهم بالسّلع الضّرورية من مدينة فاس ، ويشير إلى ذلك الزهري بقوله : فمن مدينة مكناسة وهي كثيرة الخير ، يحمل منها كثير من الزيتون والعنب إلى مدينة فاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى ، ومنها تحمل الحبة الحلوة والكثرونة والشنون إلى غيرها من البلاد .[3]

ويضيف الوزان : ويجنى منها (مكناسة) العنّاب بكثرة كل عام ، وتحمل منه كمية طيبة إلى فاس لبيعها ، أما الزيتون فتجنى منه مقادير لا حد لها ولا نهاية ، ويباع القنطار منه بمثقال ونصف أي مايعادل مائة رطل إيطالي ، في حين تنقل كميات وفيرة من مادة الكتان إلى فاس ، وسلا ومدن أخرى .[4]

أما أسواق مدينة مكناسة فتعقد كلّ يوم إثنين ، ويحج إليها كثير من أعراب المناطق المجاورة ، يأتون بأبقارهم وأغنامهم وسائر أصناف الماشية ، ويحملون كذلك السّمن والصّوف ، ويباع كل ذلك بأبخس الأثمان .[5]

---

(1) الإدريسي ، م.س / 246
(2) الجزنائي ، م.س / 39
(3) الزهري ، م.س / 115
(4) الوزان ، م.س ، 1 / 214
(5) الوزان ، م.ن ، 1 / 215

كما قام تجار مدينة مراكش بتصدير كميات وفيرة من الورد المقطر العطر و الزيت والنحاس والسكر إلى مدينة فاس ومدن أخرى من المغرب [1] ، وجلب التجار اللّوز من مدينة صفرو ، كما حملت أحمال التين المزبب من حصن مغيلة إلى مدينة فاس . [2]

ووصفت تجارة فاس مع مدينة إقليم تادلة بأنّها نافقة ،حيث كان لتجار الإقليم دورًا رئيسيًا في ترويج وبيع سلع خاصة مصنوعة في مدينة فاس ،كالأقمشة الكتانية والسّكاكين والسّيوف والسّروج واللّجامات والقلانس وأدوات الخياطة ، فإذا أراد التجار بيع هذه السّلع عن طريق المبادلة سهل عليهم ذلك ، لأن لأهل تادلة بضائع محلية مختلفة ، كالرقيق والخيل والبرانس والنيلة والجلود ، وإذا أرادوا بيعها نقدًا كان عليهم أن يخفّضوا الثمن كثيرًا . [3]

ونظرًا لوفرة عدد من السّلع والبضائع المحلية في إقليم هكسورة كالجلود المدبوغة ، والأصواف ، والسروج البديعة ، فقد فضّل تجار مدينة فاس مقايضة أقمشتهم الكتانية بالجلود والسّروج وبضائع أخرى ، حققوا من خلالها أرباحًا كبيرة . [4]

ولضمان وصول السّلع والبضائع من وإلى مدن المغرب الأقصى، كانت القوافل التجارية تسلك طرقًا مختلفة ذكرها العديد من الجغرافيين كالإدريسي ،الذي ينقل لنا وصفًا دقيقًا بقوله : « وأما من أراد الطريق إلى تلمسان من سجلماسة فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس ، ومن فاس إلى صفرو إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة . » [5]

ويذكر عبد الواحد المراكشي طريقًا آخر يربط بين المدن المغربية من أقصى الشرق إلى الجنوب تقع عليه مدينة فاس ، يمر بين مدينة بجاية وتلمسان ثمّ فاس ثمّ مراكش وأخيرًا سجلماسة . [6]

---

(1) الزهري ، م.س / 116

(2) مجهول ، الإستبصار ، م.س / 193

(3) الوزان ، م.س ، 1 / 177

(4) الوزان ، م.ن ، 1 / 167

(5) الإدريسي ، م.س / 249

(6) المراكشي عبد الواحد ، م.س / 42

- **التجارة الخارجية :**

لقد كانت حيويّة المبادلات التجارية داخل مدن المغرب الأقصى ، في ظلّ وفرة الإنتاج وتنوعة ، و فضلاً عن الجهود المبذولة من قبل سلاطين بني مرين وبني وطاس ،في توفير الأمن وحماية الطرق التجارية برًا وبحرًا ،عاملاً مشجعًا لتنشيط حركة التجارة الخارجية بين مدينة فاس ومختلف الدّول والأقطار. (1)

ويشير الزهري إلى ذلك بقوله : « وهي دار مملكة يقصدها الناس من جميع الأقطار، وإليها يجلب من جميع الأقاليم كل شيء حسن من المتاع والسّلع الغالية الأثمان من اليمن والعراق والشام والأندلس . » (2)

لقد شهدت الحركة التجارية نشاطًا كبيرًا بين مدن المغرب الأقصى وجنوب الصحراء ، فتدفق تجار مدينة أغمات « إلى السودان بأعداد الجمال المحملة بقناطير من النحاس الأحمر والملون والأكسية ، وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار ، وضروب من الأفاويه والعطر وألات الحديد المصنوع . » (3)

وقصد تجار مدينة فاس مدينة جني ، التي وصفت بأنها سوق مربحة للتجار المحليين « حيث يحقق أهلها أرباحًا هائلة في تجارة قماش القطن مع تجار البربر الذين يحملون إليهم الكثير من الثياب الأروبية والنحاس والصفر والسلاح مثل الخناجر ، والعملة الرّائجة عند هؤلاء السودانيين هي الذهب غير المسكوك ، وكذلك قطع الحديد لشراء أشياء تافهة كاللبن والخبز والعسل . » (4)

وإلى جانب السّلع والبضائع المتبادلة بين مدن المغرب الأقصى وبلاد السودان ، كانت تجارة الرقيق تكتسي أهمية خاصة من حيث كونها سلعة مربحة لفئة معينة من التجار ، حيث يذكر كربخال (5) أنّ لهم سوقًا رائجة بمدينة فاس ، يباع فيها الزنوج (6) من الجنسين ، ويضيف البكري أنّ سعر الواحدة منهن ممن يتقن فن الطبخ مائة مثقال . (7)

ونظرًا لحيوية الموقع الجغرافي وشساعة الشريط الساحلي المطل على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، فقد لعبت المدن الساحلية دور رئيسي في استقبال وتوجيه القوافل عبر مختلف الموانئ ،التي قامت بدورها في الحركة التجارية كما ينبغي .

---

(1) الحريري ، م.س / 117

(2) الزهري ، م.س / 114

(3) الإدريسي ، م.س / 232

(4) الوزان ، م.س ، 2 / 162 - 163

(5) كربخال ، م.س ، 2 / 153

(6) عن جمال وزينة الزنوج وصفاتهم الفيزيولوجية خاصة النساء منهم . أنظر : الزهري ، م.س / 122 ، البكري ، م.س / 158 - 159

(7) البكري ، م.س / 158

ومن هذه الموانئ ميناء مدينة سبتة وهو مكان على ساحل البحر ومحطة للسفن والقوافل التجارية المحملة بسلع مختلفة كالعصير والحرير والكتان الموجه إلى أروبا . (1) أما ميناء طنجة الذي لايبعد عن مدينة فاس أكثر من خمسين فرسخًا ،فقد ساهم بدوره الريادي في استقبال وتصريف منتجات مدينة فاس والمناطق الداخلية المحيطة بها من ألبسة وثياب و كتان وحرير ، وأنواع مما لذّ وطاب من الفواكه وغيرها من المنتجات . (2)

وقد كان التجار من نصارى الأندلس يقصدون مدينة سلا الميناء الرئيسي لفاس ، وبخاصة الجنويون منهم الذين كانوا يروجون تجارة واسعة بكل من فاس وسلا ، ولذلك كانوا يحضون برعاية السّلطان ، إذ كانت تجارتهم تحقق دخلاً كبيرًا لخزينة الدّولة ، وكانوا ينفقون أموالأ طائلة في سبيل استمالة رجال البلاط وشخصيات الدّولة . (3)

وكانت ترودانت في الجهة المقابلة محطة للقوافل التجارية القادمة من مختلف مدن المغرب الأقصى ،المحملة بسلع مختلفة كالجلود والتبر وريش النعام والصمغ والأسلحة ومما كان يحمله السود من السنغال . (4)

أما عن المنتجات التي استوردها بنومرين من بلاد الأندلس فقد شملت ألات الصفر ، والحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة ، وبعض الأحواض الرخامية للبناء والزينة . (5)

ومما شجع التبادل التجاري بين مدن المغرب الأقصى وبلاد المشرق قوافل الحجّاج على طول الطريق الرابط بين فاس وتلمسان مرورًا بالإسكندرية وصولاً إلى بلاد المشرق ، حيث يذكر ابن عذارى رحلة تاجر سافر من تلمسان إلى فاس ، وكان ذا رحل كبير ومال ، فباع وأشترى ، ثمّ واصل طريقه من فاس إلى الإسكندرية وبلاد المشرق ، راجعًا مرة أخرى إلى فاس . (6)

وقد لعب التجار اليهود دورًا هامًا في التجارة العامة مع دول المشرق ، بحكم علاقاتهم العائلية و مكانتهم الإقتصادية ، حيث كانوا يشكلون طبقة متميزة عن بقية التجار المغاربة ، بفضل غنائهم و اشتغالهم في الحرف والمهن المربحة كالصّياغة والصّيرفة والمعادن ، وامتلاكهم لوكلاء تجاريين ينوبون عنهم . (7)

---

(1) المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 6 / 210

(2) البكري ، م.س / 109 - 111

(3) حركات ، م.س / 247

(4) حركات ، م.ن ، ص .ن

(5) الحريري ، م.س / 295

(6) المراكشي إبن عذارى ، قسم الموحدين ، م.س / 81

(7) مجهول ، الإستبصار ، م.س / 202

رابعًا : الأوضاع الثقافية

1- رعاية الدّولة المرينية والوطاسية للعلم والعلماء

انفردت حاضرة فاس بمكانة علمية وثقافية متميزة من بين مدن وحواضر المغرب الأقصى ، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية والثقافية ،التي انفرد بها سلاطين بني مرين وبني وطّاس ، إذ كانت لهم الإرادة القوية والرغبة الشديدة في الرعاية الدائمة للفنون والآداب والعلوم الشرعية ، وعنايتهم المستمرة بالعلم والعلماء ، وهي سمة غالبة على أكثر سلاطينهم ، يصفهم الكتّاني بقوله :« كانوا من أحسن الملوك سيرةً ونباهةً ، وكان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ، ولذلك استفحل ملكهم ، وطالت دولتهم ، وعظمت صولتهم ، فكانوا مقرًا للعلوم والأخبار ومحل اجتماع دائرة العلم الذي عليه المدار » .[1]

ومن مظاهر العناية بالعلماء تلك المجالس العلمية التي حرص سلاطين بني مرين على إقامتها للمناظرة والمحاضرة ، ومطارحة الأدباء ومحاورة الشعراء [2] لأن من بينهم من كان فقيهًا وشاعرا ، كالسّلطان أبو الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) الذي كان شغوفًا في البحث عن العلماء وتقريبهم إلى مجلسه ،ومحاورتهم ومشاركتهم في مختلف المواضيع [3]، يصفه ابن مرزوق بقوله :

« وكان أبّر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم استخلصهم لنفسه ، وجمع من سائر بلاده في حضرته إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته ، وجعله من خواص أهل مجلسه وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرًا ، فاجتمع بحضرته أعلام ، ثمّ ضمّ لهم من كان بتلمسان وأحوازها ،حتّى استيلائه عليها » .[4]

وكان السّلطان أبو عنان المريني (752 – 759 هـ/ 1351-1357 م) « فقيهًا يناظر فيه العلماء الجلّة ، وكان عارفًا بالمنطق وأصول الدين ، وله حظ صالح من العربية والحساب ، وكان حافظًا للقرآن عارفًا بناسخه ومنسوخه ، حافظا للحديث عارفًا برجاله فصيح القلم ،كاتبًا بليغًا ، حسن التوقيع ، شاعرًا مجيدًا...وكانت له رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا » .[5]

---

(1) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 168

(2) كنون ، م.س ، 1 / 185

(3) كنون ، م.ن ، 1 / 188

(4) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م. س / 260

(5) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 225

وقد شهد البلاط المريني في عهده أعظم مجالس العلم التي شهدتها الدّولة المرينية ، حيث احتضن حشدا من العلماء والفقهاء لا يحصى عددهم ،ويكفي للتعبير عن كثرتهم أنّ عدد من استشهد من علماء ذلك البلاط عند رحيل أبي الحسن (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) من إفريقية كان أربعمائة عالم ، فكيف بأعداد العلماء الآخرين الذين نجوا من الكارثة .(1)

علاوةً على ذلك فقد شجّع سلاطين بني مرين العلماء على الكتابة والتأليف ، وأجزلوا لهم الهبات والعطايا على مؤلفاتهم واختراعاتهم تشجيعًا للإنتاج العلمي والأدبي ، ومن أمثلة ذلك أنّ الفقيه أبا عبد الله بن أبي زكرياء العزفي أهدى السّلطان أبا الحسن كتابًا ألّفه في ذمّ الخمر وبيان عيوبها ، فاستحسنه السّلطان وأمر أن يوضع الكتاب - وكان سفرًا ضخمًا - في كفّة ، والدراهم في الكفّة الأخرى ، ونفس السّلطان أهدى إليه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن السبيل التعاليمي إسطرلاباً ، صنعه بنفسه فمنحه السّلطان مثل وزنه دنانيرًا من الذهب .(2)

واحترامًا لمكانة العلماء ودورهم في الحياة الفكرية والدينية ، فقد نالوا تقدير سلاطين بني مرين في حياتهم وبعد موتهم ، ومن أمثلة ذلك الزيارة التي داوم عليها أبو الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) لقبر الوليّ الصالح أبي مدين شعيب كلّ يوم أربعاء من كلّ أسبوع .(3)

ويذكر الكتاني مشاركة السّلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم وحضوره جنازة الصوفي ابن عاشر (4) ، الذي كان عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند المصريين (5) ، أما أبا عنان المريني فقد قام بتجديد قبر الولي الصالح والشيخ العالم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل ،وجعل على قبره رخامة منقوشة باسمه وتاريخ وفاته ونصبت عند رأسه في أوّل سنة (757 هـ/ 1356 م) .(6)

---

(1) حركات ، م.س ، 2 / 164 ، كنون ، م.س ، 1 / 185

(2) الحريري ، م.س / 339- 340

(3) الحريري ، م.ن / 355

(4) أنظر ترجمته في : التليدي ، م.س / 136 - 139

(5) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 2 / 140- 141

(6) ابن عيشون الشراط أبو عبد الله محمد (1109 هـ / 1697 م) ، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهراء النظام ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1997 / 49 - 54

أمّا ابن مرزوق فينقل لنا وصفا دقيقا للاحترام والتقدير الكبيرين ،اللّذين كان يكنّهما السّلطان أبو الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) للشيخ المتصوف أبو عبد الله الهزمي بقوله :
« فلمّا وصل (أبو الحسن) بموكبه إلى المسجد ...ثمّ لّما دخل إلى الصحن والشيخ على حاله مستندا إلى القبلة ، وكان آيةً وصاحب كرامات ظاهرة وأحوال عجيبة ، أردت (ابن مرزوق) أن أشير على الشيخ بلقائه أنا وأبو الفضل بن أبي مدين ، فنهانا (أبو الحسن) عن ذلك وقصده فقبّل يده وجلس بين يديه وقبّل الشيخ كذلك يديه نفعه الله وقال (أبو الحسن) ياسيدي أوصني أفدني ، أدع لي ، فأوصاه ، وأفاده ، ودعا له ، فقال (أبو الحسن) ياسيدي هاك تقبل منّا ماتلبسه بحسب البركة ممّا تخيره ، فقال يا أمير المسلمين هذه الجبّة عليّ نحو من عشرين عامّا وكأنّها لم ينتصف عنها اللبّاس ، ومن البعيد أن يبقى من العمر قدرًا مامر بها وأنا اليوم في الثمانين » .[1]

وقد استمرت العناية بشؤون العلم والعلماء في العهد الوطّاسي ، حتّى وإن لم يخلّد سلاطينها مآثر في بناء منشآت علمية من مدارس ومساجد على غرار مافعله بنو مرين ، ومع ذلك فقد تقهقرت الحركة الفكرية بشكل واضح عما كانت عليه سابقًا [2] ، وقد تابع سلاطين بني وطّاس في عهدهم اختيار كبار العلماء والفقهاء من ذوي العلم والفضل ، كأبي عبد الله محمد بن القاضي المكناسي ، وعبد الرحمن بن محمد الزواوي ، وخصّصوا عدّة كراسي للتّدريس بفاس منها :كرسي ابن غازي لتدريس" العمدة في الحديث " ، " ورسالة ابن زيدون" ، وكرسي " المدونة" بالمدرسة المصباحية للإمام والفقيه أحمد بن يحي الونشريسي[3]
أمّا كرسي التهذيب فقد خصّص لعبد الواحد الونشريسي بعد وفاة والده أحمد بن يحي ، وكان له كرسي آخر للتفسير ومختصر ابن الحاجب في الفقه ، بينما استحدث كرسي" البخاري"من طرف السّلطان أبو العباس أحمد ابن محمد الوطاسي في منتصف القرن التاسع بالقرويين ، وشغله أيضا عبد الواحد الونشريسي.[4]

---

(1) الحريري ، م.س / 357

(2) حركات ، م.س ، 2 / 254 -255

(3) المنجور أحمد بن علي بن عبد الرحمن (ت 995 هـ ، 1087 م ، فهرس أحمد المنجور ، تحقيق محمد حجي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1976 / 53

(4) حركات ، م.س ، 2 / 256

2- المعاهد العلمية بحاضرة فاس

حرص المرينيون على تنشيط الحركة العلمية والثقافية في دولتهم ، مـن خـلال اهتمـامهم المتزايـد ببنـاء المنشآت العلمية والدينية كالمساجد والمدارس ، التي سبقهم إليها الموحدون ، ولكن على نطاق واسع مـن خلال استكمال لوازمها ومتطلباتها لإقامة الطلبة وتدريس العلوم ، على أنّ بعض هذه المنشآت التي لاتزال قائمة كآثار فنية أصيلة ، تشهد أكثر من أي شيئ آخر على روعة الفن المريني .(1)

أ) المـدارس :

أشاد في وصفها حسن الوزان بقوله :« وفي فاس إحدى عشر مدرسة للطلاب جيدة البناء كثيرة الزخرف بالزليج والخشب المنقوش ، بعضها مبلط بالرّخام ، وبعضها بالخزف المايورقي ، وتحتوي كل مدرسة علـى عدة حجر ، في هذه مائة حجرة أو أكثر ، وفي تلك أقل من هذا العدد ، وكلّها من تأسيس مختلف ملـوك بني مرين . »(2)

ويأتي في مقدمة هذه المدارس مدرسة الصفّارين من حيث كونها أول مدرسة بنيت في فـاس مـن طـرف سلاطين بني مرين ، وكان مؤسسها أبو يعقوب يوسف ابن عبـد الحـق (656 – 685 هـ / 1258– 1286 م) كان ذلك سنة (675 هـ / 1276 م)(3) ، ولمّا تمّ بناؤها عين لهـا السّلطان المدرسـين ، وأجرى على طلبتها النفقة وزودها بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس ، وجـاءت مدرسـة الـصفّارين بسيطة في فنها المعماري حيث يحتوي صحنها في الوسط على بركة مستطيلة الشّكل أصطفت على جوانبها غرف الطلبة ، وألحق بها مصلّى صغير تودى فيه الصلوات الخمس .(4)

وإلى جانب مدرسة المديـنة البيضاء أو فـاس الجديد التي أسّسهـا السّلطـان أبـو سـعيد عثمـان بـن يعقوب (**710** -731هـ/1310 -1331 م)(5) ، فقد أسّس كذلك مـدرسة أخرى سـنة (721هـ / 1321م) قرب مسجد الأندلس بفاس ، وقد أخذ اسمها من الصّهريـج المستطيل الموجود بفنائـها وقـد كلّف بنـاؤها أكثر من مائـة ألف دينـار، جـددت لأول مـرة على يـد عبد الله الغالب السعـدي سنة (970هـ / 1562م)(6) .

---

(1) الحريري ، م.س / 324 ، حركات ، م.س ، 2 / 155

(2) الوزان ، م.س ، 2 / 225

(3) الجزنائي أبو الحسن علي علي (من أهل القرن الثامن الهجري) ، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب إبن منصور ، المطبعة الملكية ، ،ط 2 ، الرباط ، 1991 / 82

(4) شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، 1978 ، 2 / 241 ، الحريري ، م.س / 324

(5) الحريري ، م.س / 324

(6) حركات ، م.س ، 2 / 157

و في عهد أبي سعيد عثمان بنيت مدرسة العطّارين سنة (721هـ / 1321م) على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار بفاس ، ا نفردت بفنّها العمراني ونسق زخارفها خصوصًا في الصّحن وبيت الصلاة ، حتّى عدت من أجمل مدارس بني مرين . [1]

وساهم السّلطان أبي الحسن (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) ببناء مدرسة جديدة عرفت بإسم المدرسة المصباحية سنة (747هـ / 1346م) على مقربة من جامع القرويين ، ومن مدرسة العطّارين [2]، ويعود أصل تسميتها إلى أوّل من درّس بها من الأساتذة وهو أبوالضياء مصباح[3] بن عبد الله اليلصوتي [4] ، ويشار إليها أحيانًا باسم المدرسة الرخامية بسبب وجود نافورة من الرّخام الأبيض في وسط صحنها ، كان قد جلبها أبو الحسن من الميرة في الأندلس .[5] وتحتوي هذه المدرسة على مائة وسبعة عشرة غرفة ، وتحتفظ بظلّة جميلة من الخشب المنقوش ، كما تمتاز بأناقة دهليزها ومدخل مصلاّها .[6]

أمّا في عهد السّلطان أبي عنان المريني من سنة (751 - 1757 هـ / 1350– 1357 م) فقد بنيت المدرسة البوعنّانية على يد الناظر أبي الحسن بن أحمد بن الأشقر، وخصّص لها أبو عنان أحباسًا عديدة منها حمّام ومترل مجاور لها ، ورحى وفرن وإصطبلات ودكاكين ، وذلك للإنفاق على طلبتها وقومتها وأساتذها ، ولها منارة في غاية الروعة ، وصنعت لها منجانة ذات ثلاثة عشر طاسًا ومقياسها حوالي أحد عشر مترًا [7]، وقد أشاد في وصفها جوليان بقوله :

---

(1) حركات ، م.ن ، 2 / 157

(2) الجزنائي ، م.س/ 37- 38 ، لوترنو ، ، م.س/ 43

(3) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 2 / 56- 57

(4) أنظر ترجمته في : الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 119 ، التنبكتي أحمد بابا ، م.س/ 608- 609 ،الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 2 / 56- 57

(5) الجزنائي ، م.س/ 37 ، لوترنو ، م.س ، ص.ن

(6) جوليان ، ، م.س ، 2 / 241

(7) حركات ، م.ن ، 2 / 157

« ويفضى بابها بمصراعيه الخشبيين المصفّحين بالبرنز المتقن الصنع إلى مدخل ذي درجات حافاتها من الجزع والخزف ، وبجوانبه دكّات من الخزف المتعدد الألوان ، أمّا صحنها الفسيح المغطّى بالرخام الأبيض أو الوردي وبالجزع ، فقد كسيت جوانبه بالفسيفساء .» [1]

وبعد الإنتهاء من بنائها أمر السّلطان أبو عنان أن تقام أمام مدرسته منجانة لمعرفة الأوقات ، قام بصناعتها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني . [2] وقد كانت تقام صلاة الجمعة في هذه المدرسة التي فقدت أهميتها منذ عهد الوطّاسيين ، حيث حول ريع أوقافها لصالح الجهاد ، وأحتفظ الطلبة بحق السكن ، وكانوا من قبل مكفولين طعامًا وملبسًا . [3]

---

(1) جوليان ، ، م.س ، ص.ن

(2) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 225

(3) حركات ، م.ن ، 2 / 158

ب) المــساجد : اهتمّ المرينيون ببناء وتجديد مايزيد عن سبعمائة جامع ومسجد في مدينة فاس لوحدها ، وجعلها أماكناً للعبادة ومعاهدًا للطلبة والدارسين ، ويوجد من بين هذه الجوامــع خمسون كــبيرة حــسنة البناء [1]، يصفها الوزّان بقوله : « مزدانة بأعمدة من الرخام أو غيره من الحجر الــذي لايــرى مثلــه في إيطاليا ، وتدعّم جميع الأعمدة عوارض مكسوّة بالزليج أو الخشب المنقــوش بدقــة ، وســقوف الجوانــب مصنوعة على الطريقة الأروبية ، أي من ألواح ، والأرض مفروشة بالزليج ومغطّاة بحصر في غايــة الجمــال ...ولكل جامع صومعة يصعد إليها المكلفون بالآذان لإعلان أوقات الصّلاة العادية » [2]

ومن أشهر هذه المساجد : جامع القرويين الذي يعود بناؤه إلى سنة (245هـ / 859م) ليكــون دار فقــه وعلم ، وقد شهد على عهد السّلطان أبو عنان تجديد المنجانة على وجه أتقن ممّا كانت عليه مــن قبــل ، وأمر كذلك بعد صعوده صومعة الجامع أن يجعل بأعلى الصومعة المذكورة صارٍ وينشر فيه علــم أبــيض في أوقات صلاة النهار ، وفنار فيه سراج زاهر لأوقات صلاة الليل ليستدلّ بذلك من بعــد عــن المدينــة و لم يسمع النّداء ، وفي ذلك اعتناء بأمور الأوقات وبما يتعلق بها من وجوب الصّلوات [3] ومن الزيــادات الــتي طالت المسجد استحداث أبواب جديدة للجامع ، ومقصورة على المحراب ، وتسعة نوافد لزيادة الــضوء في الجامع ، و ناقوس كبير وزنه عشرة قناطير علّق بالبلاط الأوسط ، وخزانة للكتب والمصاحف.[4] وينقل لنا حسن الوزن وصفًا دقيقًا لهذا الجامع بقوله :

« وفي المدينة جامع عظيم يدعى جامع القرويين ، وهو في غاية الكبر، يبلغ محيط دائرته نحو ميــل ونــصف ميل ، وله واحد وثلاثون باباً كلها كبيرة عالية ...والصومعة التي يؤذن عليها عالية جدًا كذلك ، ويحمــل السّقف ثمانية وثلاثون قوسًا طولاً ، وعشرون عرضًا ...وهناك ثريات عديدة من البرونز في كــلّ واحــدة منها ألف وخمسمائة مصباح ...وكراسي مختلفة الأشكال يدّرس عليها العديد من العلماء الأساتذة. » [5]

وشيدّ المرينيون عدة مساجد بمدينة فاس إمتازت بالدقة وكثرة التوريقات والمقرنــصات خــصوصًا حــول المحراب ، ومن هذه المساجد ، المسجد الجامع بفاس الجديد الذي بني ســنة (677 هـــ / 1278م) أيــام السلطان أبي يوسف الذي صنع له منبرًا رائعًا ، وثريا تزن سبعة قناطير وخمسة عشر رطلاً وعدد كؤوسها

---

(1) الوزان ، م.س ، 2 / 223
(2) م.ن ، ص.ن
(3) الجزنائي ، م.س/ 45 – 52
(4) م.ن / 75 – 76
(5) الوزان ، م.س ، 2 / 224

مائة وسبعة وثمانون [1] ، أمّا المقصورة فقد تمّ بناؤها سنة (679 هـ / 1280م) ، ويتصل الجامع بالقصر الملكي بواسطة باب يؤدي إلى بيت الصلاة ، وقيل أنّ أبا يوسف أنفق في بناء الجامع وصنع الثريا ثمانية آلاف ديناراً ذهبيًا . [2]

أمّا جامع الأندلس فيقع في العدوة الشرقية من فاس ، شرع في بنائه سنة (245 هـ / 859م) بالعدوة الأندلسية ، يصفه البكري بقوله : « وبها جامع حسن فيه ستة بلاطات طولها من الشرق إلى الغرب ...وله صحن فسيح فيه أصول جوز وعجر وساقية تعرف بساقية مصمودة غزيرة الماء . » [3]

شهد هذا الجامع في عهد السلطان أبي يعقوب المريني جانبًا من الإصلاح سنة (695 هـ / 1295م) حيث أمر بجلب مياه له من نهر مصمودة ، وفي عهد حفيده أبي ثابت أعاد جلب الماء إلى المسجد من العين الموجودة بخارج باب الحديد ، وبناء ساقية بالجهة الغربية من جوفيه وذلك سنة (707 هـ / 1307م) ، وإدخال إصلاحات على صومعته على غرار جامع القرويين . [4]

ويضيف روجي لوترنو عددًا من المساجدالأخرى بقوله : « فقد بنوا في مطلع القرن الثامن ، الرابع عشر على الغالب ، مسجدًا في الشارع الرئيسي وهو المعروف بالجامع الأحمر ، وثمة مسجدان آخران بنيا في القرن التاسع ، الخامس عشر في فاس الجديد هما لالا غريبة ، ومسجد الزهرة ، وقد أضاف المرينيون إلى المدينة القديمة مسجدين مهمين هما: مسجد الورّاقين ومسجد أبي الحسن ، وكان كلاهما في عدوة القرويين . » [5]

---

(1) حركات ، م.س ، 2 / 159
(2) الحريري ، م.س / 322
(3) البكري ، م.س/ / 116
(4) الجزنائي ، م.س/ 92 – 94
(5) لوترنو ، م.س/ 46

3- ميادين الحركة الفكرية بحاضرة فاس

تبلور الفكر العلمي بحاضرة فاس فشمل مختلف ميادين المعرفة ، ووازن بين نتاج التجربة العلمية من جهة ، ونتاج الفكر النظري بما ينطوي عليه من عقل ونفس [1]، حيث تحولت المدينة إلى مجّمع علمي لعلماء المغرب الإسلامي كالقيروان وقرطبة ، و رحل العديد منهم متخدين من فاس مقرًا لهم ، وقد أفادت رحلات هؤلاء العلماء ورجال الفكر أييمّا إفادة ، فوسعت أفقهم الفكري ، وساهمت في تفعّيل ميادين الحركة الفكرية . [2]

أمّا عن أهم العلوم التي إزدهرت في فاس في العصر المريني و الوطاسي ، وكان مرجعية فكرية لعلماء وفقهاء فاس ، وحواضر العالم الاسلامي فيمكن أن نقسمها إلى :

أ) العلوم النقلية :

● **علوم القرآن والتفسير :** تداول القرّاء قراءات القرآن الكريم ورواياته السبعة حتّى صارات علمًا منفردًا تناقله الناس بالمشرق والأندلس جيل بعد جيل [3] وكانت العناية به بالغة في كل عصر حيث تخصصّ فيه كثير من العلماء الذين كانوا يلقّنون مبادئه في البداية للطلبة الدارسين ، في الكتاتيب القرآنية التي كان لا يتولاّها إلاّ كبار الحفّاظ المتحققين من تلك العلوم . [4]

ومن أهمّ شيوخ القراءات إعتناءً برسم القرآن بحاضرة فاس :

أبو عبد الله محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخرّاز قال بشأنه الكتّاني :

« كان إمامًا في مقرئ نافع ، مقدمًا فيه لاغير ، إمامًا في الضبط ، عارفًا بعلله وأصوله ، أدرك أشياخًا ، أئمة في القراءة والضبط ، وعلم القرآن من العربية وغيرها ... وله تآليف من أجّلها الرجز الموسوم "بمورد الضمآن في رسم أحرف القرآن " وتآليف في الرسم ... و"شرح على الحُصرّية " ، و"شرح على البرّية" ، مشهور معروف عند الناس ، وبه يقرءوهٔا ، و"شرح على العقيلية " » . [5]

وقد أشاد إبن خلدون بتآليف الخرّاز سيّما تلك الأرجوزة في رسم حروف القرآن التي زاد فيها على كتاب "المقنع" لأبي عمر الدّاني بقوله :

« فنظّم الخرّاز من المتأخّرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع...اشتهرت بالمغرب وأقتصر التاس على حفظها ، وهجروا بها كتب أبي داوود وأبي عمر والشاطبي في الرسم » . [6]

---

(1) عبد العزيز عبد الله ، الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ، مجلّة الدارة ، السنة الخامسة ، العدد الثالث ، 1980 / 61

(2) حركات ، م.س ، 2 / 165

(3) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 551

(4) الأهواني ، م.س / 65 – 71

(5) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 2 / 114- 141

(6) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 553

وصنّف الفقيه أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري تصانيفًا جليلة في علوم القراءات منـها : "التجويـد ومختصره "، و"المنابع في قراءة نافع "، و"ترتيب الأداء "، و"بيان الجمـع بـين الروايـات في الإقـراء" ، و"تبيين طبقات المدّ وترتيبها ". [1]

ومن أشهر العلماء المفسرّين الذين إشتغلوا بالقرآن وتصدرّوا لتدريس هذا العلم بفاس أبو علي الشوشاوي « له كتاب "الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة" ، ظمنه من علوم القرآن فنونا عديـدة وجعلـه عـشرين قسمًا ، كل قسم يحتوي على مسائل مختلفة ، فهو من المحاولات الطيبة لجمع علوم القرآن . » [2]

وبرز من المفسّرين كذلك ، محمّد بن محمّد بن علي الشهير بإبن البقّال ، قال بشأنه التنبكتي :
« إستوطن فاس ، ودأب على القراءات واستفرغ وسعه في المعقول سنين عديدة ، حتّـى حـصّل التعـاليم وأتقنها ، ثمّ أحد أخيرًا في التفسير والفقه الخلافي ...وله أجوبة حسنة في التفسير والأصول » [3]

أمّا إبن البنّا العددي فقد كانت له موضوعات كثيرة في التفسير ، و"حاشية على الكشّاف " للزمخـشري ، بينما إنفرد محمّد بن علي العابـد الفاسي بكتابـه الـذي إختصر فيه التفسير للزمخـشري وجـرّده مـن الإعتزال . [4]

---

(1) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 149
(2) كنون ، م.ن ، 1 / 194
(3) التبكتي ، م.س / / 386- 387
(4) كنون ، م.س ، 1 / 194

• **علم الحديث :**

« ومن علوم الحديث ، النظر في الأسانيد ومعرفة مايجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشّروط ، لأنّ العمل إنّما وجب بما يغلب الظّن صدقه من أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ... وهو بمعرفة روّاة الحديث بالعدالة والضبط ... وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصّحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميّزهم فيه واحد واحد » [1]

ونظرًا لمكانة علوم الحديث بإعتباره مصدرًا من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم ، فقد نال من العناية والإهتمام ما يؤكد حرص سلاطين بني مرين على النهوض بالعلوم الدّينية وتشجيع العلماء على حفظه وتدوينه وتدريسه .

ومن أوائل علماء الحديث في العصر المريني ، محمّد بن عمر إبن رشيد الفهري نزيل فاس « وصفه إبن خلدون بكبير مشيخة المغرب ، وسيد أهله شيخ المحدثين ، وقال غيره : كان إمامًا مشار إليه ، قدوة معتمدا عليه ، فريد عصره جلالة وعدالة ، وحفظًا وأدبًا ، وسميًا وهديا ، واسع الأسمعة ، عالي الإسناد ، صحيح النقل ، أصيل الضبط ، تام العناية بالصناعة الحديثية ، قيمًا عليها ، بصيرًا بها ، محققًا فيها ، ذاكرًا للرجال .... » [2]

ويذكر ابن فرحون أنّه ألّف فوائد جليلة منها كتابه الموسوم بـ : « " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة " » [3] ، وهو في أربعة أسفار ، وقال بعضهم في ستةّ جمع فيه من الفوائد الحديثية والفرائد الأدبية كل غريبة وعجيبة . [4]

---

(1) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 557

(2) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 2 / 191

(3) إبن فرحون ، الديباج المذهب ، م.س / 401

(4) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ص.ن

ومن مؤلّفاته كذلك " إفادة النصيح في شرح الصحيح "، و" ترجمات التراجم في إبـداء وجـه مناسـبات تراجم صحيح البخاري" ، و"الستر الأبين في السند المعلمن والمحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم " .[1]
وبرز من علماء الحديث الحافظ الحجّة عبد المهيمن الحضرمي السبتي ذكره الزركشي بقوله :
« كان إمامًا في علم الحديث ، وحجةّ في حفظه ورجاله ، له أربعينيات في الحـديث ، جلـس للتـدريس بتونس أيام الدولة المرينية بمجلس السّلطان أبي الحسن . » [2]
وكان محمّد بن عبد الرزّاق الجزّولي من علماء الحديث ، الذين تألّقوا في مجلس السّلطان أبي عنان المـريني ، حيث كان هذا السلطان يأخد عنه الحديث .[3]

- **علم الفقه :**

« الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحذر ، والنّدب والكراهـة والإباحـة ، وهو متلقّاة من الكتاب والسنّة وما نصّبه الشارع لمعرفتها من الأدلّة فإذا إستخرجت الأحكام مـن تلـك الأدلّة قيل لها فقه . » [4]
إرتبط تطور علم الفقه وإزدهاره في العصر المريني ردًا على ماتعرض له فقهاء المالكية من قبل سلاطين الدّولة الموحدّية ، الذين صادروا معظم كتب ومؤلّفات المذهب المالكي وأحرقوها ، وعند قيام الدّولة المرينية كان سلوك سلاطينها ينبئ بعناية خاصة للمذهب المالكي وعلمائه ، ويتضّح ذلك في كثـرة مجالـسهم العلميـة لدراسة مؤلفات المالكية ، والتشجيع على النّسخ والتأليف وإسناد الوظـائف الـسّامية لكبـار الفقهـاء في مجالات عدة كالقضاء والخطابة والإفتاء وإكرامهم والإغداق عليهم .[5]

---

(1) مخلوف ، م.س ، 1 / 217
(2) الزركشي ، م.س / 86
(3) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 302
(4) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 563
(5) الحريري ، م.س / 343

ومن أشهر العلماء المشتغلين بعلم الفقه في العصر المريني أبو العبّاس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجـذامي الشهير بالقبّاب ، كان أحد صدور الفقهاء في عصره ، من حفّاظ مذهب مالك ، وأئمّة الدّين والورع (1) أشاذ في وصفه ابن الخطيب بقوله :

« طالب ، فقيه ، مدرك ، جيد النظر ، سديد الفهم ، حظرالدرس بين يدي السلطان » (2) من مؤلّفاته : "الفتاوى المجموعة" ، نقل الونشريسي عنها في المعيار ، وله" إختصار أحكـام النظـر" لإبـن العطّـاف ، و"شرح على بيوع إبن جماعة" . (3)

ويذكر إبن القنفذ الفقيه : أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الحق الشهير بالـصّغير، أحـد كبـار الفقهـاء والمفتين بالمغرب (4) يصفه مخلوف بقوله :

« االشيخ الإمام العمدة الهمام ، الجامع بين العلم والعمل ... إليه المفزع في المشكلات والفتـوى ، حفـظ كتاب الفصيح في ليلة واحدة ... وله فتاوى قيدها عنه تلامذته وأبرزت تأليفًا. » (5)

أمّا الشّيخ الفقيه الحافظ أبوزيد عبد الرحمن بن عفّان الجزّولي ، فقد إشتهر بدروسه الفقهية وكثرة طلاّبه ، تنسب له شروح الرّسالة ، وهي من تقييدات الطلبة بمجلسه . (6)

ومن أبرز علماء الفقه في العصر الوطّاسي :

عبد الواحد الونشريسي ، قال بشأنه صاحب الدّوحة : « وكان له مجلـس لايحـضره إلاّ الفحـول مـن الفقهاء كإبن الزقّاق واليسيتني وغيرهما » (7) من تصانيفه: "منظومات في الفقه" كـشهادات الـسماع ، ومفوقات البيوع الفاسدة ، وموانع الإقالة ، وله أيضا "الفتاوى المحرّة "، و"شرح للبخـاري" غـير تـام ، و"النور المقتبس من مذهب مالك إبن أنس ". (8)

---

(1) كنون ، م.س ، 1 / 205

(2) إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 1 / 187

(3) إبن القنفذ ، م.س / 370 ، كنون ، م.س ، 1 / 205

(4) إبن القنفذ ، م.س / 342

(5) مخلوف ، م .س ، 1 / 215

(6) إبن القاضي ، م.س ، 1 / 70 ، التبكتي ، م.س / 244

(7) الشفشاوني ، م .س / 54

(8) الشفشاوني ، م .ن ، ص.ن ، مخلوف ، م .س ، 1 / 215

وممّا يلفت النظر في هذا العصر حسب ماذهبت إليه إحدى الدّراسات [1] كثـرة التـآليف في الفـروع ، واعتماد ظاهرة الشّروح والمختصرات ، ولم يعد ثمة ميل إلى الإجتهاد إلاّ في إطار محدود ، بل تحدد الإتجـاه إلى تأويل أقوال مالك وأصحابه ، والتبسيط في شرح المتون تدريسًا وتأليفًا ، فكثرت المؤلّفات في الفرائض ، وتعددت الشروح الفقهية وبوجه خاص على الرسالة ومتن خليل ، وكثـرت التقييـدات علـى المدونّـة وكراسي تدريسها .

لقد لقيت هذه الظاهرة معارضةً شديدة من قبل كبار الفقهاء في الدّولة المرينية ، ومن هؤلاء أبـو العبّـاس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الشهير بالقبّاب ، يروى عنه أنه كان يقول :

أنّ ابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب أفسدو الفقه ، بما ألّفوه من مختصرات في هذا العلم . [2]

ولّما حج إبن القبّاب إجتمع بإبن عرفة في تونس فأطلعه إبن عرفة على مختصره الفقهي ، وقد شرع في تأليفه ، فقال له القبّاب ماصنعت شيئًا ، فقال ولم ؟ فقال إنّه لايفهمه المبتدئ ، ولا يحتاج إليه المنتـهي ، فـتغير وجه إبن عرفة حينئذ ، قالوا وكان هذا هو السبب الحامل له على بسط العبارة في مختصره . [3]

ومثل القبّاب في ذلك اليزناسني الفقيه الكبير ، صاحب إبن شاس إستشاره في وضـع مختـصره الجـواهر ، فأشار عليه ألاّ يفعل ، فلم يتقيد إبن شاس بنصيحته ومضى في تأليفه مختصره . [4]

---

(1) حركات ، م.س ، 2 / 169 - 170

(2) كنون ، م.س ، 1 / 192

(3) كنون ، م.ن 1 / 192- 193

(4) كنون ، م.ن 1 / 193

ب) العلوم الأدبية :

- **علم اللغة والأدب :**

يقصد بها علوم اللسان العربي « وأركانه أربعة و هي اللّغة والنّحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مآخد الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنّة وهي بلغة العرب ... فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللّسان لمن أراد الشّريعة ، وهي تتفاوت أهميتها في التوفية بمقصود الكلام . » [1]

إشتهرت دّراسة علوم اللّسان العربي بجميع أصنافها في عصر بني مرين ، وبلغت أوجّها من خلال اسهامات علمائها ، وكثرة مؤلّفاتهم حسب ما أشارت إليه كتب التراجم .

ومن هؤلاء العلماء أبو الحسن علي بن محمّد الشهير بإبن برّي « أحد المهرة في العلوم العربية والقراءات ، كان كاتبًا بليغًا لغويًا عروضياً متفننًا في كثير من العلوم وله خط بارع ونظم جيد ، وهو صاحب " الدّرر اللّوامع في قراءة نافع" » [2] وليّ رئاسة ديوان الإنشاء للسّلطان أبو سعيد المريني (**710** -731هـ /1310 -1331 م)، وأصبح كاتبًا لولده أبي الحسن (731 – 752 هـ/ 1331-1351 م) ، وأستاذاً له ومن مؤلّفاته في هذا العلم كتاب " الكافي في علم القوافي ". [3]

أمّا أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الشهير بإبن البقّال ، فقد ذكره التنبكتي بقوله : « كان من العلماء المحققين المحصلين المشاركين ... له حظ وافر من اللغة والأدب والبيان والعروض والشعر والكتابة » [4]

ومن مصنفات العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الشهير بإبن الحاج النميري ، " التورية على حروف المعجم " أكثره مروى بالأسانيد ، ورجز صغير سمّاه "مثالث القوانين في التورية والإستخدام والتضمين" [5]

وتشير كتب التراجم إلى جمع من العلماء ممن برزوا في علم النّحو من خلال مؤلّفاتهم ، ويعتبر أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن داوود الصنهاجي الفاسي ، الشهير بإبن آجروم ، أشهر علماء النّحو في عصر بني مرين وهو صاحب المقدّمة المشهورة بالأجرومية وقد وصفه شرّاح مقدمته كالمكّودي والراعي وغيرهما بالإمامة في النحو . [6]

---

(1) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 753

(2) كنون ، م.س ، 1 / 192

(3) الزركلي ، م.س ، 5 / 5 ، البغدادي ، هدية العارفين ، م.س ، 1 / 716 ، ، كحالة ، معجم المؤلفين ، م.س ، 2 / 518

(4) التنبكتي ، م.س / 386- 387

(5) المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 7 / 108- 109 ، إبن الخطيب ، الإحاطة ،م.س ، 1 / 146- 147

(6) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (911 هـ / 1505 م) ، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، 1979 ، 1 / 238 ، الكتّاني أبو عبد الله محمد ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 2 / 111 ، 114

ومن النّحاة الذين تألّقوا في حاضرة فاس أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكّودي الفاسي ، إمـام في النّحو واللّغة والعروض وسائر فنون الأدب، درّس كتاب سيبويه بمدرسة العطّارين وهو آخـر مـن درّسـه بفاس ، وبعده صار العمل على ألفية إبن مالك التي وضع هو عليها شرحه المشهور[1] ، ومن كتبـه غـير" شرح الألفية" " شرح الأجرومية "، و"شرح المقصور والممدود" لإبن مالك ، و" البسط والتعريـف في علم التصريف "، و"نظم المعرّب من الألفاظ " ، و"المقصورة في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم "، نحـو ثلاثمائة بيت .[2]

- **علم التاريخ والسير :**

كان المرينيون من أهمّ الدّول رغبة في تسجيل سيرة سلاطينهم و تاريخ دولتهم ، وتمجيـد مآثرهـا لـذلك كثرت كتب التّاريخ والسّير في عهدهم وكان لها عظيم الشأن في التأريخ للمغرب وغيره من الدّول المجاورة ، فكان كتاب : " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتـاريخ مدينـة فـاس "[3] لمؤلفه ابن أبي زرع الفاسي ، من أهم ما صنّف في تاريخ وسيرة ملوك المغرب ، كتبه ابن أبي زرع للسلطان المريني أبي سعيد عثمان (710 – 731 هـ/ 1310-1331 م) ، يتناول الكتاب تاريخ المغـرب الأقـصى منذ عهد الأدارسة إلى سنة (726 هـ / 1326 م) ، بيد أنّ مؤلفه أفرد حيزًا كبيرًا منه للحديث عن تاريخ مدينة فاس والدّولة المرينية ، ويشتمل الكتاب على معطيات مفيدة ، حول اهتمام سلاطين بني مرين بالحياة الدينية والفكرية وتعظيم الأولياء والصلحاء والعلماء والشرفاء، وإقبالهم علـى تأسـيس المنـشآت الدينيـة والعلمية والإجتماعية داخل المغرب الأقصى وخارجه ، ومايزيد في أهمية المعلومات التي سـجلها إبـن أبي زرع ، معاصرته للدولة المرينية .

أمّا كتاب : " المسند الصحيح الحسن ، في محاسن ومآثر مولانا أبي الحسن "[4] لمؤلفه إبن مرزوق أبـو عبد الله محمّد الخطيب ، فقد أرّخ فيه صاحبه لتاريـخ دّولة بني مرين مـن خــلال سـيرة الـسلطان أبي الحسن (731 – 752 هــ/ 1331-1351 م) ومناقب أعماله ، فالكتاب يعدّ من أهّـم المـصادر الـتي واكبت الدراسة .

---

(1) كنون ، م.س ، 1 / 210

(2) التبكتي ، م.س / 250 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 249

(3) إبن أبي زرع الفاسي (ت 741 هـ / 1341 م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط ، 1972

(4) سمّاه إبن سودة " المسند الصحيح الحسن ، في أحاديث السلطان أبي الحسن " أنظر : إبن سودة عبد السلام ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط 1 ، بيروت ، 1997 / 111 ، وورد في كتاب : عبد الحميد حاجيات ، م .س / 168 ، بعنوان " المسند الصحيح الحسن ، في أخبار المولى أبي الحسن " وطبع بتحقيق ماريا خيسوس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، بعنوان : " المسند الصحيح الحسن ، في محاسن ومآثر مولانا أبي الحسن "

وقدم أبو عبد الله إبن عبد الملك محمّد بن محمّد الأنصاري المرّاكشي [1] مؤلّفًا في التراجم غايــة في الأهميــة سمّاه : " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة " [2] وهو مجموعة ضخمة مــن التــراجم يتــابع فيهــا صاحبها ما وضعه صاحب كتاب "الموصول والصّلة "، ويتضمن كتاب " الذيل والتكملة " تراجم علماء وملوك وشخصيات مختلفة ، وهوعبارة عن ثمانية أسفار .

أمّا كتاب " أزهار الرياض في أخبار عيّاض " [3] لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمّد المقري التلمساني ، فقد ألفه صاحبه بمدينة فاس بين عامي (1013 – 1027 هـ/ 1605-1612 م) ، التي إتخدها مقرًا لــه بعد أن غادر تلمسان لأسباب سياسية ، ويبدو أنّ سبب تأليفه لهذا الكتاب رغبة أهل تلمسان في التعريــف بالقاضي عياض المشهور ، ويتضمن تراجم كثيرة لأعلام الفكر بالمغرب والأندلس ، في العــصر المــريني و الزياني وماتلاهما من عصور ، وهو في خمسة أجزاء.

ت) العلوم العقلية :

- **علم الرياضيات :**

برز في العلوم العددية :

أحمد بــن محمّد بن عثمان المــعروف بأبي العــبّاس إبن البنّا العــددي المراكــشي [4] ، كان حاسبًا عددياً لا ينافسه في هذا العلم أحد ، كما أقرّ له بذلك فطاحل أهل العلم من معاصريه ، وشهد له إبــن خلــدون بجودة كتبه في علم الحساب .[5]

« كان يقصده الدّاني والقاصي ليأخدا عنه و ينهلا من علمه الغزير ، حتّى صار اسمه مقرون بالرياضيات نظرًا لتفوقه فيها ، وتبحّره في فروعها ، وتفننه في تطبيقها ، وتمكه في تطويرها » [6] حضي بتقدير ملــوك بني مرين وعنايتهم ، فأستقدموه إلى فاس مرارًا ، من مؤلّفاته :

---

(1) أنظر ترجمته في : الونشريسي ، الوفيات ، ، م.س / 68 النباهي ، م.س / 130 ، الزركلي ، الأعلام ، م.س ، 7 / 32

(2) إبن عبد الملك أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري (ت 703 هـ / 1303 م) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة ، تحقيق إحسان عباس و محمد بن شريفة (ثمانية أسفار) ، دار الثقافة ، بيروت ، 1984

(3) المقري شهاب الدين (ت 703 هـ / 1303 م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقّى و إبراهيم الأبياري وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1939 - 1940

(4) أنظر ترجمته في : العسقلاني ، الدرر الكامنة ، م.س ، 1 / 278 ، محمد بن محمد مخلوف ، ، م.س ، 1 / 216 ، الزركلي ، الأعلام ، م.س ، 1 / 222

(5) كنون ، م.س ، 1 / 199

(6) إبن شقرون ، م.س / 218

كتاب " تلخيص أعمال الحساب " وهو من أبرزمؤلّفاته ، وقد عدّ بمثابة منهجا للتعليم في المغرب لبساطته وغناء مادته ، و" كتاب التقدير والتفسّير في قواعد التكسير" ، و"مسائل في العدد التّام والناقص "،" ورسالة في الجذور الصّم وجمعها وطرحها "و "بحث في الأعداد الصحيحة "، و [1] هذا إلى جانب كتب أخرى منها :

" الجبر والمقابلة " و" المناخ في تعديل الكواكب " و " الفصول في الفرائض "[2] وتلخيص على كتاب "الحصّار الصغير" سمّاه إبن البنّا " رفع الحجاب"ساق فيه المؤلّف كتاب" فقه الحساب"، لإبن المنعم ، و " الكامل " للأحدب ، ولخصّ براهينها وغيرها عن اصطّلاح الحروف فيها إلى علل معنوية ظاهرة ، وهي سرّ الإشارة بالحروف وزبدتها .[3]

أمّا محمّد بن علي بن عبد الله بن محمّد إبن الحاج [4] فهو من الوافدين إلى فاس من إشبيلية ، برع في الحيل الهندسية ، ونقل الأجرام ، ورفع الأثقال ، ونظرًا لما يتمتع به من علم وبراعة في الرياضيات والهندسة ، فقد أشرف على بناء دولاب بمدينة فاس منفسح القطر ، بعيد المدى ، ملين المركز والمحيط ، متعدد الأكواب ، خفي الحركة ، وبن أيضًا دارًا للصناعة الحربية بسلا .[5]

ومن أعلام الرياضيات كذلك : أبو زيد عبد الرحمن الهزميري قال بشأنه ابن القاضي :« كثيرًا ماكان يزوره تلميذه إبن البنّا ، إذا عنت له مشكلة أوحل به أمر جار التخلص منه ... كان عارفًا بالحساب والتعاليم والهندسة . » [6]

---

(1) إبن القاضي ، جذوة الإقتباس ، م.س ، 2 / 410

(2) حركات ، م.س ، 2 / 184

(3) عبد الرحمن إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 636

(4) أنظر ترجمته في : العسقلاني ، الدرر الكامنة ، م.س ، 4 / 69 ، الزركلي ، الأعلام ، م.س ، 6 / 284

(5) إبن الخطيب ، م.س ، 2 / 140

(6) إبن القاضي ، جذوة الإقتباس ، م.س ، 2 / 410

- **علم الفلك (الهيئة والتنجيم) :**

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية.(1)

وقد إشتهر : أحمد بن محمّد بن عثمان المعروف بأبي العبّاس إبن البنّا العددي المراكشي كعالم في الجغرافية الفلكية ، حيث يذكر إبن شاطر : أن إبن البنا العددي كان ينظر في أحكام النجوم ، وعلم الهيئة ، وشهد له أبو زيد الهزميري بقوله :

« مكنك الله من علوم السماء كما مكنك من علوم الأرض ». (2)

وبرز عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الرحمن بن عطيّة المديوني كعالم متفوق في علم الفلك ، حيث جمع بين العديد من المهارات ، من العمل بآلة الإسطرلاب وبالصفيحة الشكازية ، وبربع الدائرة ، والعمل بالحساب والجدول (3) وله مؤلّفات جغرافية ذكرها الكتّاني بقوله : « وألّف رحمه الله تآليف عديدة منها : " تنبيه الأنام على مايحدث في أيام العام " ... ونظم في التوقيت سماه " روضة الأزهار في علم وقت اللّيل والنهار" ، و" مختصر الإقتطاف "، جمع فيه العمل بآلة الإسطرلاب وبالصفيحة الشكازية... » (4)

زادت مؤلفاته عن العشرة نذكر منها :

" المستطيل والسيارة في تعديل الشارة "، " المناخ في تعديل الكواكب" ،" المناخ في رؤية الأهلة " ، "المناخ في تركيب الأرياح "،" أحكام النجوم "، " المداخل الثلاثة إلى صناعة الأحكام النّجومية "، " مقالة في علم الإسطرلاب " . (5)

وإلى جانب هذه المؤلّفات ، له عدة قوانين منها : " قانون معرفة الأوقات بالحساب "، " قانون فصول السنة "،" قانون ترحيل الشمس "، "عمل الطلسمات " ، " الزجر والفال والكهانة"، " كلام على خط الرمل ". (6)

---

(1) إبن القاضي ، م.ن ، 2 / 410 ، إبن شقرون ، م.س / 219

(2) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 641

(3) التنبكتي ، م.س ، م.س / 84 ، ، مخلوف ، ، م.س ، 1 / 216

(4) إبن القاضي ، م.ن ، 2 / 410 ، إبن شقرون ، م.س / 219

(5) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 2 / 157 – 158

(6) التنبكتي ، م.س / 87

- **علم المنطق والفلسفة :**

إشتهر من علماء فاس والمغرب الأقصى في علم الفلسفة والمنطق :

إبن البنّا العددي ، فقد ألف في الفلسفة : " مراسم الطريقة في علم الحقيقة "، وله " شرح عليه " ، و" المقالات الأربع " ، أمّا في علم المنطق فله :

" الكلّيات في المنطق " ، و" شرح عليه " ، و" كتاب في القوانين" ، و" الأصول والمقدمات " . [1]

كما وضع محمّد بن سعيد بن محمّد النجار الفاسي " مختصرًا لمقدّمات إبن رشد "، و" مختصرًا لكتاب الحدود" للشّيرازي ، و" الأسئلة والأجوبة " . [2]

ويذكر ابن الخطيب أحمد بن محمّد بن شعيب الكرياني بقوله : « والغالب عليه العلوم الفلسفية » [3] أمّا محمّد بن محمّد المقري فقد كان أحد العلماء المشاركين في الأصلين و الجدل والمنطق .[4]

- **علم الطّب :**

هو « صّناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصّح ، فيحاول صاحبها حفظ الصّحة وبرء المرض بالأدوية والأغدية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ومالكل مرض من الأدوية . » [5]

لقي هذا العلم إهتمام بنومرين وبنو وطّاس من بعدهم ، من خلال بناء المارستانات لعلاج المرضى وتتبع حالتهم الصّحية ، وكان الطّب النظري موضع عناية عددٍ كبير من الأدباء والفقهاء نظرًا لرعاية الدّولة لهذا الجانب من العلوم التطبيقية ، وذلك بتخصيص كراسي لتدريس الطّب النظري في جامع القرويين بفاس وفي باقي المعاهد التعليمية الأخرى .[6] ومن مشاهير العلماء المشتغلين بالطّب :

أبو العباس أحمد بن محمّد بن يوسف الجزنائي الفاسي المعروف بإبن شعيب ، كان من أهل المعرفة بصناعة الطب والنظر في التعاليم ، وهتك في علم الكيمياء [7] تتلمذ على يد يعقوب الدرّاس بتونس ، فأخد عنه الطب والهيئة ، وسافر إلى غرناطة ، وهناك قام بدراسة ضخمة عن تغيير الأدوية المنفردة التي يتشوف الطبيب إليها . [8]

---

(1) التنبكتي ، م.س ، م.س / 86 - 87
(2) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 278
(3) إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 1 / 272
(4) إبن مريم ، م.س / 155 ، الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 270
(5) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / 650
(6) حركات ، م.س ، 2 / 182
(7) كنون ، م.س ، 1 / 227
(8) إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 1 / 272 - 277

ومنهم أيضًا محمّد بن يحي بن عبد الله بن محمّد بن أحمد العزفي ، كان له إلمام كبير بالطّب واشتهر بكتابه : " نظر في الطّب ودون فيه " [1]

ومن النساء الطبيبات : عائشة بنت الجيّار ، قرأت الطب على صهرها الشيخ أبو عبد الله الشريسي ونبغت فيه ، قال في بلغة الأمنية : « أدركتها رحمة الله عليها وقد بلغت السّن نحو السبعين ، وكانت إمرأة ... عارفة بالطّب والعقاقير ، ومايرجع إلى ذلك . » [2]

ومن الأطّباء الذين برزوا في علم التشريح والجراحة علي إبن غالب الإدريسي الفاسي نشأ تحت رعاية أمه فعلمته صناعة الحجامة ثم درّس الطّب حتى مهر فيه وأشتهر وأخد يباشر العمليات الجراحية فكان موفقًا فيها . [3]

ومن المؤلفات الطبية الشهيرة التي برزت عصري بني مرين وبني وطّاس : " كتاب عمل من طب لمن حب" لمؤلف الشهير لسان الدين ابن الخطيب ، وهو تصنيف كبير يتناول فيه أنواع الأمراض المختلفة مع ذكر أسباب كل مرض وأعراضه وطرق علاجه وتحوطاته ، ومختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها وقد ألف إبن الخطيب هذا الكتاب أثناء إقامته الأولى بفاس سنة (ت 761 هـ / 1359 م) ، وله كذلك رسالة في الطّب عنوانها : "الوصول إلى حفظ الصّحة في الفصول " [4] وله "المسائل الطبية "،" الرجز في عمل الترياق" ،" اليوسفي في الطّب "،" رسالة في تكوين الجنين" ، "رجز في الطب والأغذية" ،" البيطرة والبيزرة" ، "مقنعة السائل عن المرض الهائل "، وهي رسالة كتبها عن الطاعون الذي حلّ بالمغرب سنة (ت 749 هـ / 1348 م). [5]

هذا لى جانب كتاب آخر عبارة عن" أرجوزة في العلاقات الجنسية والأمراض السرية" من تأليف أبي الحسن علي العنسي المراكشي [6] وتأليف لعلي بن عبد الله بن هيدور التادلي الفاسي عبارة عن رسالة سمّاها : "المقامة الحكيمة في الأمراض الوبائية "، وقد ألّفها صاحبها في هذا العصر الذي اجتاح فيه الطاعون المغرب وغيره من الأقطار . [7]

---

(1) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، 3 / 277 ، إبن شقرون ، م.س / 227 ، الحريري ، م.س / 349

(2) كنون ، م.س ، 1 / 215

(3) إبن شقرون ، م.س / 228

(4) إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 1 / 31 - 66

(5) حركات ، م.س ، 2 / 183

(6) إبن شقرون ، م.س ، ص.ن

(7) إبن شقرون ، م.ن / 229

الفصل الثالث : حياة الشّيخ الونشريسي

المبحث الأول : شخصية الونشريسي

1- إسمه وكنيته ونسبته وإسم شهرته

أ) إسمــه

ثبت إسمه وبخط يده في بعض كتبه [1] وتأكد ذلك في العديد من المصادر والمراجع [2] التي ترجمت له ، حيث أجمعت على أنّ :

إسمه : أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي

ب) كنيته ونسبته وإسم شهرته

كنيته أبو العبّاس [3] ، وعرف وأشتهر بالونشريسي [4]

---

(1) أنظر ترجمته في : الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد (ت 914هـــ ، 1508 م) ، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق ، مخ ، نسخة ق ، ورقة01 ض ، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 12 / 394 . الونشريسي ، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك ، تحقيق ودراسة الصادق بن عبد الرحمن الغرياني ، دار ابــن حــزم ، بــيروت ، ط1 ، 2006 / 55- 181 . الونشريسي ، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية ، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث ، مطبعة لافوميك ، الجزائــر ، 1985/ 21.

(2) أنظر : الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 153 – 155، التنبكتي ، م .س/ 135 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 58 ، الكتــاني عبــد الحي بن عبد الكبير ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلالات ، إعتناء إحــسان حقــي ، دار الغــرب الإســلامي ، بيروت ، د.ت ، 2 / 1122، سركيس م.س ، 2/ 1925. كحالة ، م.س ، 1 / 325 ، نويهض، م.س/ 344 . تاريخ الجزائر في العــصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، طبعة خاصــة ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007 / 154

(3) أنظر : الونشريسي، المعيار ، 3 / 349 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، 2 /153 ، مخلوف، م.س 1/ 274، المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 3 / 65- 66 ، الكتاني ، فهرس الفهارس، 2 / 1122 ، الزركلي ، م.س ، 1 / 269 ، نويهض ، م.س / 343

(4) نسبة إلى ونشريس ، و قد يطلق عليها « وانشريس » بزيادة ألف بعد الواو ، و كذلك « وانشريش » أو« ونسريس » و هي تسمية بربرية تعني الجبل الشاهق الأكثر إرتفاعا ، جبل بين مليانة و تلمسان من نواحي المغرب ، و بالضبط غرب الجزائر ، يمتاز بجودة التربة وكثرة العيون.

أنظر : إبن خلكان أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ ، 1283 م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1968 ، 5 /55 ، الوزان ، 2 /45 ، إبن خلدون ، كتاب العبر ، 7/ 110-117- 126، ياقوت الحموي ، م.س ، 5 / 355 ، المزاري ،1 / 165- 166-182، البغدادي ، إيضاح المكنون ، م.س ، 1 / 113

2- مولده و نشأته

أ) مولــده ومكان ولادته

إن أغلب المصادر[1] التي ترجمت للمؤلف، لم يرد فيها ذكر بصريح العبارة إلى تاريخ ولادته، ماعــدا أنــه توفي سنة أربع عشر وتسعمائة (914 هـ/ 1508 م) و عمره ثمانون سنة.

و هذا يدل على أنّ :

مولده في حدود سنة أربع وثلاثين وثمانمائة (834 هـ / 1430 م) [2] .

أمّا عن مكان ولادته ، فقد ذكره بنفسه بقوله : « الونشريسي الأصل » [3] ، وقد ثبت ذلــك في بعــض المصادر التي ترجمت له ، حيث ورد فيها بدقة قولها : « الونشريسي الأصل و المولد » [4] .

إن هذه التأكيدات تنفي بشكل قاطع ما ورد في بعض كتب التراجم كونه : « تلمساني الأصل » [5] .

ب) أسرتــه

لم تسعفنا كتب التاريخ و التراجم ، بأخبار عن أسرة أبي العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي ، فتبدو أخبارها غامضة ، خاصة فيما يتعلق بنسبها ، ومكانتها العلمية والاجتماعية .

يبدو أن أسرة أبي العباس الونشريسي ، لم تكن ذات صلة بجاه أو علم أو نباهة بين أوساط المجتمع ، فكتب التراجم لا تصف والده ، أو أحد أجداده ، أو أقاربه بعلم ولا رئاسة ، باستثناء ماورد على لسان الفقيــه أبو العباس أحمد بن الشيخ المبارك، عند مراسلته الونشريسي في مسائل فقهية واصفا والده بعد وفاته:

« بالشيخ الفقيه المنعم المبرور المقدس المرحوم بفضل الله تعالى، أبي زكريا يحي الونشريسي أبقى الله تعــالى بركاته » [6].

إن هذه الصفات لا تكفي للجزم أو التأكيد على أن والد الونشريسي كان من أهــل العلــم والفقــه،فهي صفات أقرب للمجاملة والإطراء، وهي لغة الفقهاء والعلماء في التخاطب والمراسلة ، ولو كان الأمر كذلك ،وعد والده من أهل العلم والفقه لما أغفلته كتب التراجم ومؤلفات الونشريسي نفسه.

---

(1) أنظر : إبن مريم ، م.س / 54 ، التنبكتي ، م .س / 136 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 59 ، البغدادي ، إيضاح المكنون م .س ، 1 / 113 ، الناصري ، م .س ، 4 / 165 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 154 - 155

(2) أنظر: موسوعة أعلام المغرب 1 / 10 ، سركيس ، معجم المطبوعات، م.س ، 2 / 1925 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269 ، نـويهض، م.س / 343، الجيلالي ، م.س ، 3 / 76 ، ، الطمار ، م .س / 230

(3) أنظر : الونشريسي ، المنهج الفائق ، م .س / 230 ض و

(4) المقري ، أزهار الرياض، م .س ، 3 / 65 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 155

(5) أنظر : الكتاني ،فهرس الفهارس ، م.س ، 2 / 1122 ، سركيس ، معجم المطبوعات ، 2 / 1122 ، كحالة ، معجم المؤلفين، 1 / 325

(6) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 3 / 349

أمّا عن والدته فلم يرد ذكر لاسمها أو نسبها ، ولا تمدنا كتب التراجم بشيء عنها، باستثناء مــاورد علــى لسان الونشريسي ، في حديثه عن القاضي العدل واضح ابن عثمان بن محمد بن عيسى إبن فركون المغراوي ، إذ يشير على أنه واحد من أقاربه . [1] ويرجح أن يكون من أسرة والدته .

ولا يستغرب هذا الغموض عن أسرة الونشريسي ،مادام الونشريسي نفسه لاتسعفنا المــصادر بــشيء عــن طفولته وشبابه ولا عن مسيرته العلمية في بداية عهده ولا عن حياته الخاصة، ماعدا أنه تزوج قبل رحلته إلى فاس ببضع سنوات وأنجب ولده عبد الواحد بفاس بعد الثمانين وثمانمائة [2] من زوجته الــتي لا نعلــم عــن إسمها ونسبها شيئا، ولا عن مكانتها الإجتماعية والثقافية.

وبصرف النظر عن ولده عبد الواحد، لا نعلم شيئا عن أسرته التي أنشأها ، وكم هو عدد أفرادها ، وما إذا كان عبد الواحد الولد الوحيد، الذي حمل إسم والده بعد وفاته.

ت) نشأته العلمية

إنتقل أبو العباس من مسقط رأسه و هو لا يزال صغيرا رفقة أسرته إلى تلمسان و قد يعود السبب في ذلــك إلى إنعدام الأمن و الاستقرار في هذه المنطقة .

في هذه الظروف المتميزة كان على عرش تلمسان السلطان أبو العباس أحمد العاقل بــــن أبي حمّــو الثــاني (834 – 866 هـ / 1431- 1462م) « الذي أظهر من حسن السيرة والعناية بنفسه ما أكــسبه عطــف الرعية وإجماع الناس على مودته فأظهر بأسه للحفصيين وأعلن رفض عهدهم سنة (837 هـ / 1433 م) فتحرك لقتاله السلطان أبو فارس عبد العزيز الحفصيّ (796 – 837 هـ / 1394- 1433 م)، فاحتل جبل ونشريس قهرا وأنظم أهله تحت طاعته ، ثم ماكاد يتصل بتلمسان حتى وافاه أجله » [3]

إن الاعتداءات المتكررة للحفصيين على جبل ونشريس و إرغام أهلها على الطاعة و الخضوع ، دفع بعائلة الونشريسي ، إلى إختيار الهجرة سبيلا للبحث عن مكان للاستقرار، فوقع الاختيار على تلمــسان ، وهــي بداية لمرحلة متميزة في حياة الونشريسي ومساره العلمي في هذه المدينة ، لما تنفرد به :

« فهي دار للملك وعاصمة سياسية للمغرب الأوسط ذات مكانة علمية وثقافية، إزدهــر فيهــا الفكــر و أخصبت الحضارة و تطور العمران ، و أستهوت العديد من المفكرين و الأدباء و الساسة ، ضف إلى ذلك فهي من أعز معاقل المغرب و أحصن أمصاره ، حتى أصبح الناس يفدون إليها من كل جهة للإحتماء بها و بأمرائها. » [4]

---

(1) الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 145

(2) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 153 - 155 ، التنبكتي ، م.س / 288

(3) الجيلالي ، م .س ، 2 / 197

(4) يحي بوعزيز، الموجز ، م .س ، 1 / 210 - 215 ، يحي بوعزيز ، ماضي مدينة تلمسان وأمجادها الحضارية ، مجلة الأصالة ، المؤســسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 ، 1 / 27 ، عبد الله شريط و محمد مبارك الميلي ، مختصر تاريخ الجزائر – السياسي والثقافي و الإجتماعي ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 / 133

في هذه المدينة الحافلة بالعلم و العلماء ، الزاخرة بأصناف العلوم و المعارف [1] نشأ الونشريسي ، و أخذ عن علمائها و مشائخها ، ممن كان لهم الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية و بروزه كقطب لامع في العلوم الشرعية .

لقد كان لأبي العباس رغبة جامحة في طلب العلم و تحصيله، وقد أختار من العلوم ما يتناسب مع التقوى التي نشأ عليها ، حيث كان شخصا ورعا و متدينا [2] كثير الإطلاع و الحفظ و الإتقان شديد الشكيمة في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم. [3]

لقد جدّ أبو العباس الونشريسي في تحصيل العلم الشرعي من جميع نواحيه و لم يدخر وسعا في مال أو نفس ، فكان يتحمل في سبيله كل مشقة و يبذل أقصى ما يملك ، و لا يمل من الكتابة و التأليف ، و لا من مجالسة العلماء و الفقهاء ، و في ذلك يصفه إبن عسكر في دوحته قائلا :

« حدثني غير واحد ممن لقيته أن كتبه كلها مورقة غير مسفّرة ، و كانت له عرصة يمشي إليها في كل يوم و يحمل حمارًا يحمل عليه أوراق الكتب من كل كتاب ورقتين أو ثلاثة ، فإذا دخل العرصة جرد ثيابه و بقي في قشابة صوف يحزم عليها بمضمة جلد ، و يكشف رأسه و كان أصلع ، و يجعل تلك الأوراق على حدة في صفين و الدواة في حزامه و القلم في يد و الكاغيد في الأخرى ، و هو يمشي بين الصفين ويكتب النقول من كل ورقة ، حتى إذا فرغ من جلبها على المسئلة قيد ماعنده و ما يظهر له من الرد و القبول ، هذا شأنه ، و علمه و فضله أشهر من أن يذكر .» . [4]

---

(1) مجهول ، الإستبصار ، م .س / 177

(2) مخلوف ، م .س ، 1 / 274

(3) الشفشاوني ، م .س / 47

(4) الشفشاوني ، م .ن / 47 - 48

لقد تمكن الونشريسي من علوم عصره و خصوصا الفقه و النحو و البيان و كان له إهتمام و مشاركة في عدد من العلوم الأخرى كالوثائق و الأصول و التواريخ و الفرائض بالإضافة إلى قرض الشعر ، و هو ما ساعده على تولي مهمة التدريس في تلمسان ، فكانت دروسه حافلة و ذات شهرة ، و لا يعود ذلك إلى غزارة علمه و تمكنه من مادته فقط بل يعود كذلك إلى فصاحة قلمه و لسانه معا . و إلى جانب التدريس، فقد تولى كذلك الفتوى فكان بذلك مصدرا للأجوبة الفقهية و الفتاوي الشرعية على مذهب السادة المالكية، لأهل تلمسان و ما جاورها من الأقاليم و البلدان .[1]

وعلى الرغم من مسيرته العلمية و الدينية ، إلا أن مترجموه لم يذكروا أنه حج بيت الله أو أنه إرتحل في سبيل العلم إلى عواصم العالم الإسلامي ، كما كان حال كثير من معاصريه.[2]

إستقر أبو العباس الونشريسي الأربعين سنة الأولى من عمره في تلمسان متتبعا بذلك ما كانت تعيشه دولة بنوزيان خلال هذه الفترة من فتن و قلاقل ، و ثورات مضنية، متتالية و تطاحن على الملك و الرياسة ، زيادة على ما فعله الإسبان و البرتغاليون ببعض المدن و الموانئ الساحلية تمهيدا لفرض سيطرتهم عليها ، ضف إلى ذلك ، تعالي نداءات الإستغاثة و النجدة من أهل الأندلس.[3]

لقد كان لهذه الأحداث أثر كبير في شخصية الونشريسي و في مواقفه الصريحة، و هو ما يفسر ما حصل له مع السلطان الزياني أبي ثابت أبي عبد الله محمد المتوكل (866 – 873 هـ / 1462– 1468 م).

---

(1) سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 119 – 120

(2) سعد الله أبو القاسم ، م .ن ، 1 / 119

(3) الونشريسي ، إيضاح المسالك ، تحقيق ودراسة الخطابي ، (قسم الدراسة) / 13 ، الجيلالي ، م .س ، 2 / 197 – 203 ، سعد الله أبو القاسم ، م .ن ، 1 / 29 – 30

3- محنته وانتقاله إلى فاس

لم تكن عجلة الأحداث التي كانت تسير في دولة بني زيان خلال هذه الفترة في صالح الشيخ الفقيه أبي العباس أحمد الونشريسي ، الذي بلغ من العمر أربعين سنة ، و هو يومئذ قوّال للحق غيور على الإسلام [1] « شديـد الشكيمة في دين الله ، لا تأخذه في الله لومـة لائم ، ولذاك لم يكثر لـه مع أمـراء وقتـه كثـير إتصال ». [2]

لم يقف الشيخ أبو العباس موقف المتفرج على الأحداث ، بل سارع إلى الإعلان عن مواقفه الصريحة من السلطان أبي عبد الله محمّد بن أبي ثابت (873– 910 هـ 1468– 1505 م) ، إزاء ما يحدث من ضعف وإستكانة ، وعدم تبصرة في إدارة الأحداث بتعقل و حكمة [3] و كيف ما كان السبب « فقد حصلت له كائنة من جهة السلطان في أول محرم من عام أربع و سبعين و ثمانمائة(01 محرم 874 هـ/ جويلية 1469م)، فانتهبت داره ، وفر إلى مدينة فاس وأستوطنها. » [4]

و قد أشار الونشريسي إلى ما حصل له مع السلطان أبي عبد الله محمّد بن أبي ثابت (873– 910 هـ 1468– 1505 م) بنوع من التلميح في مقدمة كتابه عدة البروق بقوله :

«... أما بعد فإني قد كنت وضعت في الجموع و الفروق مجموعا مطبوعا و سميته بعدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع و الفروق ، و يستعان به على حل كثير من المتناقضات الواقعة في المدونة و غيرها من أمهات الروايات ، ثم إن بعض الهمج ممن له جرأة و تسلط على الأموال و المهج إنتهبه في جملة الأسباب مني و غاب به عني، فأدركني من ذلك غاية المشقة و الحرج . » [5]

---

(1) الونشريسي ، المعيار (قسم الدراسة) ، م .س / ج

(2) الشفشاوني ، م .س / 47 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 172

(3) المهدي البوعبدلّي ، م.س / 22 – 28 ، الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي ، م.س / 13

(4) إبن مريم ، م .س / 53 ، إبن مريم ، م .س / 135 ، موسوعة أعلام المغرب، ، 1 / 10 ، الحفناوي ، م .س 1 / 62 ، سركيس ، م .س 2 / 1925 ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، / 154 ، نويهض ، م .س / 343- 344 ، الجيلالي ، م .س 3 / 79

(5) الونشريسي ، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجنوع والفروق ، دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1، بيروت ، لبنان ، 1990 / 79

لقد نزل الشيخ الونشريسي بمدينة فاس [1] إنتقالا إليها من تلمسان لما حصل له فيها من جهة السلطان [2] و قد أكد ذلك قائلا: « و سئلت في عام أربعة و سبعين و ثمانمائة ، إثر ورودي مدينة فاس أحاطها الله من كل بأس...» [3] إلا أنه أغفل الأسباب الحقيقية التي أوقعته في هذه المحنة، و جعلته يغادر تلمسان مكرها و هو ما يفتح المجال لعدة إحتمالات أهمها :

– إبتعاد الونشريسي وعدم إنصياعه للحكام و السلاطين بصورة عامة ، بصورة خاصة خوفا من أن يكون موضع تسخير لخدمته ، و الدعاية لشخصه ، و الكتابة باسمه و هو الذي أوضح في حديثه عن العلاقة بين العلماء و رجال السلطة ما قاله القاضي محمد المقري ذات مرة : « و أعلم أن شر العلماء علماء السلاطين ، و للعلماء معهم أحوال » [4] موضحا بذلك موقفه من علماء البلاط ، و لهذا فقد إختار أن يكون عالما صالحا حرا في إعلان أرائه و مواقفه دون ضغط أو إكراه ، أو غدق و إكرام.

– إنتقاد الونشريسي موقف السلطان أبي عبد الله محمّد بن أبي ثابت (873– 910 هـ 1468– 1505 م) السلبي إزاء الأحداث و تماطله في الدفاع عن المدن الإسلامية التي وقعت تحت سيطرة النصارى ، و سوء معاملته للسلطان الحفصي (أبا عمرو عثمان) الذي لو عامله بدهاء و حكمة ، لما لحقت به تلك الهزيمة و لما إلتجأ إلى الصلح معه مرغما . [5]

إتهام الونشريسي من قبل السلطان أبي عبد الله محمّد بن أبي ثابت بالتحريض على مشايعة الملك الحفصي ، و مبايعته له ، أو على الأقل كان من ضمن الذين رحبوا به ، وما أكثرهم أثناء قيامه بحمله تأديبية ضد والده السلطان أبي عبد الله محمّد المتوكل (866 – 873 هـ / 1462– 1468 م)، معلقين عليه آمالهم أن يعمل على طرد العدو من شواطئهم بعد أن يئسوا و تيقنوا من عجز حاكمها الزياني ، و سلبيته إزاء ما يحدث في الأندلس . [6]

---

(1) بفتح الفاء ثم ألف وسين مهملة ، مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر في أصلها مدينتان مفترقتان مسورتان عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ، تقعان في سفح جبل يفصل بينهما نهر ، تأسست عدوة الأندلسيين في سنة (192 هـ – 809 م) وعدوة القرويين سنة (193 هـ – 810 م) ، في ولاية إدريس بن إدريس .

أنظر: الونشريسي ، المعيار ، 1 / 237 ، مجهول ، الإستبصار ، م.س / 180 ، الوزان ، م .س 1 / 218 ، ياقوت الحموي ، م.س 4 / 230 ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت 732 هـ ، 1331 م) ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت / 132 - 133

(2) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 172

(3) الونشريسي ، المعيار ، 8 / 341

(4) الونشريسي ، المعيار ، 2 / 480 ، سعد الله أبو القاسم ، م.س ، 1 / 45 - 46

(5) الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي ، م.س / 13

(6) م.ن ، ص.ن

إستقر الشيخ أبو العباس بعد خروجه من تلمسان، مدينة فاس، ولقي من حفاوة علمائها وإقبال طلبتها ، وتقديرهم له ماأنساه المحنة وجعله ينسجم في بيئته الجديدة إنسجاما تاما، و يتخذ من هذه البلدة موطنا له ، و لأبنائه من بعده ، و رغم مشاركته في كثير من العلوم ، إلا أنه إمتاز بالضلاعة في الفقه المالكي، و تكاد تكون جميع مؤلفاته فيه. [1]

أقبل الونشريسي في مدينة فاس « على تدريس "المدونة" و "فرعي إبن الحاجب "، و كثير ما كان يدرس بالمسجد المعلق بالشراطين من فاس القرويين المجاور لدار الحبس التي كان يسكن بها ، و سكن بها ولده... بعده مدة طويلة حتى بنى داره بالعقبة الزرقاء ، وكان مشاركا في فنون العلم حسبما تضمنت ذلك فهرسته ، إلاّ أنه أكب على تدريس الفقه فقط ، فيقول من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره ، و كان فصيح اللسان و القلم حتى كان بعض من يحضر تدريسه يقول ، لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه .» [2]

و رغم إحاطة الونشريسي بمذهب مالك أصوله و فروعه ، و تبحره في علوم شتى ، و كثرة إطلاعه ، وحفظه و إتقانه و علو مكانته [3] إلا أنه كان أكثر تواضعا ، و يتضح ذلك من خلال حضوره المتكرر لمجالس العلماء و الفقهاء بمدينة فاس ، وعلى رأسهم الشيخ الفقيه الإمام قاضي الجماعة بفاس ومفتيها أبو عبد الله محمد المكناسي الفاسي ،الشهير بالقاضي المكناسي، و مراسلته كتابة لعدد آخر و في مقدمتهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القوري قاضي الجماعة بفاس . [4]

---

(1) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، 2 / 172 ، موسوعة أعلام المغرب ، 1 / 10

(2) المنجور أحمد بن علي بن عبد الرحمن (ت 995 هـ ، 1086 م) ، فهرس أحمد المنجور ، تحقيق محمد حجي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1976 / 50

(3) الشفشاوني ، م .س / 47

(4) الونشريسي ، الوفيات ، م .س / 149 ، المعيار ، م .س ، 3 / 372

المبحث الثاني : مكانته العلمية وآثاره

1- مكانته العلمية وشهادة العلماء فيه

إنفرد الشيخ أبو العباس أحمد الونشريسي عن علماء عصره بثقافة واسعة ، و مكانة علمية فائقة و منزلة رفيعة في حياته و بعد وفاته ، فكان عالما و فقيها ، محصلاً و مدرسًا ، ورعًا و متدينًا و قد أشاد كل من ترجم له [1] بعلو مكانته وسعه علمه و جودة تصانيفه وإحاطته بفقه مالك أصوله و فروعه مع تواضع و فضل و يعترف له كثير من العلماء بذلك و يكفي أن نشير إلى شهادة كبار عصره نذكر منهم:

محمد ابن غازي (ت919 هـ / 1513 م) الذي قال فيه :

« لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله و فروعه لكان بارا في يمينه ولا تطلق عليه زوجته ، لتبحر أبي العباس الونشريسي ،و كثرة إطلاعه وحفظه وإتقانه ، وكل من يطالع أجوبته و تواليفه يقضي بذلك . » [2]

و هي شهادة تزكية كلها تقدير و تنويه و إعتراف بعلو مكانته العلمية وسعه إطلاعه وإحاطته بمذهب مالك.

و مما يدل على فضل الونشريسي و مكانته بين علماء عصره تلك المراسلات العلمية التي عادة ما تجري بين العلماء من باب التحصيل أو المناظرة، وفي هذا المجال فقد كتب الشيخ إبن غازي رسالة مطولة تتصل بمسائل وقع فيها خلاف بين أهل التاريخ و السير سماها " الإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس و تلمسان " يجيب فيها الونشريسي على أسئلة كلها تقدير و إحترام لشخص الونشريسي إستهلها بقوله:

« إلى السيد الفقيه، العالم ، المحقق ، المدرس ، المفتي ، الصدر ، الحجة ، الكبير ، الخطير، الأحظى، الملحوظ ، الأحفل ، الأكمل ، بي العباس سيدي أحمد بن سيدي يحي الوانشريشي ، حفظ له سبحانه و تعالى كماله ، و بلغه في الدارين أماله ... » وختمها بقوله : « ... الحمد لله و كذلك يسلم على كريم مقامكم، خديمكم أحمد بن محمد بن غازي ، قاصدا بتوالي كتبه التبرك بكم ، ملتمسا منكم الدعاء ، أفاض الله علينا من بركاتكم، ونفعا بمحبتكم ، بجاه النبي عليه السلام . » [3]

---

(1) انظر : الشفشاوني ، م .س / 47 – 48 ، المنجور ، م .س / 50 – 51 ، إبن مريم ، م .س / 53 – 54 ، التبكتي ، م .س / 135 – 136 ، المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 3 / 65- 66 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 153 – 155، الحفناوي ، م .س ، 1 / 58 - 59 ، الكتاني ، فهرس الفهارس ، م .س ، 2 / 1122 ، سركيس ، م .س ، 2 / 1925 ، كحالة ، م .س، 1 / 325 ، نويهض، م .س / 344 ، مخلوف، م.س 1/ 274، إبن القاضي ، م.س 1 / 156- 158 ، البغدادي ، إيضاح المكنون ، م.س، 1 / 113 ، البغدادي م.س ، 1 / 138، الناصري ، م .س، 4 / 165 ، الزركلي ، م.س ، 1 / 269

(2) الشفشاوني ، م .س / 47 ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 153 – 154

(3) المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 3 / 65- 87

و قال أحمد المنجور (ت995 هـ / 1586 م) في فهرسته :

« ... وكان مشاركا في فنون العلم حسبما تضمنت ذلك فهرسته و أكب على تدريس الفقه فقط ، فيقول من لا يعرفه ، إنه لا يعرف غيره ، و كان فصيح اللسان و القلم ، حتى كان بعض من حضر تدريسه يقول لو حضره سيبويه لأخذ النحو من فيه »[1] ، و إن كانت هذه الشهادة فيها نوع من المبالغة إلا أنها تؤكد مشاركة الونشريسي في علوم أخرى دون الفقه و كفاه شرفًا ورفعة .

كما وصفه إبن عسكر في دوحته بصفات كلها إجلال و تنوييه حيث يقول : « و منهم الشيخ الإمام العالم العلامة ، المضيف ، الأبرع ، الفقيه ، الأكمل ، الأرفع ، البحر الزاخر و الكوكب الباهر حجة المغاربة على أهل الأقاليم و فخرهم الذي لا يجهله جاهل ولا عالم أبو العباس أحمد بن يحي الوانشريسي رضي الله عنه، كان رحمه الله من كبار العلماء الراسخين و الأئمة المحققين . »[2]

و أثنى عليه الكتاني في كتابه السلوة قائلا:

« و منهم... الفقيه الكبير ، الحافظ المحصل الشهير العلامة المشارك القدوة ، الحجة المنصف الأسوة ، حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة و إمام المغرب و المشرق أبو العباس سيدي أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن على الونشريسي . »[3]

هذه نماذج حية عن شهادات بازرة لعدد من العلماء ممن عاصروا الونشريسي ، أو جاءوا من بعده يعترفون فيها بمكانته العلمية ، و سعة إطلاعه و مدى إلمامه و مشاركته في علوم عدة ، و على رأسها علوم الفقه، هذا إلى جانب وفرة إنتاجه الفكري الخصب من خلال مؤلفاته و تصانيفه التي ذاع صيتها و أصبحت مصدرا للفقهاء و العلماء من بعده .

---

(1) المنجور ، م .س / 50 – 51 ، إبن مريم ، م .س / 53 ، التبكتي ، م .س / 135 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 153 – 154، الحفناوي ، م .س ، 1 / 58

(2) الشفشاوني ، م .س / 47

(3) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 153

2- مؤلّفــاتــه :

ترك الونشريسي تصانيفًا ومؤلفات عدة ، بعضها عبارة عن رسائل صغيرة ، تتضمن فتاوي أو ردود على العلماء والفقهاء ، أو تعليقات على الكتب والتصانيف ، والبعض الآخر عبارة عن كتب تعالج مواضيعاً مختلفة في علم الفقه وأصوله يزيد عددها عن العشرين ، ويتعلق الأمر بالمؤلفات التالية :

- " أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر، وما قد يترتب عليه من العقوبات والزواجر " .

رسالة مدرجة في المعيار[1] تتضمن فتوى في بيان أحكام الماكثين بأرض الكفر (الأندلس) ، خاصة بعد سقوط غرناطة وهم بإستطاعتهم الهجرة إلى أرض الإسلام (المغرب) ، نشرها محققة الدكتور حسين مؤنس [2] وأعاد نشرها الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب [3] وذكرها عدد ممن ترجم له .[4]

- " إضاءة الحلك والمرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك "

عبارة عن جواب رد فيه الونشريسي علي الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الحميدي (ت894 هـ /1488م) قائلا : « ... ثم لما لج في ضلاله ، وتمادى على ردي خلاله حملني لجاجه ، وعدم إنقياده للحق وإعوجاجه ، أن ألفت في المسألة تأليفا مفيدا جدا ...سميته بإضاءة الحلك والمرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك . » [5] وقد ذكره عدد ممن ترجم له. [6]

- " الأجوبة" وتعرف "بالمسائل القلعية"

عبارة عن أزيد من خمسين مسألة وردت على الونشريسي من قبل الفقيه أبي عبد الله محمد القلعي فأجاب عنها ، ذكرها إبن مريم في البستان حيث يقول: « وله أسئلة تزيد على الخمسين مسألة ، تسمى بالقلعية وقد إنتفع بها الناس كثيرا ، بعث بها إلى مدينة فاس ، فأجاب عنها أحمد بن يحي الونشريسي »كما ذكرها أيضا صاحب "تاريخ الجزائر الثقافي " حيث قال : « وأجوبة فقهية ، تدعى أحيانا أجوبة أو فتاوي الونشريسي ...وهي كما يدل العنوان أجوبة على أسئلة وردت عليه من المعاصرين في الموضوع . » [7]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 2 / 119 - 136

(2) صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، عدد خاص (1377 هـ / 1957 م) ، العدد 1-2 / 129 - 191

(3) أحمد عبد الكريم نجيب ، دار الثقافة الدينية ، مصر ، (1406 هـ / 1986 م) ، م .س ، 2 / 119 - 136

(4) سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 44

(5) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 8 / 343

(6) سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 126 ، الجيلالي ، م .س 3 / 77 ، سركيس ، م .س ، 2 / 1925 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269 ، نويهض ، م.س / 344

(7) إبن مريم ، م.س / 271 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120 – 126

- " الأسئلة والأجوبة"

مجموعة من الأسئلة والأجوبة وضعها الونشريسي في كتاب عام (871 هـ / 1466 م) بتلمسان وبعث بها إلى أستاذه عبد الله القوري بفاس حيث يقول: « وكتبت إلى الشيخ أبي عبد الله القوري رحمه الله ، سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، وأنا بتلمسان ، أسأله عن عدة مسائل... » (1) وأدرج معظمها في المعيار . (2)

- " الدرر القلائد وغرر الدرر والفوائد "

جمع فيه ماقيده أبو عبد الله المقري على "مختصر إبن الحاجب الفرعي " وزاد عليه مايناسبه، ذكره من جملة تصانيفه محقق كتاب "إيضاح المسالك " ، ومحقق كتاب " عدة البروق ". (3)

- " الفهـــرسة"

ضمنها شيوخه ومروياته ، أجاز بها تلميذه أبا عبد الله محمد بن عبد الجبار الورتدغيري وألفها بإسمه في حدود (809 هـ / 1406 م) ، ذكرها المنجور في " فهرسته " (4) ووقف عليها صاحب "السلوة " ونقل منها (5) و أشار إليها العديد ممن ترجم له . (6)

- " الفوائد المهمة" أو "فوائد في التصوف والحكم والأحكام "

ذكره من جملة تصانيفه محقق محقق كتاب "إيضاح المسالك " ، ومحقق كتاب " عدة البروق ". (7)

- " القصد الواجب في معرفة إصطلاح إبن الحاجب "

ذكره البغدادي وصاحب "معجم أعلام الجزائر". (8)

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 6 / 471

(2) الونشريسي ، المعيار ، م .ن ، 1 / 202 ، 6 / 471

(3) الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي ، / 72 ، الونشريسي ، (قسم الدراسة) ، عدة البروق / 46 - 47

(4) المنجور ، م .س / 50

(5) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 154 - 155

(6) المنجور ، م .س / 50 ، الكتاني ، فهرس الفهارس ، م.س 2 / 1122 ، نويهض ، م.س / 344 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120 ، الجيلالي ، م .س ، 3 / 77

(7) الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي ، / 72 ، الونشريسي ، عدة البروق ، (قسم الدراسة) / 46

(8) البغدادي ، هدية العارفين ، م.س 1 / 138 ، نويهض ، م.س / 344

- " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب "

من أهم كتب الونشريسي على اللإطلاق ، قال بشأنه : « ...فهذا كتاب سميته بالمعيار المعرب ، والجامع المغرب ، عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ، جمعت فيــه من أجوبــة متأخــريهم العصريين ، ومتقدميهم مايعسّر الوقوف على أكثره في أماكنه ، وإستخراجه من مكامنه لتبدده وتفريقه ،وإنبهام محله وطريقه ، رغبة في عموم النفع به ، ومضاعفة الأجر بسببه ، ورتبته على الأبواب الفقهية ، ليسهل الأمر فيه على الناظر... » [1]

وكما هو واضح من قول الونشريسي ، فإن الغرض من تأليفه لكتاب المعيار منصب على تجميع أكبر مادة علمية في الفتوى ، وليس إختيار مايناسبه من الأراء والأقوال الصحيحة والمعتمدة ،حتى أصبح بذلك مصدرا فقهيا للعلماء والفقهاء ، قال بشأنه محمد الشريف الرحموني :

« كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقيا والأندلس والمغرب للإمام أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ... يعتبر من أكبر الجوامع كمًا، وأندرها كيفًا حوى أهم النوازل الواقعية لأهل الجناح الغربي من العالم الإسلامي... » [2]

وقد نسب هدا الكتاب للونشريسي كل من ترجم له [3] ، وهو في إثني عشر مجلدا ، وقد نشر مرتين [4]

- " المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق "

وهو الكتاب الذي قمت بتحقيق بعض أبوابه، وأخترته ليكون موضوع رسالتي ، وسيأتي الحديث عنه بمزيد من التفصيل .

- " الواعي في مسائل الأحكام والتداعي "

ذكره الونشريسي من جملة كتبه في كتابه" إيضاح المسالك ". [5]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 1 / 1

(2) الرحموني محمد الشريف ، نوازل الشرطة من كتاب المعيار ، مجلة العدل ، المملكة السعودية ، العدد 13 / 126

(3) إبن مريم ، م .س/ 54 ، التنبكتي ، م .س/ 136 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120، الجيلالي ، م .س 3 / 77 ، البغدادي ، إيضاح المكنون م .س ، 1 / 138 ، نويهض ، م.س / 344

(4) الطبعة الأولى « طبعة حجرية » ، 12 مجلد ، فاس ، (1314 هـ / 1897 م) ، أما الطبعة الثانية ، إخراج جماعة من الفقهاء بإشراف د / محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، الرباط ، ودار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 13 مجلد ، (1401 هـ / 1981 م) ،

(5) الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الغرياني ، م.س / 107 ، الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي، م.س / 270

- " الوفيات"

ترجم فيه لأعلام القرنين الثامن، والتاسع للهجرة مبتدئاً من (701 هـ/ 130م) إلى (912 هـ/ 1506م) ذكره العديد ممن ترجم له [1] ، و نشر مرتين بعنوانين مختلفين . [2]

- " الولايات "

موضوعه التعريف بالخطط الشرعية ، ومناصب الحكومة الإسلامية ،ضمنه المؤلف سبعة عشرة ولاية ، وقد نسب هذا الكتاب للونشريسي معظم من ترجم له [3] ونشر مرتين . [4]

- " إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك " ويعرف "بالقواعد الفقهية "

وقد ذكره كل من ترجم له وعده من كتبه [5] وأثبت المؤلف بنفسه هذا التصنيف في كتبه : "عدة البروق " و " المنهج الفائق" و" المعيار المعرب " [6] ، يضم مائة وثماني عشرة قاعدة ، يقول محمّد الحجوي : « وكتاب في القواعد الفقهية، سماه إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك أجمع نحو مائة قاعدة فقهية ، بني عليها الخلاف المالكي ، ولكن كلها أو جلها مختلف فيها، وعن الإختلاف فيها نشأ الإختلاف في فروعها ، فهو كفلسفة فقهية مفيدة . » [7]

---

(1) إبن مريم ، م .س/ 54 ، التنبكتي ، م .س/ 136 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120، الجيلالي ، م .س 3 / 77 ،نويهض ، م.س / 344

(2) الطبعة الأولى بعنوان : ألف سنة من الوفيات و تظم كتاب : الوفيات للونشريسي ، و لقط الفرائد لإبن القاضي ،و شرف الطالب لإبن القنفذ » تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، (1396 هـ / 1976 م) .

أما الطبعة الثانية بعنوان : موسوعة أعلام المغرب ، تنسيق وتحقيق محمد حجي « ظم تسعة كتب تراثية » ،دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، (1417 هـ / 1996 م) .

(3) الزركلي ، م .س 1 / 269 ، نويهض ، م .س/ 50

(4) الطبعة الأولى نشر وترجمة هنري برونو « HENRI BRUN» ،جود فروة دمونيي «GAUDEFROY DEMOMBYNES » ، المطبعة الجديدة ، الرباط ، (1356 هـ / 1937 م) ، أما الطبعة الثانية : نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث ، مطبعة لافوميك ، الجزائر 1985 ،

(5) الشفشاوني ، م .س/ 47 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ،2 / 154 - 155 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120 ، الجيلالي ، م .س 3 / 77 ، نويهض ، م.س / 344 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269

(6) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 1 / 268 ، الونشريسي ، عدة البروق ، م .س / 106، الونشريسي ، المنهج الفائق (مخ : ق) ، م .س / 04 و ض

(7) الحجوي م.س ، 4 / 99

نشر هذا الكتاب بعد دراسته وتحقيقه أكثر من مرة . [1]

- " ترجمة في التعريف بالفقيه أبي عبد الله محمد المقري" جد صاحب كتاب " نفح الطيب "

وقد أورده في الجزء الخامس من هذا الكتاب حيث جاء فيه مانصه :

« ويرحم الله شيخ شيوخ شيوخنا ، عالم المغرب سيدي أبا العباس الونشريسي ... إذ قال في تأليفه الذي عرّف به بمولاي الجد لمّا سأله بعضهم في ذلك... » [2]

- " تعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعي"

قال بشأنه إبن مريم :

« وله تآليف كثيرة منها ... تعليق على إبن الحاجب الفرعي في ثلاثة أسفار وقفت عل بعضه. » [3]

وذكره عدد ممن ترجم له . [4]

- " تنبيه الحاذق الندس على خطأ من سوى بين القرويين والأندلس"، رسالة صغيرة كتبها الونشريسي عام (911 هـ/ 1505م) ، وأدرجها في المعيار. [5]

عبارة عن رد بشأن إقامة صلاة الجمعة بجامع القرويين بفاس حيث إستهل الونشريسي حديثه بشأن ذلك قائلا :

« وسئلت عن مسألتين إحداهما مسألة المقلد ... والثاني عن إيقاع الجمعة بجامع القرويين من فاس ، وهي التي أردنا إيرادها هنا ، ونص كلام السائل فيها : جوابكم فيمن أراد أن يوقع الجمعة بمدينة فاس وبالجامع الأعظم منها وهو جامع القرويين عمره الله تعالى بذكره ، هل يصح ما أراد من ذلك أو لا يصح ... » [6]

---

(1) الطبعة الأولى : تحقيق أحمد بوطاهر الخطابي ، صندوق إحياء التراث ، الرباط ، (1400 هـ / 1980 م) ، أما الطبعة الثانية : تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني ، دار إبن حزم ، ط 1 ، لبنان ، (1427 هـ / 2006 م) .

(2) المقري ، نفح الطيب ، م .س ، 5 / 430

(3) إبن مريم ، م .س/ 54 ، التنبكتي ، م .س/ 136 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120، الجيلالي ، م .س 3 / 77

(4) التنبكتي ، م .س/ 136 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120، الجيلالي ، م .س 3 / 77

(5) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 1 / 237 - 274

(6) الونشريسي ، المعيار ، م .ن ، 1 / 237

● " تنبيه الطالب الدرّاك، على توجيه صحة الصلح المنعقد بين إبن صعد والحباك"

رسالة صغيرة فرغ الونشريسي من كتابتها يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى من عام (833 هـ/ 1429م) وأدرجها في المعيار .[1]

تتضمن ردا على مراسلة وردت إليه من قبل الفقيه أبي عبد الله محمد بن صعد حيث يقول بشأن ذلك:

«... فأجبنه إلى ذلك رغبة في الثواب ، من الكريم المنعم الوهاب وترجمته: تنبيه الطالب الـدراك ، علـى توجيه صحة الصلح المنعقد بين إبن صعد والحباك ، والله أسأل أن يعصمنا من الخطأ والزلل ، وأن يوفقنـا لما فيه رضاه عنا من القول والعمل ... » [2]

● " شرح الخزرجية في العروض " ذكره محقق" عدة البروق "، وعده من كتبه وقال :

« هذا الكتاب يقع في ثلاثة وستين صفحة بخط مغربي واضح ، توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع . » [3]

● " عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق "

أوضح الونشريسي دوافع تأليفه هذا الكتاب قائلا : « أما بعد : فإني قد كنت وضعت في الجموع و الفروق مجموعا مطبوعا و سميته بعدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع و الفروق ، و يستعان به على حل كثير من المتناقضات الواقعة في المدونة و غيرها من أمهات الروايات . » [4]

نشر هدا الكتاب محققا من طرف الأستاذ حمزة أبو فارس . [5]

● " غنية المعاصر والتالي في شرح فقه وثائق القاضي أبي عبد الله الفشتالي" يتضمن شرحا لبعض فـصول وثائق القشتالي وتوضيحا لمواضيع الخلاف فيها ،وإكمال ماكان فيها من نقص ، مع التنبيه على ماوقع فيـه المؤلف من أوهام ويعتبر كتاب مهم في التوثيق والأحكام .[6] ذكره الونشريسي من جملة تصانيفه في كتابه المعيار ، والمنهج الفائق . [7]

---

(1) الونشريسي ، المعيار ، م .ن ، 6 / 541 - 562

(2) الونشريسي ، المعيار ، م .ن ، 6 / 543

(3) الونشريسي ، عدة البروق ، (قسم الدراسة) ، م.س/ 47

(4) الونشريسي ، عدة البروق ، م.س/ 79

(5) دراسة و تحقيق حمزة أبو فارس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،ط 1 ، (1410 هـ / 1990 م)

(6) إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي، م.س / 81

(7) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 4 / 183 ، الونشريسي ، المنهج الفائق (مخ : ق) ، م .س / 12 ورقة و

- " مختصر أحكام البرزلي" ، إختصر فيه نوازل البرزلي القيرواني المسماة : "جامع الأحكام" ذكره من جملة تصانيفه عدد ممن ترجم له .[1]
- حواشي وتعليقات منها : "تعليق على كتاب الإعلام للقريب والنائي في بيان خطأ عمر الجزنائي" لبعض الفاسيين ، وهذا الكتاب يرد فيه صاحبه بعض الإعتراضات التي إعترضها الجزنائي على القاضي عياض وإبن العربي وإبن مرزوق في مسائل معينة ، فعلق أبو العباس الونشريسي على بعض الكلام الذي إعترض به الجزنائي ، وقد أورد المقري في كتابه" أزهار الرياض" بعضا من ذلك .[2]

وهناك كتاب أخر بعنوان : " تعليق على رسالة إبن الخطيب مثلى الطريقة في ذم الوثيقة " يرّد فيه الونشريسي على بعض ما أورده إبن الخطيب من تعريض وهجاء لأهل مدينة سلا، حيث قال بشأن ذلك : « الحمد لله، جامع هذا الكلام المقيد هذا بأول ورقة منه قد كد نفسه في شيئ لا يعني الأفاضل ، ولا يعود عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائل ، وأفنى طائفة من نفيس عمره في إلتماس مساوئ طائفة بهم تستباح الفروج ، وتملك مشيدات الدور والبروج وجعلهم أضحوكة لذوي الفتك والمجانة...قال ذلك وخطه بيمنى يده عبيد ربه أحمد بن يحي بن محمد بن علي الونشريسي ، خار الله سبحانه له ، إنتهى ما ألفيته . »[3]

---

(1) الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي، م.س/ 81 ، الونشريسي، عدة البروق ، (قسم الدراسة) ، م.س/ 45 نويهض ، م.س / 344 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269

(2) المقري ، أزهار الرياض ، م .س ، 4 / 184 – 214 ، الونشريسي ، إيضاح المسالك (قسم الدراسة) ، تحقيق الخطابي، م.س / 73 ، الونشريسي ، عدة البروق ، (قسم الدراسة) ، م.س/ 47

(3) المقري ، نفح الطيب ، م .س ، 6 / 278

إنطلاقا مم سبق ذكره من المؤلفات والتصانيف العلمية، التي بلغ عددها أربعة وعشرين كتابًا ، يمكن أن نقف على بعض الملاحظات التي يجب الإشارة إليها :

– كثيرا من مؤلفاته هي رسائل صغيرة ، تتضمن فتاوى أو ردودًا على العلماء والفقهاء ، أو تعليقات على الكتب والتصانيف ، وهذا النوع من المؤلفات وإن أفرده الونشريسي بالتأليف وأعطاه أسماء وعناوين مستقلة ، إلا أن أغلبه مدرج في كتابه المعيار.

– إن عددًا من مؤلفاته ذكر في المصادر والمراجع تحت عناوين متعددة ، على الرغم من أنه كتاب واحد ولنا في ذلك العديد من الأمثلة :

* في كتاب "الأعلام " [1] لمؤلفه خير الدين الزركلي جعل من " القواعد " و " إيضاح المسالك " كتابين وهما في الواقع عنوانين لكتاب واحد .

* في كتاب "معجم أعلام الجزائر" لمؤلّفه عادل نويهض ، وكتاب " الأعلام" [2] للزركلي جعلا مـن " المعيار " و " نوازل المعيار " كتابين وهما في الواقع عنوانين لكتاب واحد ، وذكر البغدادي في كتابه "إيضاح المكنون" ، و"هدية العارفين" [3] تصنيفا آخر تحت عنوان " أقضية المعيار" وجعل منه كتاب في التاريخ ، أما يوسف سركيس في كتابه" معجم المطبوعات" [4] فقد جعل من " المعيار " ثلاثة كتب"جامعة المعيار "، " المعيار المعرب" ، " نوازل المعيار" مع العلم أن المعيار كتاب واحد.

– يلاحظ أن أغلبية المصادر والمراجع ،لم تذكر كتبه كلها ، فصاحب "الدوحة "لم يذكر له إلا كتابين [5] والبغدادي في كتابيه "إيضاح المكنون "و"هدية العارفين" ذكر له ثلاثة كتب [6] أما صاحب "شجرة النور"،وصاحب "معجم المؤلفين" فلم يذكروا له إلا خمسة كتب . [7]

---

(1) الزركلي ، م .س ، 1 / 269

(2) نويهض ، م.س / 344 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269

(3) البغدادي ، إيضاح المكنون ، م.س، 1 / 138 ، البغدادي ، هدية العارفين ، م.س، 1 / 138

(4) سركيس ، م .س ، 2 / 1925 - 1926

(5) الشفشاوني ، م .س / 47

(6) البغدادي ، إيضاح المكنون ، م.س، 1 / 138 ، البغدادي ، هدية العارفين ، م.س، 1 / 138

(7) مخلوف ، م.س، 1 / 397 ، كحالة ، معجم المؤلفين ، م.س، 2 / 205

أما أحمد بابا فقد أورد له في" نيل الإبتهاج "ستة كتب ، وهي التي إكتفى بذكرها إبن مريم في" البستان" والحجوي في" الفكر السامي" والزركلي في " الأعلام "، والحفناوي في "تعريف الخلف برجال السلف" [1]
في حين ذكر له صاحب كتاب " تاريخ الجزائر الثقافي " ثمانية كتب .[2]
وقد إتفرد عادل نويهض في كتابه "معجم أعلام الجزائر "بذكر إثني عشرة كتابا ،بإستثناء ماوقع فيه من لبس وتكرار [3] ، على خلاف عبد الرحمن الجيلالي الذي لم يذكر له إلا أحد عشر كتابا . [4]

---

(1) التنبكتي ، م.س / 135 – 136 ، إبن مريم ، م .س / 54 ، الحجوي ، م.س، 4 / 99 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269 ، الحفناوي ، م.س، 1 / 59

(2) سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 120

(3) نويهض ، م.س / 344

(4) الجيلالي ، م .س ، 3 / 77

3- وفاته ومكان قبره

توفي الشيخ الفقيه العالم أبو العباس أحمد الونشريسي يوم الثلاثاء (20 صفر سنة 914 هـ/ 14جوان 1508م) بمدينة فاس [1] « و عمره نحو الثمانين سنة ، أخبرنا بذلك صاحبنا الشيخ المسن ، مفتي فاس محمد بن قاسم القصار الفاسي » [2] و دفن قرب ضريح سيدي محمّد إبن عباد . [3]

و قد تركت وفاته فراغا كبيرا و فقد المغرب بعد موته منارة من المنارات العالية في الفقه المالكي وخلي بعده من أمثاله [4] و قد إشترك في رثائه عدد من علماء و أدباء عصره نذكر من بينهم الفقيه الشاعر أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي الغرناطي نزيل تلمسان الذي قال فيه قصائدا مؤثرة مبرزا فيها مكانته العلمية و الفقهية على وجه الخصوص قائلاً :

لقد أظلمت فاس بل الغرب كله ... بموت الفقيه الونشريشي أحمد

رئيس ذوي الفتوى بغير منازع ... و عارف أحكام النوازل الأوحد

له دربة فيها و رأي مسدد ... بإرشاده الأعلام في ذاك تهتدي

و تا الله ما في غربنا اليوم مثله ... و لا من يدانيه بطول تردد

عليه من الرحمن أفضل رحمة ... تروح على مثواه فيضا و تغتدي

فإذ جاء الموت فالصبر و الرضا ... على ما قضى الخلاق فالحول حوله [5]

وقوله أيضا :

رأيت نجوم الدين تبكي حزينة ... على فقد من قد كان قطب زمانه

فقلت ومن هذا فقالت مجيبة ... على الونشريشي وحيد أوانه

إليه إنتهت في الفقه كل رياسة ... و معرفة زينت بحسن بيانه

و مد غاب عنا أظلم الكون كله ... و صار الضحى ليلا لفقد عيانه

وإن عزائي فيه للخلق كلهم ... خصوصا ذوي فقه لعز مكانه [6]

---

(1) المقري ، أزهار الرياض ، م .س ، 4 / 184 – 214 ، إبن مريم ، م .س / 54 ، الجيلالي ، م .س ، 3 / 78 ، ، الحفناوي ، م.س، 1 / 59 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 1 / 10 ، الناصري ، م.س، 4 / 165

(2) التنبكتي ، م.س / 136 ، إبن مريم ، م .س / 54 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 59

(3) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 155 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 9 / 173 ، إبن عيشون ، م .س / 338

(4) سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 126

(5) المقري ، أزهار الرياض ، م .س ، 3 / 306 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 155 ، الجيلالي ، م .س ، 3 / 78 ، سعد الله أبو القاسم ، م .س ، 1 / 127 – 128 ، الطمار ، م .س / 230 (والأبيات من البحر الطويل وتفعيلاته فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعيلن)

(6) المقري ، أزهار الرياض ، م .س ، 3 / 307 (والأبيات من البحر الطويل وتفعيلاته فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعيلن)

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه

1- شيــوخـــه

تتلمذ الونشريسي على عدد بارز من شيوخ و علماء تلمسان نورد بعضهم حسب ترتيب وفياهم و لعل من أهمهم :

- أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت854 هـ /1450م)

شيخ الإسلام ، و مفتي الأنام ، و عالم الأعلام ، و هو من أكبر شيوخ الونشريسي سنا ، تأثر به و نقل كثيرا من فتاويه في معياره [1] قال فيه الونشريسي : « شيخنا و شيخ شيوخنا الإمام المفتي العالم » . [2]
من مواليد (768 هـ /1366 م) [3] تولي خطة القضاء بتلمسان في صغره ، و أحرز العديد من العلوم كأصول الدين ، و علوم اللسان و البيان ، له عدة مؤلفات نذكر منها "تعليق على إبن الحاجب الفرعي" ، و " أرجوزة تتعلق بالصوفية " [4] و "مصنف في أصول الدين "، و" قواعد في النحو"، و" تفسير سورتي الأنعام و الفتح" ، و"شرح للبرهانية"وغيرها . [5] ، توفي رحمه الله في الرابع و العشرين من ذي القعدة من سنة أربعة و خمسين و ثمانمائة، و صلي عليه في الجامع الأعظم، و حضر جنازته السلطان فمن دونه و دفن قرب الشيخ إبن مرزوق. [6]

- أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم الأنصاري الشهير بالمري (ت864 هـ /1459م)

فقيه مالكي من علماء تلمسان [7] ، قال فيه الونشريسي :« شيخنا و مفيدنا المقدم » [8] توفي بتلمسان بعد عيد الأضحى سنة أربع و ستين و ثمانمائة . [9]

---

(1) إبن مريم ، م .س / 54

(2) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 144 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 760

(3) السخّاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ / 1496م) ، الضوء اللاّمع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ،1992 ، 6 / 181 ، بقّا محمد مظهر ، أعلام أصول الفقه الإسلامي ومصنفاتهم ، ط 1 ، مكة المكرمة ، المملكة السعودية ، 1999 ، 3 / 334

(4) إبن مريم ، م .س / 54 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 255 ، الزركلي ، م .س ، 5 / 176 ، الحجوي ، م .س ، 4 / 93 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 86

(5) السخّاوي ، م .س ، 6 / 181 ، بقّا محمد ، م .س ، 3 / 335

(6) إبن مريم ، م .س / 148 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 760 ، التنبكتي ، م .س / 366 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 86

(7) نويهض ، م .س / 80

(8) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 145 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 768

(9) التنبكتي ، م .س / 537 ، ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 768 ، نويهض ، م .س / 80

• أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني (ت871 هـ /1466م)

الشهير بابن العباس التلمساني ، العلامة المحقق المحصل ، الحجة ، المفتي ، الإمام الحافظ ، يعد من أكابر علماء تلمسان ، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد ، و قاسم العقباني و غيرهما ، وعنه جماعة كالكفيف إبن مرزوق ، و الشيخ السنوسي و العالم إبن زكري و المازوني و الونشريسي ... و غيرهم [1] ، وصفه الونشريسي بـ : « شيخ المفسرين و النحاة العالم على الإطلاق شيخ شيوخنا ...» [2] له عدة مؤلفات" كشرح لامية الأفعال في التصريف " و سماها "تحقيق المقال و تسهيل المنال " [3] و "شرح جمل الخونجي"، و "العروة الوثقى في تنـزيه الأنبياء عن قرية الإلقاء" [4] ، توفي في الثامن عشر من ذي الحجة عام احد و سبعين و ثمانمائة ، و دفن بالعبّاد [5]

• أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني (ت871 هـ /1466م)

الفقيه، العالم، العلامة، الحاج ،الرحلة، المتقن ،البارع ،ولي قضاء الجماعة بتلمسان ، أخد عن جده الإمام قاسم وغيره،وأخد عنه أبو العباس الونشريسي ،وأحمد بن حاتم وغيرهما [6] ، قال الونشريسي في وصفه : « شيخنا الحاج الإمام القاضي العلامة » [7]

كان فقيها ،عارفا بالنوازل ذا ملكة في التصوف، له عدة مؤلفات منها تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر [8] ، توفي بتلمسان سنة إحدى و سبعين وثمانمائة في الثالث والعشرين من ذي الحجة رحمه الله . [9]

---

(1) إبن مريم ، م .س / 223- 224 ، التنبكتي ، م .س / 547 ، الترغي عبد الله المرابط ، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة (منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تطوان ، المملكة المغربية ، ط 1 ، 1999/ 623

(2) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 148 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 778

(3) حاجي خليفة م.س ، 2 / 1536 ، نويهض ، م .س / 77

(4) إبن مريم ، م .س / 223 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 264 ، نويهض ، م .س / 77

(5) إبن مريم ، م .ن / 224 ، التنبكتي ، م .س / 547 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 778 ، البغدادي ، هدية العارفين ، م.س، 2 / 205 ، السّخاوي ، الضوء اللامع ، م .س ، 7 / 278

(6) إبن مريم ، م .ن / 224 ، التنبكتي ، م .ن / 547- 548

(7) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 148 ، الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 2 / 391 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 778

(8) الزركلي ، م .س ، 5 / 334 ، نويهض ، م .س / 237

(9) إبن مريم ، م .ن / 224 ، التنبكتي ، م .ن / 548 ، نويهض ، م .س / 237 – 238

• أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمّد بن أحمد بن محمّد اللّخمي (ت872 هـ /1467م)

الشيخ الفقيه الحافظ [1] المكناسي ثم الفاسي الأندلسي الأصل ، شهر بالقوري ، شيخ الجماعة بفاس ، و عالم العلامة و مفتيها المشاور الفهامة ، الشيخ الفاضل المتبحر في العلوم ، مع إستحضار للنوازل أخذ عن أبي موسى عمران الجاناتي و إبن جابر الغساني ، وعن أبي عبد الله الحاج عزوز و غيرهم [2] قال الونشريسي في وصفه :

« الفقيه البركة ، المعظم المفيد الصدر الأوحد ، العلامة ، الجامع الشامل المشار إليه في أسماء تحقيق العلوم العقلية و النقلية الرفيع القدر و الشأن ، لم يختلف في فضله وسعة علمه إثنان، تاج الأئمة الحفاظ .»[3] و قال كذلك : « الشيخ الحافظ شيخنا مكاتبة . » [4]

و هذا يدل على أن أبو العباس الونشريسي تلقى العلم على يد شيخه بالمراسلة كتابة خاصة في المسائل التي يسأل عنها و نذكر في ذلك السبعة و العشرون سؤالا التي كاتبه لها سنة إحدى و سبعين و ثمانمائة . [5]

يعتبر القوري آخر حفاظ المدوّنة بفاس ، كان ينقل لها كلام المتقدمين و المتأخرين و ذكر مواليدهم و وفياتهم و ضبط أسمائهم ، و يشبع الكلام على الأحاديث التي يستدلون بها ، له شرح على مختصر خليل ، توفي بفاس [6] سنة إثنين و سبعين و ثمانمائة و دفن بالباب الحمراء [7] من باب الفتوح . [8]

• أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي (ت875 هـ /1470 م)

الشهير بالجلاب التلمساني ، أخذ عنه جماعة من العلماء منهم أبو العباس الونشريسي و الإمام السنوسي و غيرهم ، فقيه و عالم ، حافظ لمسائل الفقه ، نقل عنه المازوني و الونشريسي بعض فتاويه في نوازلهما (المعيار ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة) [9] قال الونشريسي في وصفه: « الشيخ الصالح شيخنا المحصل الحافظ » [10] توفي سنة خمس و سبعين و ثمانمائة . [11]

---

(1) إبن غازي ، الروض الهتون ، م .س / 20

(2) التنبكتي ، م .س / 548 - 549 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 261

(3) التنبكتي ، م .ن / 548 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 117

(4) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 149

(5) الونشريسي ، المعيار ، م .س ، 3 / 372

(6) الحجوي ، م .س ، 4 / 95

(7) الناصري ، م .س ، 4 / 101 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 131 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 779

(8) إبن عيشون ، م .س / 333

(9) إبن مريم ، م .ن / 236 ، التنبكتي ، م .ن / 552

(10) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 149 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 781

(11) مخلوف ، م .س ، 1 / 264

• أبو سالم إبراهيم بن الشيخ أبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت880 هـ /1475م)

الإمام العلامة الحافظ إبن شيخ الإسلام ، مفتي الأمة ، أخذ عن والده ، و غيره من علماء تلمسان ، و حصل و برع و ألف و أفتى ، و تولى القضاء بتلمسان ، نقل عنه المازوني في نوازله ، و الونشريسي في معياره [1] قال الونشريسي في وصفه :« شيخنا ، الإمام القاضي الفاضل » [2] له فتاوي نقلها صاحب" الدرر المكنونة"، مولده سنة (808 هـ /1405م) وفاته رحمه الله سنة ثمانين و ثمانمائة (880 هـ /1475م) . [3]

• أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن حرزوزة [4] (ت883 هـ /1478م)

من آل عبد القيس قال فيه أبو العباس :« شيخنا الفقيه الأصولي الصالح الخطيب الأكمل » [5]

• أبو العباس أحمد بن محمّد بن زكري المانوي التلمساني (ت899 هـ /1493م)

العالم المفتي الحافظ المتفنن ، الإمام الأصولي المفسر ، المؤلف ، الناظم الناشر أخذ عن الإمام إبن مرزوق ، وقاسم العقباني و أحمد زاغو و محمد بن العباس التلمساني و غيرهم . [6]

له تآليف في مسائل القضاء و الفتيا و"بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب" و المنظومة الكبرى في علم الكلام تنيف عن ألف و خمسمائة بيت سماها "محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد "، و "شرح الورقات" لإمام الحرمين في أصول الفقه و غيرها و له فتاوي كثيرة منقولة في "المعيار" و غيره. [7] قال الونشريسي في وصفه: « الفقيه المحصل ، العالم المشارك، المؤلف ، النظام ، شيخنا » [8] توفي في صفر سنة تسع و تسعين و ثمانمائة [9] و قبره مشهور بروضة الشيخ السنوسي . [10]

---

(1) إبن مريم ، م .ن / 57 - 58 ، التنبكتي ، م .س / 65

(2) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 150 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 784

(3) مخلوف ، م .س ، 1 / 265

(4) صرح به الونشريسي في وفياته ، و لم تذكره كتب التراجم في جملة شيوخه

(5) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 151 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 786

(6) مخلوف ، م .س ، 1 / 267 ، التنبكتي ، م .س / 129

(7) إبن مريم ، م .ن / 41 ، حاجي ، م .س ، 2 / 1157 ، الزركلي ، م.س، 1 / 231 ، الحجوي ، م .س ، 4 / 98

(8) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 153 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 798

(9) إبن مريم ، م .ن / 41 ، التنبكتي ، م .س / 130 ، ، موسوعة أعلام المغرب ، م .ن ، ص.ن

(10) إبن مريم ، م .ن ، ص.ن

● أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن محمّد بن مرزوق الكفيف (ت901 هـ /1496م)

عالم الأعلام ، و فخر خطباء الإسلام ، المسند الراوية ، المحدث العلامة ، أخذ العلم عن أبيه إبن مرزوق الحفيد ، و أبو الفضل إبن إبراهيم بن أبي زيد إبن الإمام ، و الإمام أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني ، و عبد الرحمان الثعالبي ، و أبو عبد الله محمّد بن قاسم المشدالي و غيرهم و أخذ عنه جماعة كأبي العباس الونشريسي ، و إبن أخته الخطيب محمّد ابن مرزوق ، و الشيخ أبو عبد الله محمّد إبن الإمام ابن العباس و غيرهم .[1] قال أبو العباس في وصفه : « شيخنا الفقيه ، الحافظ الخطيب ، المصقع . »[2]

توفي في شهر شوال سنة إحدى وتسعمائة .[3]

● أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عبدا لله اليفرني ، الشهير بالقاضي المكناسي (ت917 هـ /1511م)

الفقيه ، العلامة ، العمدة ، الفاضل ، المطلع العارف بالأحكام و النوازل القاضي العادل[4] تولى قضاء فاس لأزيد من ثلاثين سنة ، لعدله و سياسته وكفاءته ، أخذ عن الإمام أبي عبد الله القوري و عيسى إبن علال المصمودي ، و عن أبيه و غيره ، و عنه جماعة منهم أبو العبّاس الونشريسي و ابنه عبد الواحد و علي ابن هارون المطغري و غيرهم[5] ومن تآليفه : "مجالس القضاة و الحكام "، أو ما يعرف" بالمجالس المكناسية"، و" التنبيه و الإعلام فيما أفتاه المفتون و حكم به القضاة من الأحكام "، توفي سنة سبعة عشرة و تسعمائة.[6]

هؤلاء هم غالبية شيوخ أبو العبّاس أحمد الونشريسي الذين وقفت على أسمائهم ، و غالبيتهم من تلمسان ، إذا إستثنينا القاضي المكناسي الذي أخذ عنه الونشريسي بعد أن رحل إلى فاس ، و أبو عبد الله القوري الذي كان يكاتبه و هو لا يزال في مدينة تلمسان .

---

(1) إبن مريم ، م .ن / 250 - 251 ، التنبكتي ، م .س / 574 - 575 ، مخلوف ، م.س، 1 / 268

(2) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 154 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 805

(3) الونشريسي ، الوفيات ، م.ن ، ص.ن ، موسوعة أعلام المغرب ، م.ن ، ص.ن

(4) مخلوف ، م .س ، 1 / 275

(5) الناصري ، م .س ، 4 / 146 ، التنبكتي ، م .س / 581 ، مخلوف ، م.ن، 1 / 275

(6) مخلوف ، م .ن ، 1 / 275 ، الحجوي ، م .س ، 4 / 99

2- تــلاميــذه

تخرج على يد الشيخ أبو العباس الونشريسي عدد بارز من الفقهاء الذين بلغوا درجات عليا في التدريس و القضاء و الفتيا نذكر منهم.

- أبو عبد الله محمّد بن محمّد الغرديس التغلبي (ت897 هـ /1491 م)

الفقيه العلامة الحسيب الأصيل ، سليل العلماء ، و أحد النجباء ، القاضي بفاس نيابة ، الناظر بجامع القرويين ، لازم الشيخ الونشريسي كثيرا ، و أنتفع به ، و تفقه عليه إلى أن عاجله الموت بالطاعون سنة سبع و تسعين و ثمانمائة . [1] و قد إنتفع الونشريسي بخزانته العلمية التي إحتوت على فنون العلم و التصانيف المعتبرة و النوازل و غيرها ، و فيها إستعان الشيخ على تصنيف كتاب النوازل الذي سماه "بالمعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب" ، فإنما تيسر لــه جمع تلك النــوازل لا سيما فتاوي أهل فاس و أهل الأندلس من خزانة هذا الفقيه . [2]

- أبو زكريا يحي بن مخلوف السوسي (ت927 هـ /1521م)

الشيخ الفقيه الأستاذ المتفنن الصالح الرحلة ، أخذ عن أحمد الونشريسي « إذ كان يبيت عنده » ، و إبن غازي و الفقيه عبد الله بن جلال بن حفاظ ، "توضيح خليل "، و عن شيوخ بجاية و غيرهم ، و عنه عبد الواحد الونشريسي و اليستيني توفي عام سبعة و عشرين و تسعمائة. [3]

- عبد الله بن عمر المذغري (و يقال له المطغري) (ت927 هـ /1521م)

الفقيه الفرضي الحساب ، أخذ عن الإمام القوري و الحافظ أبي العباس الونشريسي و غيرهما وعن جماعة كالشيخ علي بن هارون فقيه فاس و كان حافظا ، توفي ببلاد درعه (تاكمادرت) سنة سبع و عشرين و تسعمائة. [4]

- أبو محمّد الحسن بن عثمان التاملي الجزولي (ت 932 هـ /1525م)

الشيخ الفقيه المتفنن العابد الصالح ، تفقّه على الونشريسي ، و انفصل عنه سنة ثمان و تسعمائة و شيعه أبو العباس بنفسه ، و كذلك أخذ عنه ابن غازي توفي سنة اثنان و ثلاثين و تسعمائة . [5]

---

(1) المنجور ، م.س/ 51 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 799

(2) المقري شهاب الدين أحمد بن محمّد (ت 1041 هـ / 1631 م) ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1983 / 187 ، المنجور ، م.ن ، ص.ن ، إبن مريم ، م .ن / 54 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 154 ، التنبكتي ، م.س / 135

(3) المنجور ، م.س/ 51 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 842 ، التنبكتي ، م.س / 638

(4) الونشريسي ، الوفيات ، م.س/ 288 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .ن ، ص.ن ، التنبكتي ، م.س / 235

(5) المنجور ، م.س/ 51 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 850

- أبو عياد بن فليح اللّمطي (ت936 هـ / 1530 م)

الفقيه المعتبر ، قرأ على الونشريسي "فرعي ابن الحاجب" ، و لازمه حتى فهمه ، و تفقه عليه قال عنه : إنه كان لا يزيد في نقله عليه من التوضيح على ورقتين [1] توفي بفاس سنة ستة و ثلاثين و تسعمائة. [2]

- أبو الحسن علي بن هارون المطغري (ت951 هـ /1544م)

الشيخ الفقيه و الإمام العلامة ، الخطيب المتقن ، و الأستاذ المتفنن ، مفتي فاس و عالمها ، عرف بـالمطغري نسبة إلى مطغرة تلمسان [3] تفقه على ابن غازي و أجازه إجازة عامة ، و قرأ على أبي العباس الونشريـسي ، و القاضي المكناسي وغيرهم و عنه جماعة منهم عبد الواحد الونشريسي و اليـستيني و المنجـور و عبـد الوهاب الزقاق و سعيد المقري و غيرهم . [4]

تولى الفتيا والتدريس بفاس ،والخطابة بجامع القرويين وكان شيخ الجماعة في وقته [5] له مشاركة في علـوم التفسير والعربية والحساب والفرائض وغيرها [6] قال صاحب الدوحة في وصفه :

« ومنهم الشيخ الفقيه الراوية أبو الحسن علي إبن هارون الفاسي،كان رحمه الله من فحول العلماء وأكـابر الفضلاء ... تولى الفتيا والتدريس بفاس،وأنتهت إليه رياسة العلم في وقته » [7] توفي رحمـه الله بفـاس في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وتسعمائة،وقد نيف على الثمانين سنة ،وحضر لدفنه السلطان أبو العبـاس أحمد بن محمد الوطاسي ، وضريحه بالكغادين قريبا من ضريح الإمام ابن غازي. [8]

---

(1) المنجور ، م.س/ 50 - 51 ، إبن مريم ، م .س / 53 ، التنبكتي ، م.س / 235 (و قد ورد في البستان و النيل تحت إسم أبا عباد بن مليح اللمطي)

(2) موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 850 (و قد ورد تحت إسم إبن عباد بن فليح اللمطي)

(3) المنجور ، م.س/ 40 - 45 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 82 - 83 ، التنبكتي ، م.س / 345 ، الكتاني ، فهرس الفهارس ، م .س ، 2 / 1105 ، الحجوي ، م .س ، 4 / 100 - 101

(4) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 83 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 278 - 279 ، الترغي ، م .س / 629

(5) الحجوي ، م .س ، 4 / 100

(6) نويهض ، م .س / 305 - 306

(7) الشفشاوني ، م .س / 51

(8) الشفشاوني ، م .ن / 51 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 83 - 84 ، التنبكتي ، م.س / 346 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 874 ، نويهض ، م .س / 306

• أبو محمّد عبد الواحد بن أحمد بن يحي الونشريسي (ت955 هـ /1548 م)

الشيخ الإمام الفقيه المفتي ، الموثق النحوي الأديب الخطيب الفصيح ،الناظم الناثر ، ولد بفاس بعد الثمانين وثمانمائة . [1]

كان رحمه الله إمام وقته ، متضلعا بالفقه والنحو والأدب ، عارفا بالأصول والفروع مشاركا في الفنون ،محققا لجميعها ،مع طلاقة في اللسان وحسن التعبير ،وجودة الفهم والخط والشعر،وكان صحيح الدين ،متين الورع مهيبا وقورا ، متقدما في الإنشاء وعقد الشروط والوثائق ،وكان له مجلس خاص لا يحضره إلا أكابر العلماء كالزقاق واليستيني وغيرهما ،جمع بين الفتيا والقضاء حيث تولى القضاء بفاس ثمان عشرة سنة ،ثم الفتيا بعد موت شيخه ابن هارون،وكان رحمه الله عدلا في أحكامه لا تاخده في الله لومة لائم . [2]

أخد عن أبيه أبي العباس ،والشيخ ابن غازي والأستاذ ابن الحباك والهبطي وأبي زكريا السوسي وابن هارون وغيرهم ،وعنه جماعة منهم أبو راشد اليدري ،وأبو زكريا السراج ،وأبو زيد السلواني ،وأبو العباس المنجور ،وعبد الوهاب الزقاق واليستيني وغيرهم . [3]

من تآليفه "نظم قواعد المذهب" المسمّى "النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن آنس" ،لخص فيه كتاب إيضاح المسالك لوالده ،وزاد عليه زيادات رائعة ،ومنها شرحه على مختصر ابن الحاجب الفقهي في أربعة أسفار ،وشرحه على الرسالة المطول العجيب ،ونظم تلخيص إبن البنّا في الحساب ، وتعليق حسن على البخاري ،لم يكمل وله أزجال وموشحات [4] توفي رحمه الله قتيلا بباب مسجد القرويين بفاس في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وتسعمائة عن نحو سبعين سنة ودفن بالقرب من سيدي ابن عباد[5] . [6]

قال صاحب الدوحة شارحًا ظروف مقتله :

« فأمر السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ جماعة من المتلصصين بفاس أن يأتوا به محبوسا لمحلته وهو بظاهر فاس ،محاصرا لها ،فذهبوا إليه فوجدوه بجامع القرويين يدرس الجامع الصحيح للبخاري بين العشائين ،في الجانب الشرقي من المسجد ،فنفروا في الطلبة وأهل المجلس حتى انقضوا وأنزلوه على كرسيه وأخرجوه من المسجد ،وقالوا له تمشى معنا إلى السلطان ،فقال لهم لا أمشي إلى أحد،فقتلوه شهيدا رحمة الله عليه ،فلما أخبروا السلطان بقتلــه ساءه ذالك ... » [7]

---

(1) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 146 - 147 ، التنبكتي ، م.س / 288

(2) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .ن ، 2 / 146 ، الحجوي ، م.س ، 4 / 101 ، ، التنبكتي ، م.ن / 288 - 289

(3) المنجور ، م.س/ 50 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 146 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 282 ، نويهض ، م .س / 345

(4) المنجور ، م.س/ 50 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 147 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 282 -283 ، التنبكتي ، م.س / 289

(5) أنظر ترجمته في : التليدي ، م.س / 140 - 142

(6) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .ن ، 2 / 147 ، الحجوي ، م.س ، 4 / 101

(7) الشفشاوني ، م .س / 53 - 54

- أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الورتدغيري الفجيجي (ت956 هـ /1549 م)

الفقيه المحدث الصالح ، أجازه الونشريسي بفهرسته إذ ألفها باسمه وضمنها أسماء شيوخه ومروياتهم ،ثم إنفصل عنه قبل تمام المائة التاسعة [1] ورجع وعمر زاوية أبيه الشهيرة في فكيك مدة طويلة بتدريس الفقه والحديث ، توفي سنة ست وخمسين وتسعمائة . [2]

- أبو عبد الله محمّد الكراسي الأندلسي (ت964 هـ /1556م)

أديبا وشاعرا وقاضيا ، تولى خطة القضاء بمدينة تطوان وبقي على خطته إلى أن مات في حدود أربعة وستين ،وهو إبن تسعين سنة ،ودفن بجبانة باب الربض (باب المقابر) من مدينة تطوان ،ومحل قبره واقع جنب ضريح سيدي علي الفحل لقي مشائخ غرناطة في صغره منهم المواق ،وإبن الجقوالة وغيرهما،وأخد عن أبي الحسن البياضي وأجازه في كتابي "السنن" و"التاج "و"الإكليل "لأبي عبد الله المواق ،كما لقي أيضا مشائخ فاس كالونشريسي وإبن غازي وإبن الزقاق وإبن هارون وغيرهم والشيخ العارف بالله أبا العباس أحمد زروق ، وكان ممن خرج من الفقهاء للقائه عند قدومه من المشرق إلى فاس . [3]

- إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي

الرحالة المحدث ، أخذ بمدينة فاس عن الأستاذ الصغير و عن إبن غازي ، و أحمد الونشريسي و لقي بتلمسان شيوخ جلة كالسنوسي ، و إبن مرزوق و العقباني ، و أخذ عن شيوخ بالمشرق كالسيوطي ، و البساطي ، و السخاوي توفي بعد التسعمائة ببلاد السودان . [4]

---

(1) المنجور ، م.س/ 50 ، الكتاني ، فهرس الفهارس ، م .س ، 2 / 1122

(2) المنجور ، م.ن ، ص.ن ، الونشريسي ، المعيار (قسم الدراسة) ، م .س ، 1 / ص - د

(3) الشفشاوني ، م .س / 17 ، داوود محمد ، تاريخ تطوان ، القسم الأول من المجلد الأول ، مطبعة مكتبة كريماديس ، ط 2 ، المملكة المغربية ، د.ت / 144- 145 - 146 ، موسوعة أعلام المغرب ، م .س ، 2 / 897

(4) الحفناوي ، م .س ، 2 / 3 - 4

- أبو محمد عبد السميح [1] المصمودي

الفقيه النجيب من جبل درن ، قرأ على الونشريسي "فرعي إبن الحاجب الفقهي "، إلى جانب جماعة من بلاده . [2]

هؤلاء هم الدين اشتهروا بأخذ العلم عن الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي ،وهم أقلية قليلة مقارنة بمكانة الشيخ ودوره في تلقين العلوم بالحاضرتين تلمسان وفاس، ولعل مترجميه لم يتسن لهم ذكر جميع من أخد عنه لكثرة عددهم،إذا إستثنينا ما أشار إليه المنجور في فهرسته إذ يقول: « خرج عن الشيخ أبي العباس أيضا غير هؤلاء مشارقة ومغاربة » [3] ولعله يعني بدلك أنهم إستجازوه فأجازهم ،كما وصلته هو إجازة بعض الشيوخ المشارقة (بواسطة الشيخ زروق) .

---

(1) - كذا ورد « بياء وحاء » في : المنجور ، م.س/ 51 ، إبن مريم ، م .س / 53 ، وفي : مخلوف ، م.س ، 1 / 275 ، تحت اسم « عبد المسيح » ، و في التنبكتي ، م.س / 135 ، الكتاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 2 / 147 « عبد السميع »

(2) المنجور ، م.ن ، ص.ن

(3) المنجور ، م.ن ، ص.ن

الفصل الرّابع : دراسة الكتاب

المبحث الأول: توثيق بالكتاب

1- عنوانه ونسبته للمؤلف

أ) عنوان الكتاب

بإستثناء نسخة واحدة للكتاب [1] التي إختصر ناسخها عنوان الكتاب بــ : "المنهج الفائق في أحكام الوثائق " فإنّ باقي النّسخ وعددها ستة أجمعت وبخط ناسخيها على أنّ عنوان الكتاب هو:
" المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق " .
ويتضّح من خلال هذه النّسخ أنّ العنوان المذكور ، ورد كاملاً دون نقصان أو تحريف . [2]

ب) نسبة الكتاب للمؤلف

ثبتت نسبة الكتاب الموسوم بــ : "المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق " لمؤلّفه أبو العباس أحمد الونشريسي ، في عدة مواضع حسب ماورد في النّسخ الخطية التي اعتمدت في إخراج النص ، وكذلك في العديد من كتب التراجم ، ويتضح ذلك من خلال :
- تصريح المؤلف بإسمه كاملاً في مقدّمة الكتاب ، وفي جميع النّسخ الخطية دون إستثناء . [3]
- تصريح المؤلف بنسبته للكتاب مذكّراً بعنوانه كاملاً، في إحدى مؤلفاته . [4]
- إتفاق كتب التراجم[5] على نسبة الكتاب لمؤلّفه أبي العبّاس أحمد الونشريسي ، دون ذكر العنوان كاملاً ، حيث ورد بصيغ مختلفة وبشكل مختصر مثل : المنهج الفائق والمنهل الرائق في أحكام الوثائق ، المنهج الفائق في أحكام الوثائق ، الفائق في أحكام الوثائق ، الفائق في الوثائق ، كتاب الوثائق .

---

(1) أنظر : النسخة (ط) / 204

(2) أنظر : الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 4 / 20

(3) أنظر : بداية النسخ الخطية للكتاب : 198 - 204

(4) أنظر : الونشريسي ، المعيار ، م.ن ، 4 / 20 (ذكر عنوانه كاملاً وحسب ما أجمعت عليه النّسخ الخطية الستة ، وأكدّ نسبته له في نازلة سئل عنها ، فأجاب بقوله : وأنظر تمام الكلام على هذه المسألة في كتابنا المترجم بــ : " المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

(5) أنظر : إبن مريم أبو عبد الله محمد ، م.س / 54 ، التنبكتي أحمد بابا ، م .س / 136 ، مخلوف محمد بن محمد ، م .س ، 1 / 275 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 59 الكتّاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس ، م .س ، 2 / 154- 155 ، الزركلي ، م .س ، 1 / 269 ، نويهض ، م .س / 344 ، كحالة ، م .س ، 1 / 325 ، سركيس يوسف ، م .س ، 2 / 1923- 1924 ، البغدادي إسمايل باشا ، م .س ، 2 / 592 ، الحجوي ، م .س ، 4 / 99

المبحث الثاني : دوافع تأليف الكتاب ومحتوياته

1- دوافع تأليفه

يذكر المؤلف في الصفحة الأولى من كتابه : "المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق " دوافع تأليفه لهذا الكتاب ، مصرّحًا بهدفه وغرضه من ذلك قائلاً :

« فإنّني لما رأيت علم الوثائق من أجلِّ ما سطّر في قرطاس، وأنفس ما وزن في قسطاس، وأشرف ما به الأموال والأعراض والدّماء والفروج تستباح وتحمى، وأكبر زكاة للأعمال وأقرب رحما ، وأقطع شيئ تنبذ به دعاوى الفجور وترمى، وتطمس مسالكها الذّميمة وتعمى، وكان جمهور المنتصبين في هذا الوقت لعقدها ، قد أخلوا فيها بكثيرمن وظائف التحقيق ، وأهملوا الصدق في صّناعة التوثيق ، وقد قصر عن إحكام أحكامها باعهم ، وقل في مجالها الرحب انطباعهم، واطرحوا أسرارها، وهتكوا أستارها ونبذوا دقائقها المهمة إلى وراء ، واقتصروا على المسطرة ، حتى أكل شرار الخلق بالباطل أموال الورى، رأيت على إضاعتي وقلة بضاعتي، أن أضع مقالة جامعة في طريقتها المثلى، نافعة إن شاء الله تحفظ وتتلى ، يفهمها الذكي والبليد، وينتفع بها الشيخ والوليد، تغني من سار بسيرها عن مطالعة الكثير من غيرها، وترجمتها "بالمنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق " » [1]

2- محتوى الكتاب

بدأ المؤلف كتاب بالبسملة والصّلاة والسّلام على رسول الله ، ثم إنتقل إلى ذكر إسمه ونسبه وأصله ومنشأه ، وموطن إستقراره ، ثم شرع في توطئة مختصرة مبيناً فيها أهمية علم الوثائق و دوافع تأليفه لهذا الكتاب ، وقد إختار له في الأخير عنواناً ، يعكس مضمونه ، مختتمًا توطئته بدعوة إلى الله أن يجعل هذا الكتاب من الأعمال النافعة لديه ، خالصة لجلالته .

وبعد ذلك شرع في تبويب الكتاب إلى ستة عشر بابًا ، في كل باب مجموعة من الفصول وردت كما يلي:

الباب الأول : في حكم الكتب والإشهاد وسبب مشروعيتهما.

الباب الثاني : في شرف علم الوثائق وصفة الموثق وما يحتاج إليه من الآداب.

الباب الثالث : في حكم الإجارة على كتابتها، وفي وقت تعيينها، وتعيين دافعها، وفي حكم الشركة المستعملة بين أربابها.

الباب الرابع : فيما ينبغي للموثق أن يتحرّز منه ويتفطن إليه.

الباب الخامس : في الأسماء والأعداد والحروف التي تنقلب وتتغير بإصلاح يسير

---

(1) أنظر : 221 / قسم التحقيق

الباب السادس : فيما عليه مدار الوثائق، وذكر المعرفة و التعريف.
الباب السابع : في التاريخ وبأي شيء يؤرخ أبا لليالي أم بالأيام، واشتقاق الشهور وأسمائها وما يضاف إليه شهر وما لايضاف إليه منها، وفي المذكر منها والمؤنث، وفي الألفاظ التي تستعمل في أول الشهر ووسطه وآخره ، وفيما لابد للشاهد أن يؤرخ فيه شهادته من العقود ، وما ليس عليه أن يؤرخه، وفي العقود التي تؤرخ باليوم والساعة.
الباب الثامن : في حكم الاعتذار عما يقع في الوثيقة من محو أو بشر أو لحق أوتخريج أو إقحام، وكيفية الاعتذار ومحله.
الباب التاسع : في كيفية وضع الشهادات.
الباب العاشر: في الألفاظ التي يتوصل الموثقون بها إلى إجازة ما لا يجوز شرعا.
الباب الحادي عشر: في العقود التي يجب فيها ذكر الصحة والتي لا يجب ذكرها فيها.
الباب الثاني عشر: في العقود التي لا بد فيها من ذكر معرفة القدر.
الباب الثالث عشر: في العقود التي ينبغي أن يضمن فيها معاينة القبض والسداد، وذكر الأشياء التي لا تقبل فيها الشهادة مجملة، وذكر ما ينبغي أن يكون من الوثائق على نسختين أو نسخة.
الباب الرابع عشر: في العقود التي ليس على الشاهد قراءتها ولا حفظ ما فيها.
الباب الخامس عشر: في ذكر ما تخالف وثائق الاسترعاء سائر الوثائق ، وفي استفهام الشهود وإستفصالهم، وذكر العقود التي ينبغي للعدل أن لا يضع شهادته فيها.
الباب السادس عشر: وهو لباب اللباب، وخاتمة ما تقدم من الأبواب، في التنبيه على ما لا يسع إهماله من عيون الفتاوى وأحكام كل باب.
يلاحظ أنّ الباب السادس عشر ، جدّ مختصر إذا ماقورن بباقي الأبواب الخمسة عشر ، رغم أنّ المؤلف جعله خاتمة لما تقدم من الأبواب في التّنبيه على مالايسع إهماله من الفتاوى وأحكام كل باب ، وهو مايطرح إشكالاً حول حقيقة إنهاء هذا الكتاب من عدمه ، رغم أنّ إحدى النّسخ [1] أوردت ذلك من خلال نقلها لرواية أبو محمّد عبد الواحد إبن المؤلف ، من أنّ والده رحمه الله لّما إعتنى بالمعيار المعرب ترك هذا الكتاب و لم يتمّه ، كمّا أنّ عدداً من المصادر [2] أكدت ذلك في مواضع مختلفة .

---

(1) أنظر : نهاية النسخة (ق) : 198 ، ورد بخط ناسخها : « الحمد لله وجدت مكتوباً على هذا السّجل مانصّه : أخبرني السيد الفقيه النحرير الذكي الأديب الماجد أبو محمد عبد الواحد ولد المؤلف رحمه الله ، أنّ والده رحمه الله لّما إعتنى بالمعيارالمعرب ، ترك هذاو لم يُتّمهُ وذكر فيه ما أراد جمعه ، وأستغنى به عن هذا ، وكانت الكفاية فيه بلغة الله مايشتهيه . »

(2) أنظر : إبن مريم أبو عبد الله محمد ، م.س / 54 ، التنبكتي أحمد بابا ، م .س / 136 ، مخلوف محمد بن محمد ، م .س ، 1 / 275 ، الحفناوي أبو القاسم ، م.س ، 1 / 59

وبعد نهاية الباب السادس عشر نجد شبه خاتمة جدّ مختصرة للكتاب أكدّ فيها صاحبها الإنتهاء من الفروع والنّوازل ، وماجمعه من النصوص والنوازل ، ثم شرع بالصّلاة والسّلام على رسول الله سيّد العرب والعجم ، وآله وصحبه ، سائلاً التوفيق من الله رب العالمين .[1]

---

(1) أنظر : نهاية النسخة (ق) : 198

المبحث الثالث : مصادر الكتاب وطريقة تأليفه

جمع أبو العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي في تأليفه لهذا الكتاب بين كتب التوثيق والقضاء من جهة ، نظرًا لطبيعة موضوع الدّراسة ، وكتب الفقه المالكي للنقل والإستدلال الفقهي في العديد من القضايا التي تخدم علم الشّروط والوثائق ، وأضاف إلى ذلك عددًا من كتب السير والتراجم وكتب أخرى بغرض الوقوف على بعض الأعلام و الأحداث والوقائع التي تخدم الموضوع .

1- مصادر الكتاب

أ) كتب فقه الوثائق وعلم القضاء

- أبو الأصبغ : عيسى بن سهل الأسدي (486 هـ/ 1093 م) ، الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكّام أو ديوان الأحكام الكبرى
- الجـزيري : أبو الحسن علي بن يحي (585 هـ/ 1190 م) ، المقصد المحمود في تلخيص العقود
- إبن الخطيب : أبو عبد الله لسان الدين (776 هـ/ 1374 م) ، مثلى الطريقة في ذم الوثيقة
- الرعـيني : أبو الحسن علي بن محمد (666 هـ/ 1267 م) ، وثائق الرعيني
- إبن أبي زمـنين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (842 هـ/ 1438 م) ، منتخب الأحكام أو المشتمل في الوثائق
- الطليـطلي : أبو جعفر أحمد بن مغيث (459 هـ/ 1067 م) ، المقنع في علم الشروط
- إبن عـات : هارون بن أحمد بن جعفر (582 هـ/ 1187 م) ، بلوغ الأمنية ومنتنهى الغاية القصيّة لشرح ما أشكل من الوثائق البونتية
- إبن العطار : أبو عبد الله محمد بن أحمد (399 هـ/ 1008 م) ، وثائق إبن العطار
- إبن عفيون : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (584 هـ/ 1189 م) ، المختصر في الشروط
- الغرناطي : أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (726 هـ/ 1324 م) ، الوثائق المختصرة أو الغرناطية
- إبن فتـوح : أبو محمد عبد الله بن موسى (462 هـ/ 1169 م) ، وثائق إبن فتوح
- إبن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن علي (799 هـ/ 1397 م) ، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام
- إبن فضل : سلمة إبن جرير (319 هـ/ 931 م) ، وثائق إبن فضل
- ابن كوثر : أبو القاسم عبد الله بن بكر بن خلف (380 هـ / 990 م) ، وثائق إبن كوثر
- المتيـطي : أبو الحسن علي بن عبد الله (570 هـ/ 1285 م) ، النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام أو المتيطية
- إبن مزين : أبو زكرياء يحي بن إبراهيم (259 هـ/ 872 م) ، وثائق إبن مزين
- إبن مناصف : أبو عبد الله محمد بن عيسي (259 هـ/ 872 م) ، تنبيه الحكام على مآخد الأحكام
- إبن الهندي : أحمد بن سعيد الأموي (399 هـ/ 1008 م) ، وثائق إبن الهندي

ب) كتب الفقه المالكي

- **الأمّهات والدواوين**

- إبن أنس : أبو عبد الله مالك الأصبحي (172 هـ/ 788 م) ، المدّونـــة الكبـــرى

- البرادعي : أبو سعيد خلف بن أبي القاسم (438 هـ/ 1046 م) ، مختصر الواضحة

- الجوهري : أبو الفضل العباس بن إسماعيل (438 هـ/ 1046 م) ، كتاب الشهادة

- القرافي : شهاب الدين أبو العبّاس (684 هـ/ 1258 م) ، الاحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام وتصرفات القاضي والإمام

- القرافي : شهاب الدين أبو العبّاس (684 هـ/ 1258 م) ، الذّخيـــرة

- القيراوني : أبو عبد الله محمدبن أبي زيد (386 هـ/ 996 م) ، النوادر والزيادات على ما في المدّونة من غيرها من الأمهات

- إبن شاس : جلال الدين عبد الله بن نجم (616 هـ/ 1219 م) ، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة

- **الشروح والتفاسير**

- أبو الحسن : مسلم بن الحجّاج بن مسلم (261 هـ/ 874 م) ، صحيح مسلـــم

- إبن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله (542 هـ/ 1147 م) ، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترميذي

- إبن عطية : أبو محمد عبد الحق (542 هـ/ 1147 م) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

- إبن عبد السلام : أبو عبد الله محمد الهواري (749 هـ/ 1348 م) ، شرح إبن عبد السلام

- القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (671 هـ/ 1273 م) ، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنّة وأي الفرقان

- المازري : أبو عبد الله محمد بن علي (536 هـ/ 1141 م) ، شرح التلقيـــن

ت) كتب السير والتراجم ، وكتب عامة

- إبن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (578 هـ/ 1182 م) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة

- إبن عياض : أبو الفضل عياض بن موسى (544 هـ/ 1149 م) ، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض

- إبن عياض : أبو عبد الله محمد بن موسى (575 هـ/ 1179 م) ، التعريف بالقاضي عياض

- إبن حيّان : أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (469 هـ/ 1076 م) ، كتاب الإحتفال

- الدمشقي : أحمد بن موسى الشافعي (750 هـ/ 1350 م) ، العالي الرتبة في أحكام الحسبة

2- منهجه في التأليف

– وضع المؤلف كتابًا جامعاً من حيث المنهج المتبّع ، وطريقة الطرح التي عالج بها موضوعاً ذا أهمية قصوى ، يتعلق الأمر بعلم الشروط والوثائق في الفقه الإسلامي .

وقد أشار في المقدمة إلى دوافع تأليفه لهذا الكتاب [1] ، خاصة بعد الإهمال والتسيب الذي أصاب عددا من القائمين على صناعة التوثيق [2] ومانتج عنه من إضرار بمصالح الناس ، ولهذا رأى المؤلف أن يضع كتابا جامعا لغيره ، يغني عن مطالعة الكثير من كتب التوثيق ، تفهمه العامة وتنتفع به . [3] فأختار له عنوانا يعكس ذلك . [4]

– بعد المقدمة شرع في تبويب الكتاب ، فجعله في ستع عشر باباً ، وأختارلكل باب عنوانا مستقلاً . [5]

- جعل الباب الواحد في فصول ، دون ذكر عناوين لها . [6]

– يذكر في نهاية كل فصل عددا من التنبيهات تتضمن أراءً فقهية موثّقة. [7]

– يستشهد في توضيح أرائه وشرحها على عدد من أقوال علماء و فقهاء المالكية المحقّين أمثال ابن القاسم، وسحنون ، وابن الماجشون ... وغيرهم للتأكّيد والإستدّلال . [8]

- يكثر من النقول من مصادر مختلفة ، ويشير إلى أصحابها بذكر أسمائهم ، وأحيانا بذكر عنواين كتبهم [9]

- يوظّف أبياتا شعرية للإستدّلال والتوضّيح . [10]

– يفضّل الصياغة الحرفيّة في نقله لأقوال وأراء المالكية . [11]

---

(1) أنظر قوله : « أمّا بعد : فإنني لما رأيت علم الوثائق من أجلّ ما سطر في قرطاس، وأنفس ما وزن في قسطاس، وأشرف ما به الأموال والأعراض والدماء والفروج تستباح وتحمى، وأكبر زكاة للأعمال وأقرب رحما، وأقطع شيئ تنبذ به دعاوى الفجور وترمى، وتطمس مسالكها الذميمة وتعمى . » أنظر : 221 (قسم التحقيق)

(2) أنظر قوله : « وكان جمهور المنتصبين في هذا الوقت لعقدها ، قد أخلوا فيها بكثيرمن وظائف التحقيق ، وأهملوا الصدق في صناعة التوثيق ، وقد قصر عن إحكام أحكامها باعهم ، وقل في مجالها الرحب انطباعهم، واطرحوا أسرارها، وهتكوا أستارها ونبذوا دقائقها المهمة إلى وراء ، واقتصروا على المسطرة ، حتى أكل شرار الخلق بالباطل أموال الورى . » أنظر : 221 (قسم التحقيق)

(3) أنظر قوله : « رأيت على إضاعتي وقلة بضاعتي أن أضع مقالة جامعة في طريقتها المثلى، نافعة إن شاء الله تحفظ وتتلى، يفهمها الذكي والبليد، وينتفع بها الشيخ والوليد، تغني من سار بسيرها عن مطالعة الكثير من غيرها . » أنظر : 221 (قسم التحقيق)

(4) أنظر قوله : « وترجمتها " بالمنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق " » أنظر : 221

(5) أنظر : 222 – 223 (قسم التحقيق)

(6) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : 224 – 248 – 264 – 280 – 301 – 302 – 304 – 309 – 314 – 316 - 321

(7) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : 227 – 247 – 259 – 279 – 305 – 319

(8) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : 242 – 243 – 247 – 296 – 299 – 300 – 310

(9) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : 224 –225– 226 – 227 – 228 – 230 – 234 – 236 – 237 – 238 – 241 – 242 – 243 – 244 - 246 – 248 – 249

(10) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : 233 – 234 -235– 244 – 245 – 268 – 262 – 263 - 268

(11) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : 229 – 230 -233– 246 – 247 – 248 – 249 – 253 – 245 – 257 – 258 – 263 – 276 – 279 – 293 - 295

المبحث الرابع : نسخ الكتاب

1- وصف نسخ الكتاب

أ) النسخة (ق)

عنوان المخطوط : " المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

مؤلف المخطوط : أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي (914 هـ/ 1508 م)

ناسخ المخطوط : عبد الرحمن بن محمّد الخرّوبي بن عبد القادر

تاريخ النسخ : يوم الخميس 25 رجب سنة : (1024 هـ/ 1615 م)

عدد الأوراق : 63 ورقة

المقياس : 21 × 15 سم

المسطرة : 35 سطر

عدد الكلمات في السطر : 20 كلمة

نوع الخط : مغربي نسخي

مكان المخطوط : مكتبة الأستاذ : د / فيلالي عبد العزيز (قسنطينة) رقمه : د.ر

بداية المخطوط :« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلّم على سيدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه أجمعين عليهم أفضل صلاة وأزكى تسليم، يقول أضعف عبيد الله الآوي إلى كرم مولاه، وشاكره على الذي أولاه، العبد المستغفر الفقير الحقير أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ ، الفاسي الاستيطان والقرار وفقه الله وخار له ، وأنجح في رضاه أمله ، الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد ... »

نهاية المخطوط : « انتهت الفروع والنوازل وجمع من النصوص والنوازل ، والصلاة والسلام على سيدنا و مولانا محمد سيد العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والكرم ، صلاة وسلامًا يترادفان على مرور الليالي والأيام ، لا ينقطعان بل يتّحدان على الدوام ، آمين ، آمين ، يارب العالمين ، الحمد لله وجدت مكتوباً على هذا السّجل مانصّه : أخبرني السيد الفقيه النحرير الذكي الأديب الماجد أبو محمّد عبد الواحد ولد المؤلف رحمه الله ، أنّ والده رحمه لله لّما إعتنى بالمعيارالمغرب ، ترك هذا و لم يُتِمهُ وذكر فيه ما أراد جمعه ، وأستغنى به عن هذا ، وكانت الكفاية فيه بلغة الله مايشتهيه ، ثم ما قيّد هنا يوم الخميس الخامس والعشرين من رجب سنة أربعة وعشرين وألف ، علي يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه عبد الرحمن بن محمّد الخرّوبي بن عبد القادر تاب الله عليه وغفر له ولوالديه بجاهه صلّى الله عليه وسلّم ، وبجاه أصحابه وأزواجه وذريته والصالحين من أمّته ، آمين ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين . »

ب) النسخة (هـ) [1]

عنوان المخطوط : "المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

مؤلف المخطوط : أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي (914 هـ/ 1508 م)

ناسخ المخطوط : د.ن

تاريخ النسخ : يوم الإثنين ، يوم من رجب (1107 هـ/ 1695 م)

عدد الأوراق : 192

المقياس : 13 × 09 **سم**

المسطرة : 25 سطر

عدد الكلمات في السطر : 10 كلمات

نوع الخط : مغربي نسخي

مكان المخطوط : مكتبة الأزهر الشريف (القاهرة) **رقمه :** 1265

بداية المخطوط:« بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم ، يقول أضعف عبيد الله الآوي إلى كرم مولاه، وشاكره على الذي أولاه، العبد المستغفر الفقير الحقير أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ ، الفاسي الاستيطان والقرار وفقه الله تعالى منه وفضّله ، الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّد ... »

نهاية المخطوط : « وقال إبن أبي زيد في الرجل المأمون تبين منه زوجته ، لا بأس أن يسكن معها ، وأمّا غير المأمون فلا يخلوا معها في بيت ، السادس : قال إبن رشد في الفائق ، الجاري بقفصة وغيرها من البلاد أنّ الرجل إذا أراد نكاح المبتوتة فكلفها أن تشهد على نفسها أنّها سمعت مطلقها يقول لها . إنتهت الفروع والنوازل وماجمع من النصوص والمسائل والصلاة والسلام على سيدنا محمّد . »

(1) أنظر مصدر النسخة : نسخة مصوّرة عن موقع أهل الحديث : www.ahlalhadith .com

ت) النسخة (ر)

عنوان المخطوط : "المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

مؤلف المخطوط : أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي (914 هـ/ 1508 م)

ناسخ المخطوط : د.ن

تاريخ النسخ : الفاتح من محرّم (1191 هـ/ 1777 م)

عدد الأوراق : 102

المقياس : 18 × 11 **سم**

المسطرة : 31 سطر

عدد الكلمات في السطر : 15 كلمة

نوع الخط : مغربي نسخي

مكان المخطوط : مكتبة الرباط (المملكة المغربية) **رقمه :** 889 د

بداية المخطوط : :« بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله وسلّم على سيدنا ومولانا محمّد و آلـه ، يقـول أضعف عبيد الله، الآوي إلى كرم مولاه، وشاكره على الذي أولاه، العبد المستغفر الفقير الحقير أحمد بـن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ ، الفاسي الاستيطان والقـرار وفقه الله آمين ، الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويـستتم، وصـلّى الله على سيدنا ومولانا محمّد ... »

نهاية المخطوط : « هنا إنتهت الفروع والنّوازل وجمع من النصوص والمسائل ، والصّلاة والسّلام على سيدنا ومولانا محمّد سيد العرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والكرم ، صلاةً وسلاماً يترادفان على مرور اللّيالي والأيام ، لا ينقطعان بل يتحدّان على الدوام وأسألك اللّهم بأسمائك الحسنى أختم لنا بالحسنى وأرزقنا منزلاً في الفردوس الأعلى ، والوالدين والأصحاب وجميع القرابة تجّاه النبيّ والصحابة ، رضـي الله عنهم أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وسلاما علـى المرسـلين ، والحمـد لله رب العالمين ولا حولة ولاقوة إلاّ بالله العليّ العظيم . »

ث) النسخة (ض)

عنوان المخطوط : "المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

مؤلف المخطوط : أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحدبن علي الوانشريسي (914 هـ/ 1508 م)

ناسخ المخطوط : عبد الله بن أحمد بن منصور الكزّوتي

تاريخ النسخ : د.ت

عدد الأوراق : 165

المقياس : 16 × 11 **سم**

المسطرة : 24 سطر

عدد الكلمات في السطر : 13 كلمة

نوع الخط : مغربي نسخي

مكان المخطوط : مكتبة الدار البيضاء (المملكة المغربية) **رقمه :** 232

بداية المخطوط : :« بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمّد و آله وصحبه وسلّم تسليما ، قال الشيخ الفقيه العالم ، العلاّمة المحقق المفتي ، النّوازلي ، سيدي أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد الوانشريسي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين : الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمّد الذي أكمل النبوّة والرسالة وختم ، وعلى آله شموس الهدى وأقمار الدجى .... »

نهاية المخطوط : « إنتهى الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد و آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرا ، غفر الله لنا ولوالدينا ولأشياخنا ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، للّه يامن نظر فيه أدعُ لكاتبه بالمغفرة والرحمة ، وأصلح ماوجدت من الخلل لأنّ الإنسان محلّ النسيان مع ما في المنتسخ من البياض والتصحيف في مواضع شتّى ، فإن وجدت نسخة صحيحة فأصلح ماوجدت ولك الأجر من اللّه تعالى والحمد لله رب العالمين ، على يد كاتبه الراجي عفو مولاه المذنب الضعيف عبد اللّه بن أحمد بن منصور الكزّوتي ، لطف الله به آمين والسلام على سيد الأنام . »

ج) النسخة (ح)

عنوان المخطوط : "المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

مؤلف المخطوط : أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي (914 هـ/ 1508 م)

ناسخ المخطوط : د.ن

عدد الأوراق : 193

المقياس : 15 × 09 **سم**

المسطرة : 24 سطر

عدد الكلمات في السطر : 12 كلمة

نوع الخط : مغربي نسخي

مكان المخطوط : مكتبة الدّار البيضاء (المملكة المغربية)

نسخة حجرية طبعت بمطبعة الطّيب الأزرق (1298 هـ / 1880 م) **رقمه :** 142 ح

بداية المخطوط :« بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمّد و آله وصحبه وسلّم ، يقول أضعف عبيد الله، الآوي إلى كرم مولاه، وشاكره على الذي أولاه، العبد المستغفر الفقير الحقير أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ ، الفاسي الاستيطان والقرار وفقه الله ، الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمّد ... »

نهاية المخطوط:« قال إبن رشد في الفائق ، الجاري بقفصة وغيرها من البلاد أنّ الرجل إذا أراد نكاح المبتوتة كلّفها أن تشهد على نفسها أنّها سمعت مطلقها يقول لها .هنا إنتهى ماوجد من المنهج الفائق ، وكان الفراغ منه صحوة يوم الأربعاء 9 جمادى الثاني عام 1298، هذا ولمن صّححه ولمن إجتهد في طبعه ولمن أراد مطالعته بالحسنى ، وإنّا لنا أجراً عظيمًا في الدار الاخرة ، واخر دعوانا إنّ الحمد لله رب العالمين »

ح) النسخة (د)

عنوان المخطوط : "المنهج الفائق، والمنهل الرائق ، والمعنى اللائق ، بآداب الموثق ، وأحكام الوثائق "

مؤلف المخطوط : أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي (914 هـ/ 1508 م)

ناسخ المخطوط : محمّد العربي بن محمّد الهاشمي الزرهوني

تاريخ النسخ : د.ت

عدد الأوراق : 163

المقياس : 15 × 10 **سم**

المسطرة : 25 سطر

عدد الكلمات في السطر : 13 كلمة

نوع الخط : مغربي نسخي

مكان المخطوط : مكتبة الدّار البيضاء (المملكة المغربية) **رقمه :** 325

بداية المخطوط : :« بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمّد و آله وصحبه وسلّم ، يقول أضعف عبيد الله، الآوي إلى كرم مولاه، وشاكره على الذي أولاه، العبد المستغفر الفقير الحقير أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ ، الفاسي الاستيطان والقرار وفقه الله ، الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمّد ... »

نهاية المخطوط : « وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد و آله وصحبه وسلّم تسليما كثيراً طيبًا مباركًا فيه إلى يوم الدّين ، والحمد للّه رب العالمين ، إنتهى بحمد اللّه وحسن عونه وتوفيقه الجميل على يد أفقر الورى لعبد مولاه محمّد العربي بن محمّد الهاشمي الزرهوني تغمّده اللّه برحمته وغفر له ، ولوالديه ولجميع المسلمين آمين . »

خ) النسخة (ط)

عنوان المخطوط : "المنهج الفائق في أحكام الوثائق "

مؤلف المخطوط : أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي (914 هـ/ 1508 م)

ناسخ المخطوط : العربي بن محمّد

تاريخ النسخ : 26 من شهر شعبان (1154 هـ/ 1741 م)

عدد الأوراق : 109

المقياس : 18 × 12 **سم**

المسطرة : 31 سطر

عدد الكلمات في السطر : 13 كلمة

نوع الخط : مغربي نسخي

مكان المخطوط : مكتبة الرباط (المملكة المغربية) **رقمه :** 624 ج

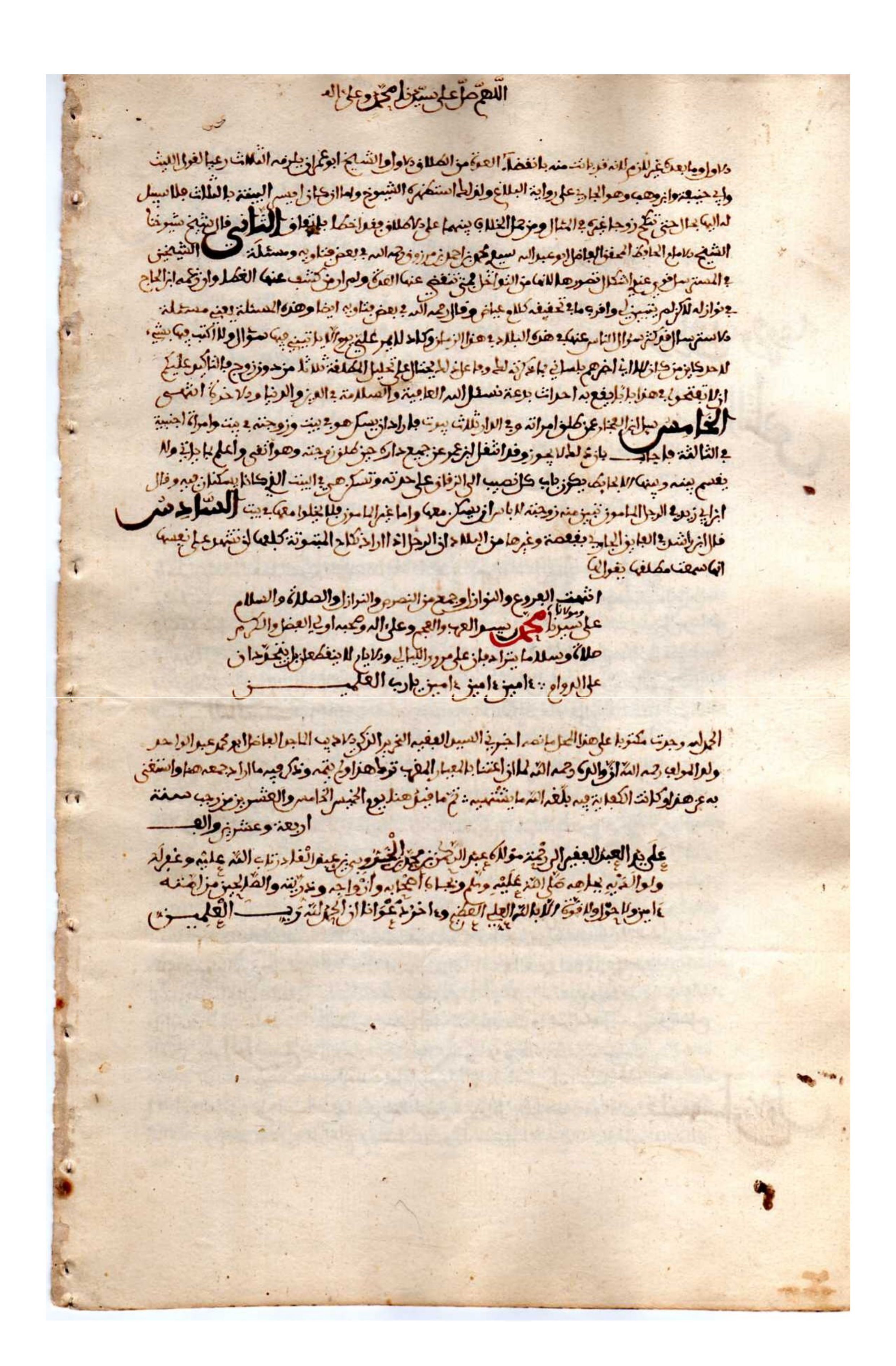
بداية المخطوط : :« بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدّنا ومولانا وعلى آله – وثائق الونشريسي – يقول العبد الفقير المعترف العاصي الكبير الخطايا والمعاصي ، المتمسك بعروة الله الوثقى وحبله الأمتن الأقوى، المنكسر خاطره لقلة العمل والتقوى عبيد ربه سبحانه راجي رحمته وغفرانه أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي هيأ الله به مثل من أمن وأغنى عن زيد الخلق وعمره ، الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم، ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلى الله على سيدنا محمّد ... »

نهاية المخطوط : « وقال إبن أبي زيد : الرجل المأمون تبين منه زوجته ، لا بأس أن يسكن معها ، وأمّا غير المأمون فلا يخلوا معها في بيت ، السادس : قال إبن رشد في الفائق ، الجاري بقفصة وغيرها من البلاد أنّ الرجل إذا أراد نكاح المبثوثة كلفها أن تشهد على نفسها أنّها سمعت مطلقها يقول لها . هنا إنتهت الفروع والنّوازل وجمع من النصوص والمسائل صلّى الله على سيدّنا محمّد وأله وصحبه وسلّم تسليمًا ، على يد الفقير إلى مولاه العربي بن محمّد ، يوم السادس والعشرين من شهر شعبان . »

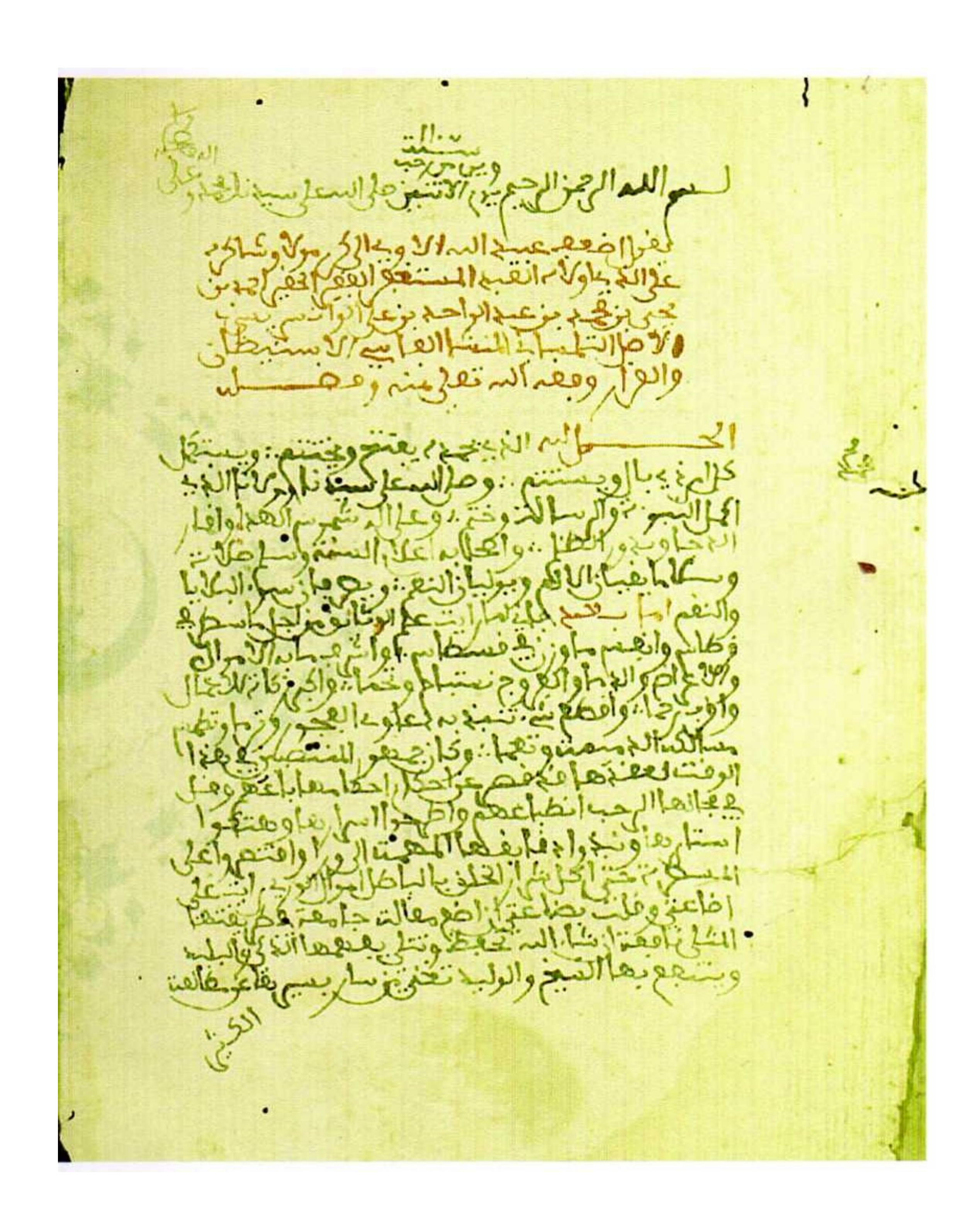
2- ملاحق نسخ الكتاب



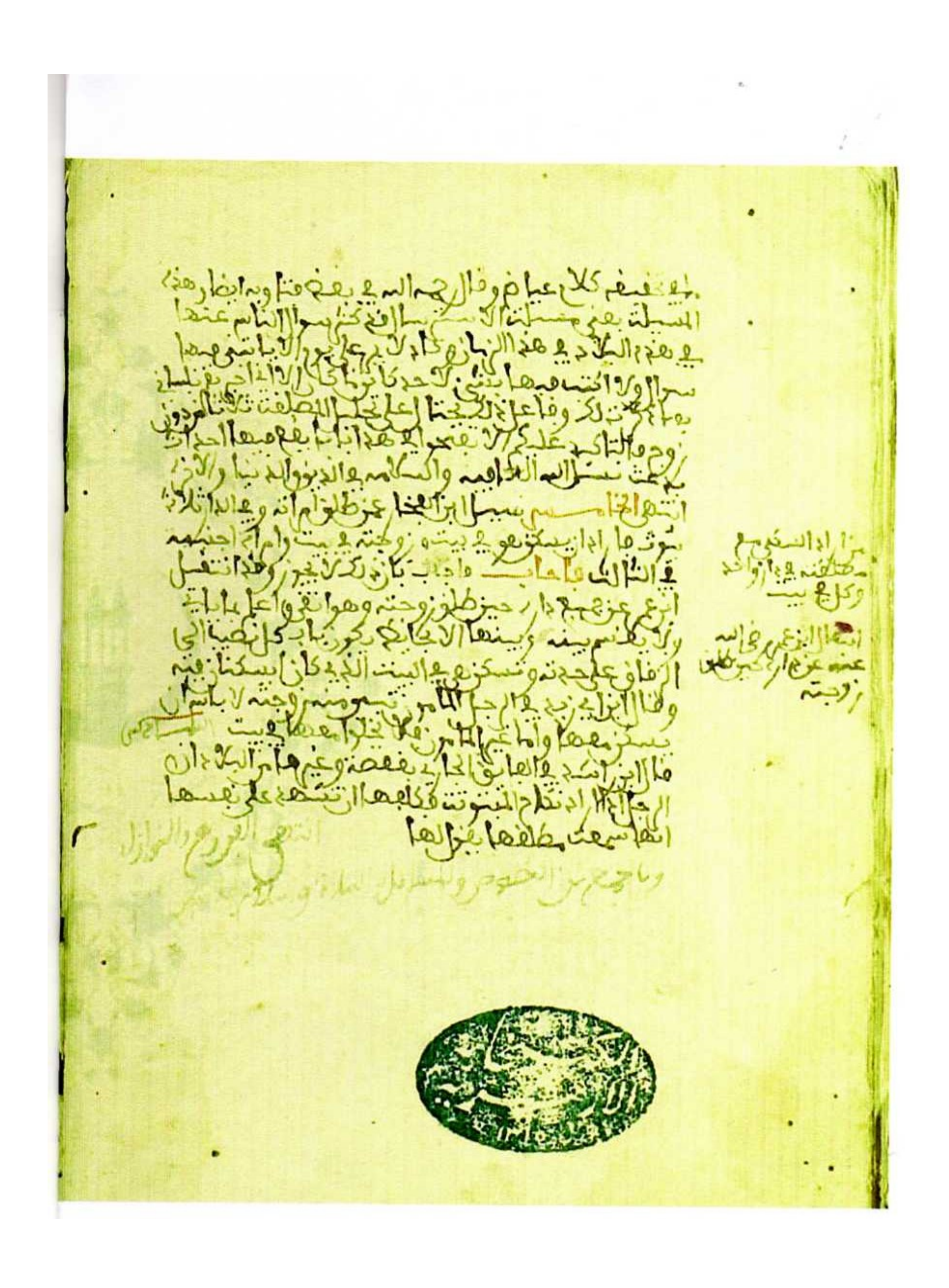
بداية النسخة (ق)



نهاية النسخة (ق)



بداية النسخة (هـ)



نهاية النسخة (هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] وصلى الله على [illegible] ومولانا محمد و[illegible]

يقول العبد الضعيف عبد الله اللاوي التي الراجي من مولاه وتداركه
عفو الذي اولاه العبد المستغفر الفقير لفيف احمد بن يحيى بن
محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الاصل التلمساني المنشأ
الفاسي الاستيطان والقرار رحمه الله ءامين

الحمد لله الذي بحمده يفتتح وبحمده يختتم ويستكمل كل امر ذي بال ويستتم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي اكمل به النبوءة والرسالة وختم وعلى آله شموس الهدى واقمار الدجى وبدور الظلم واصحابه اعلام السنة [illegible] صلاة وسلاما يتعاقبان تعاقب الايام [illegible] النعم [illegible] البلايا والنقم

اما بعد فاني لما رأيت علم الوثائق من اجل ما سطر في كتاب وانفس ما [illegible] وانفس [illegible] به الاموال والاعراض والدماء والفروج يستباح [illegible] واكثر [illegible] واقطع [illegible] عادي العجوز [illegible] وتكثر مسائله الزمنية وتعم [illegible] وكان جمهور المتصدرين هذا الوقت لعقدها [illegible] احكامها [illegible] بالعلم وقلة مجالسة [illegible] عادته [illegible] وهتكوا استارها ونبذوا [illegible] المنهج الذي [illegible] واعلى [illegible] ثم [illegible] الخلق [illegible] العوري [illegible] ان اضع مقالة جامعة [illegible] تحفة [illegible] والعوايد [illegible] مطالعة الكتب [illegible] وسميتها بالمنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق واحكام الوثائق والله اسأل [illegible] ان يجعله [illegible] خالصا لجلاله [illegible] للعبد [illegible] جل [illegible] يتسر [illegible] وعلمه [illegible] الامور والتكلان والمعول

[illegible]

الباب الاول في حكم الكتب والاشهاد [illegible]
الباب الثاني في [illegible] علم الوثائق وصفة الموثق [illegible] والادب
الباب الثالث في حكم الاجارة على كتابتها [illegible] وتعيين [illegible] وفي حكم الشركة [illegible] بين اربابها
الباب الرابع فيما ينبغي للموثق ان يتحفظ منه [illegible]
الباب الخامس في الاسماء والاعداد والحروف التي تشكل [illegible] بالاصطلاح
الباب السادس في [illegible] الوثائق وذكر [illegible]
الباب السابع في التاريخ [illegible] الشهور واسمائها [illegible] وفي الالفاظ التي تستعمل في اول الشهر ووسطه وآخره [illegible] للشاهد ان يؤرخ فيه شهادته [illegible] ان يؤرخ وفي العقود التي تؤرخ باليوم والساعة
الباب الثامن في الاعتذار [illegible] بالوثيقة من محو او بشر او تخريج او الحاق وكيفية الاعتذار [illegible]
الباب التاسع في كيفية وضع الشهادات [illegible]

بداية النسخة (ر)

نهاية النسخة (ر)

بداية النسخة (ض)

بين الايات فيها سؤال ولا اكتب لاحد فيها بشيء، كائنا من كان، الا اذا اخبرهم
بلسانه ما ذكرت لك، وجاء ابن [illegible] على تطليق المطلقة ثلاثا من دون زوج
والتاكيد عليكم الا تجتمعوا في هذا الباب فيقع بها احداث بعد عقد نسأل الله السلامة
منه والعافية في الدين والدنيا والآخرة. [illegible] سئل ابن [illegible] عمن طلق زوجته
في الدار ثلاثة بيوت واراد هو ان يسكن في بيت وزوجته في بيت وامرأة اجنبية
في الثالث فأجاب بان ذلك لا يجوز وقد انتقل ابن عمر عن جميع داره
حين طلق زوجته ومن [illegible] واعلم بما يأتي ولا يقسم بينه وبينها الا ان
يكون باب كل نصيب الى الزقاق على حدته وتسكن هي في البيت التي كان يسكنان
فيه. وقال ابن زرب في الرجل المامون يبين منه زوجته لا باس ان يسكن معها
واما غير المامون فلا يخلوا معها في بيت. [illegible] قال ابن راشد في الفائق: الجاري
بقفصة وغيرها من البلاد ان الرجل اذا اراد نكاح المبتوتة كلفها ان تشهد
على نفسها انها سمعت مطلقها يقول لها...

فعل ... ان لا باس للرجل المامون ان يسكن مع زوجته المطلقة

وهنا انتهت الفروع والنوازل وجميع النصوص والمسائل والحمد لله
حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العرب والعجم وعلى آله وصحبه
اولي الفضل والكرم، صلاة وسلاما يترادفان على مرور الليالي والايام لا ينقطعان
ولا يتعددان (?) على الدوام وعلى سائر الانبياء والمرسلين وآل كل وسائر الصالحين

والحمد لله رب العالمين انتهى الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه
الجميل وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا اغفر اللهم لنا ولوالدينا ولاشياخنا ولجميع المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات
[illegible] لكاتبه بالمغفرة والرحمة واصلح ما
وجدته من الخلل لان الانسان محل النسيان [illegible] في النسخ
منه من البياض والتصحيف في مواضع شتى فان
وجدت [illegible] فاصلح [illegible] ولك الاجر
من الله تعالى والحمد لله رب العالمين
على يد كاتبه الراجي عفو مولاه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

نهاية النسخة (ض)

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله

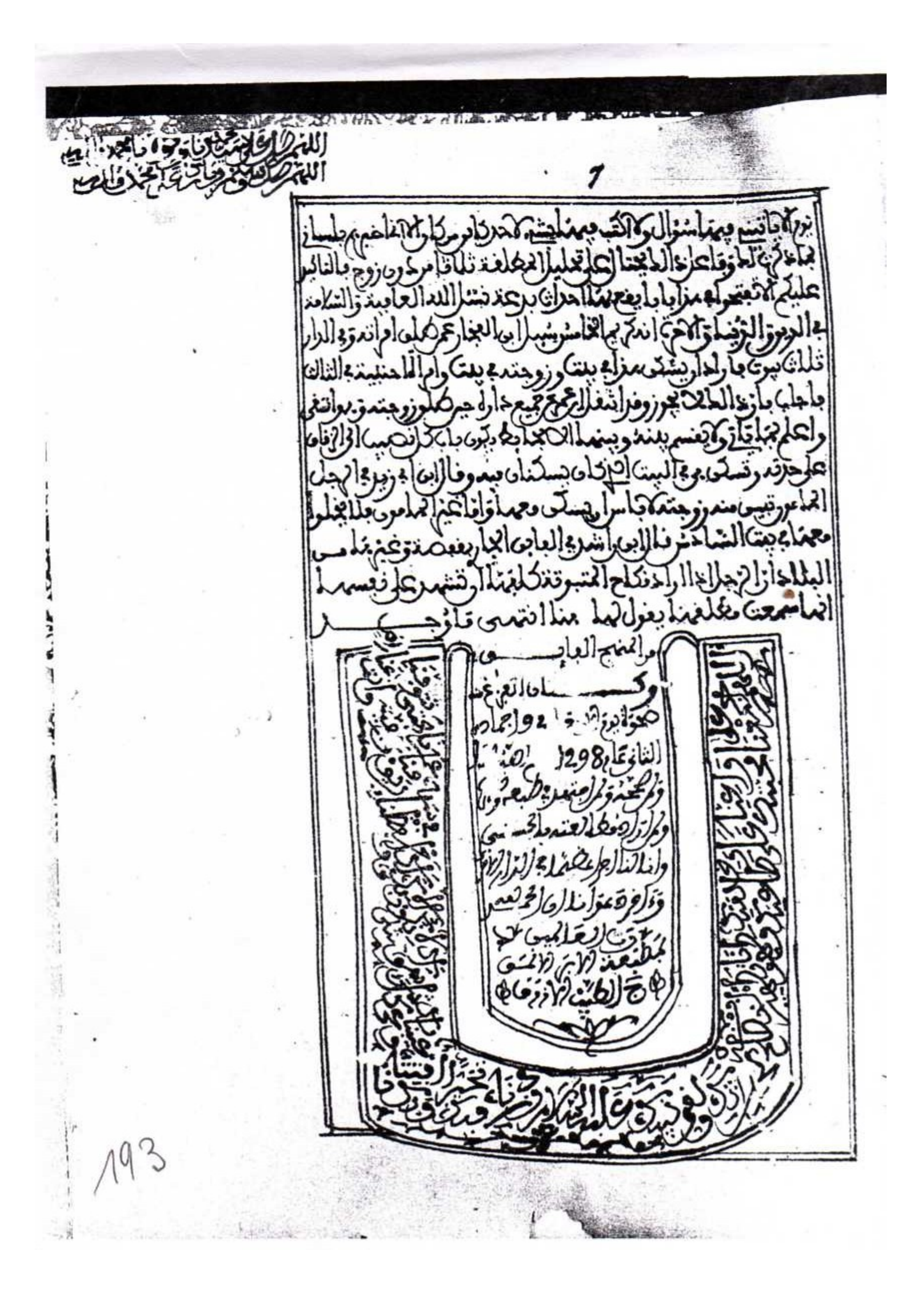
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول العبد الفقير إلى الله [illegible] ... العبد المستغفر [illegible] أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي [illegible] التلمساني [illegible] وبعد

الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم ويستكمل كل أمر ذي بال ويستتم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أكمل به النبوة وأتم رسالته وختم، وعلى آله شموس الهدى وأقمار الدجى وبدور العلم، وأصحابه [illegible] وسلم صلاة وسلاما ما [illegible] الإصباح [illegible] أما بعد فإنه لما رأيت علم الوثائق من أجل ما شغل به [illegible] [illegible] ...

[illegible]

بداية النسخة (ح)



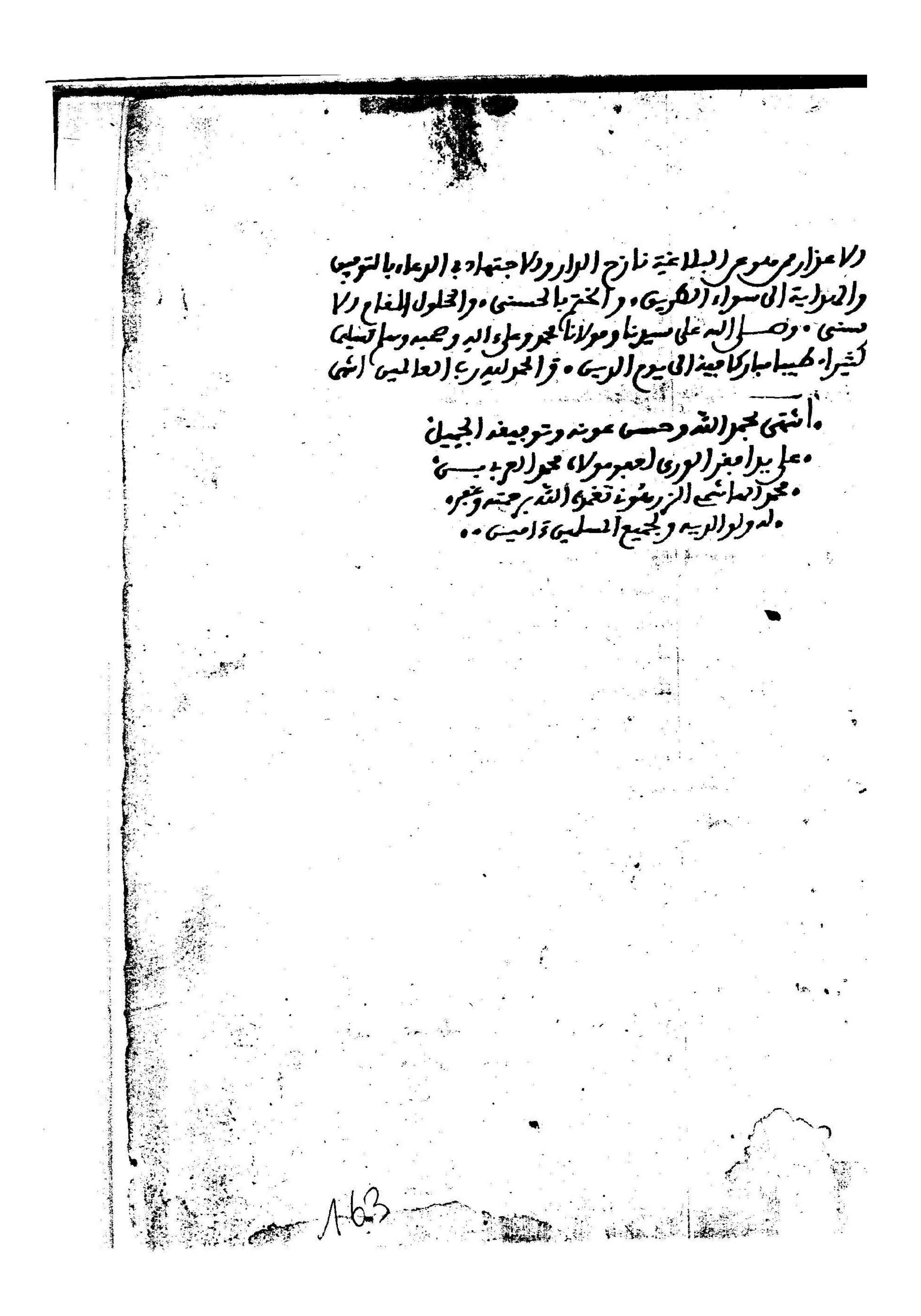
نهاية النسخة (ح)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي يحمده يعتني ويختص، ويستكمل كل امر ذي بال ويستتم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي كمل به النبوة والرسالة وختم
وعلى آله شموس الهدى وأقمار الدجى وبدور الفضل وأصحابه أعلام السنة
وسلم صلاة وسلاما يفيضان الآلاء ويوليان النعم، ويصرفان سوء
البلايا والنقم أما بعد فلما رأيت علم الوثائق من أجل ما سطر في
قرطاس، وأنفس ما تحررت فيه أنفاس، وأشرف ما به تحفظ الأموال والأعراض
والدماء، والفروج تستباح وتحمى، وأكبر زكوة للأعمال وأقرب رحمى، وأنفع
شيء تنفذ به دعاوى الفجور وترمى، وتطمس مسالكها الذميمة وتعمى
وكان جمهور المتصدين في هذا الوقت لعقدها قد قصروا عن إدراك أحكامها
بالعلم، وملّ في مجالها الذهب انضباطهم، وأطرحوا أسرار مبناه، ومسكوا استنا
[illegible] سيوردها فأبعد الهمة إلى ورائها، واقتصروا على [illegible] حتى أكل
شرار الخلق بالباطل أموال الورى، رأيت [illegible] على [illegible]
أن أضع مقالة جامعة في طريقة المثلى، نافعة إن شاء الله تعالى يحفظه ويتلوه
بفهمه الذكي والبليد، ويشبع به الشيخ والوليد، وتغني من سار بسير مثله عن
مطالعة الكثير من غير مناه
وترجمتها بالمنهج الفائق والمنهل الرائق
والمعنى اللائق، بآداب الموثق وأحكام الوثائق

الم

بداية النسخة (د)


ولا عزاز من موضع البلاغة نازح الدار ولا اجتهاد بالدعاء بالتوفيق
والهداية الى سواء الطريق، والختم بالحسنى، والحلول المقام الا
سنى. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا طيبا مباركا دائما الى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين انتهى

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتم بتوفيقه الجميل
على يد افقر الورى لعفو مولاه محمد العربي بن
محمد الهاشمي الزرهوني تغمده الله برحمته وغفر
له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين آمين

نهاية النسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

وثائق الونشريسي

يقول العبد الفقير المعترف العاصي الكثير الخطايا والهفوات المستمسك
بعروة الله الوثقى وحبله الأمتن الأقوى المتلبس خالصا بكلمة العدل والتقوى عبيد
ربه سبحانه أحمد رحمه وغفر له أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي هديا
الله به ... مراضيه واغتفر ... عن زيغ الخلق وغيره

الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم ويستكمل حامده ويستتم والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الذي كمل به الدين وبه الرسالة اختتم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
أعلام السنة وسلم أما بعد فلما كان علم الوثائق من أجل ما سطر في قراطيس
والتحبير ما ورد في فهم كلام الشرع ما به الأموال والأعراض والدماء والفروج تستباح
وتحمى وأكثر زكوات الأموال والأوقاف أحما وأقطع ما تنتزع به دعاوى الفجور وتدرى
وتحسم مسائل الشهادة الذي ... وتعمى وكان جمهور المنتصبين في وقتنا للكتابة في
التوثيق قد أخلوا فيها بكثير من وظائف التحقيق وقصروا عن أحكامها باعهم
وقلدوا في مجالها الرحب انطباعهم ونبذوا دقائقها المهمة ظهريا وأتوا
فيها شيئا فريا ودفنوا أسرارها تحت الثرى حتى حل تشتيت الحقوق بالكل من
الورى رأيت على إضاعتي وقلة بضاعتي أن أجمع في كتاب يتضمنها المثلى تبين من حقائقها
منها ما يجمع وتتلى ... الذكي والبليد ويستمتع بها الشيخ والوليد وتغني من سما
بتيسيرها عن مطالعة الكثير وغيرها وسميته بالمنهج الفائق في
أحكام الوثائق

بداية النسخة (ط)

نهاية النسخة (ط)

قسم التحقيق

بسم الله الرحمن الرّحيم

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين عليهم أفضل صلاة وأزكى تسليم. [1]
يقول أضعف عبيد الله، الآوي إلى كرم مولاه، وشاكره على الذي أولاه، العبد المستغفر الفقير الحقير أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الأصل، التلمساني المنشأ ، الفاسي الاستيطان والقرار وفّقه الله وخار له [2] ، وأنجح في رضاه أمله . [3]

الحمد لله الذي بحمده يفتتح ويختتم ، ويستكمل كل أمر ذي بالٍ[4] ويستتّم، وصلّى الله [5] على سيدّنا ومولانا [6] محمّد الذي أكمل به [7] النّبوة [8] والرسالة وختم ،[9] وعلى آله شموس الهدى وأقمار الدجى وبدور الظلم[10] ، وأصحابه أعلام السّنة وسلّم ، صلاةً وسلامًا دائمين يقيان الألم، ويوليّان النّعم، ويصرفان سوء البلايا والنّقم [11] ، أمّا بعد :

---

(1) هـ ، ر ، ط ، د : « وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى أله وصحبه » ، ض : « وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى أله وصحبه وسلّم تسليمًا » ، ح : « وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى أله وصحبه وسلّم »

(2) هـ : « وفّقه الله تعالى منه ، وفضّله » ، ر ، ض : « وفّقه الله آمين » ، ح : « وفّقه الله »

(3) ط : « يقول العبد الفقير المعترف العاصي الكبير الخطايا والمعاصي ، المتمسّك بعروة الله الوثقى وحبله الأمتن الأقوى ، المنكسر خاطره لقلّة العمل والتقوى ، عبيد ربّه سبحانه راجي رحمته وغفرانه أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي هيّأ الله به مثل من أمن وأغنى عن زيد الخلق وعمره . » ، ض : « يقول الشيخ الفقيه العلاّمة المتفنّن النّوازلي أحمد بن يحي بن عبد الواحد الونشريسي . » ، ح : – « أنجح في رضاه أمله »

(4) ط : – « ذي بال »

(5) ط : « والصّلاة والسلام »

(6) ط ، ض : – « ومولانا »

(7) هـ ، ض : – « به »

(8) ط : « الدين وبه »

(9) ط : + « صلّى الله عليه »

(10) ط : – « شموس الهدى وأقمار الدجى وبدور الظلم »

(11) ط : – « صلاة وسلامًا يقيان الألم، ويوليّان النّعم، ويصرفان سوء البلايا والنّقم » ، ض : « صلاة وسلامًا يقيان الألم، ويديمان النعم ، ويصرفان سوء البلايا والنقم »

فإنّني لّما رأيت [1] علم الوثائق من أجلّ ما سطّر في قرطاس، وأنفس ما وزن في قسطاس، وأشرف ما بــه الأموال [2] والأعراض والدماء والفروج تستباح وتحمى، وأكبر زكاة للأعمال[3] وأقرب رحمــا، وأقطــع شيءٍ [4] تنبذ[5] به دعاوى الفجور وترمى، وتطمس مسالكها الذّميمة وتعمى، وكان جمهور المنتصبين في هذا الوقت لعقدها [6]، قد أخلّوا فيها بكثيرمن وظائف التّحقيق [7]، وأهملوا الصّدق في صّناعة التوثّيق [8]، وقد قصر عن احكام أحكامها باعهم [9]، وقلّ في مجالها الرّحب انطباعهم، وطرحوا أســرارها، وهتكــوا أستارها [10] ونبذوا دقائقها المهمّة إلى وراء ، واقتصروا على المسطرة [11]، حتى أكل شرار الخلق بالباطل أموال الورى ، رأيت على اضاعتي وقلة بضاعتي ، أن أضع [12] مقالةً جامعةً [13] في طريقتها المثلــى[14] ، نافعة إن شاء الله [15] تحفظ وتتلى[16]، يفهمها الذّكي والبليد ، وينتفع بها الشيخ والوليد، تغني من ســار بسيرها عن مطالعة / [17] الكثير من غيرها وترجمتها : " بالمنهج الفائق، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئــق ، بآداب الموثّق ، وأحكام الوثائق " . [18]

---

(1) ط : « فلّما كان »

(2) ح : « وأشرف مابه تصان الأموال »

(3) ط : « للأموال » ، ح : « وأشرف مابه تصان الأموال »

(4) ر ، ط : – « وأقطع شيءٍ »

(5) ض : « تثبت »

(6) ط : « في وقتنا لكتابة التّوثيق »

(7) ط : + « قد أخلّوا فيها بكثير من وظائف التّحقيق » ، ح ، د : - « قد أخلّوا فيها بكثير من وظائف التّحقيق »

(8) ط ، ح ، د : – « وأهملوا الصّدق في صّناعة التّوثيق »

(9) ط : « و قصر عن أحكامها باعهم »

(10) ط : – « وطرحوا أسرارها، وهتكوا أستارها » ، ر : « وقلّ في مجالسها الرحب انطباعاته، واطرحوا (بياض) وهتكوا أستارها » ض : « وهتكوا أسرارها »

(11) ط : « ونبذوا دقائقها المهمّة ظهريًا وأتوا فيها شيئا فرّيا ودفنوا أسرارها تحت الثرى »

(12) ط : « أن أجمع »

(13) ط : – « مقالة جامعة »

(14) يشير بذلك إلى كتاب " مثلى الطريقة في ذّم الوثيقة " الذي ألّفه لسان الدين إبن الخطيب ، حيث ذّم فيه فئة المــوثّقين مــن أهــل ســلا وسخر منهم ، أنظر تفصيل ذلك في قسم الدّراسة / 182

(15) ط : – « نافعة إن شاء الله »

(16) ط : « نبذة من أحكامها ، تجمع وتتلى » ، ض : – « تحفظ »

(17) هــ : نهاية ض ورقة 01

(18) ط : « وسمّيتها بالمنهج الفائق في أحكام الوثّائق » ،ح : «بالمنهج الفائق، والمنهل الرّائق ، والمغنى اللاّئق بآداب الموثق ،وأحكام الوثائق »

والله أسأل متقرّبًا إليه، ومتواضّعًا بين يديه أن يجعله من نافع الأعمال لديه خالصًا لجلاله، محسوبًا للعبد الفقير المذنب [1] في حسنات أفعاله، كما أسأله [2] جلَّ اسمه، أن يستر قبائح جهلي، وأن يغفر لي ولكافة أهلي ، فهو الذي لا إله غيره يؤمل [3] وعليه في كل الأمور التكلان والمعوّل، وحصرته في ستة عشر بابًا :

-الباب الأوّل : في حكم الكتب [4] والاشهاد وسبب مشروعيتهما

-الباب الثّاني : في شرف علم الوثّائق وصفة الموثّق وما يحتاج إليه من الآداب

-الباب الثالث: في حكم الاجارة على كتابتها، وفي وقت تعيينها، وتعيين دافعها، وفي حكم الشركة المستعملة بين أربابها

-الباب الرّابع : فيما ينبغي للموثّق أن يتحرّز منه ويتفطن إليه

-الباب الخامس : في الأسماء والأعداد والحروف [5] التي تنقلب وتتغير بإصلاح يسير [6]

-الباب السادس : فيما عليه مدار الوثائق، وذكر المعرفة و [7] التعريف.

-الباب السابع : في التّأريخ وبأيّ شيءٍ يؤرّخ أبا لليالي أم بالأيام، واشتقاق الشّهور وأسمائها وما يضاف إليه شهر [8] وما لايضاف إليه منها [9]، وفي المذكّر منها والمؤنّث، وفي الألفاظ [10] التي تستعمل في أوّل الشهر ووسطه وآخره ، وفيما لابّد للشّاهد أن يؤرّخ فيه شهادته من العقود ، وما ليس عليه أن يؤرّخه، وفي العقود التي تؤرّخ باليوم والساعة.

---

(1) ط : « المريب »

(2) ض : « نسأله سبحانه »

(3) ر : — « يؤمل »

(4) ط : « الكتابة » ، هـ : « أحكام الكتب »

(5) ط : « في الأسماء والأعداد والحرف » ، ض : « في الأعداد والأسماء والحروف »

(6) ح ، ض : « التي تنقلب والحروف تتغير باصلاح يسير » ، د : - « باصلاح يسير »

(7) ط : « أو »

(8) هـ : — « شهر » ، ر : « فيها شهر » ، ، ح ، د : « إليه منها شهر»

(9) ض : - « ومالا يضاف إليه منها »

(10) ر : « و بالألفاظ »

-الباب الثّامن : في حكم الاعتذار عمّا يقع في الوثيقة من محوٍ أو بشرٍ أو لحـق ٍأوتخـريجٍ أو إقحـامٍ، وفي كيفية الاعتّذار ومحلّه

-الباب التّاسع : في كيفية وضع الشهادات

-الباب العاشر: في الألفاظ التي يتوصّل الموثّقون بها [1] إلى اجازة ما لا يجوز شرعًا

-الباب الحادي عشر: في العقود التّي يجب فيها ذكر الصّحة والتي لا يجب ذكرها فيها

-الباب الثّاني عشر: في العقود التي لا بدّ فيها من ذكر معرفة القدر

-الباب الثّالث عشر: في العقود التّي ينبغي للموثّق[2] أن يضمن فيها معاينة القبض والسّداد، وذكر الأشياء التّي لا تقبل فيها الشّهادة مجملة، وذكر ما ينبغي أن يكون من الوثّائق على نسختين أو نسخة [3]

-الباب الرّابع عشر: في ذكر[4] العقود التّي ليس على الشّاهد [5] قراءتها ولا حفظ ما فيها

-الباب الخامس عشر: في ذكر ما تخالف فيه [6] وثائق الاسترعاء سائر الوثائق ، وفي اسـتفهام الـشّهود واستفصالهم [7] ، وذكر العقود التّي ينبغي للعدل أن لا يضع [8] شهادته فيها

-الباب السادس عشر: وهو لباب اللّباب، وخاتمة [9] ما تقدّم من الأبواب، في التّنبيه على ما لا يسع اهماله من عيون الفتاوى وأحكام [10] كل باب

---

(1) ض : « يتوصّل بها الموثّق بها »

(2) ر ، هـ : « التي ينبغي فيها »

(3) ض ، ح ، د : « أو على نسخ »

(4) ر ، هـ ، ض ، ح : – « ذكر »

(5) ض : « على الشّهود »

(6) د ، ض ، ر : – « فيه »

(7) ض : « وفي استفسار الشّهود عمّا شهدوا به واستفصالهم »

(8) د : « أن يضع »

(9) ط ، ح : « وخاتم »

(10) ح : « من أحكام »

الباب الثّاني : في شرف علم الوثائق وصفة الموثّق وما يحتاج إليه من الآداب

الفصل [الأول : في شرف علم الوثائق]

« اعلم أنّ علم الوثائق من أجلّ العلوم قدرًا ، وأعلاها إنابة وخطرًا » (1) « إذ بها تثبت الحقوق، ويتميّز الحرّ من الرّقيق (2)، ويُتوثّق بها ، ولذا سمّيت معانيها (3) وثاقًا، وقد وقعت الاشارة إلى كثيرٍ من مقدّماتها و لواحقها في كتب (4) الله عزّ وجلّ . » (5)

ابن مغيث (6) :

« علم الوثائق علم شريف ، يلجأ إليه في ذلك الملوك والفقهاء وأهل الضرف والشرف والسّوقة (7) والسّواد ، كلّهم يمشون إليه ، ويتحاكمون بين يديه، ويرضون بقوله، ويرجعون إلى فعله، فيُنزّل كلّ طبقة منهم على مرتبتها، ولا يخلّ بها عن منزلتها . » (8)

---

(1) المتّيطي ، م.س / ورقة 01 ض

(2) د : « المرقوق »

(3) ض : « معانيه »

(4) ط ، ض ، ح ، د : « كتاب »

(5) ابن الخطيب لسان الدّين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (776 هـ ، 1374 م)، مثلى الطريقة في ذمّ الوثيقة ، تحقيق وتقديم عبد المجيد التركي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983 / 109

(6) أبو جعفر أحمد بن محمد بن مغيث الصدفي ، كبير طليطلة وفقيهها ، كان عالما ، حافظا ، أديبا ، بصيرا بالفتوى والأحكام ، تفقّه بابن زهر وابن ارفع رأسه وابن النجّار ، وسمع من أبي ذر الهروي وابن المطوعي وغيرهما ، من تصانيفه : المقنع في الوثائق ، توفي سنة (459 هـ /1066) . أنظر ترجمته في : ابن بشكوال م.س 1 /106 ، ابن فرحون برهان الدّين إبراهيم بن علي (ت 799 هـ / 1396 م) ، تبصرة الحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه جمال مرعشلي ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1995 ، 1 / 103 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 118 - 119

(7) السوقة ، أواسط الناس ومن هم أقل شأنًا ومكانةً من غيرهم ، وتطلق على الواحد وغيره ، فيقال هو سوقة ، وهم سوقة .
أنظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللّغة العربية ، اخراج شعبان عبد العاطي عطية ، أحمد حامد حسين وآخرون ، مكتبة الشروق الدولية ،ط 4 ، مصر ، 2004 / 465

(8) ابن مغيث الطليطلي م.س / 14 ، وتكملتها : (ويقدّم اسم الشّريف على من هو دونه ، واسم الرّجل على اسم المرأة ، ويجتنب في رسمها الكذب والزور) .

ابن برّي [1] :

« كفى بعلم الوثائق شرفًا وفخرًا انتحال أكابر التّابعين لها ، وقد كان الصّحابة -رضي الله عنهم- يكتبونها على عهد النّبي [2] -صلّى الله عليه وسلّم-وبعده [3]، وفي صحيح مسلم [4] وغيره :

---

(1) أبو الحسن علي بن محمّد بن علي بن محمّد بن الحسن التّازي الرّباطي، المغربي المالكي الشهير بابن برّي ، عالم بالقراءات ، نحويا وأديبًا وفقيها فرضيًا له إلمام بالحديث وتبصرة في صناعة الوثائق ، ولد حوالي (660 هـ / 1261 م) بتازة أخد العلم عن والده وأبو الربيع بن حمدون الشريسي وغيرهما ، ولّي رئاسة ديوان الانشاء للسلطان المريني أبوسعيد (710 – 731 هـ / 1310 - 1331 م)، وأصبح كاتبًا لولده السلطان أبي الحسن (731– 752 هـ / 1331 - 1351 م) وأستاذا له ، من كتبه : شرح وثائق الغرناطي ، تأليف في الوثائق ،الدرر اللّوامع في أصل مقرأ نافع ، والكافي في علم القوافي ، شرح تهذيب البرادعي، حاشية على المعرب للجواليقي ، توفي سنة واحد و ثلاثين وسبعمائة بتازة .

أنظر ترجمته في :

التّازي أبو الحسن ، م.س / 14-15 ، موسوعة أعلام المغرب، 2 /613 ، كنّون ، م.س ، 1/ 209 ، البغدادي ، إيضاح المكنون ، 1 /468 ، الزركلي ، م.س ، 5 / 5 ، البغدادي ، هدية العارفين ، م.س ،1 / 716 ، ، كحّالة ، معجم المؤلفين ، م.س ، 2 / 518

(2) ض : « رسول الله »

(3) ط ، هـ ، ض ، ح : + « وبعده » ، د : - « وبعده »

(4) أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري ،حافظ من أئمّة الحديث وأحد أركانه من أشهر كتبه صحيح مسلم ، جمع فيه اثني عشر ألف حديث ، وهو أحد الصحيحين المعوّل عليهما عند أهل السنّة في الحديث،ومن كتبه كذلك المسند الكبير والجامع ، والكنى والأسماء ، والطبقات....توفي في رجب سنة إحدى وستين ومائتين وله ستون سنة .

أنظر ترجمته في :

الذّهبي شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد (748 هـ / 1347 م) ، تذكرة الحفّاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، 2 / 588-590، الذّهبي شمس الدين ، العبر في أخبار من غبر، تحقيق أبو هاجر محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت ، د.ت ،1 / 375 ، الذّهبي شمس الدين ، سير أعلام النّبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط و صالح السّر ، مؤسسة الرسالة ط 11، بيروت ، 1996، 12 / 557- 558 ، الزركلي ، م.س ، 7 / 221

﴿ أنّ علي بن أبي طالب [1] _ رضي الله عنه _ كتب الصّلح يوم الحديبيّه [2] بين يدي النّبي _ صلّى الله عليه وسلّم _ ﴾ [3]

ابن فرحون [4] :

« هي صناعة جليلة شريفة، وبضاعة عالية منيفة [5] ، تحتوي على ضبط أمور الناس على القوانين

---

(1) علي بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحسن الهاشمي أمير المؤمنين ، كنّاه رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ أبا تراب ، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، روى عن النّبي وعن أبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة ، وروى عنه أولاده الحسن والحسين ومحمّد بن الحنفية وعمر وفاطمة وغيرهم ، بويع بالخلافة يوم قتل عثمان ، خرج عليه الخوارج وكفّروه بسبب التحكيم ، استشهد صبيحة يوم الجمعة من سنة أربعين على يد عبد الرحمن بن ملجم ، ودفن بالكوفة في قصر الإمارة عند المسجد الجامع . أنظر ترجمته في :

ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي (852 هـ / 1448 م) ، تهذيب التّهذيب ، اعتناء إبراهيم الزيبق و عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ت ،3 / 169 – 171، ابن العماد شهاب الدّين أبو الفلاح عبد الحي ، (1089 هـ / 1678 م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق وإخراج عبد القادر الأرناؤوط ، ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط 1 ، بيروت ، 1986، / 221- 222 ، الأصبهاني أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه (428 هـ / 1036 م) ، رجال صحيح مسلم ،تحقيق عبد الله الليثي ، دار المعرفة ،ط 1 ، لبنان ، 1987 ، 2 / 50

(2) الحديبيّه ، بضّم الحاء ، وفتح الدال ، وياء ساكنة ، وباء موحدة ، وياء مشددة وهاء ، قرية صغيرة سميّت ببئر هناك عند مسجد الشّجرة التي بايع رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ أصحابه عندها ، وقيل سميّت الحديبيّه بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ، بينها وبين مكّة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل . أنظر : ياقوت الحموي ، م.س ، 2 / 229 ، البغدادي صفي الدّين عبد المؤمن (739 هـ/ 1338 م) ، مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ط1 ، بيروت ،1992 ، 1 / 386

(3) أبو الحسن مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (261 هـ / 873 م) ، صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط 1 ، مصر ، 1929 ، 12 / 134 - 135 (كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبيّه ، رواه أبو اسحاق عن البرّاء بن عازب) ، المازري أبو عبد الله محمّد بن علي بن عمر (536 هـ / 1141 م) ، المعلّم بفوائد مسلم ، تحقيق وتقديم محمد الشّاذلي النّيفر ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات ، تونس ، 1991، 3 / 37 (كتاب الجهاد، حديث رقم : 839)

(4) برهان الدّين ابراهيم بن علي بن محمّد بن أبي القاسم بن محمّد بن فرحون اليعمري ، عالما بالفقه والنّحو والأصول والفرائض والوثائق وعلم القضاء، سمع الحديث على والده وعمّه، والشيخ أبي عبد الله المطري ،وأجازه ابن عرفة وابن الحاجب ، وغيرهما ، تولّى قضاء المالكية بالمدينة المنّورة ، فسار سيرة الحكّام العادلين ، من تصانيفه : شرح مختصر ابن الحاجب ، وتبصرة الحكّام ، والدّيباج المذّهب ، وكشف النّقاب الحاجب وغيرها ، توفي بالمدينة المنّورة في العاشر من ذي الحجة سنة 799 هـ، ودفن بالبقيع . أنظر ترجمته :

التنبكتي ، م.س/ 33- 34 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 222 ، المقريزي تقي الدّين أحمد بن علي (845 هـ / 1442 م) ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمود الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 2002 ، 1 / 75 - 76 ، سركيس ، م.س ، 2 / 202 - 203 كحّالة ، معجم المؤلفين، ، م.س ، 1 / 48 ، بقّا محمّد ، م.س ، 1 / 37 - 38 ، البغدادي ، هديّة العارفين، ، م.س ، 1 / 18

(5) ط : « حنيفة »

الشّرعية وحفظ دماء المسلمين وأموالهم ، والاطّلاع على أسرارهم وأحوالهم ، ومجالسة الملوك والاطّلاع على أمورهم وعيّالهم ، وبغير هذه الصّناعة لا ينال أحد ذالك ولا يسلك هذه [1] المسالك . » [2]

تنبيـــــه :

لا خفاء في شرف علم الوثيقة في الجملة ، إلاّ أنّها في زماننا هذا كما قال ابن الخطيب السلماني [3] في كتابه " مثلى الطّريقة في ذمّ الوثيقة " [4] :

« إنّها قد استمالت إلى فسادٍ وخلعت صورتها الشّرعية، ولبست صورة المنكر، فمنــزلتها منــزلة الأغذيــة الطّاهرة التي استمالت / [5] إلى الفساد [6]، وكالماء المشروب [7] إذا صار بولاً، والطعام الطّيــب إذا عــاد عذرة [8] ، والعصّير إذا أصبح مسكرًا، وغيره ممّا استمالت عينه ، فهي شريفة بالنّظر إلى غايتــها ومادتهــا ، وخسيسة بالنّظر إلى فاعلها وسوء استعمالها ، الذي صار منها بمنــزلة الصّورة من المادّة . » [9]

---

(1) ط : « منها »

(2) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 200

(3) لسان الدّين محمّد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني ، اللّوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، يكنّى أبا عبد الله ويلقّب مــن الألقاب المشرّقة بلسان الدّين ، وذو الوزارتين ، الفقيه الكاتب المعروف بابن الخطيب ، من مواليد 713 هـ ، وزير ومؤرّخ وأديب، سمع عــن أبي عبد الله ابن جابر ، وأخيه أبي جعفر وأبي البركات وأبي محمّد ابن سلمون و آخرون ، من تصانيفه الإحاطة في أخبار غرناطــة ، واللّمحــة البدرية في الدولة النّصرية ، ومثلى الطّريقة في ذمّ الوثيقة ، وأعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام ، وغيرها مــن المؤلّفــات ، تــوفي مقتــولا بالسّجن عام 776 هـ، ودفن بمقبرة باب المحروق بفاس . أنظر ترجمته في :

المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 7 – 8 ، المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 1 / 186 – 189 ، الشوكاني محمد بن علي (ت 1250 هـ / 1839 م) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، ط 1 ، القاهرة ، 1944 ، 2 / 191 – 193، العسقلاني ، الدرر الكامنة ، م.س ، 3 / 469 – 474 ، الكتّاني ، فهرس الفهارس، م.س ، 1 / 379 ، بقّا محمد ، م.س ، 1 / 194-196 ، الزركلي ، م.س ، 6 / 235 ، ابن شقرون ، م.س / 112 - 116

(4) تحقيق وتقديم عبد المجيد التّركي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983

(5) نهاية ورقة 02 و (ق)

(6) ط ، د : « فساد »

(7) ط : « المشرف »

(8) عذرة : الغائط الذي يلقيه الانسان ، والذي يستخدم أحيانًا كسمادٍ لبعض المزروعات .

انظر : ابن منظور ، م.س ، المجلد الرابع ، 32 / 2860 (مادة : عذر)

(9) ابن الخطيب ، مثلى الطّريقة ، م.س / 109 – 110

ابن عبد السّلام [1] بعد كلام [2] :

« وبالجملة إنّ الخطط الشّرعية في زماننا [3] أسماء شريفة على مسّميات خسيسة . » [4]

ابن برّي :

« قد سلف للأئمّة _ رضي الله عنهم _ اعتناء بكتب الوثائق [5] ، وأنتحله أكابر المفتين وأهل الشورى من كبار الأندّلسيين وغيرهم ، فقد آضت [6] الآن هذه الصّناعة تهان إهانة الخلق ، وتنال بالمذلّة والملق ،حتى عافها [7] أكثر الفضلاء وعابها [8] بأعداء الجهل بعض النّبلاء كما قيل :

سئمت صّناعة التوثّيق لــما   أشاع الجهــل فيــها مــا أشاعــه
فــآونة تحــدّ الخيــل فيهــا   وآونــة تبــاع علــى الاشــاعــة [9]

---

(1) أبو عبد الله ، محمّد بن عبد السّلام بن يوسف بن كثير الهوّاري المنستيري ، فقيه مالكي من قضاة تونس وصدور علمائها في زمانه ، ولّـي قضاء تونس سنة (734 هـ / 1333 م) وأستمرّ إلى أن توفي بالطاعون الجارف سنة (749 هـ / 1348 م) ، له مــن التــصانيف : شــرح جامع الأمّهات لابن الحاجب وديوان فتاوى . أنظر ترجمته في :
التّباهي ، م.س / 161– 163 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب، م.س/ 418 ، التنبكتي ، م.س / 406 –407 ، البغدادي ، هديّة العارفين ، م.س ، 2 / 156 ، الزركلي ، م.س ، 6 / 205

(2) ط ، هـ ، د : + « بعد كلام »

(3) ر ، ض ، ح : « أزماننا »

(4) الحطّاب الرعيني : أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن (954 هـ/ 1547 م) ، مواهب الجليل لــشرح مختــصر خليــل ، ضــبط وتخريج زكرياء عميرات ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1995، 8 / 84 (باب الأقضية)

(5) د : « الوثيقة »

(6) آضت : أصبحت ، انظر : ابن منظور ، م.س ، المجلد الأوّل ، 1 / 90 (مادة : آضا)

(7) ط : « يعافها » ، ر : « عابها »

(8) ط ، ر : « عافها » ، هـ : « تعافها » ، هـ : « أعابها »

(9) البيتان من البحر البسيط وتفعيلاته (مفاعلتن ، مفاعلتن ، فعولن)

قلت : ورأيت لبعضهم في سبب هذين البيتين ما نصّه : وقلت[1]: وقد كتب[2] بعض الموثّقين شراء دّابة بين شريكين[3] على الإشاعة :

بكيت لصنعة التّوثيق لما تبدلت الصّناعة بالشناعة

فآونة تحـد الخيل فيها وآونة تباع على الإشاعة [4] [5]

إنتهى » وما ذاك إلاّ أنّهم ألحقوها بأخسّ الحرف و لم يتمسّكوا من الطلب بأدنى طرف ، وفي مثل هؤلاء قيل : [6]

أرى الكساد قد استولى على الكتبة لا عقد في بيع فدّان [7] ولا عتبة [8] [9]

أخسس بحرفة قومٍ رأس مالهـم حـبر تبدّده في صفحـة قصبة [10]

هذا مع تحامل بعض الفضّلاء عليهم في أخذ الأجرة عليها ، وتصدّيهم[11] في الدكّاكين إليها وإن كان قد حكى أبو الحسن الطبري [12] : « إجماع الأئمّة [13] على جوازها [14]. » انتهى.

---

(1) ض : - « وقلت »

(2) ط : - « كتب »

(3) ط : + « بين شريكين »

(4) البيتان من البحر الوافر وتفعيلاته (مفاعلتن ، مفاعلتن ، مفاعلتن)

(5) ر : - « قلت ورأيت لبعضهم في سبب هذين البيتين ما نصه : وقلت وقد كتب بعض الموثقين شراء دابة بين شريكين على الإشاعة :

بكيت لصّنعة التوثّيق لما تبدلت الصّناعة بالشناعة

فآونة تحـد الخيل فيها وآونة تباع على الإشاعة »

(6) ط ، ح : « وفي مثلهم قال » ، د : « قال »

(7) فدّان : مقدار من الأرض الزراعية ، متوسط مساحته 4200 متر مربع . المعجم الوسيط ، م.س / 677

(8) العتبة : خشبة الباب التي يوطأ عليها ، وهي كناية يراد بها البيوت والدور. المعجم الوسيط ، م.س/ 582

(9) هـ : « لا عقد يكتب في مال ولا رقبة »

(10) المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 3 / 315 (وقد نسب الشيخ القاضي ابن منظور هذه الأبيات لأحد فقهاء رندة قائلاً : (كان كـثيرًا مايتمثّل بهذين البيتين) و البيتان من البحر المتقارب وتفعيلاته (فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن)

(11) ض : « وتعريفهم »

(12) أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الطبري ، الملّقب عماد الدّين ، والمعروف بالكيا الهراسي ، شيخ الشافعية ببغداد ، تفقّـه علـى إمـام الحرمين أبي المعالي الجويني وحدّث عنه، وهو من أجلّ تلامذته بعد الغزالي ، تولّى التّدريس بالمدرسة النّظامية ببغداد ثم تولّى القـضاء بالدّولـة السلجوقية ، عاش أربعًا وخمسين سنة ، وكانت وفاته سنة أربع وخمس مائة ببغداد، من مصنّفاته : شفاء المسترشدين في مباحـث المجتهـدين وكتاب أحكام القرآن ، نقد مفردات الامام أحمد ، ولوامع الدلائل في زوايا المسائل والتلوّيح في إرشاد الفحول وغيرها من التصانيف.

أنظر ترجمته في : إبن خلكّان أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد (681 هــ / 1282 م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيـق احسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، 3 / 286 ، الذّهبي ، العبر ، م.س ، 2 / 385-386 ، بقّـا محمّـد ، م.س ، 3 / 282-283 ، كحّالة ، معجم المؤلفين ، م.س ، 2 / 518 ، محمود مصطفى ، اعجام الأعلام ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1983 / 174

(13) ح ، د : « الأمّة »

(14) الكيا الهراسي : أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الطبري (ت 504 هـ / 1110 م) ، أحكام القرآن ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت ، 1 / 368

قلت : وفي مثل هؤلاء الذين نبذوا أحكام الوثيقة بالعراء ، أنشد بعض فضلاء الشعراء :

فسدت خطّة الوثيقة لما أن بدا كلّ جاهلٍ يدّعيها
لم تكن غير روضة فاستبيحت فغدا كل ناعق[1] يرتعيها [2] [3]

ومن أفحش جهلهم ما ذكره ابن الخطيب :
« أنّ عجوزًا من معارفه استفتت كبيرًا منهم ، وقد حلفت بصوم العام تصومه وتقومه على باب جهنّم، وكثيرًا ما تقول النّساء هذا ، وتحرّجت المسكينة لدينها فأمرها أن تصوم وتفطر كل ليلة بباب الفرن، إذ لم يجد في هذا العالم على ما ظهر له أقرب إلى جهنّم منه [4] لّما عدم الأدّلة الشّرعية ولجأ إلى القياس من الفرن فكانت تحمل كل ليلة لقمة وكوزًا من الماء إلى باب الفرن ، فعند سماع الآذان تلوكها [5] مدّة من عام كامل . » [6]
قال : « ولقد كتب بعضهم بسلا [7] حسبما وقفنا عليه في الحكاية عن إمرأة طائعة بذلك غير [8] متبرّعة . » [9] انتهى

---

(1) ناعق : نعق الراعي بغنمه ، أي صاح بها وزجر ، فهو ناعق وهي ناعقة ، وعادة مايطلق ذلك إلاّ على الضأن والماعز .
انظر : ابن منظور ، م.س ، المجلد السادس ، 48 / 4476 (مادة : نعق) ، المعجم الوسيط ، م.س / 934
(2) هـ : « بعد كلّ ناعق يرتعيها »
(3) البيتان من البحر الخفيف وتفعيلاته (فاعلاتن ، مستفعلن ، فاعلاتن)
(4) ط ، هـ : - « منه »
(5) ض : « تأكلها »
(6) ابن الخطيب ، مثلى الطّريقة ، م.س / 101
(7) ط ، د : « سّجلاً »
(7) سلا : مدينة بأقصى المغرب، ليس بعدها معمورًا ، إلاّ مدينة صغيرة يقال لها غرنيطوف ، ثم يأخد البحر ذات الشمال والجنوب ، وهو البحر المحيط ، وسلا على الزاوية ، شماليها البحر وغربيها نهر جار من الجنوب ، في غربيه المهدية .
أنظر : ياقوت الحموي ، م.س ، 3 / 231 ، البغدادي ، مراصد الاطلاع ، م.س ، 2 / 724
(8) ط ، هـ : - « غير »
(9) ابن الخطيب ، مثلى الطّريقة ، ، م.س / 101

قلت : وحدّثني شيخنا الحاج الامام القاضي العلاّمة أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني[1] رحمه الله ، أنّ الفقيه القاضي أبا محمّد عبد الله المصري [2]، قاضي طرابلس[3] حدّثه أنّ ابن سناقة [4] قاضي توزر [5] ، وكان من الجهلة الأجلاف [6] ، الذين يرتفع عن منع تقديمهم للقضاء كل خلاف، أتاه بعض كتّابه بسّجل بيع الرّبع على الغائب ، وفيه أنّه نودّي عليه في أفواه السّكك ، وأماكن الرّعية ومظان الاجتّماع، وحيث ترجى الزّيادة على المألوف من عبارتهم في ذلك [7] ، فلمّا تصفّح السّجل وطالعه، قال لكاتبه : بقي عليك ركن من أركان هذا [8] السّجل ولا بد لك من إلحاقه ، فقال له :

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني الفقيه العالم ، ولّي قضاء الجماعة بتلمسان ، أخد عن جدّه الامام قاسم وغيره ، وأخد عنه أبو العبّاس الونشريسي وأحمد بن حاتم وغيرهما ،كان فقيها عارفا بالنّوازل ذا ملكة في التّصوف ، له عدة مؤلفات منها : تحفة النّاظر وغنية الذّاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر ، توفي بتلمسان سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، في الثالث والعشرين من ذي الحجة .

أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 224 ، التنبكتي ، ، م.س / 547 - 548 ، الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 148، موسوعة أعلام المغرب ، م.س ، 2 / 778 ، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 2 / 591 ، الزركلي ، م.س ، 5 / 334، نويهض ، م.س / 237 - 238

(2) ورد اسمه في نازلة سئل عنها الونشريسي وقد أوردها في كتابه المعيار المعرب ، 9 / 363 ، وقد جاء فيها :

« وسئل عن ذلك القاضي أبو عبد الله المصري ، ثم التوزري » ، ويبدو أنّه فقيه وقاض أصله من مصر ، استقرّ به المقام في تونس ، أين مكث بمدينة توزر و مارس مهنة القضاء والفتوى . وياستثاء كتاب المعيار ، لم أعثر له على أي اشارة أخرى في أي كتاب من كتب التراجم المعتمدة في قسمي الدراسة والتحقيق

(3) مدينة ليبية على جانب البحر، بناها الفينيقيون في القرن الخامس قبل الميلاد ، تقع على مقربة من جبل طرابلس الموازي لساحل البحر الأبيض المتوسط وبطول خمسمائة كيلو متر ، لا يفصلها عن جبل نفّوسة سوى ثلاثة أيام . أنظر: البغدادي ، مراصد الاطّلاع ، م.س ، 2 / 882 ، العفيفي عبد الحكيم ، موسوعة 1000 مدينة اسلامية ، مكتبة الإسكندرية ، ط1 ، 2000 ، / 327 - 328

(4) ح ، د : « إبن سنانة » ، لم أقف له على ترجمته

(5) توزر : بالفتح ، ثم السكون ، وفتح الزاي ، وراء ، مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزّاب الكبير ، من أعمال الجريد ، بينها وبين قفصة عشرة فراسخ (الفرسخ مسافة تقدر بثلاثة أميال ، والميل ثلاثة آلاف ذراع)، وأرضها سبخة بها نخل كثير . أنظر:

البغدادي ، مراصد الاطّلاع ، م.س ، 1 / 28 ، ياقوت الحموي ، م.س ، 2 / 57 ، ابن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 1 / 91

(6) الأجلاف ، جمع مفرده جلف ، ويقال أجلف وجلوف ، وهو الشخص الكزّ ، الغليظ ، الجافي ، الأحمق . المعجم الوسيط،م.س / 130

(7) هـ : - « في ذلك »

(8) ر : - « هذا »

وما هو يا سيدّي ؟ فقال له : ومعاطن الإبل[1] ، فقال له الكاتب ، وكان نبيلاً : إلحاقه [2] يا سيدّي بخطّك [3] أولى وأجمل، فأخذ القلم وألحق هذه الزّيادة بخطّه، فأخذ الكاتب السّجل وصار يدور به على الفقهاء والشهود ويريهم جهل قاضيهم .

« ومن هذا المعنى ما اتّفق لبعض قضاة البيرة [4] وهو مؤمل بن ربط[5] بن عكرمة بن رجاء العقيلي [6] وكان يغلب عليه البله ، وهو من أهل التعيين والحسب والأصالة، عريقًا في القضاء قاضٍ ابن قاضٍ ابن قاضٍ ، رفعت إليه امرأة كتاب صداقها فقال : الصداق مفسوخ وأنتما على حرامٍ فافترقا فرّق الله بينكما، ثم رمى بالصداق لمن حوله وقال : عجبًا لمن يدّعي علمًا ولا يعلمه، أو يزعم أنه يوثّق ولا يتقنه، مثل أبي فلان وهو في المجلس يكتب هذا الصداق، وهو مفسوخ ما أحقّه بأن يقدّم ما فيه، فدار الصداق على يد كل من حضر ، وكل يقول : ما أرى موضع فسخ ، فقال : أنتم من كاتبه أجهل ، لكنّي أعذركم لأنّ كل واحد منكم يستر على صاحبه خطأه ، أنظروا و أؤخركم اليوم ، فنظروا فلم يجدوا شيئًا يوجب فسخًا،

---

(1) أعطن الإبل، ويقال عطنت، سقاها ثم أناخها عند الماء . المعجم الوسيط ، م.س / 609

(2) ط ، هـ : « ألحقه »

(3) ض : « بخطّك ياسيّدي »

(4) ط : « البلد » ، ض : « البيوت »

(4) البيرة : كورة كبيرة من الأندلس ، فيها عدة مدن منها قسطّيلية ، غرناطة ، تقع بين القبلة والشرق من قرطبة ، أسّسها الإمام عبد الرحمن بن معاوية ، حولها أنهار وأشجار كثيرة ، عرفت كحاضرة وقاعدة من قواعد الأندلس ، خرّبت أيام الفتنة ، وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة ، بينها وبين غرناطة ستة أميال . أنظر : الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم السبتي (ت في أواخر ق 9 هـ / 15 م) ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، عني بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال ، دار الجيل ، ط 2 ، بيروت ، 1988 / 29- 30 ، ياقوت الحموي ، م.س ، 1 / 244

(5) ط ، هـ : « إبن زط » ، هـ ، ح ، د ، ر : - « بن ربط بن عكرمة »

(6) مؤمل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي ، قاضي وابن قاضي ، من أهل التعين والحسب والأصالة عريق في القضاء ، ولي قضاء البيرة للأمير محمد . أنظر : إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 3 / 302 (و لم أجد له ترجمة أخرى في أي كتاب آخر من كتب التراجم والسير)

فدنا منه محمّد بن فطيس [1] الفقيه ، فقال [2] : أصلح الله القاضي، إن الله منحك من العلم والفهم [3] ما نحن مقرّون بالعجز عنه ، فأفدنا هذه الفائدة .

قال : إذن ، فدنا منه فقال : أو ليس في الصّداق :

و لا يمنعها زيارة ذوي [4] محارمها ، ولا يمنعهم زيارتها بالمعروف ، ولو لا معرفتي بمحبّتك ما أعلمتك، فشكره الشّيخ وأخذ بطرف لحيته يجرّه إليه حتى قبلها ، وكان عظّيم اللّحية طويلها [5] شيمة أهل هذه الطبقة .

قال ابن فطيس : أنا المخصوص بهذه [6] الفائدة دونكم [7] ، ولا أعرف بها إلاّ من أمرت [8] بتعريفه إيّاها فتبسّم القاضي متعجبًا ممّا [9] رأى ، وشفعوا إليه ألاّ يفسخ الصّداق ، وقيل للزوجين لا تطلبا به عنده شيئًا . » [10] إنتهى .

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن فطيس بن واصل الغافقي اللبيري الأندلسيّ ، الإمام العلاّمة الحافظ النّاقد من أهل الحديث والفهم والحفظ والبحث عن الرجال ، محدّث الأندلس ، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ، عرف برحلاته أين سمع على عدد من الفقهاء والمحدثين أشهرهم محمّد بن عبد الله بن الحكم في مصر، من تصانيفه : كتاب الورع ، وتحذير الفتن وكتاب الدعاء والذكر ، توفي بحاضرة البيرة في شوال سنة تسع عشرة وثلاثمائة . أنظر ترجمته في :

الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت 488 هـ / 1095 م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، 1966 / 84 – 85 ، ابن الفرضي م.س ، 2 / 42 - 43 ، ابن العماد ، م .س ، 4 / 95 ، الذّهبي ، سير أعلام النبلاء ، م.س ، 15 / 79–80 ، الذّهبي ، تذكرة الحفّاظ ، م.س ، 3 / 802- 803 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 344 ، الصّفدي صلاح الدّين خليل بن أيبك (ت 764 هـ / 1362 م) ، كتاب الوافي بالوفيات ، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، بيروت ، 2000 ، 4 / 239 ، الخشني م.س / 154، البغدادي ، هديّة العارفين ، م.س 2 / 31 ، الحجوي ، م.س ، 3 / 107

(2) هـ : - « فقال »

(3) ح : « الفتح »

(4) ط : « ذو »

(5) ط : « طولها »

(6) د ، ر ، هـ : - « بهذه »

(7) ض ، د ، ر : - « دونكم »

(8) ط : « ولا أعرفها إلا لمن تأذن » ، هـ : « ولا أعرفها إلا من تأذن » ، هـ ، د ، ر : « ولا أعرفها بها إلا من تأذن » ، ح : « ولا أعرف إلا من تأذن بها »

(9) هـ : « لما »

(10) ابن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 3 / 302 - 303

وقال ابن كوثر [1] عن بعضهم :

« أنّه نظر إلى رجلٍ كان موسومًا بالتّوثيق ، قد كتب في بيع دارٍ في مكان المبيعة المباعة ، وهذا غلط ، لأنّ المباعة المعرّف بها للبيع ، والمبيعة التي قد [2] بيعت . »

وذكر آخر أنّه رأى رجلاً يوثّق و في كتاب [3] ، في ابتياع عندما سمّى الثّمن قبضه [4] البائع تام ، و لم يكن اسم البائع تامًا ، لكن أراد وصف الحال التي قبض البائع فيها الثّمن فانقلب له حال الثّمن إسمًا للبائع، وكتب آخر: وحلّ الشّاري في الدّار محلّ البائع، أراد أن يصف المبتاع فوصف البائع، واستعمل لغة تشكّل جهلاً منه بها ، لأنّ الشّاري اسم للبائع والمشتري، قال الله عزوجلّ [5] : ﴿ ولبِئْسَ مَاشَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [6] أي باعوها ، يقال : شريت الشيء ، والقائل لذلك قد يريد بعته واشتريته ، وهو من حروف [7] الأضداد، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [8] ، يحتّمل أن يكون باعوه، يعني الإخوة، أو يكون اشتروه يعني السّيارة.

---

(1) أبو القاسم عبد الله بن بكر بن خلف بن سعيد بن عبد العزيز ابن كوثر الغافقي من أهل إشبيلية ، روى عن أبيه أبي عمر وبكر بن خلف ، وحدث عنه أبو الوليد سعد السعود ، وتوفي شهيدًا . أنظر ترجمته في :
ابن الأبّار أبو عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي (ت 658 هـ / 1260 م) ، التكملة لكتاب الصلة ، مطبعة روخس ، مجريط ، إسبانيا ، 1887 ، 2/ 488

(2) ط ، ض : – « قد »

(3) ط ، ح : « كتب » ، هـ ، د : « كتبه »

(4) ض : « قبضها »

(5) ط ، ض ، د : « تعالى »

(6) سورة البقرة ، الآية 102

(7) ح : « أسماء »

(8) سورة يوسف، الآية 20

والأحسن في الوثائق أن يأتي لفظها بيّنًا لا اشكال فيه ،كقوله في هذا الموضع : وحلّ المشتري أو[1] المبتاع في الدّار محلّ البائع .

وكتب آخر : صدق فلان [2] زوجه كذا ، و لم يفرّق بين صدق و أصدق ، فأيّ شيءٍ أبين انقلابًا من هذا، بينما أراد أن / [3] يقول: أصدقها ، قال: صدقها ، فأخرجها عن حدّ الاصداق [4] إلى معنى[5] الصّدق ، ولا معنى له فيما كان يحاوله . إنتهى.

ومن هذا المعنى ما اتّفق لأبي العبّاس أحمد بن علي بن ثابت اللّخمي الاشبيلي [6] قال أبو العبّاس بن هارون [7] : « اتّفق له مع جدّي أبي[8] محمّد بن جمهور[9] ، أن كتب [10] في رسمٍ يتضمّن بيع قارب وفرّه وَقَلبهُ

---

[1] هـ : - « أو »

[2] ض : « فلان بن فلان » ، د : « فلان صدّق »

[3] نهاية ورقة 02 ض ، مخ (ق)

[4] ض : « الصداق »

[5] ط ، هـ ، ح ، د ، ر : - « معنى »

[6] أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن ثابت اللّخمي الاشبيلي ، روى عن أبي بكر بن العربي وابن خلف بن مدير، وروى عنه أبو العبّاس بن علي بن هارون ، كان متحقّقًا بالفقه والعربيّة ، مشاركًا في غيرهما ، شديد العناية بالتّاريخ والأخبار، ينتحل عقد الشّروط .
أنظر ترجمته في : السّيوطي ، بغية الوعّاة ، المجلد الأول ، م.س / 338 ، ابن عبد الملك ، الذّيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الأول ، تحقيق محمّد بن شريفة ، م.س / 301-302

[7] أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن مسعود بن هارون السماتي الاشبيلي ، الفقيه ، الحافظ ، من بيت حسبٍ وجلالة ، كان متقدّمًا في عقد الشّروط ، ولّي القضاء باشبيلية واشتهر بعدله ونزاهته . أنظر ترجمته في :
إبن عبد الملك ، الذيل والتكملة ، السفر الأول ، القسم الثاني ، تحقيق محمد بن شريفة ، م.س / 487

[8] ض : « جدير ابن »

[9] أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن جمهور بن سعيد ين يحي بن جمهور، القيسي الاشبيلي ، روى عن أبا اسحاق، ابن حبيش وابن فرقد وابن قرقول وابن ملكون ، وأبا بكر ، ابن الجدّ وابن العربي ، وابن طاهر المحدّث ، وأبا الحسن ، الزّهري وشريح ، وغيرهم ، رجلاً صالحًا فاضلاً، بصير باللّغة ومعرفة بالشّروط ، واستقلال بعقدها ، توفي ببلده سنة (592 هـ / 1195 م) . أنظر ترجمته في :
إبن عبد الملك ، الذّيل والتكملة ، السفر الرابع ، تحقيق احسان عبّاس ، م.س / 174 – 176 ، إبن الأبّار ، التكملة ، م.س ، 2/ 703

[10] ح : « ثبت »

وجيء بالعقد إلى جدّي [1] ليشهد فيه ، فوقف عليه وقال لصاحب العقد : وهم الشّيخ فيما كتب ، لا يقال في القارب : وفرّه ، وإنّما يقال فيه : ونظر إليه [2] وقلّبه واختبر عيدانه ، أو ما [3] أشبه هذا ، ثم إنّ جدّي[4] كتب رسم بيع[5] حمار في يوم شاتٍ [6] وذهب بالعقد[7] وصاحبه[8] إلى أبي العبّاس هذا ليشهد فيه، فلمّا قرأه وجد فيه وفرّه وقلبه ، فلم يتمالك[9] إلى أن هبط من دكّانه في الشتاء ، والعقد في يده حتى انتهى به إلى جدّي [10] وقال له : بالأمس ردّدت عليّ في رسم بيع القارب وفرّه ، وها أنت[11] قد [12] كتبت في رسم [13] هذا الحمار وفرّه[14] ، فضحك جدّي [15] _ رحمه الله _ منه وعجب من غفلته وقلّة تحصيله، رحمهم الله أجمعين [16]. »

قال ابن عبد الملك [17] :

« ومعنى فرّه : فتح فاه ونظر إلى أسنانه ليعرف سنّه أكبير هو أم صغير، وافتر فلان ضاحكاً أبدى أسنانه. » [18] انتهى

---

(1) ط : « جدير »

(2) هـ : - « ونظر إليه » ، ض : « وقلّبه ونظر إليه »

(3) ط ، هـ ، ض : « و ما »

(4) ط : « جدير »

(5) ض : - « بيع » د : - « رسم »

(6) ط : « شتاء »

(7) ض : « بالكتب »

(8) ط : - « وصاحبه » ، ح ، د : « صاحبه » ، ر : - « بالعقد و صاحبه »

(9) هـ : « إلى أن يتمالك »

(10) ط : « جدير »

(11) ط : « هات »

(12) ط : - « قد »

(13) ط ، ض ، ح ، د ، ر : « بيع »

(14) ط ، هـ ، ح ، د : - « وفرّه »

(15) ط : « جدير »

(16) ض : « رحم الله الجميع »

(17) أبو عبد الله ، محمّد بن محمّد بن سعيد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المرّاكشي ، ويعرف بابن عبد الملك ، عارفًا بالتأريخ والأسانيد، نقّادًا لها ، أديبًا بارعًا ذا معرفة بالعربيّة واللّغة والعروض ، ولّي قضاء مرّاكش مدّة ، ثم نحيّ لحدّة في خلقه ، توفيّ بتلمسان في أواخر محرّم عام 703 هـ ، من مؤلّفاته : الذّيل والتّكملة لكتاب الصّلة ، وكتاب جمع فيه بين كتابي ابن القطّان وابن الموّاق على كتاب الأحكام لعبد الحق . أنظر ترجمته في :

النباهي ، م.س / 130 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 415 ، كنّون ، م.س ، 1 / 206 ، الزركلي ، م.س ، 7 / 32 ، ابن شقرون ، م.س / 98- 99

(18) إبن عبد الملك ، الذّيل والتّكملة ، السفر الأوّل ، القسم الأوّل ، تحقيق محمّد بن شريفة ، م.س / 301 - 302

والحكايات عنهم من مثل هذا كثيرة [1] لا تحصى ولا تستقصى [2] ، ولم يزل يقع من فحول القضاة وكفاة الملوك والولاّة في مثل هؤلاء الجهلة، وشهود الزّور على مرّ الأيّام فتكات، وقلّما تجافى عن تتريبهم وعزلهم من لا يبالي في الله لومة لائم من المفتيين والقضاة.

قال ابن الخطيب رحمه الله :

« فلقد أدركت بزماني على مدّة شيخنا قاضي الجماعة ، أبي عبد الله بن بكر[3] رحمه الله تعالى اسخاطهم ، وعزل ما ينيف على سبعين مبرزًا منهم بغرناطة [4] ، وعلى مدّة السّلطان بالمغرب أمير المسلمين[5] أبي عنان [6]رحمه الله ، وقد عيّن بكل بلد من بلاده عددًا [7] قليلاً و [8] منع قبول من عداه[9]. » [10] انتهى.

---

(1) ط : « كثير »

(2) ط ، ح ، ر : « لا يحصى ولا يستسقى »

(3) أبو عبد الله محمّد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المقري ، الفقيه المتفنّن المحقّق ، أخد عن علماء فاس وتلمسان منهم ابن الزّبير وابن رشيد وابني الإمام ، وأجازه عبد العزيز الهزّاري والمعمر ابن هارون وغيرهم ، ولّي الخطابة والقضاء بمدينتي فاس وتلمسان ، توفي سنة (741 هـ / 1340 م) .أنظر ترجمته في :

العسقلاني ، الدرر الكامنة ، م.س، 4 / 284 ،مخلوف ، م.س ، 1 / 213- 214 ، الونشريسي ، الوفيات م.س / 194

(4) غرناطة : بفتح أولّه وسكون ثانيه ، ثم نون ، وبعد الألف طاء مهملة ، وقيل بألف قبلها ، أي أغرناطة ، اسم أعجمي ، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس ، وتسمّى كذلك سنام الأندلس ، أما في القديم فقدسميت بقسطيلية يشقها النهر المعروف بقلزم . أنظر : البغدادي ، مراصد الإطّلاع ، م.س ، 2 / 990 ، ابن الخطيب لسان الدين ، اللمحة البدرية في الدّولة النّصرية ، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1928 / 12 ، ابن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 1 / 91

(5) هـ : « أمير المؤمنين »

(6) المتوكل على الله أبي عنان موسى بن فارس بن علي المريني ، من ملوك بني مرين بالمغرب الأقصى ، كان أحد المبعدين الى الأندلس حيث أقام في كنف بني الأحمر ، بويع سنة ست وثمانين وسبعمائة ، ودام حكمه سنتان وأربعة أشهر ، كانت وفاته في شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وله إحدى وثلاثون سنة ، وقيل مات مسمومًا . أنظر ترجمته في :

الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 122 ،النّاصري ، م.س ،4 / 69-71 ، ، الزركلي ، م.س ،7 / 68

(7) ض : + « معينًا »

(8) ط ، هـ ، ض ، ح ، د : - « و »

(9) ض : « عداهم »

(10) ابن الخطيب ، مثلى الطريقة ، م.س / 111

قلت : ذكر الرّئيس أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر[1] _رحمه الله تعالى_ في كتابه" تأنيس النّفوس في اكمال نقط العروس" :

« أنّ السّلطان المتوكّل على الله أبا عنان فارس بن علي بن عثمان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح الجنان،[2] لمّا أمر بالاقتصار على عشرة من الشهود بمدينة مكناسة [3] وكتب اسم الفقيه [4] العالم العلم [5] العدل، الفرضي ،القاضي ، الصّدر أبي [6] علي الحسن بن [7] عثمان بن عطيّة بن موسى الونشريسي [8] في

---

(1) أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر بن الأحمر ، خامس ملوك دّولة بني نصر بن الأحمر في الأندلس ، الفقيه العالم أخذ عن الامام الرّعيني وأبي عبد الله القشتالي وابن رشد وغيرهم ، جمع بين العلم والسياسة فكانت له ولاية مالقة وسبتة بعد وفاة والده ، عرف بثورته على الملك نصر بن محمّد ملك غرناطة سنة (713 هـ/ 1313 م) ، وانتصاراته على الملك الاسباني ألفونسو الحادي عشر سنة (717 هـ/ 1317 م) ، اغتاله ابن عمّ له اسمه محمّد بن اسماعيل بطعنة خنجر في غرناطة يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر رجب عام خمس وعشرين وسبعمائة ، من مؤلفاته : تأنيس النّفوس ، نثر الجمان ، وله شرح على البردة وغير ذلك.

أنظر ترجمته في : ابن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، 1 / 377 – 394 ، ابن الخطيب ، اللّمحة البدرية ، م.س / 76 – 75 ، العسقلاني ، الدّرر الكّامنة ، م.س 1 / 375 -376 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 232

(2) هـ : « جنّته » ض : « وأسكنه من الجنان بحبوحته »

(3) مكناسة : بالكسر، ثم السكون ، ونون ، وبعد الألف سين مهملة ، مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البرّ الأعظم ، مشهورة بكثرة الزيتون ، بينها وبين مرّاكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق ، وهي في أصلها مدينتان ، بينهما حصن ، احداهما قديمة ، والأخرى محدثة ، إختط إحداهما يوسف بن تاشفين ملك المغرب .أنظر :

البغدادي ، مراصد الإطّلاع ، م.س ، 3 / 1302 – 1303 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م.س ، 5 / 181 ، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن محمّد بن عمر (732 هـ / 1331 م) ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت / 133

(4) ط : « الفقير »

(5) هـ : « الأعلم »

(6) ط : « أبا » ، ض : - « أبي علي »

(7) ط : « إبن »

(8) أبو علي الحسن بن عثمان بن عطيّة الونشريسي ، الشّيخ الفقيه المدرّس القاضي العادل ، من أهل الحساب والقيام على الفرائض والعناية بفروع الفقه وقرض الشعر، أخذ عن أبي البركات بن الحاج البلقيني وغيره ، وعنه لسان الدّين ابن الخطيب وابن الأحمر ، له رجز في الفرائض حسن سلس ، وفتاوى نقل الونشريسي في معياره جملة منها ، مولده في حدود سنة (724 هـ/ 1323 م) ، وكان حيًا قرب التّسعين وسبعمائة .

أنظر ترجمته في : المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 352 -353 ، ابن غازي ، الروض الهتون ، م.س/ 18 ، التنبكتي ، م.س / 158- 159 ، مخلوف ، م.س / 238

الذين أثبتهم ، شقّ [1] ذلك على بعض الشّيوخ [2] العدول المؤخّرين لحداثة سنّه، فلمّا علم تشغيب [3] أولئك عليه صنع [4] رجزًا [5] و رفعه لأبي عنان _ رحمه الله تعالى _ [6] هذا يقول فيه :

نبدأ أوّلاً بحمد الله	و نستعينه على الدّواهي
ثم نوالي بالصّلاة و السّلام	على رسول دونه كل الأنام
وبعد ذا نسأل ربّ العالمين	أن يهب النّصر أمير المؤمنين
خليفة اللّه أبا عنان	لازال في يمن و في أمان
ملّكه اللّه من البلاد	من سوس الأقصى [7] إلى بغداد [8]
ويسّر الحجاز [9] والجهاد	و جعل الكل له مهاد
يا أيّها الخليفة المظفّر	دونك أمري [10] إنّه مفسّر

(1) هـ : « فشقّ »

(2) ط ، هـ ، ر : « شّيوخ »

(3) تشغيب : شغب ، يشغب ، تشغيبًا ، أي تهييج الشر (مادة : شغب) ، ابن منظور ، م.س ، المجلد الرابع ، 24 / 2283

(4) ح : « أنشأ »

(5) هـ : « أرجوزة »

(6) ض ، ح ، ر : - « تعالى »

(7) السّوس الأقصى : موضع بالمغرب ، كورة مدينتها طرقلة ، بينها وبين السّوس الأدنى مسيرة شهرين .
ياقوت الحموي ، م.س، 3 / 312 ، البغدادي ، مراصد الإطلاع ، م.س، 2 / 755

(8) بغداد : إسم فارسي معرّب ، وتسمّى كذلك بغدان ، ومدينة السّلام ، شرع في عمارتها من طرف الخليفة المنصور سنة (145 هـ ، 762 م) وكانت لها أربعة أبواب ، باب خراسان ، باب الكوفة ، باب الشام ، باب البصرة ، بلغت تكلفة بنائها عشر ألف ألف دينار.
ياقوت الحموي ، م.س، 1 / 456 - 457

(9) الحجاز : بالكسر وآخره زاي ، جبل ممتد بين غور تهامة ونجد ، فمكة تهامية ، ونجد والطائف حجازية ، وقد حددت بلاد العرب بخمسة أقسام ، تهامة ، والحجاز ، ونجد والعروض ، واليمن ، والحجاز إثنتا عشرة دارًا ، المدينة وخيبر وفدك ، ودو المروة ، وغيرها
ياقوت الحموي ، م.ن ، 2 / 218 - 219 ، البغدادي ، مراصد الإطّلاع ، م.س، 1 / 380

(10) ط : « أمر »

عبدكـم نجـل عـطيـّة الحـسـن	قـد قيـل لا يشهـد إلاّ إن أســن [1]
وهـو فـي أمـركم الـمعـهـود	مـن جـملـة العشـرة الشّهـود
نـصّ عـليـه أمـركـم تعيينـا	و سـنّـه قـارب [2] أربـعـينـا
مـع الـذي ينتسـب العبـد إليـه	مـن طلـب العلـم و بحثـه عـليـه
علـى الفرائـض لـه أرجـوزة	أبـرز فـي نـظـامهـا ابـريـزة
ومـجلـس لـه علـى الرسـالـة	فكيـف يـرجوا حاسـدًا زوالـه
حـاشى أمـيـر المؤمنيـن ذاكـا	وعـدلـه قـد بلـغ [3] السّمـاك
و عـلـمـه قـد طبـق الآفـاقا	وحـلـمـه قـد جـاوز الـعراقـا [4]
وجـوده مشـتهـرفـي كل حـيّ	قصـر عن إدراكـه حـاتـم طـي . » [5]

والعجب من بعض القضاة كيف يتطيّر بعزل [6] من ذكرناه ، ومن لم تصلحه السنّة لا أصلحه الله، فاشتدّ على سواد المسلمين بلاؤهم، وقل من الله حياؤهم، فنعوذ بالله من زمان يتّخذ المنكر فيه [7] جنّة، ويتطيّر بإقامة السنّة ، وفي مثل هذا يحسن أن ينشد قول من أبدع وأرشد [8] :

وهـل أفسـد الدّيـن إلاّ المـلوك   و أحـبـار سـوءٍ و رهـبانـها [9]

---

(1) ط : « أن يسن »

(2) ط : « قرب »

(3) ط : « بالغ »

(4) العراق : موضع مابين حديثة الموصل إلى عبادان طولاً ، ومابين عذيب القادسية إلى حلوان عرضًا ، وسميّ بالعراقين الكوفة والبصرة ، وقيل سمي عراقًا لاستواء أرضه وخلوها من جبال تعلو، وأودية تنخفض . ياقوت الحموي ، م.ن ، 2 / 57 ، البغدادي ، مراصد الإطّلاع ، م.س، 2 / 926

(5) أنظر هذه الأرجوزة في : ابن غازي ، الروض الهتون ، م.س / 14 – 15 ، المقري ، نفح الطّيب ، م.س ، 5 / 353 - 354 ، التنبكتي ، م.س / 159– 160 ، وقد نسب هؤلاء جميعًا الأرجوزة لأبي علي الحسن بن عثمان بن عطيّة الونشريسي . و الأبيات من البحـر المتقـارب وتفعيلاته (فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن)

(6) هـ : « لعزل »

(7) د : « فيه المنكر»

(8) يقصد به عبد الله بن المبارك : أنظر : أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجيّاني (ت 486 هـ / 1093 م) ، ديوان الأحكام الكبرى ، أو الاعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكّام ، تحقيق يحي مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، 2007 / 425

(9) البيت من البحر المتقارب وتفعيلاته (فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن)

ففي " مختصر الواضحة " [1] :

« وعلى [2] القّاضي إذا أقرّ بالجور أو ثبت ذلك عليه بالبيّنة ، العقوبة الموجعة و يعزل ويشّهر ويفضح ، ولا تجوز ولايته أبدًا ، ولا شهادته وإن أحدث توبةً وصلحت حاله بما اجترم في حكم الله تعالى . » [3]

وفي " الذّخيرة " [4] : عن أشهب [5] ومطرف [6] :

« ينبغي للامام أن لا يغفل عن القضاة لأنّهم سنام أمره ، ورأس سّلطانه، فلينظر في أقضيتهم وينفذّها ، وينظر في رعيّته وأحكامها ، وظلم بعضها لبعض، فإنّ النّاس سار بعضهم بسنّة [7] بعض، وليس للبعض من

---

(1) لأبي سعيد خلف بن أبي القاسم محمّد الأزدي القيرواني المعروف بالبرادعي ، الفقيه المالكي ، من تصانيفه كذلك : التهذيب في اختصار المدّونة ، التمهيد لمسائل المدّونة ، كتاب الشرح والاتمامات لمسائل المدّونة ، توفي في حدود (400 هـ/ 1009 م)

أنظر : مخلوف ، م.س / 105 ، الدبّاغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد الأنصّاري (ت 696 هـ / 1296 م) ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، د.ت ؛ 3 / 146-148 ، البغدادي ، هديّة العارفين ، م.س 1 / 347-348 ، الزركلي ، م.س ، 2 / 311

(2) ط ، هـ : - « وعلى »

(3) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 2 / 231

(4) من أهم المصنّفات في الفقه المالكي في القرن السّابع للهجرة / الثالث عشر الميلادي وربّما آخر الأمّهات في هذا المذهب ، تأليف : القرافي شهاب الدّين أحمد بن ادريس (ت 684 هـ / 1285 م) ، الذّخيرة ، تحقيق محمد حاجي ، سعيد اعراب ، محمد بوخبزة (ج1 :تحقيق محمد حجي) ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1994 / 5- 9

(5) أشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسي المعافري الجعدي ، اسمه مسكين ، وأشهب لقبه وكنيته أبو عمرو ، الفقيه المالكي المصري ، تفقه على الامام مالك ثم على المدنيين والمصريين ، انتهت إليه رئاسة المذهب في مصر بعد وفاة ابن القاسم ، روى عن مالك واللّيث والفضيل بن عيّاض وسليمان بن بلال وجماعة ، و روى عنه بنو عبد الكريم وسحنون ، ألّف كتاب في الفقه رواه عنه سعيد بن حسّان ، توفي بمصر عام (204 هـ / 819 م). أنظر ترجمته في :

ابن خلّكان ، وفيات الأعيان ، م.س ،1 / 238 ، ابن العماد ، شذرات الذّهب ، م.س ، 3 / 24- 25 ، القاضي عيّاض ، ترتيب المدارك م.س ، 1 / 259-260 ، السّيوطي جلال الدّين عبد الرحمن (911 هـ / 1505 م) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقق محمّد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط 1 ، 1967 ، 1 / 305 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 59 ، الشّيرازي أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشّافعي (476 هـ / 1083 م) ، طبقات الفقهاء ، تحقيق وتقديم احسان عبّاس ، دار الرّائد العربي ، بيروت ، 1970 / 150 ، الحجوي ، م.س ، 2 / 218- 219 ، الزركلي ، م.س ، 1 / 233

(6) أبو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسّار الهلالي ، ويقال له أبو عبد الله مولى ميمونة أم المؤمنين زوجة النّبي ـصلى الله عليه وسلم ـ وهو ابن أخت مالك بن آنس ، روى عن مالك وغيره وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم والبخاري ، توفي سنة عشرين ومائتين بالمدينة وسنّه بضع وثمانون سنة . أنظر ترجمته في : العسقلاني ، تهذيب التّهذيب ، م.س ، 1 / 91 - 92 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 424 ، ، مخلوف ، م.س ، 1 / 57

(7) هـ : « فتنة »

الفضل على بعض[1] ما يسع الامـام أن يتخلّى عنهم وأن يكلهم إلى قضاتهم، وكان عمـر [2] _رضـي الله عنه_ يستقدم أمراءه كل عام ، ويقـدم معهم من أهل عملـهم رجـالاً، فإن أرادوا بـدل عاملهـم ، عزله وأمرغيـره » [3]

وفي " المدّونة " [4] قال مالك [5] :

« وإذا ظهر الامام على شاهد الزّور ضربه بقدر رأيه، وطاف به في المجالس، قال ابن القاسم [6] : يريد في

---

(1) ض ، ح ، د ، ر : - « بعض »

(2) عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي ، أبو حفص ثّاني الخلفاء الرّاشدين ، وأوّل من لقّب بأمير المؤمنين ، أسلم قبل الهجـرة بخمـس سنين ، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة 13 هـ ، بعهد منه ، وفي عهده فتحت الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيـرة ، وهـو أوّل من وضع للعرب التّاريخ الهجريّ ، وأوّل من دوّن الدّواوين في الاسلام ، جعلها على الطريقة الفارسيّة ، له في كتب الحديث 537 حديثًا ، لقبه النّبي _صلى الله عليه وسلم _ بالفاروق وكنّاه بأبي حفص ، قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي ، غلام المغيرة بن شعبة ، بخنجر في خاصرته ، سنة 23 هـ ، وهو في صلاة الصّبح ، وسنّه ثلاث وستين سنة ، ودفن مع رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ في بيت عائشة .

أنظر ترجمته في :

العسقلاني ، تهذيب التّهذيب، م.س ، 3 / 221-222 ، البعلي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلـي (709 هـ / 1309 م) ، المطلع على أبواب المقنع ، المكتب الإسلامي ، ط 3 ، بيروت ، 2000 / 447، الذّهبي ، العبر ، م.س ، 1 /20 ، الزركلي ، م.س ، 5، / 45

(3) القرافي ، الذّخيرة ، تحقيق محمد حاجي ، سعيد اعراب ، محمد بوخبزة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1994 ، 10/ 128 – 129 ، ابن شاس جلال الدّين عبد الله بن نجم (616 هـ / 1219 م) ، عقد الجواهر الثّمينة في مذهب عالم المدينة ، تحقيق محمّد أبو الأجفان ، و عبد الحفيظ منصور ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت 1995 ، 3 /105

(4) للامام : مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي (179 هـ / 795 م) ، المدّونة ، دار الكتب العلمية (نشرت في أربعة أجزاء من طـرف دار الغرب الاسلامي)، طبعة 1 ، بيروت ، 1994

(5) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري ، شيخ الاسلام حجّة الأمّة ، إمام دار الهجرة و أحد الأئمّة الأربعة عن أهل السنّة ، وإليه تنسب المالكية ، مولده سنة ثلاث وتسعين من الهجرة بالمدينة النّبوية ، أخد العلم عن نافع وسعيد المقبري وعامر بن عبد الله بن الـزّبير وابن المنكدر والزهري وغيرهما، عرف بصلابته في دينه ، بعيدًا عن الأمراء والملوك ، توفيّ بالمدينة صبيحة أربع عشرة من ربيع الأوّل سنة تـسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع ، له من التصانيف : كتاب الموطّأ في الحديث ، كتاب في المسائل ، ورسالة في الرّد علـى القدريـة ، و رسـالة في الوعظ ، وكتاب في النّجوم ، وتفسير غريب القرآن وغيرها من التصانيف . أنظر ترجمته في :

العسقلاني ، تهذيب التّهذيب، م.س ، 4 / 6-8 ، القاضي عيّاض ، ترتيب المدارك، م.س ، 1 / 44 - 49 ، الـذّهبي ، العـبر ،م.س ، 1 / 210 ، الأصبحي إبن آنس، المدّونة ، م.س، 1 / 5، الذّهبي ، تذكرة الحفّـاظ، م.س ، 1 / 207-213 ، االزركلـي ، م.س ، 5 / 257 ، حاجي خليفة ، م.س ، 2 / 1907 ، البعلي م.س / 452 - 453 ، ابن النديم أبو الفرج محمّد بن أبي يعقوب الوراق (380 هـ / 990 م) ، كتاب الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، 1971 ، 6 / 251

(6) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري ويعرف بابن القاسم ، من كبار فقهاء المالكية سمع مالك وأخد عنه الفقه ، حتى غدا أقعد الناس بمذهب مالك ، جمع بين الزّهد والعلم ، توفي في شهر صفر سنة احدى وتسعين ومائة ، له العديد مـن المؤلّفـات أشهرها المدّونة . أنظر ترجمته :

القاضي عيّاض ، ترتيب المدارك، م.س ، 1 / 250-258 ، إبن خلّكان ، م.س ، 3 / 129-130، الذّهبي ، تذكرة الحفّاظ، م.س ، 1 / 356- 357، مخلوف ، م.س ، 1 / 58، السيوطي ، حسن المحاضرة ، م.س ، 1 / 303، الذّهبي ، العبر ، م.س ، 1 / 238، الزركلـي ، م.س ، 3/ 223 ، البغدادي ، هديّة العارفين، م.س ، 1 / 512.

ظني بالمجالس [1] المسجد الجامع ، ولا تقبل له شهادة [2] أبدًا ، [3] وإن تاب وحسنت حالته . وقد كتب عمر بن الخطاب [4] _ رضي الله تعالى [5] عنه _ إلى عمّاله بالشّام[6] إذا أخذتم شاهد الزّور فاجلدوه أربعين جلدة وسخّموا وجهه وطوفوا به حتى يعرفه النّاس، ويطال حبسه ويحلق رأسه. » [7]

وفي " نوادر الشّيخ " [8] قال ابن الماجشون [9] :

« يضرب بالسّوط ويطاف به في الأسواق والجماعات، ولا أرى الحلق ولا السّخم ، كرّه ذلك مالك [10]

---

(1) ط ، ض : « المجالس »

(2) هـ : « شهادته »

(3) هـ : - « أبـدًا »

(4) ح : - « بن الخطّاب »

(5) ض ، ح ، د ، ر : - « تعالى »

(6) بفتح أوله وسكون همزته ، أو فتحها ، اسمها القديم سورى ، وحدّها من الفرات إلى العريش ، طولاً وعرضًا ، من جبل طي إلى بحر الروم وبه من أمّهات المدن ، حمص ، حلب ، حماة ، دمشق ، بيت المقدس ، وفي سواحلها ، عكا وصور وعسقلان.
أنظر : البغدادي ، مراصد الإطلاع ، م.س ، 2 / 775

(7) الأصبحي ابن آنس ، المدّونة ، م.س، 4 / 57 – 58

(8) عنوانه كاملاً : القيرواني أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن (386 هـ / 996 م) ، النّوادر والزيادات على ما في المدّونة من غيرها من الأمّهات ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمد الأمين بوخبزة ،محمد حجي وآخرون، (نشر في خمسة عشرة جزءًا) ، دار الغرب الإسـلامي ، ط 1 ، 1999 ، ويعدّ القيرواني إمام المالكية في وقته وجامع مذهب مالك وشارح أقواله ، يلقّب بمالك الصغير ، توفيّ سنة ســتّ وثمـانين وثلاثمائة ، له أزيد من خمس وثلاثين كتابًا منها : المختصر للمدّونة ، كتاب الرّسالة ، الجامع في السنن والآداب وغيرها .
أنظر ترجمته في :
ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 222-223 ، الدبّاغ، م.س ، 3 / 109-118 ، ابن العماد ، شذرات الذّهب ،م.س ، 4 / 477 ، محمد محفوظ ، تراجم المؤلّفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1982 ، 2 / 443-445

(9) أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سلمة الماجشون ، القرشي التيمي المنكدري ، الفقيه المالكي ، تفقّه علــى الامـام مالك ، وعلى والده عبد العزيز وغيرهما ، و تفقّه عليه خلق كثير و أئمة جلّة كابن حبيب وسحنون ، كان مفتي أهل المدينة في زمانه، تــوفي سنة اثنتي عشرة ومائتين . أنظر ترجمته في :
إبن خلكّان ، م.س ، 3 / 66 ، إبن العماد ، شذّرات الذّهب ، م.س ، 3 / 58 ،الذّهبي ، تذكرة الحفّاظ، م.س ، 1 / 222- 223 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 252 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 56 ، الذّهبي ، العبر ، م.س ، 1 / 285 ، الحجوي ، م.س ، 3 / 95 ، البغدادي ، هديّة العارفين ، م.س ، 1 / 623 ، الزركلي ، م.س ، 4 / 160 ، أحمد تيمور باشا ، ضبط الأعلام ، دار إحياء الكتب العربيــة ، القاهرة ، 1947 / 140 ، محمود مصطفى ، م.س / 37

(10) ط ، هـ : - « مالك »

وأصحابنا ، ورواه مطرف عن مالك . » [1]

وفي " جواهر " [2] جلال الدّين ابن شاس [3] :

« فإن ظهر للقاضي كذب الشّاهد عزّره على الملأ ونادى عليه ، ورأى القاضي أبو بكر[4] أن يُسوّد وجهه،

---

(1) القيرواني ، م.س ، 8 / 389 ، ابن أبي زمنين أبو عبد الله محمّد بن عبد الله عيسى المرّي (399 هـ / 1008 م) ، المنتخب من الأحكام ، ورقة 12 و ، رقم 1368 ، المكتبة الوطنية - الجزائر -

(2) عنوانه كاملاً : ابن شاس جلال الدين عبد الله بن نجم (616 هـ / 1219 م) ، عقد الجواهر الثّمينة في مذهب عالم المدينة ، (نشر في ثلاثة أجزاء) ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، و عبد الحفيظ منصور ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت 1995

(3) ض : « الامام جمال الدين » وهوتصحيف صوابه ما أثبتناه

(3) جلال الدين أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن شاس بن نزار بن عشائر بن عبد الله بن محمّد بن شاس الجدامي السعدي ، الفقيه المصري المالكي ، سمع من عبد الله بن برّي النحوّي ودرس بمصر وأفتى وتخرج به الأصحاب ، ذا ورع وتحرٍ وإخلاصٍ ، امتنع عن الفتوى بعد عودته من الحجّ في آخر عمره ، اشتهر بكتابه الجواهر الثّمينة إذ وضعه على ترتيب الوجيز لأبي حامد الغزالي ، والمالكية عاكفة عليه لكثرة فوائده توفي بدمياط في شهر رجب سنة ست عشرة وستمائة . أنظر ترجمته في :

السّيوطي ، حسن المحاضرة ،م.س ،1 / 454 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب، م.س / 229-230، الذّهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشّار عوّاد معروف ، ومحيي هلال السرحان ،م. س ، 22 / 98 ، إبن خلّكان ، م.س ، 3 / 61، ابن قنفذ ، م.س / 306 ، حاجي خليفة ، م.س ، 1 / 613.

(4) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري ، الاشبيلي المالكي ، الامام العلاّمة خاتم علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفّاظها، سمع ببلده من أبي عبد الله بن عتاب ، وأبي مروان بن سراج ، وعدد كبير من علماء الأمصار ، ولّي قضاء اشبيلية فحمد وأجاد السياسة ، وكان ذا شدّة وسطوة ، ثم عزل فأقبل على التصنيف ونشر العلم ، من تصانيفه : أحكام القرآن ، المسالك في شرح موطأ مالك ، القبس على موطأ مالك بن آنس ، عارضة الأحوذّي على كتاب الترمذي ، القواصم والعواصم وغيرها من المؤلفات الحسنة والمفيدة ، توفي بعدوة فاس ، في شهر ربيع الأول ثلاث وأربعين وخمسمائة . أنظر ترجمته في :

المقري ، نفح الطيب ، م.س ، 2 / 25-43 ، الذّهبي ، تذكرة الحفّاظ ، م.س 4 / 1294 -1297 ، ابن فرحون ، الدّيباج / 376-378 ، الذّهبي ، شذرات الذهب ، م.س ، 6 / 232-234 ، الضبيّ أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (599 هـ / 1202 م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1989 ، 1 / 125-130 ، النباهي ، م.س / 105-107 ، الصفدي ، م.س ، 3 / 265 - 266 ، المقري ، أزهار الرّياض ، م.س ، 3 / 62 - 65 ، الزركلي ، م.س ، 6 / 230

وقال محمّد بن عبد الحكم [1] : إذا صحّ على رجلٍ أنّه يشهد بالزّور، وأنّه يأخذ على شهادته الجعل[2] ويشهد ، رأيت أن [3] يطاف به ويشهّر في المجالس والحلق ، وحيث ما يعرف جماعة الناس، ويكتب عليه بذلك القاضي [4] كتابًا ، ويشهد فيه وينسخه نسخًا [5] ، ويستودعه من يوثّق به في دينه وأمانته ويضربه مع ذلك ضربًا موجعًا ، ولا يحلق له رأسًا ولا لحية قال : ولست أرى أن تجوز له شهادة أبدًا / [6] إذا كان ظاهر العدالة حين يشهد ، قال [7] : لأنّ هذا منه رياء للنّاس و ليس على الدّيانة ، وهذا لا يكاد تعرف توبته. » [8]

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث ، فقيه عصره ، انتهت إليه الرياسة في العلم بمصر ، سمع من أبيه وابن وهب ، وأشهب ، وابن القاسم وغيرهم من أصحاب مالك ، صحب الشافعي وأخذ عنه ، روى عن ابن أبي فديك وآنس بن عيّاض وشعيب ابن اللّيث وغيرهم ، له تآليف كثيرة في فنون العلم والردّ على المخالفين كلها حسان ككتاب : أحكام القرآن ، وكتاب الوثائق والشّروط ، وكتاب آداب القضاة والردّ على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنّة ، توفيّ في ذي القعدة سنة ثمان وستين ومائتين . أنظر ترجمته في :
السبكي تاج الدّين أبو النصر عبد الوهاب بن علي (771 هـ / 1369 م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمّد الحلو ، ومحمود محمّد الطنّاحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1964، 2 / 67-69 ، الذّهبي ، سير أعلام النبلاء ، م.س ، 12 /497-501 ، ابن العماد ، شذرات الذّهب ، م.س ، 3 / 291 ، العسقلاني ، تهذيب التّهذيب ، م.س ، 3 / 608 ، ابن فرحون ، الدّيباج ، م.س / 330- 331، الذّهبي، العبر، م.س ، 1 / 385- 386 ، البغدادي ، هديّة العارفين ، م.س ،2 / 18 ، الزركلي ، م.س ، 6 / 223 .

(2) الجعل : ماجعل على العمل من أجر أو رشوة . أنظر : المعجم الوسيط ، م.س (مادة دمى) / 126

(3) ط : « أنّـه »

(4) ض : « ويكتب عليه القاضي بذلك » ، ح ، ر : - « كتابًا »

(5) ض : « وينسخ نسخًا منه »

(6) نهاية ورقة 03 و (ق)

(7) هـ ، ض : - « قـال »

(8) ابن شاس ، م.س ، 3 / 113- 114 ، ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 2 / 229 -230

وفي "تبصرة الحكّام" [1] عن " تاريخ ابن عبد البر" [2] :

« أنّ صاحب الشرطة ابراهيم بن حسين بن خالد[3] ، أقام شاهد زور على الباب الغربي الأوسط [4] فضربه أربعين سوطًا، وحلّق لحيته، وسّخم وجهه، وأطاف احدى عشرة طوفة بين الصلاتين، يصاح عليه هذا جزاء شاهد الزّور، قال : وكان صاحب الشّرطة هذا فاضلاً خيّرًا فقيهًا عالمًا بالتفسير ولّي الشّرطة للأمير محمّد. [5]

---

(1) عنوانه كاملاً :

ابن فرحون برهان الدّين ابراهيم بن علي (ت 799 هـ / 1396 م) ، تبصرة الحكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه جمال مرعشلي ، دار الكتب العلمية ، (نشر في جزئين) ، ط 1 ، بيروت ، 1995

(2) أبو عبد الملك أحمد بن محمّد بن عبد البر بن يحي ، مؤرخ و فقيه من فقهاء قرطبة بصير بالحديث ، حافظ للرأي ، سمع من محمّد بن أحمد الزرّاد ، وابن لبابة ، وقاسم بن أصبغ وجماعة سواهم ، له كتاب في فقهاء قرطبة ، استعان به الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس ، توفي في السّجن في أواخر رمضان سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . أنظر ترجمته في :

ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 98، ابن الفرضي ، م.س ، 1 / 50-51، الزركلي ، م.س ، 1 / 207

(3) ابراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل ، أبو إسحاق القرطبي ، المحدّث و الفقيه المالكي ، ولّي أحكام الشّرطة للأمير محمّد بن عبد الرحمن له رحلة إلى المشرق ، لقي فيها علي بن سعيد ، وعبد الملك بن هشام ، ومطرف بن عبد الله، وسحنون وغيرهم ، مذكور في المالكية ، بصير بطرق الحجّة ، كان يناظر يحي بن مزين ، ويحي بن يحي ، له مؤلّف في تفسير القرآن ، توفي في شهر رمضان سنة تسع وأربعين ومائتين .
أنظر ترجمته في :

ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 140، ابن الفرضي ، م.س ، 1 / 16، الضبيّ ، م.س ، 1 / 264، كحالّة ، معجم المؤلّفين ، م.س ، 1 / 21 ، الخشني ، م.س / 9

(4) ض : « المغرب في الوسط »

(5) أبو عبد الله محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي ، من ملوك الدّولة الأموية في الأندلس ، ولد بقرطبة سنة سبع ومائتين وولّي الملك بعد وفاة والده سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، ودام ملكه خمس وثلاثين سنة ، كان عالمًا ، فاضلاً ، عاقلاً وفصيحا ، محبًّا للعلماء ، حاكمًا عادلاً كثير المغازي والغارات على الافرنج ، اشتهر بموقعة واد سليط جنوب غرب طليطلة ضد الافرنج ، توفيّ سنة ثلاثة وسبعين ومائتين .
أنظر ترجمته في :

ابن الأبّار أبو عبد الله محمّد بن عبد الله القضاعي (ت 658 هـ / 1260 م) ، كتاب الحلّة السّيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط 2 ، 1985 ،1 / 119، ابن الفرضي ، م.س ، 1 /13 ،الصفدي ، م.س ،3 / 186-187، الزركلي ، م.س ، 6 / 189

وكان أدرك مطرف بن عبد الله صاحب مالك رحمه الله تعالى[1]، وروى عنه"موطّأه " [2] يريد أنّ أفعالــه يقتدى بها . » [3] انتهى .

فانظر كيف اتفقت نصوص المذهب على تعزير من ذكر وعزله ، بل نقل أبو عمر[4] الاجماع على ذلك.

تنبيـــــه :

ظاهر " المدّونة" تسخّيم الوجه وحلق الرأس [5]،لأنّه ذكر ذلك من قول عمر ـرضي الله عنهـ، وعادته عند الأئمّة أنّه لا ينقل من كلام السلف مع الاطلاق إلاّ ما كان موافقًا للمذهب.

قال ابن عبد السلام رحمه الله :

« والظاهر أنّ سحنونًا [6] إنّما يسوّق من فتاوى الصحابة ومن بعدهم في "المدّونة " مـــا يكـــون موافقـــا للمذهب، إمّا نصًا وإمّا إجراءً ، وماكان ظاهره على غيرها نبّه عليه واعتذر . » انتهى.

---

(1) ض : - « تعالى »

(2) الموطّأ : من أمّهات كتب الحديث والسنّة ، ومرجعًا للعلماء والفقهاء ، استغرق جمعه أربعين عامًا ، وفي رواية ستين عامًا ، واضعه الامـــام مالك بن آنس بطلب من أبي جعفر المنصور ليجمع الناس عليه ويحسم به الخلاف ، وافقه عليه سبعون عالمًا من علماء المدينة . وعنوانه كاملاً : مالك بن آنس أبو عبد الله الأصبحي (179 هـ / 795 م) ، الموطأ ، برواية يحي بن يحي بن كثير الأندلسي القرطبي ، ضبط وتوثّيق وتخريج ، صدقي جميل العطّار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط 3 ، بيروت ، 1422 هـ /2002 . أنظر :

مالك بن أنس ، الموطأ ، م.س / 3-4 ، الحجوي ، م.س ، 2 / 114 - 115

(3) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 2 / 230

(4) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر النمري القرطبي ، فقيه حافظ ، عالم بالقراءات وبـــالخلاف في الفقـــه وبعلـــوم الحـــديث والرجال تفقّه عن ابن المكوي ، وابن الفرضي ولازمه كثيرًا ، ، وسمع من كبار علماء الحديث بقرطبة ، ومن الغرباء القادمين إليها ، جمع تآليفاً نافعة منها : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، الاستيعاب ، جامع بيان العلم ، الشّواهد ، الدّرر وغيرها، توفي بشاطبة سنة 463 هـ . أنظر ترجمته في :

الحميدي ، م.س / 367 -368 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب، م.س / 440 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 119

(5) الأصبحي ابن آنس ، المدّونة ، م.س، 4 / 57 – 58

(6) أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التّنوخي القيرواني ، الملّقب سحنون ، سمع عن أئمّة أهل المشرق والمغرب كالبهلول بن راشـــد ، وعلي بن زيّاد وأسد بن الفرات ، وابن عبد الحكم ، وابن الماجشون ، ومطرف ، وأشهب وغيرهم ، وعنه أئمّة منهم ابنه محمّد ، ومحمّد ابـــن عبدوس ، وابن غالب ويحي بن عمر وغيرهم ، انتهت إليه رياسة العلم بالمغرب ، ولّي القضاء بالقيروان سنة أربع وثلاثين ومائتين وسنّه إذ ذاك أربع وسبعون سنة ، من تآليفه المدّونة ، مولده سنة ستين ومائة ، و وفاته في شهر رجب سنة أربعين ومائتين . أنظر ترجمته في :

الدبّاغ ، م.س، 2 / 77-101 ، القاضي عيّاض ، ترتيب المدارك ، م.س ، 1 / 339-363 ، النباهي ، م.س /28-30، الشيرازي ، م.س / 156-157 ، ابن العماد ، شذرات الذّهب ، م.س ، 3 / 182 ، مخلوف ، م .س ،1 / 69-70 ، الزركلي ، م.س ، 4 / 5 ، ، الحجوي ، م.س ، 3 / 99-101 ، محمود مصطفى ، م.س / 122-123

الفصـــل [الثّاني : في صفــة الموثّــق]

وأما صفة الموثّق ، فلا يخلو إمّا أن يكون غير منتّصب أو منتّصبًا، فإن كان غير منتــصبٍ ، فقــال الامــام القاضي أبو محمّد بن عطيّة [1] رحمه الله :

« يجوز للصّبي والعبد والمسخوط [2] كتبها إذا أقاموا فقهها ، وأمّا المنتّصب لكتابتها فقال : لا يجوز للولاّة أن يتركوهم إلاّ عدولاً مرضيين. » [3]

وقال مالك رحمه الله :

« لا يكتب الوثائق بين الناس إلاّ عارف بها ، عدل في نفسه ، مأمون ، لقوله تعالى : ﴿ ولْيَكْتُبْ بَيْـنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ [4] . » [5]

وفي " الغرناطية " [6] :

« يعتبر في الموثّق عشر خصالٍ ، متى عرّي عن واحدة منها لم يجز أن يكتبها وهي : أن يكون مسلمًا ،

---

(1) أبو محمّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطيّة المحاربي ، مفسّر وفقيه أندلسي من أهل غرناطة ، عــارف بالأحكــام والحــديث ، روى عن أبيه الحافظ أبي بكر ، وأبي علي الغسّاني ، والصفدي، وأبي المطرف الشعبي ، وروى عنه أبو بكر بن أبي جمرة ، وأبــو القاســم بــن حبيش وجماعة ، ولّي قضاء المرّية في سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، من مؤلّفاته : المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، وبرنامج ذكر فيــه مروياته وأسماء شيوخه ، توفي سنة إثنتين وأربعين وخمسمائة . أنظر ترجمته في :

ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س /275 ، السّيوطي ، بغية الوعّاة ، م.س ،2 / 73، النباهي ، م.س / 109 ، الزركلي ، م.س ، 3 / 282

(2) المسخوط : سخط عليه سخطًا فهو مسخوط ، أي كرهه وغضب عليه و لم يرضى عنه

أنظر : المعجم الوسيط ، م.س (مادة سخط) / 421

(3) ابن عطية أبو محمّد عبد الحق الأندّلسي (541 هـ / 1146 م) ، تفسير ابن عطية ، أو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيــز ، تحقيــق وتعليق الرحّالة الفاروق ، عبد الله الأنصاري ، عبد العالي السّيد ابراهيم ، محمّد الشافعي ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، دار الخير ، ط 2 ، قطر ، 2007 ،2 / 112 (تفسير الآية 282 من سورة البقرة)

(4) سورة البقرة ، الآية 282

(5) ابن عطية م.س / ص.ن ، الغرناطي م.س / 13 ، ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 200 ، ابن مغيــث ، م.س / 14 ، أبــو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت 486 هـ / 1093 م) ، تنبيه الحكّام على مآخذ الأحكام (مخ) ، ورقة 34 و ، (رقم : 08892 ، المكتبة الوطنية – تونس -) ، المتّيطي ، م.س / ورقة 03 و

(6) عنوانه كاملاً :

الغرناطي أبو اسحاق إبراهيم بن الحاّج بن عبادة الأنصاري (ت 576 هـ ، 1183 م) الوثائق المختصرة ، أعدّها مــصطفى نــاجي ، مركــز إحياء التّراث المغربي ، الرباط ، ط 1، ، (1408 هـ / 1988)

عاقلاً مجتنبًا للمعاصي، سميعًا ، بصيرًا ، متكلمًا ، يقظًا [1]، عالـمًا بفقه الوثائق ، سالـمًا من اللّحن، وأن تصدر عنه بخطٍّ بيّن يقرأ بسرعة وسهولة ، وبألفاظ بيّنة غير محتملة ولا مجهولة . » [2]

قال ابن برّي :

« وزاد غيره ، أن يكون عالمًا بالترسّيل [3] لأنّها صناعة انشاء، فقد يرد عليه ما لم يسبق[4] بمثاله ولاحذى على نعاله ، وكذلك ينبغي أن يكون لديه حظٌّ من اللّغة وعلم الفرائض والعدد ومعرفة النعوت والكنايات [5] وأسماء الأعضاء والشجاج [6] ، وهذه الشروط قلّ ما تجتمع اليوم في أحد وقصاراهم [7] حفظ نصوص الوثائق وربما قصرها بعض قضاة الوقت ، زاده الله مقـتًا على مقت ، على ذوي الوجاهة والتخدّم، ومنعها من أهل الفضل والتقدّم . » [8]

وقد سئل ابن عتاب [9]_رحمه الله _عن رجلٍ ينتمي إلى الفقه توسّل إلى بعض خدمة السّلطان راغبًا في أن تقصّر عقود الوثائق عليه ، فأجابه السّلطان إلى ذلك وعهد إلى من ببلده ألاّ [10] يعقد أحد وثيقة إلاّ هــذا الرجل [11] المتفقّه ، فهل تجوز شهادته وامامته إذ هو امام، فأجاب_ رحمه الله تعالى _ لا أكثر[12] الله أمثال هذا الفقيه إذ طلب ما لا يحلّ له ، فلا تجوز شهادته ولا امامته . [13]

---

(1) ض ، ح ، ر : « يقظانًا »

(2) الغرناطي ، م.س / 13 ، علي النيفر التونسي ، الدّر المنظوم في كيفية كتب الرسوم ، مطبعة الدّولة التونسية ، تونس ، 1298 هـ / 03

(3) التّرسيل : فرع من فروع علم الانشاء ، وهو علم يذكر فيه أحوال الكاتب ، والمكتوب ، والمكتوب إليه ، من حيث الآداب والأحوال والاصطلاحات الخاصة و العبارات الدّالة ،و مبادئه أكثر بديهية ، وبعضها أمور استحسانية تأديبية .

أنظر : طاش كبرى زادة ، م.س ، 1 /248

(4) ر : « يليق »

(5) ط ، هـ ، ح ، د : « الشيّات » ، ض : « المسبّبات » ، ر : – « الكنايات »

(6) هـ : « الشذاذ »

(7) ر : – « قصارهم »

(8) الهوّاري أبو محمّد عبد السلام ، شرح الهوّاري على وثائق البنّاني ، دار الكتب العلمية ، تونس ، 1949 / 6

(9) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عتاب بن محسن ، القرطبي ، مفتي قرطبة وعاملها ، بصير بالحديث ، عالماً بالأحكام والعقود ، تفقّه بابن النجّار ، وابن الأصبغ القرشي ، وابن بشير صحبه اثنتي عشر عامًا ، وكتب له في مدّة قضائه ، روى عن القنازعي ، وابن حوبيل ، وابن الحذاء وسعيد بن سلمة ، وأجازه أبو ذر الهروي ، تفقه به الأندلسيون ، وانتفعوا به ، سمع منه ابنه عبد الرحمن ، وعيسى بــن ســهل ، وأبــو علــي الغساني وغيرهم ، له فهرسة ، توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة وقد نيف عن الثمانين . أنظر ترجمته في :

ابن بشكوال ، م.س ، 3 / 798 – 800 القاضي عياض ، ترتيب المدارك، م.س ، 2 / 353 - 354 ، ابن فرحون ، الديباج المذّهب ، م.س / 370 ، مخلوف ، م.س ، 1 /119 ، الصفدي ، م.س ،4 / 59

(10) ط ، ض ، ح ، د : « أن لا »

(11) ض ، ح ، ر : – « الرجل »

(12) ط ، هـ ، ض ، ح : « كثّر »

(13) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 201 ، ابن مغيث ، م.س / 14 ، أبو الأصبغ ، م.س / ورقة 34 و

قال القاضي أبو الأصبغ بن سهل [1] رحمه الله تعالى :

« و لوكان السّلطان قصر ذلك عليه لبصره بالعقود وثقته وتقصير غيره عن إدراكه فيها، و لم يطلب هــو ذلك ولا رغب [2] فيه لكان حسنًا من فعل السّلطان، وبهذا أمر من النظر للمــسلمين في مــصالح دينــهم ودنياهم . » [3]

« وإنّما يشترط في الوثيقة أن تكون بألفاظ بيّنة، غير محتملة ولا مجهولة، لأنّ الألفاظ قوالب المعاني ومنــها اقتناصها [4]، وهي الكاشفة عنها [5]. » [6]

---

(1) أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني القرطبي ، الامام ، الفقيه ،الموثّق ، تفقّه بابن عتاب ولازمــه ، وأخــد عــن ابــن القطّان ، وحاتم الطرابلسي ، وروى عن مكّي بن أبي طالب ، والحافظ بن عامر ، ويحي القليعي ، وأجازه ابن عبد البر ، وتفقه به جماعة مثــل القاضي أبو محمّد منظور ، وأبو اسحاق بن جعفر ، وأبو عبد الله بن عيسى التميمي ، ولّي القضاء بطنجة ، وغرناطة مدّة ، ثم عــزل بــسبب شدّته وصرامته ، من مؤلّفاته : الاعلام بنّوازل الأحكام ، شرح صحيح البخاري ، التّنبيه على شذوذ ابن حزم ، فهرسة شيوخه ، توفيّ بغرناطة سنة ست وثمانين وأربعمائة . أنظر ترجمته في :

القدّوري سمير ، الفقيه القاضي عيسى بن سهل الأسدي (ت 486 هــ / 1093 م) ، مجلة التاريخ العــربي ، ع 37 ،2006 / 307 -332 ، ابن فرحون ، الديباج المذّهب ، م.س / 282 ، النباهي ، م.س / 96 -97 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 122

(2) ض : « رغــبًا »

(3) أبو الأصبغ ، تنبيه الحكّام ، م.س / ورقة 34 و ، ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 199 - 200

(4) هــ : « إقتباصها »

(5) ض : - « عنها »

(6) أنظر : الجزيري علي بن يحي بن القاسم (ت 585 هــ / 1189 م) ، المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود، (مخ) ، ورقة 01 ض ، (رقم : 00539 ، المكتبة الوطنية - تونس -)

ومن الألفاظ المجملة [1] كالمشترك نحو شرى يقال للبائع والمبتاع، وغريم يقال للطالب والمطلــوب، وزوج يقال للرجل والمرأة، ومختار يقال للجيّد والدنئ [2] ، وعين يقال لأحد النقدين ولعين الماء وغيرهما ، ومنها العام الذي لا يعرف المراد منه إلاّ بتخصّيصه كالعبد والولد[3] والفرس ونحوه، ومنها المطلق الذي يفتقد [4] في البيان إلى التّقييد[5] كرجل وامرأة ودابة ودار ونحوه، فلا بدّ من بيان المجمل وتخصّيص العام وتقييد المطلق ، وأمّا اشتراط السّلامة من اللّحن ، فإن كان لحنه يغيّر المعنى بحيث يصير المبتاع بائعًا والمطلــوب طالبًــا ، ويقصّر عن معرفة العوامل والتثنية والجمع ونحو ذلك ، فلا يجوز أن يكتب بين الناس اتفّاقًا .

وظاهر كلام أبي محمّد الوتد [6] أنّ معرفة النّحو للموثّق شرط كمال .

وقال القاضي أبو القاسم خلف بن كوثر [7] :

« اللّحن [8] خطأ، والخطأ ليس من العدل ، وقد أمر الله تعالى [9] الكاتب أمر ايجاب أن يكتــب بالعــدل، واللّحن ربّما قلب الكلام عن جهته [10] وأخلاه عن المعنى المراد به، حتى يصير الذي له الحق عليه الحــق ، والذي عليه الحق [11] له الحق ، وهذا من الظّلم الذي لا يحّل . »

---

(1) ط : « المحتملة » ، هـــ : « وهي الألفاظ المجملة »

(2) ض : « الرديء »

(3) ط ، ض ، ر : « و الدار »

(4) ط : « يحتاج »

(5) ض : « إلى البيان وإلى التقييد »

(6) أبو محمّد موسى بن أحمد ، ويقال ابن محمّد بن سعيد بن الحسن اليحصبي القرطبي ، يعرف بابن الوتد ، سمع من قاسم بن محمّد، وأحمــد بن مطرف ، ومحمّد بن يحي بن عبد العزيز ونظرائهم ، كان بصيرًا بالشّروط وله فيها تأليف حسن ، توفيّ في شهر ربيــع الأوّل ســنة ســبع وتسعين وثلاثمائة . أنظر ترجمته في :

ابن بشكوال ، م.س ، 1 / 79 القاضي عيّاض ، ترتيب المدارك، م.س ، 2 / 250 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ،م.س / 423

(7) أبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف بن كوثر ، قاضي وفقيه مالكي ، وليّ القضاء باشبيلية مرتين ، من بيت علم وعدالة ، تمرّن في عقــد الشروط وكتابة الوثائق ، وسلك في ذلك مسلك النزاهة والعدل ، أخد عن ابن العربي ، والسلفي ، وقاضي الحرمين أبي المظفر وغيرهم ، روى عنه أبو سليمان ، وأبو محمد ابنا حوطا الله وغيرهما ، وله في الفرائض تعاليق كبير ووسيط وضغير ، توفي في شعبان سنة ثمان وثمانية وخمسمائة . أنظر ترجمته في :

الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 66 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 159 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ،م.س / 122 ، الزركلي ، م.س ، 1 / 216

(8) اللّحن : هو الخطأ في الاعراب .

أنظر : محمود المصري ، تأصيل قواعد النصوص عند العلماء العرب المسلمين ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد 49 ، نــوفمبر 2005 / 175

(9) د : – « تعالى »

(10) ط : « جهة »

(11) ط : – « والذي عليه الحق »

ومما يبيّن ذلك ويوضّحه، لو أنّ رجلاً يكنّى أبا عمر [1] استسلف مالاً من رجلٍ يكنّى أبا بكر، ثم صـــرفه إليه، فكتب الكاتب بينهما كتابًا فقال : أبرا أبا بكر أبو عمر [2] من كذا وكذا دينارا كانت له عليه من سلف أسلفه ، لقلب لحنه في الاعراب المعنى عن وجهه، وجعل البراءة لمن ليست له ، وإن كان لا يحيل[3] الكلام عن وجهه [4] فإنّه شين بالكاتب وحجة عليه .

وفي المثل : « اللّحن في الكاتب [5] كالجذري في الوجه [6] » [7]

وأما اشتراط كونه متكلّمًا ، فلأنّ الأخرس لا يتمكن من استفسار الحق [8] واستكشافه عمّا أجمل عليه من المعاني ومراجعته في التقدير على [9] أغراضه وقصده .

---

(1) ط : « أبا عمرو »

(2) ط : « أبو عمرو »

(3) د : « لا يجيد »

(4) ط : « وجعل البراءة لمن ليست له، وإن كان لا يحيل الكلام عن وجهه »

(5) ط ، هـ : « في الكلام »

(6) ط : « في الخيل »

(7) إبن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463 هـ / 1070 م) ، بهجة المجالس ، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهــاجس ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1981 / 65 (وقد نسب هذا القول لعبد الله بن المبارك ، وجاء فيــه : اللحــن في الكلام أقبح من أثار الجدري في الوجه)

(8) ط ، هـ ، ح ، د : « المملي »

(9) هـ : « في التقرير عن »

وفي "المدّونة" :

« ما يقتضي أنّ إشارة الأخرس تقوم مقام النطق، وذلك في الايمان والطّلاق واللّعان والحمّالة، فأخذ منها شهادته وهو صريح في الزّاهي [1] والتّلقين [2] ، وفيها بيّن ابن العطّار[3] وأصحابه تنازع. » [4]

وفي "تبصرة الحكّام" :

« ينبغي للكاتب أن يكون فيه من الأوصاف ما نذكره ، وهو أن يكون حسن الكتابة، قليل اللّحن، عالمًا بالأمور الشرعيّة، عارفًا بما يحتاج إليه من الحساب والقسم الشرعية، متحليًا بالأمانة، سالكًا طرق [5] الدّيانة والعدالة، داخلاً في سلك الفضلاء ، ماشيًا على نهج العلماء الأجلاّء . » [6]

قلت : تأمّل قوله : قليل اللّحن مع قول الغرناطي [7] : سالمًا من اللّحن . [8]

---

(1) عنوانه الزّاهي في الفقه ، لمؤلّفه أبو اسحاق محمّد بن القاسم بن شعبان ابن القرطي، رأس الفقهاء المالكيين بمصر في وقته ، له من المؤلفات كذلك : أحكام القرآن ، مناقب مالك ، شيوخ مالك ، مختصر ماليس في المختصر وغيرها ، توفيّ في شهر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وسنه جاوز الثمانين .

أنظر ترجمته في : ابن فرحون ، الديباج المذّهب ، م.س / 345 – 346 ، الزركلي ، م. س ، 6 / 335

(2) القاضي أبو محمّد عبد الوهاب البغدادي المالكي (ت 422 هـ / 1030 م) ، التّلقين في الفقه المالكي ، ، دار الفكر ، بيروت ،1995

(3) أبو عبد الله محمّد بن أحمد المعروف بابن العطّار الأندّلسي ، إمام وفقيه وعارف بالشّروط ، أخد عن جماعة منهم أبو عيسى الليثي ، وأبو بكر بن القوطية، وعنه ابن الفرضي وغيره ، توفيّ في ذي الحجّة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، من مؤلفاته :كتاب الشّروط وعللها.

أنظر ترجمته في : ابن بشكوال ، م.س ، 2 / 709 – 710 ، الحميدي ، م.س / 85 ، إبن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 364، مخلوف ، م.س،1 / 101

(4) مالك بن آنس ، المدّونة ، م.س ، 4 / 115 – 116 ، القاضي أبو محمّد ، م.س / 567 (باب الشهادات : شهادة السماع)

(5) ط ، هـ : « طريق »

(6) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 200 ، الأسيوطي شمس الدين محمّد بن أحمد المنهاجي (ت 880 هـ/ 1475 م) ، جواهر العقود و معين القضاة و الموقعين والشهود ، مطبعة السنّة المحمديّة ، ط 2 ، القاهرة ، 1954 ، 1 / 07

(7) أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصّاري الشهير بالغرناطي ، فقيه أندّلسي ، عارف بالفقه حافظ له ، بصير بالوثائق ولد ونشأ بغرناطة ، وولّي القضاء في بعض أعمالها ، وبجهات شتى كان أخرها ميورقة ، له مختصر في علم الشروط ، أو مايعرف بالوثائق المختصرة ، توفي في شهر صفر سنة 726 هـ . أنظر ترجمته في :

النباهي ، م.س / 116 – 117 ، الزركلي ، م. س ، 1 / 29

(8) الغرناطي ، م.س / 13

ابن كوثر :

« ينبغي للموثّق أن يكون ذا حظٍّ من علم الفرائض [1] والحساب، فقد ذكر عن رجل كان يوثّق [2] ، كتب [3] وثيقة ميّتٍ [4] وعدّة ورثة فقال : وأحاط بوراثته في علم البيّنة أبواه وأخواه فلم يعرف الحاجب في الميراث من المحجوب، وقد رأيت في زماننا هذا كثيرًا من مثل هذا ، وقد وردت أوّل ولايتي[5] فريضة اقتسمت على/ [6] خطأ قبل ذلك بمدّة كان قد ورث فيها من لم يكن له في الميراث حق، وحرم من كان له الميراث . »

وكتب آخر في كتابة عقدها : كاتب فلان عبده فلانًا بتسعين مثقالاً نجمها عليه على ستة أنجم معتدلة يؤدي إليه عند انقضاء كل نجم ثلاثة عشر مثقالا غير ثلث، فليت شعري كيف حسب هذا ومن أي شيء بناه أن يجعل سدس تسعين ثلاثة عشر غير ثلث، فأي نقيصة أعظم من الجهل ؟ وهل يصلح بمن هو على هذه الصفة [7] أن يقرّ[8] من نفسه من لا يعلم منزلته من الجهل ومكانه [9] من الخطأ.

ابن لبابة [10] :

« ينبغي لمرسم الوثائق أن لا يخلو من ثلاثة : فقه يعقد به الوثيقة [11] ويضع كل شيءٍ منها موضعه ، وترسيلٌ يحسن به مساقها [12] ، ونحوٌ لاجتناب اللّحن فيها [13]. » [14]

---

(1) ط : « الفرض »

(2) هـ : « موثّقا »

(3) ط : « فكتب »

(4) ط ، هـ ، ض : « موت »

(5) ط ، هـ ، ض : + « ولايتي »

(6) نهاية ورقة 3 ض (ق)

(7) ط : « الحالة »

(8) ط : « يغير »

(9) ط ، ح ، د : « مكانته »

(10) أبو عبد الله محمّد بن يحي بن عمر بن لبابة ، فقيه مالكي أندلسي ، وكاتب للشّروط والوثائق ، من أهل قرطبة ، سمع من عمه محمّد بن عمر بن لبابة ، ومن حماس بن مروان ومن غيره ، ولّي قضاء البيرة والشورى بقرطبة ، وعزل عنهما ، ثم أعيد الى الشورى مع خطة الوثائق ، توفيّ سنة ثلاثين وثلاث مائة ، له من المؤلّفات في الفقه وغيره منها : المنتخب في فقه المالكية . أنظر ترجمته في :

ابن الفرضي ، م.س ، 2 / 53 – 54، الحميدي ، م.س / 63 - 64 ، الخشني ، م.س / 179 ، الزركلي ، م. س ، 7 / 136

(11) ر : « الوثائق »

(12) ط : « بمساقها »

(13) د : - « فيها »

(14) المتّيطي ، م.س / ورقة 01 ض ، علي النيفر التونسي ، م.س / 03

المتّيطي [1] :

« وينبغي له مع ذلك أن يكون عارفًا بالحلال والحرام، بصيرًا بالسنن والأحكام، ومـا تُوجِبُـهُ تـصاريف الألفاظ وأقسام الكلام ، ويطالع مع ذلك من أجوبة المتّأخرين وما جرى به العمل بين المفتين، ما يكون له أصل يعتمد عليه، ويرجع في نّوازل الأحكام إليه، تشتمل عليه حلاوة الشمائل، وحفظ المسائل [2] كمـا قال القائل :

عـليك بكاتب لبق رشيـق   ذكّي فـي شمـائلـه حرارة [3]

تنـاديـه بطرفـك من بعيد   فيفهم رجع لحظك [4] بالاشارة » [5]

« ويكون له حذق [6] ومهارة بكتب الشّروط والاقرارات والمحاضر والسّجلات [7]. » [8]

ابن العربي :

« الشّرط في العربية هو العلاّمة ، ومنه أشراط [9] السّاعة ، وهو عبارة عن كلّ شيءٍ يدّلُ على غيره ويعلم من قبله ، ولّما كانت العقود يعرف بها ما جرى سميت شروطًا ، وسميت وثائقًا من الوثيقة ، وهي

---

(1) أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن محمّد الأنصاري المالكي ، المعروف بالمتّيطي ، السبتي ، الفاسي ، امام وفقيه وعارف بالشّروط وتحرير النّوازل ، لازم بفاس أبا الحجّاج المتّيطي وبه تفقه وبين يديه تعلم الشّروط ، ولازم بسبتة القاضي أبا محمّد ابن أبي عبد الله التميمـي ، وكتب للقاضي أبي موسى عمران بن عمران ، توفيّ سنة سبعين وخمسمائة ، من مؤلّفاته : كتاب كبير في الوثائق سمـاه ، النّهايـة والتّمـام في معرفة الوثائق والأحكام .

أنظر ترجمته في : مخلوف ، م.س ، 1 / 163 ، البغدادي ، ايضاح المكنون ، م.س ، 2 / 692

(2) ط : مكررة « وحفظ المسائل »

(3) د : « حلاوة »

(4) ط ، هـ : « مرجع طرفك »

(5) ابن مغيث ، م.س / 13 (وقد نسب هذا البيت للشّاعر ابن عبد الربيع ، كما ورد البيت بنصّه دون ذكر للقائل في : ابن عبد ربه أحمد بن محمّد الأندّلسي (ت 328 هـ / 939 م) ، العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983، 4 / 254

(البيتان من البحر الوافر و تفعيلاته : مفاعلتن ، مفاعلتن ، مفاعلتن)

(6) د : « ذا صدق »

(7) ض : « والمسائل والمبالات »

(8) المتّيطي ، م.س / ورقة 01 ض

(9) ط ، ر : « اشتراط »

ربط الشيء لئلاّ ينفلت[1] ويذهب ، وسميت عقودًا لأنّها ربطت كتابةً[2] كما ربطت قولاً[3] ، وقد أمر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز بقوله سبحانه[4] : ﴿ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَّيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾[5] انظر كلامه على الآية في أحكامه القرآنية . »[6]

ابن فتوح[7] :

« وينبغي لمن أراد محاولة هذا الفّن، أن تكون بغيته احسانه إذْ به تتّحصّن أموال المسلمين، وفروجهم ودماؤهم[8]، لأنّ المقصّر فيه[9] يغترّ به المسلمون ويعقد لهم ما ينحلّ لهم عند الحاجة . »[10]

الجزّيري[11] :

« ومدار التّوثيق[12] على معرفة الفقه والأحكام ، والفهم لمعاني الكلام ، فإذا رام العاقد المحسن عقدًا

---

(1) د : « ينقلب »

(2) ط ، هـ ، ض ، ح ، د ، ر : « كتبه »

(3) هـ ، ر : « قوله »

(4) هـ : - « سبحانه »

(5) سورة البقرة ، الآية 282

(6) ابن العربي ، م.س ، 5 / 220

(7) أبو محمّد عبد الله بن فتوح بن موسى بن أبي الفتح بن عبد الواحد الفهري البونتي (بونت : حصن بالأندلس) المحدّث المالكي ، من تصانيفه : كتاب في الوثائق والأحكام ، وهو كتاب حسن ومفيد ، وله كذلك اختصار المستخرجة ، وكتاب المؤتلف ، توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة . أنظر ترجمته في :

ابن بشكوال ، م.س ، 2 /428 ، كحّالة ، معجم المؤلفين ، م.س ،2 / 268 ، البغدادي ،هديّة العارفين ، م.س ، 1 / 452

(8) د : « وأموالهم »

(9) ط : « به »

(10) لم أقف على وثائق ابن فتوح .

(11) أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم الصّنهاجي ، أصله من بلاد الرّيف بالمغرب ، ونزل الجزيرة الخضراء فنسب إليها ، فقيهًا متمكنًا ، امتهن التّدريس وعقد الشروط ، ثم ولّي قضاء الجزيرة ، له تأليف مختصر مفيد سمّاه : المقصد المحمود في تلخيص العقود ، توفيّ في الجزيرة الخضراء في شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وخمسة مائة .

أنظر ترجمته في : مخلوف ، م.س ، 1 / 158، كنّون ، م.س ، 1 / 146

(12) ط : « الوثيق »

من العقود ، ربط أصوله وهذّب فصوله ، وسدّ مسالك الخلل، وعفا موارد الزّلل [1] ، حتى لا يجد النّاقد مدخلاً للحلّ[2]، ولا لينًا في ألفاظ الوثيقة يتأتّى فيها الغّل [3] ، ويجب عليه أن يتّقي الله تعالى ، ويكتب كما علّمه الله تعالى ، وينصح لما استعمله ويتوثّق [4] للمُحق ، ويتحرز من ابطال حق . » [5]

ابن مغيث : « يجب على مرسّم الوثائق أن يتجنّب في ترسيمها الكذب والزّور، وما يؤدّيه إلى ترسيم الباطل والفجور، فإنّ النّاقد بصير، يسأله عند وقوفه بين يديه على النقير[6] والقطمير[7]. » [8]
وقد قال ابن أبي زمنين [9] رحمه الله تعالى :

أيَـاذا [10] الوثائـق لا تغترر[11]	بما في يديك مـن المرتقـب
فإنّـك مهمـا تكـن عاقـدًا	لـزُورٍ تزخر فيه أو كَـذِب

---

(1) ط : « الخلل الزلل »
(1) الزّلل : مواضع السقط أو الخطأ . أنظر : المعجم الوسيط ، م.س ، / 398 (مادة نقر)
(2) ض : « الخلل »
(3) ط : « الفر » وهي تصحيف صوابه ما أثبتناه في النص
(3) الغّل : التدّخل في الجملة ومحاولة التوسط والتغيير في الألفاظ . أنظر : المعجم الوسيط ، م.س ، / 659 (مادة غّل)
(4) ط : « ويوثّق »
(5) الجزّيري ، م.س / ورقة 01 ض ، ورقة 02 و
(6) النقير : النكتة على ظهر النواة ، ومنها تنبت النخلة . أنظر : ابن منظور ، م.س ، المجلد 6 ، 48 / 4519 (مادة نقر)
(7) القطمير : القشرة الرّقيقة التي على النّواة ، بين النّواة والتمر. انظر : ابن منظور ، م.ن ، المجلد 5 ، 39 / 3682 (مادة قطمر)
(8) ابن مغيث ، م.س / 14 (بتصرف)
(9) أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن عيسى بن محمّد بن ابراهيم المعروف بابن أبي زمنين ، من أهل البيرة بالأنـدّلس ، مـن كبـار المحـدّثين والفقهاء ، متضلّعًا في الأدب والأخبار والنّحو ، وقرض الشعر ، سمع من سعيد بن فحلون ، ومن محمّد بن معاوية القرشي وأحمد بن مطـرف وغيرهم، وعنه يحي بن محمّد المقامي ، وأبو عمر بن الحذاء وأبو عبد الله بن الحصّار ، له تآليف مفيدة في الوثائق والزّهد والمواعظ منها : المنتخب في الأحكام ، اختصار شرح الموطأ لابن مزين ، وأصول الوثائق وغيرها من المؤلّفات الكثيرة ، توفي بالبيرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، عن خمس وسبعين سنة . أنظر ترجمته في :
ابن بشكوال ، م.س ، 2 /707 – 708 ، الحميدي ، م.س / 56 - 57 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 101 ، الحجوي ، م.س ، 3 / 123 – 124 ، البغدادي ، هديّة العارفين ، م.س ، 2 / 58 ، سزكين فؤاد ، تاريخ التّراث العربي ، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ، إدارة الثقافـة والنشر بجامعة الامام محمّد بن سعود ، الرّياض ، المملكة السعودية ، 1991 ، 1 / 107 – 108
(10) ط : « ياذا »
(11) ط : « تعتذر

فإنّ العظّيمَ [1] محيط بهِ [2] ويعلمهُ من وراء الحجب [3]
فكن حذِرًا من عقوباته [4] ومن هول نارٍ[5] تُرى تلتهب
ولا تنس أهوال يوم اللّقا فكم فيه من روعة تُرتقب » [6]

وفي " تنبيه الحكّام على مآخذ [7] الأحكام " [8] :

« لا ينبغي أن ينتصب لكتابة الوثائق [9] إلاّ العلماء العدول ،كما قال مالك ـ رحمه الله ـ : لا يكتب الوثائق بين النّاس إلاّ عارف بها ، عدل مأمون في نفسه على ما يكتبه [10] ، لقوله تعالى : ﴿ **وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ** ﴾ [11] ، وأمّا من لا يحسن وجوه الكتابة ، ولا يقف على فقه الوثيقة ، فلا ينبغي أن يُمَكَّنْ من الانتصاب لذلك لئلاّ يفسد على النّاس كثيرًا من معاملاتهم، وكذلك إذا كان عالًما بوجوه الكتابة إلاّ أنّه مُتّهم في دينه، فلا ينبغي أن يمكّنَ من الانتصاب لذلك ، وإن كان لا يضع اسمه بشهادة فيما يكتب، لأنّ مثل هذا يعلّم النّاس وجوه [12] الشّر و الفساد، ويلهمهم تحريف المسائل لتوجّه [13] الاشهاد

---

(1) ط : « الإله »

(2) هـ : مكررة « فإنّ العظّيم محيط به »

(3) د : « الحجاب »

(4) ط ، د : « عقوبته »

(5) ط : « ومن نار هول »

(6) ابن مغيث ، م.س / 14 (و الأبيات من البحر المتقارب ، وتفعيلاته : فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن) وتكملة الأبيات :
فكن حذرًا من عقوباته ومن جحيم تراها تلتهب

(7) ط ، هـ : « مآثر » والصواب ما أثبتناه

(8) عنوانه كاملاً : أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت 486 هـ/ 1093 م) ، تنبيه الحكّام على مآخذ الأحكام (مخ) رقم : 08892 ، المكتبة الوطنية ، تونس)

(9) ط : « الوثيق »

(10) ط : « يكتب » ، ض : « عدل في نفسه مأمون على مايكتبه »

(11) سورة البقرة ، الآية 282

(12) هـ : « وجود »

(13) د : « وقت »

فكثيرًا ما يأتي النّاس اليوم يستفتون في نّوازل من المعـاملات الربويـة ، والمـشاركة الفاسـدة والأنكحـة المفسوخة، ونحو ذلك ممَّا لا يجوز ، فإذا صرفهم عن ذلك أهل الدّيانة أتوا إلى مثل هؤلاء فحرّفُوا ألفاظهم، وتحيلوا لها بالعبارات التي ظاهرها الجواز، وهي مشتملة على صريح الفساد، فضلُّوا وأضلُّوا ، وقد تمالى كثير من النّاس على التّهاون [1] بحدود الاسلام، والتلاعب في طرق الحرام ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الذِّينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** [2] » [3]

تنبيــــه :

بما تقدّم نقله عن ابن عطيّة ، والغرناطية، والتبصرة ، وتنبيه الحكّام من اشتراط عدالة الكاتب :
يتضّح رد ما حدّثني به شيخنا الحاج الامام القاضي العلاّمة [4] الرحّال أبو عبد الله محمّد ابن أحمد العقباني رحمه الله تعالى [5] عن جدّه الأعلى الشّهير الكبير قاضي الجماعة بتلمسان [6] أبي عثمان سعيد العقباني [7] _

---

(1) د : - « على التهاون »

(2) سورة الشعراء ، الآية 227

(3) أبو الأصبغ، تنبيه الحكّام ، م.س / ورقة 34 و

(4) ض : - « القاضي العلامة »

(5) ط ، هـ : + « تعالى »

(6) بكسر التاء و اللام و سكون الميم ، و فتح السين المهملة ، و ألف و نون و بعضهم يقول « تنمسان » بالنون عوض اللام و هي تسمية بربرية مؤلفة من كلمتين هما « تلم » و معناها « تجمّع » و« سان » و معناها « إثنان » و تعني بذلك « تجمع إثنين » و هما البرّ و البحر ، أي أنها تجمع بين طبيعة البرّ و البحر ، تقع في سفح جبل « طرارة » و تشرف على ساحل البحر ، جميلة المنظر مقسومة بإثنتين بينهما سور « تافرزت ، أقادير » و بظاهرها موضع يعرف بالعبَّاد ، و هو مدين الصالحين و أهل الخير ، و هي قاعدة مملكة ، ملوكها من بني عبـد الـواد من زناتة ، و في غرب تلمسان بانحراف نحو الجنوب مدينة فاس التي لا تبعد سوى عشرة أيام عنها ، ومن أشـهر آثـاره الاسـلامية مـسجد تلمسان الجامع ، وسورها الموحدّي ، وقبر أبو عبد الله السنوسي، والمدينة حاليًا تقع ضمن دولة الجزائر في أقصى الغرب .
أنظر : ياقوت الحموي ، م.س ، 2 / 44 ، أبو الفداء ، م.س / 136- 137، البغـدادي ، مراصـد الاطّـلاع ، م.س ، 1 / 272 – 273 ، العفيفي ، م.س / 167 - 168

(7) أبو عثمان سعيد بن محمّد العقباني التلمساني ، قاضي و فقيه مالكي من أهل تلمسان ، أخد عن السّطي وإبني الامام وبهما تفقّـه ، وعنـه ولده قاسم العقباني وابراهيم المصمودي ، وابن مرزوق الحفيد ، وأبو العبّاس ابن زاغو وغيرهم ، تولّى قضاء بجاية وتلمسان ، وسلا ومـرّاكش ومدة ولايته تنيف عن الأربعين سنة ، له كتب منها : شرح جمل الخونجي ، والعقيدة البرهانية ، وشرح الحوفية ، والمختصر في أصـول الـدين وغيرها ، توفي سنة (811 هـ / 1407 م) . أنظر ترجمته في :
ابن مريم ، م.س / 106 – 107 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 250 ، الزركلي ، م.س ، 3 / 101

رحمه الله تعالى _ [1] ، أنّه لّما ولاّه أمير المسلمين [2] المتوكّل على الله [3] أبو عنان فارس بن علي بن عثمان قضاء بجاية [4]_ حماها الله تعالى _ [5] ، وجد فيها علمًا [6] من أعلام الموثّقين وذوي الشّياخة و السّن فيهم[7] والمعرفة التّامة بالوثائق وعللها [8] والعلم الغزير [9] ، يعرف بابن الهُمَام [10] فرفع يده عن الشهادة لأمر تواتر عليه [11] _ سامحه الله تعالى _ [12] وغفر لنا وله ، وأطلق يده على الكتب دون وضع الشهادة . وكذلك يرد اضطّراب الشّيخ الامام أبي عبد الله ابن عرفة [13] _ رحمه الله تعالى _ في هذا لأنّه قال مرة :

---

(1) ض : - « رحمه الله تعالى » ، ح ، د ، ر : - « تعالى »

(2) ح : « المؤمنين »

(3) ض : + « على الله »

(4) بجاية : بالكسر ، وتخفيف الجيم ، وألف وباء ، وهاء ، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، وهي في الوقت الحاضر مدينة جزائرية لاتبعد سوى مائتي كيلومتر ، عن العاصمة الجزائرية ، أسّست من طرف الفينيقيين وأطلقوا عليه اسم صلداي ، وفي عهد الروم البيزنطيين ، سكنها البربر من قبيلة البرانس ، ثم دخلها الاسلام سنة (61 هـ/680 م) ، فتحها أبو المهاجر دينار على عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم ، من آثارها الاسلامية ، قصر اللؤلؤة ، وقصر بلاّرة اللذان بناهما النّاصر بن علناش سلطان دولة بني حمّاد .
أنظر : البغدادي ، مراصد الاطّلاع ، م.س ، 1 / 163 ، ، العغيفي ، م.س /101 - 102

(5) ط ، ض ، ح ، د ، ر : - « تعالى »

(6) ط ، ض ، د : « عالًما »

(7) ط : « ذو الشماخة » ، هـ ، د ، ر : « الشماخة » ، ض : « الشياخة فيهم والسّن » ، ح : « الشاخة »

(8) هـ : « علمها »

(9) هـ : « القلم العزيز »

(10) لم أقف على ترجمته

(11) ط ، ح ، د : « عنه »

(12) ض ، ح ، د ، ر : - « تعالى »

(13) أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عرفة الورغمي التونسي ، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره ، تفقّه على الامام أبي عبد الله محمّد بن عبد السلام ، ومحمّد بن هارون ، ومحمّد ابن الحاجب ، وإبن قدّاح ، وغيرهم ، أخد عنه البرزلي والآبلي ، وابن ناجي ، وابن مرزوق الحفيد وابن فرحون ، تولّى إمامة الجامع الأعظم سنة 750هـ ، وقدم لخطابته سنة (772 هـ/1370 م) ، وللفتوى عام (773 هـ/ 1371 م) ، من كتبه : المختصر الكبير في فقه المالكية ، والمختصر الشامل في التّوحيد ، ومختصر الفرائد ، والمبسوط في الفقه وغيرها ، توفي سنة (803 هـ/ 1400 م) أنظر ترجمته في :
ابن مريم ، م.س / 190 -197 ، ، مخلوف ، م.س ، 1 / 227 ، السّيوطي ، بغية الوعّاة ، م.س ،1 / 229 – 230 ، السخاوي ، م.س ، 9 / 240 -242 ، الذّهبي ، شذرات الذهب ، م.س ، 9 / 61 – 62 ، ، الزركلي ، م.س ، 7 / 43

ينبغي للموثّق أن يكون عارفًا بالوثائق ، وأن يكون مستور الحال في دينه، ومرّة أجاز ذلك مطلقًا وقال : العمل على شهادة الشاهد ، ومرّة قال : إن كان شاهده ديِّنًا، فَطِنًا، عارفًا، فلا تبالي بالموثّق، وإن كـان على خلاف ذلك ، فلا بدّ فيه من شرط الدّيانة والصّيانة.

أبو الفرج التّونسي [1] :

« من جهل الحكم الشّرعي لم يوثّق بوثائقه ، وهي وثائق غير وثائق ، ولا يدخل في سائر الصناعات، ولا ينتصب للحكم الشّرعي إلاّ من ثبتت دّيانته وأمانته ومعرفته، وهذه الشّروط متفّق عليها، وعلى من مكنّـه الله تعالى وبسط يده النظر في ذلك بما يجب ، وإن تأخر عنه كان حرجًا [2] آثمًا . »

ابن مغيث :

« اعلم أعزّك الله بطاعته [3] أن معاني الوثائق محجوبـة في الـصّدور، مـشهورة [4] في الآذان ، مختلجـة بالنفوس، متّصلة بها ، وهي كاللآلئ [5] المكنونة في أصدافها والنّار المخبّأة [6] في أحجارها، فإن أظهـرت اللؤلؤ من أكنانه [7] و أبدته [8] تبيّن لك [9] حسنه وجماله، وإن قدحت النّار مـن مكامنـها وأحجارهـا، انتفعت بها وظهر ضوءها، ورسوم الوثائق إنّما يستبين الكامن [10] من جوهرها، ويخرج المستتر من ألفاظها بحركات المستخرج لها بحسن الاشارة، وحلاوة اللّفظ والعبارة، ونظم الحرف بمثله حتى ينتـصّب صـورًا ناطقة تعرب [11] عن أنفسها [12]، وتدّل على عيونها، فكلما قرب لفظ الكلام كان أفصح، وكلما اختصر

---

(1) محمّد بن محمّد بن أبي القاسم ابن جميل التونسي الأصل ، من علماء المالكية ، سمع من ابن خطيب المزة ، وغازي الحلاّوي ، وعبد العزيز ابن الحصري ، وابن دقيق العيد أخد عنه الندرومي بالقدس سنة (758 هـ / 1356 م) ، وخرجت له مشيخة ، وأستقرّ بمصر ، توفي سنة (763 هـ / 1362 م) . أنظر ترجمته في :
العسقلاني ، الدّرر الكامنة ، م.س ، 4 / 246- 247 ، الزركلي ، م.س ، 7 / 37

(2) ض : « كان عليه وزر »

(3) ط ، ض ، ح ، ر ، هـ : - « بطاعته »

(4) ط ، ض ، ح : « ومشهورة »

(5) ض : « كاللؤلؤ »

(6) ط ، ض ، ح ، د : « المخبوءة » وهي تصحيف صوابه ما أثبتناه في النص

(7) ض : « أكمامه » ، د : « فإن ظهر اللؤلؤ من أكنانه »

(8) ط ، ض ، ح ، ر ، هـ : - « وأبدته »

(9) ط ، ض ، ح ، ر ، هـ : - « لك »

(10) ض : « المكان »

(11) ط : « تغرب » وهي تصحيف صوابه ما أثبتناه في النص

(12) ض : « نفسها »

البيان كان أوضح وأبْين [1]، وأسّ ذلك وترجمانه اللّسان العربي والقلم الذّكي فهمًا / [2] يترجمان ويدلاّن ما لم يكن اللسان عن البديهة نابيًا [3] و لا [4] القلم عن رقم البلاغة كاتبًا فتصّح[5] معانيه وتتّضح[6] مبانيه ، ويلذّ كلامه على ألسن القائلين، ويخفّ على آذان السّامعين، وينشر عنه الجميل في كلّ وثيقة كتبها على مرّ السنين ، قال : فإذا اجتمع في الموثّق ما ذكرنا استحق اسم الموثّق الباهر بالبلاغة، لأنّ قلمه يسيل عن عيون الكلام ينابيعه، ويظهرها عن معادنها من غير استكراه ولا اغتصاب . » [7]

ابن حيدرة [8] :

« الوثيقة الحسنة هي الحكمة التي ربط الله [9] أولّها بآخرها ، ويتحرّز فيها من كل ما يؤدي إلى اسقاط حقٍ أو تشغيب فيه ، إن كان [10] المتعاقدين اختصما فيه عند القاضي، فكلما يجد أحدُ المتعاقدين خللاً في الوثيقة احترز منه، وكلما زدها بيانًا وفقهًا زَادتك حُسنًا ، قلت :

---

(1) ح ، ر ، هـ : - « و أبين »

(2) نهاية ورقة 4 و (ق)

(3) ط : « عالمًا »

(4) ح ، ر ، هـ : - « لا »

(5) ح : « تتضح »

(6) ط : « وتصّح » ، ض : « فتتّضح معانيه ، وتصّح » ، ح : « تصّح » ، ض : « فتصّح معانيه ، وتصّح »

(7) ابن مغيث ، م.س / 11 – 12

(8) حيدرة بن محمّد بن يوسف بن عبد الملك ، بن حيدرة التّونسي ، اماما وفقيهًا وحافظًا ، سمع من أبي عبد الله بن حيّان ، والفقيه المعمر أبي عبد الله بن هارون القرطبي، وأبي عبد الله القيسي الأزدي ، وأبي عبد الله اللبيدي ، وانفرد بشيخوخة العلم بعد أبي عبد الله بن عبد السلام ، وولّي قضاء الجماعة بتونس . أنظر ترجمته في :

مخلوف ، م. س ، 1 / 224 – 225 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ،م.س / 180

(9) ط ، ض ، ح ، د ، ر : - « الله »

(10) ض ، ر ، ح ، هـ : « كان »

ولبعضهم في صفة الموثّق هذه الأبيات ، ولقد أحسن فيها ما شاء [1] :

ان كنت للتّوثيــق مــن أبنائـــــه	ولبست مــن أوصافــه جلبابَــا [2]
وحــفظت مـا يحتاجــه من آلــة	أدبًـا وفــقهًـا تقتفيه صَــوابَـا
وسكبت [3] ألــفاظ الوثيقة بعضها	بعضًــا على نسق البيــان عُجابَــا
وسلكت مسلك صالحي [4] علمائها	تبغي بــها سبــل النجــاة طِلابَــا
مــــتثبّتًـا مـتّحفّظًـا مـتحـرّزًا	يقظان لا تخشى الأنــام عِتــابَــا
وقبلــت مــا أوتيت عنهــا أجــرة	عــن طيب نفس قد أتاك لُبابَــا
وحفظت دينك فــي الشّريعة تابعــًا	سبــل الكــرام أولي النّهى أَوابَــا
فلسوف تدرك مــا تؤمــل دائمـــا	فضــلا مــن الله العظيــم ثَوابَــا [5]

(1) ض : – « ولقد أحسن فيها ما شاء »

(2) الجلباب : ثوب أوسع من الخمار ، دون الرداء ، تغطّى به المرأة رأسها وصدرها ، وقيل : هو ثوب واسع ، دون الملحفة ، تلبسه المــرأة ، وقيل : هو الملحفة . أنظر : ابن منظور ، م.س ، المجلد الأول ، 8 / 649 (مادة جلب)

(3) ض ، ح ، د : « وسبكت » وهو تصحيف والصواب مأثبتناه في النص .

(3) سكب : سكب سكبًا وسكوبًا ، أي صبّ وسال فهو مسكوب . أنظر : المعجم الوسيط ، م.س / 437 (مادة سكب)

(4) ط ، ض : « صالح »

(5) الأبيات من البحر الكامل وتفعيلاته (متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن)

الفصل [الثالث : في ما يحتاج إليه الموثّق من الآداب]

قال ابن عفيون [1]- رحمه الله تعالى - [2] :

« اعلم وفقّني[3] الله وايّاك أنّ المتعرّض لهذه الصّناعة لا بدّ له من آلة يجمعها وأدوات يحسنها ، فأولّها : حسن الخطّ ، وإقامة الهجاء ، ووضع الحروف على أحسن صورها [4] ، حتى لا يدخل في ألفاظ الوثيقة اشكال، ولا يتصّور في شيءٍ منها احتمال ، لاسيّما في الأسماء [5] وفي التواريخ، وعند ذكر الأعداد ، وهي آكدها و أحوجها إلى البيان . [6]

والعرب تقول : « الخطّ أحد اللّسانين ، وحسنه أحد [7] البيانين [8] . [9]

وقال سهل ابن هارون [10] : « رداءة الخطّ زمانة [11] الأدب [12] »

---

(1) ح : « إبن عبيور » ، هـ : « إبن عيبون » ، ر : « إبن عيمون » وهو تصحيف والصواب مأثبتناه في النص .

(1) أبو عبد الله وأبو عمر محمّد بن أبي بكر بن يوسف ابن عفيون الغافقي ، روى عن أبي عبد الله بن بركة ، وأبي محمّد عبد الغني بن مكّي وتفقّه به ، وتخرّج بين يديه في عقد الشّروط ، وروى عنه أبو الرّبيع بن سالم ، وأبو عمر بن عات ، كان فقيهًا ، عدلاً ، ثقةً ، فاضلاً ، عارفاً بعقد الشّروط ، له العديد من المؤلّفات منها : مختصر في الشّروط ، عجائب البحر ، أخبار الزّهاد والعبّاد ، نتائج الأفكار وغرائب الأخبار وغيرها ، مولده سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، ووفاته بعد سنة أربع وثمانين وخمسمائة . أنظر ترجمته في :

ابن عبد الملك ، م.س ، السفر السادس / 140 – 141 ، الزركلي ، م.س ، 6 / 55

(2) هـ : + « تعالى » ، د : – « قال ابن عفيون رحمه الله تعالى » ، ر : « إبن عيمون رحمه الله »

(3) هـ : « وفقّنا »

(4) ض : « عل أحسن مواضعها وتعديل صورها »

(5) ض : – « الأسماء »

(6) علي النيفر التونسي ، م.س / 04

(7) ح : « احدى »

(8) ط ، هـ ، ض ، د : « الفصاحتين »

(9) ابن عبد البر ، م.س / 357 ، الطيبي محمّد بن حسن ، جامع محاسن كتابة الكتاب ، نشره وقدم له صلاح الدّين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1962 / 13 ، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ / 868 م) ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7 ، 1998 ، 1 / 71 ، طاش كبرى زادة ، م.س ، 1 / 79

(10) سهل بن هارون بن راهبون ، كاتب بليغ ، فارسيّ الأصل ولد بدست ميسان ، انتقل إلى البصرة وبغداد ، واتّصل بخدمة هارون الرّشيد وحلّ محل يحي البرمكي صاحب دواوينه ، ثم خدم المأمون فولاّه رئاسة خزانة الحكمة ، له العديد من المؤلّفات منها : ثعلة وعفرة ، تدبير الملك والسياسة ، كتاب إلى عيسى بن أبّان في القضاء ، ديوان رسائل وغيره ، توفي سنة أربع وأربعين ومائتين . أنظر ترجمته في :

كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، ط 3 ، مصر ، د.ت ، 3 / 34-35 ، البغدادي ، هديّة العارفين ، م.س 1 / 411 ، الزركلي ، م.س ، 3 / 143 – 144 .

(11) زمانة : الضعف أو العلّة أو المرض الذي يدوم زماناً طويلاً . أنظر : المعجم الوسيط ، م.س / 401 (مادة زمن)

(12) الجواليقي أبو منصور موهوب بن أحمد (481 هـ / 1088 م) ، شرح أدب الكاتب ، دراسة وتحقيق طيبة حمد بودي ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط1 ، 1995 / 20 ، ابن النّديم ، م.س ، 1 / 13

وقال علي بن عبيده [1] :

« حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير[2] » [3]

وروي عن النّبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال [4] :﴿ الخطّ الحسن يزيد الحقّ وضوحًا . ﴾ [5]

وكتب عمر بن عبد العزيز [6] إلى عماله : « إذا كتبتم فأرّقوا الأقلام، وأقّلوا الكلام، واقتصروا على المعاني،

---

(1) هـ ، ض ، ح ، ر : « بن عبيد » وهو تصحّيف ، والصواب ما أثبتناه ، وللأديب أقوال أخرى بشأن القلم منها قوله :
« القلم أصّم لكنّه يسمع النجوى ، وأبكم ولكنّه يفصح عن الفحوى ، وهو أعيا من باقل ، ولكنّه أفصح وأبلغ من سحبان وائل ، يترجم عن الشاهد ، ويبلغ عن الغائب » أنظر :

عفيف بهنسي ، جمالية الفنّ العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 14 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1979 / 105

(1) علي بن عبيده الريحاني ، كاتب وأديب ومن أصحاب البلاغة الفصحاء ، كان له اختصاص بالمأمون العبّاسي ، صنّف كتبًا سلك بها نهج الحكمة ، واتّهم بالزندقة ، من كتبه : المعاني ، الاخوان ، أخلاق هارون ، جواهر الكلم وفرائد الحكم ، توفي سنة (219 هـ / 834 م).
أنظر ترجمته في :

الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (463 هـ / 1070 م) ، تاريخ مدينة السلام ، وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وواردیها ، تحقيق بشّار عوّاد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، بيروت ،2001 ، 13 / 464 ، الزركلي ، م.س ، 4 / 310

(2) ح ، هـ : « البصر »

(3) ابن عبد ربه ، م.س ، 4 / 254 ، القلقشندي ، 3 / 06 ، طاش كبرى زادة ، م.س ، 1 / 79 ، الأسيوطي ، م.س ،1 / 08
(وقد نسب ابن عبد ربه و القلقشندي و طاش كبرى هذه المقولة كاملة لابراهيم بن محمّد الشّيباني وجاء فيها : الخطّ لسان اليد ، وبهجة الظمير ، وسفير العقول ، وأنس الاخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السّر ، وديوان الأمور)

(4) ط : – « أنّه قال »

(5) الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي (463 هـ / 1070 م) ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق محمد عجّاج ، مؤسسة الرسالة ، 1989 ، 1 / 399 (رواه الحسن عن آنس ، والأزهري عن أبيه ، حديث رقم 532) ، ابن قانع أبو الحسن عبد الباقي (351 هـ / 962 م) ، معجم الصّحابة ، ضبطه وعلّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن سالم المصراتي ، د.ت ، 3 / 60 (رواه بنصّه عاصم بن مهاجر الكلاعي عن أبيه عن رسول الله)، القرطبي أبو عبد الله محمّد بن أحمد (671 هـ / 1272 م) ، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضّمنه من السنّة وأي الفرقان ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 2006 ، 17 / 343 (رواه مهاجر الكلاعي قال : قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : (الخطّ الحسن يزيد الكلام وضوحًا) ، القلقشندي ،م.س، 3 / 24 (وقد نسب القلقشندي هذا الحديث لعلّي بن أبي طالب وقال : الخطّ الحسن هو البيّن الرائق البهج) .

(6) عمربن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو حفص القرشي الأموي ، أحد ملوك الدولة المروانية الأموية بالشّام ، يعدّ خامس الخلفاء الراشدين ، ولّي الخلافة في شهر صفر من عام تسع وتسعين للهجرة ، بعد وفاة سليمان بن عبد الملك ، عرف بعدله و سياسته الرشيدة ، وحسن ادارتة وتعامله مع الرّعية ، دامت خلافته سنتان وستة أشهر ، قتل مسمومًا في شهر رجب سنة احدى ومائة وله أربعون سنة . أنظر ترجمته في :
العسقلاني ، تهذيب التّهذيب ،م.س ، 3 / 240– 241 ، ابن العماد، شذرات الذّهب ، م.س ، 2 / 5- 6 ، الذّهبي ، العبر م.س ، 1 / 91 ، الزركلي ، م.س ، 5 / 50

وقاربوا بين الحروف ، فإنّ أجود الخطّ أبينه ، كما أنّ القراءة أجودها أبينها . » [1]

قيل : ونظر ابن رجاء [2] إلى خطّ بعض الكتّاب فقال : خطّ هذا منتــزه الألحاظ ومجتبي الألفاظ .

وقال أوقليدس [3] : « الخطّ هندسة روحانية ، ظهرت بآلة جسدانية » [4] وقال [5] :

« حساب القلم من حساب الجمل نفاع، وذلك أنّ الألف واحد ، واللاّم ثلاثون ، والقاف مائة، والــلاّم ثلاثون [6] ، والجيم أربعون، فذلك مائتان وواحد ، ونفاع كذلك للنّون خمسون ، وللفاء ثمانون ، وللألف واحد ، وللعين سبعون ، فذلك مائتان وواحد ، فقد استوى العدد فيهما . » [7]

وقال بعض العلماء : من جلالة القلم أنّه لم يكتب لله كتاب إلاّ به .[8]

---

(1) ابن عبد البر ، م.س /357 ، علي النيفر التونسي ، م.س / 04

(2) أبو علي الحسن بن شجاع ابن رجاء بن أبي الضّحاك البلخي ، كاتب مترسل ، من حفّاظ الحديث ، روى عنه البخاري وغيره ، أصله من جرجرايا ، كان أبوه والي دمشق وعاش معه ، ثم اتصّل بالمأمون العبّاسي فكان من كتّابه ، وقيل تقلّد أصبهان ، تــوفيّ ســنة أربعــة وأربعــين ومائتين . أنظر ترجمته في :

ابن العماد، شذرات الذّهب ، م.س ، 3 / 202 ، ، الذّهبي ، العبر م.س ، 1 / 348 ، الزركلي ، م.س ، 2 /192

(3) أوقليدس بن نوقطرس بن برينقس ، فيلسوف من الفلاسفة الرّومان في علم الرياضيات ، وهو من أظهر الهندسة ووضع فيها كتابًا يعرف بالأصول . أنظر ترجمته في :

ابن النديم ، م.س ، 1 / 13 ، الكردي محمد طاهر بن عبد القادر ، تاريخ الخطّ العربي وآدابه ، المطبعة التجارية الحديثة ، 1939 / 08

(4) ابن النّديم ، م.س ، 1 / 13

(5) ط : – « أوقليدس : الخط هندسة روحانية ، ظهرت بآلة جسدانية ، وقال »

(6) ط ، هــ ، ض : – « والقاف مائة ، واللاّم ثلاثون » ، د ، ر : – « واللاّم ثلاثون »

(7) ابن النديم ، م.س ، 1 / 12

(8) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الرّاوي ، م.س 1 / 392 (حديث رقم 520 ، أخرجه الشّوكاني عن قتادة) ، الشّوكاني محمد بن علي (ت 1250 هــ / 1839 م) ، فتح القدير الجامع بين فني الرّواية والدّراية من علم التّفسير ، تحقيق واخراج عبد الــرحمن عمــيرة ، دار الوفــاء ، 1994 ، 5 / 358

وقال الجاحظ [1] : « اللّسان أكثر هذرًا [2] ، والقلم أبقى أثرًا [3] والكتاب يقرأ في كل زمان، واللّسان لا يعدو سامعه [4] . » [5]

وبالجملة حسن الخطّ محمود . [6]

ويقال : أوّل معرضٍ للكاتب لباسه ، ثم خطّه ، ثم كلامه ، ثم صناعته .

وقد جاءت في القلم والخطّ آثار ، وقيل [7] فيهما من الأشعار وكلام الأدباء والحكماء ما لا تحتملــه [8] المجلّدات الكبار ، ولنقتصر على بعض ما قيل في ذلك :

قال الله تعالى : ﴿ **ن وَ الْقَلَمِ ومَا يَسْطُرُونْ** ﴾ [9] وقال : ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمْ الذِّي عَلَّمَ بِالْقَلَمْ** ﴾ [10]

---

(1) أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي ، الشّهير باسم الجّاحظ وإليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، أخد عن القاضي أبي يوسف ، وثمامة بن أشرس ، وأبي إسحاق النظّام ،له تآليف كثيرة منها : كتاب الحيوان ، البيان والتبيين ، البخلاء ، أخلاق الملــوك وغــيره ، توفيّ بالبصرة سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن التسعين سنة .

أنظر ترجمته : الخطيب البغدادي ، م.س ، 14 / 124 ، ابن العماد ، شذرات الذّهب، م.س ، 3 / 231 ، الذّهبي ، سير أعلام النّبلاء ، م.س ، 11 / 526 – 528 ، الزركلي ، م.س ، 5 / 74

(2) هذرًا : الهذر هو الكلام الدي لا يعبأ به ، ويقال هذر كلامه هذرًا أي كثر في الخطأ والباطل ، وقيل هو سقط في الكلام

أنظر : ابن منظور ، م.س ، المجلد السادس ، 51 / 4643 (مادة هذر)

(3) ط : + « أثرًا »

(4) هـ ، ض : « سماعه »

(5) الجاحظ ، م.س ، 1 / 71

(6) الجواليقي ، م.س / 19

(7) ط ، ر : « وما قيل »

(8) ط ، ض ، ح ، د : « ما لاتحمله »

(9) د : + « و مَا يَسْطُرُونْ » ، وهي تكملة صحيحة للآية

(10) سورة القلم ، الآية 1

(11) سورة العلق ، الآية 3 ، 4

وقال عليه الصّلاة والسّلام [1] :﴿ إنّ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَم جَرَى بـِمَا هُوَ كَائنٌ إلَى يَـوْم القِّيَامَـة ﴾ [2]
وروي عن ابن عبّاس[3] _ رضي الله عنه _ أنّه قال في قوله تعالى : ﴿ أو أَثرةٍ مِنْ عِلْـمٍ ﴾ [4] قـال : الخـطّ الحسن [5] وقال جل ذكره في الحكاية عن يوسف عليه السلام :
﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمُ [6] ﴾ [7] قال : كاتب حاسب [8]
وقال بعض المفسّرين في قوله جلّ اسمه : ﴿ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [9] هو الصّوت الحسن .
وقال بعضهم [10] : الخطّ الحسن . [11]

---

(1) ط : « عليه الصّلاة »

(2) الترميذّي ، م.س، 5 / 348 (رواه الوليد بن عبادة عن والده عن رسول الله ، وفيه عن ابن عبّاس، وقال حديث حسن صحيح غريب وجاء فيه : إنّ أوّل ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى الأبد .حديث رقم 3319) ، السخّاوي شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ / 1496م) ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، دراسة وتحقيق عبد الكريم الخظير ، و محمّد بن فهيد ، مكتبة دار المنهاج ، الريّاض ، المملكة السعودية ، 2005 ،3 / 12 (رواه ابن فارس عن ابن عبّـاس) ، الـشوكاني ، فـتح القـدير ، م.س ، 5 / 358 (اخرجه ابن مردويه عن عبادة بن الصّامت عن رسول الله)

(3) أبو العبّاس عبد الله بن العبّاس ، ابن عمّ الرسول (صلّ الله عليه وسلّم) وأحد صحابته ، انتهت اليه الرئاسة في الفتوى والتفسير بعد عصر الخلفاء ، وهو أكثر الصحابة فتيا على الاطلاق ، وقد جمعت فتوايه في عشرين مجلّداً ، تخرج على أيديه عدد من التلاميذ كعكرمـة مـولاه ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد وعطاء ، وسعيد ابن المسيب وغيرهم توفي بالطائف سنة (86 هـ / 705 م) .
نظر ترجمته في : الحجوي ، م.س ، 2 / 51 - 53

(4) سورة الأحقاف ، الآية 4

(5) السّيوطي جلال الدّين عبد الرحمن (911 هـ / 1505 م) ، الدّر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله التّركي ، مركز هجر للبحوث والدّراسات العربية والاسلامية ، ط 1 ، القاهرة ، 2003 ، 13 / 311 -312 (أخرجه ابن مردويه عن أبي سعيد ، قال : حـسن الخـط) ، الخطيب البغدادي ، م.س ، 1 / 398 (وقد جاء فيه : قال جودة الخط) ، الشّوكاني ، فتح القدير ، م.س ، 5 / 20 (أخرجه ابـن مردويـه عن أبي سعيد ، عن النبيّ ، قال : حسن الخط)

(6) هـ ، د ، ر : – « إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم »

(7) سورة يوسف، الآية 55

(8) السّيوطي ، الدّر المنثور ، م.س ، 8 / 279 (أخرجه ابن أبي حاتّم عن سفيان ، وقد جاء فيه : حفيظ للحساب ، عليم بالألسن) ، ابن عطيّة ، م.س ، 8 / 6 (وقد جاء فيه : حفيظ للحساب ، عليم بالألسن)

(9) سورة فاطر، الآية 01

(10) ض : وقيل الخطّ الحسن

(11) السّيوطي جلال الدين ، الدّر المنثور، م.س 17 / 342 – 343 (وقال الزهري وابن جريج :يعني حسن الصوت ، وقيل الخط الحسن)، الشّوكاني محمّد بن علي ، فتح القدير ، م.س ، 4 / 448 (أخرجه ابن المنذر عن ابن عبّاس ، قال : الصوت الحسن) .

ابن كوثر :

« أفضل أحوال الموثّق وأكمل آلاته وأرفع درجاته، بعد علمه بكتاب الله وسنّة رسول الله ـصلّى الله عليه وسلّم ـأن يكون عالمًا [1] من النّحو والعربية ، بما يفهم به معاني [2] كلام العرب وتصاريفه وما للعرب من الاتّساع في الكلام بالمجاز في نطقها ، وإشاراتها في طرق القول ، ومآخذ الكلام بالتعريض والكناية [3] ، واستعارتها للكلمة[4] تجعلها مكان الكلمة ، والتقديم والتأخير والحذف والاختصار، والاعادة والتكرار ، فربّ لفظة تنقلب باللّحن عن معناها، وربّ [5] معنى يحسبه الرجل الحسن التّوثيق تامًا يكون ناقصًا ، وقد يكون الموثّق الذي لا يبصر[6] النّحو تبدر إليه البادرة ، أو يظهر إليه المعنى في الشيء يعقده [7] فتعترضه فيه لفظة لا يحسن اعرابها، فيترك ما ظهر له عجزًا منه، ويضطّر إلى الإستدارة حول ماكان قد حصل له، وربّما أراد وصف الشيء فأتى بضدّه ، أو وصف الشيء فأخرجه عن حدّه، أو يحلّ ما يريد عقده ، و [8] ينقض ما حاول ابرامه، وهذه صفة من قيل [9] فيه :

---

(1) ض : « أن يتعلم »

(2) هـ : - « معاني »

(3) ر : « و الكنايات »

(4) ر : « واستعارتها بطرف القول للكلمة »

(5) د : « وربّ رجلٍ »

(6) ض : « لا يعرف »

(7) ض : « يبدوا له شيئًا ويظهر له معنى شيئ »

(8) في ط : أو

(9) ط : « ما قيل »

يحلّه ما يعقده سجّله [1]، وكلّ ما يعقده يحلّه ، وينبغي له أن يكتب الوثيقة بخطٍّ واضحٍ وسطٍ، لا دقيق خاف ولا غليظٍ جاف، وليتوسط في السّطور بين التّوسع والتضييق ، ولتكن بعبارة واضحة صحيحة تفهمها العامّة، ولا تزدريها الخاصّة، وينبغي له ألاّ [2] تختلف أقلامه [3] وخطوطه وأوضاعه خوفًا من التزوير، وينبغي له إذا فرغ من كتابتها أن يعيد النّظر فيها لتفقّد [4] ألفاظها وأحكام فصولها .

« وينبغي له إذا سافر إلى جهةٍ لا يعرف اصطّلاح أهلها أن لا [5] يتصدّى للكتابة إلاّ بعد أن يعرف اصطّلاحهم، ونقودهم[6]، ومكيالهم، وأسماء الأصقاع [7] والطّرق والشّوارع ، فبمعرفة ذلك يتم له الأمر ، وينبغي له أن يقدّم اسم المشتري على البائع لقوله تعالى :﴿ **إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ** [8] ﴾[9] [10] » [11]

---

[1] ض : « بقلمه »

[2] هـ ، د ، ح : « أن لا »

[3] ر : « أقواله أقلامه »

[4] ط ، ض : « ليتفقّد»

[5] ط ، د ، ر : « ألاّ »

[6] ض : « عودهم »

[7] ط : « الأصاع » ، وهو تحريف

[8] ض : - « أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم »

[9] سورة التوبة ، الآية 111

[10] ر : - « إسم المشتري على البائع لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ »

[11] ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 203

« وينبغي له أن يقدّم اسم الشّريف على المشروف، والرّجل على المرأة، وهو اختيار ابن العطّار، ومنع منه ابن الفخّار[1] واحتجّ بأنّ في الحديث :

﴿ هَذَا مَا اشْتَرَى العَدَّاءُ بْنُ خَالِدْ بْنُ هُوذَة [2] مِنْ رَسُولِ الله ـصَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلّم ـ اشْتَرَى مِنْهُ عَبْـدًا أَوْ وَلِيدَةً شّكَ المحْدِّث لا دَاءَ وَلا غَائِلَة ولا خُبْثَة بَيْعُ[3] المُسْلِمِ مِنَ المُسْلِمِ[4] ﴾ [5] » [6]

« قال : فبدأ باسم المشتري قبل [7] البائع ورسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أحقّ أن يقتدى به ، قلت : وفي الحديث الكريم فوائد : الأولى [8] : أنّه افتّتح وصدر بلفظ - هذا - وقد استّحبه الموثّقون لما فيـه مـن التأسّي بكتاب [9] الله تعالى في قوله: ﴿ **هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ** ﴾ [10] ، وفي الأثر أيضًا عنه [11] ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنّه كتب عنه في عهده لأهل مكّة : ﴿ هَذَا مَا قَاضَى[12] عَلَيْهِ [13] مُحَمَّدٌ رَسُولُ

---

(1) أبو عبد الله محمّد بن عمر بن يوسف ابن الفخّار ، القرطبي المالكي الحافظ ، عالم الأندّلس في زمانه ، ومن أئمّة المالكية ومن أهـل العلـم والورع ، يحفظ المدّونة جيّدًا ، والنّوادر ، رحل إلى المشرق فحجّ وجاور وسكن المدينة المنوّرة ، ثم عاد إلى الأندّلس ، وفرّ عن قرطبة عند غلبة البرابر عليها ونذروا دمه ، فاستقرّ في بلنسية ، له من التصانيف : تقييد على الجمل للزّجاجي ، اختصار المبسوط، التبصرة ، الـرد علـى ابـن العطّار في وثائقه ، توفي سنة تسع عشر وأربعمائة . أنظر ترجمته في :

الصفدي ، م.س ، 4 / 173، الزركلي ، 6 / 312

(2) هـ : « العراء بن خالد بن هوذة » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه في النص

(2) اسمه العدّاء بن خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، واحد من الـصّحابة وروّاة الحديث ، أسلم مع أبيه وأخيه حرملة بعد معركة حنين . أنظر ترجمته في : البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمّد (317 هـ / 929 م) ، معجم الصّحابة ، دراسة وتحقيق محمّد الأمين الجكني ، مكتبة دار البيان ، الكويت ، 2000 ، 2 / 219

(3) ض : « يقع »

(4) د : - « بيع المسلم من المسلم »

(5) الترميذّي ، م.س ، 2 / 503 (رواه محمّد بن بشّار عن عباد بن ليث عن عبد المجيد بن وهب ، وهو حديث حسن غريب ، باب ما جاء في كتابة الشّروط ،حديث رقم : 1216) ، الحجوي ، م.س ، 1 / 155 (رواه محمّد بن بشّار عن عباد بن ليث عن عبد المجيد بن وهب) البغوي ، م.س ، 2 / 219 –220 (رواه محمّد بن يونس عن عباد بن ليث عن عبد المجيد بن وهب)

(6) المتّيطي ، م.س / ورقة 03 و ، الغرناطي ، م.س / 12

(7) ط : « على »

(8) ط : « الأوّل »

(9) هـ : « كتب »

(10) سورة الجاثية ، الآية 29

(11) ض : « أنّه » ، د : « وفي الأثر عنه أيضًا »

(12) ط : « ما قضى »

(13) ر : « عليكم »

اللهِ ـ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ـ أَهْلُ مَكَّة ، أيْ صَالَحَهُم ، وَكَتَبَ عَنْهُ أيضًا، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ إلى مُنْذِر[1] . ﴾ [2]

وكتب عمر بن الخطّاب [3] ـ رضي الله عنه ـ :

﴿ هذا ما كتب به عمر بن الخطّاب ، صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورّث على الفقراء وذوي / [4] القربى وفي سبيل الله وابن السبيل ، لا جناح على من وليها [5] أن يأكل منها بالمعروف. ﴾ [6] » [7]

([1]) المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي ، من عبد القيس ، أمير في الجاهلية والإسلام ، كان ملكًا على البحرين ، كتب إليه النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – رسالة قبل فتح مكّة ، مع العلاء بن الحضرمي ، يدعوه إلى الاسلام ، فأسلم ، واستمر في عمله ، ولم يصّح خبر وفوده على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ومات قبل ردّة أهل البحرين ، كان ذلك سنة (633 هـ / 11 م)

أنظر ترجمته في : ابن كثير أبو الفداء اسماعيل ابن عمر (774 هـ / 1372 م) ، البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط 1 ، 1998 ، 9 / 475 – 480 ، الزركلي ، م.س 12 / 136- 138 (وقد أورد نص الرسالة بخطّ النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – التي أرسلها إلى المنذر بن ساوى)

([2]) مسلم بن الحجّاج ، م.س ، 12 / 136- 138 (كتاب الجهاد ، باب صلح الحديبيّه : رواه عيسى بن يونس عن زكرياء عن أبي اسحاق عن البرّاء بنصّه)

([3]) ض : - « بن الخطّاب »

([4]) نهاية ورقة 04 ض (ق)

([5]) ض : « مشا إليها »

([6]) مسلم بن الحجّاج ، م.س ، 11 / 85 - 86 (كتاب الوصيّة ، باب الوقف ، رواه يحي بن يحي التميمي عن سليم بن أخضر عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر بلفظ مغاير جاء فيه : قال أصاب عمر أرضًا بخيبر فأتى النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستأمره فيها ، فقال : يارسول الله إني أصبت أرضًا بخيبر لم أصب مالاً قط هو أنفس عندي منه ، فما تأمرني قال : إن شئت حبست أصلها وتصدّقت بها ، فتصدّق بها عمر أنّه لايباع أصلها ، ولا يبتاع ولا يورث ، ولا يوهب ، قال : فتصدق عمر في الفقراء وفي القربى ، وفي الرّقاب، وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه)

([7]) أنظر : الأسيوطي ، م.س ، 1 / 74- 75

قال فضل [1] في " وثائقه " :

« وكان ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قد أعطي جوامع الكلم [2] فكانت كتبه إلى من كتب : هذا كتاب [3] من محمّد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ إلى فلان، هكذا أخبرني يوسف بن يحيى [4]، وكذا رأيت الموثّقين يكتبون . »

---

(1) فضل بن سلمة بن جرير، ويقال جرير بن منخل الجهني ، يكنى أبا سلمة البجاني، فقيه مقدّم روى عن أحمد بن داوود القيرواني ، وروى عنه أبو مروان خزز بن مصعب البجاني ، وحدث عنه جماعة من أهل قرطبة منهم أحمد بن سعيد من مؤلفاته : مختصر المدّونة ، مختصر الواضحة ، ومختصر لكتاب ابن الموّاز ، وكتاب جمع فيه مسائل المدّونة والمستّخرجة والمجموعة ، وله جزء في الوثائق مفيد حسن ، توفي بقرطبة سنة تسع عشرة وثلاثمائة . أنظر ترجمته في :

الضبيّ ، م.س ، 2 / 581-582 ، الحميدي ، م.س / 327-328 ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك، م.س ، 2 / 194 ، الحجوي ، م.س ، 3 / 107

(2) قال الزهري : جوامع الكلم - فيما بلغنا - : أنّ الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله : في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك ، وقد جاء في حديث عمر بن الخطّاب عن النّبي : « إنّي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه » ، وفي حديث ابن عبّاس عن النّبي : « أعطيت جوامع الكلم » ، وفي الصّحيحين عن أبي هريرة قال : « بعثت بجوامع الكلم » أنظر :

ابن رجب أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدّين (795 هـ / 1392 م) ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم ، تحقيق محمّد الأحمدي أبو النّور ، دار السلام للطباعة والنّشر والترجمة ، ط 2 ، القاهرة ، 2002 ، 1 / 48-49 ، مسلم بن الحجّاج ، م.س ، 5 / 02 - 03 (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، رواه يحي ابن يحي عن هشيم عن سيّار عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد اله الأنصاري عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أنّه قال : أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طيبة طهورًا ومسجدًا ، ونصرت بالرعب ، وأعطيت الشفاعة)

(3) ط ، ر : « كتب »

(4) يوسف بن يحي بن يوسف الأزدي المعروف بالمغامي ، من أهل قرطبة ، وأصله من طليطلة وهومن ذرية أبي هريرة رضي الله عنه ، فقيه من علماء المالكية ، نشأ بقرطبة ، وأقام مدة بمصر ، ورحل الى مكّة وصنعاء ودرس بهما ، سمع بالأندّلس من يحي بن يحي وسعيد بن حسان ، وبمكّة من علي بن عبد العزيز وبصنعاء من الديري وبمصر من القراطيسي من كتبه : فضائل عمر بن عبد العزيز ، فضائل مالك ، الرّد على الشافعي ، توفي بالقيروان سنة ثمان وثمانين ومائتين .

أنظر ترجمته في : ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 438 ، المقري ، نفح الطّيب ، م.س ، 2 / 520 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 76 ، الزركلي ، م.س ، 8 / 257

وذكر يحيى بن مزَين [1] في " وثائقه " :
أن ّاثبات هذا في أوائل الصدقات والعهود [2] والكتابات أحبّ إليٍّ [3] من اسقاطه قال : لأنّـه عمـاد [4] الكلام ، وعمل الأوّل من صدر هذه الأمّة [5] و لم يبلغنا [6] عن كتاب عهد [7] من رسول الله _ صـلّى الله عليه وسلّم _ وأصحابه _ رضي الله عنهم _ إلاّ ومستفتحه [8] هذا .
الفائدة الثّانية : تقديم المشتري على البائع ، وقد استحبّه [9] العلماء [10] _رضي الله عنهم _ للآية المتقدمة .
الفائدة الثّالثة : تقديم المشروف على الشّريف [11] وهو حجّة لابن الفخّار. [12]
الفائدة الرّابعة : « قوله [13] هذا ما اشترى العدّاء [14] من رسول الله _ صلّى الله عليه وسلّم _ اشترى منه ، فكرّر لفظ الشّراء [15]، وكان الأوّل يكفيه، ولكنّه لّما كانت الاشارة بهذا إلى المكتوب ذكر الاشـتراء في القول المنقول ، وقوله : عبدًا أو وليدةً ، و لم يصفه ولا ذكر الثمن ولا قبضه ولا قبض العبد الذي اشترى واقتصر على قوله :_ لاداء _ وهو ما كان في الجسد والخلقة، و_ لا خبثة _ وهـو مـا كـان في الخلـق ، ولاغائلة وهو سكوت البائع عما يعلم في المبيع من مكروه. » [16]

---

(1) أبو زكرياء يحي بن ابراهيم بن مزين القرطبي ، عالم بلغة الحديث ورجاله ، رحل إلى المشرق ودخل العراق طالبًا للعلم ، أصله من طليطلة ، وكان جدّه مولى لرملة بنت عثمان بن عفّان ، من كبار حفّاظ موطّأ مالك بالأندلس ، من كتبه : تفسير الموطأ ، تسمية الرّجال المـذكورين بالموطأ ، المستقصية في علل الموطأ، فضائل القرآن ، رغائب العلم وفضله ، توفي سنة تسعة وخمسون ومائتين . أنظر ترجمته في :
مخلوف ، م.س ، 1 / 75 ، الخشني ، م.س / 370- 371 ، الزركلي ، م.س ، 8 / 134
(2) ط ، هـ ، ح ، ر : « العهد »
(3) ط ، هـ ، ض ، ح : « إليه »
(4) د : « عمود »
(5) هـ : « الآية »
(6) ض : « يبلغها »
(7) ض : « كتب في عهد »
(8) ض : « ومفتتحه »
(9) ض : « استحسنه »
(10) د : « بعض العلماء »
(11) هـ : « تقديم الشّريف على الشّرف » ، ر : « تقديم الشّريف على المشروف »
(12) المتّيطي ، م.س / ورقة 03 و (باب : مايجب على الموثّق)
(13) ر : - « قوله »
(14) هـ : « العرّاء »
(15) هـ : « الشري منه »
(16) ابن العربي ، عارضة الأحوذّي ، م.س ، 5 / 222

وفي " تبصرة الحكّام" عن " العالي الرتبة في أحكام الحسبة" [1] لأحمد بن موسى الدّمشقي الشافعي[2] _ رحمه الله _ :

في الموثّق ممّا لا يخالف قواعد [3] مالك _ رحمه الله تعالى _ [4]

« و إذا كتب [5] الموثّق كتابًا بدأ [6] بعد[7] البسملة بذكر [8] لقب المقّر واسمه واسم أبيه وجدّه وقبيلته وصناعته ومسكنه وحليته إن لم يكن معروفًا ، وإن [9] كان معروفًا [10] كتب : وشهود هذا الكتاب به [11] عارفون وله محقّقون ، ويفعل[12] في اسم المقّر له كذلك، ثم يؤّرخ مكتوبه باليوم والشهر والسنة [13] ، فإذا فرغ من كتابته استوعبه وقرأه وميزّ ألفاظه. »[14]

ابن العربي : « يكتب الرجل[15] اسمه واسم أبيه وجدّه [16] حتى ينتهي إلى جدٍ[17] يقع [18] به التّعريف ويرتفع الاشتراك الموجب للاشكال عند الاحتياج إلى النّظر، ألا ترى إلى [19] قوله : محمّد رسول الله ،

(1) لم أقف على هذا الكتاب ، ولا على ترجمة له في ما اطّلعت من كتب التراجم

(2) أحمد بن موسى الصفدي الشافعي ، أخد عن إبن الزملكاني وغيره ، وبرع وتصدّى للفتيا والتّأليف ، أعرض عن الوضائف والمناصب ، وتفرّغ للتّأليف والتصنّيف ، من أهم كتبه التنبيه ، والأربعين النووية ، توفي سنة (750 هـ / 1350 م) . أنظر ترجمته في : العسقلاني ، الدرر الكامنة ، م.س ، 1 / 322

(3) ض : « قواعد الامام »

(4) ط ، ح ، ر : - « تعالى »

(5) ض : « ولا يكتب »

(6) ض : - « بدأ »

(7) ض : « إلاّ بعد »

(8) ط : - « بذكر » ، ض : « ويذكر »

(9) ط ، د : « فإن»

(10) ر : - « وإن كان معروفًا »

(11) ض : - « به »

(12) هـ : « ففعل » ، ر : « وليفعل »

(13) ض : « باليوم أوالشهر أوالسنة »

(14) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 201 ، المتّيطي ، م.س / ورقة 02 ض ، ورقة 03 و

(15) ض : - « الرجل »

(16) ر : « واسم جده »

(17) ر : « اسم »

(18) ر : « وقع »

(19) ط : - « إلى »

فوقع التّعريف وارتفع الاشكال بالاسمين ، فلم يزد عليه ولا يحتاج إلى ذكر النّسب إلاّ إذا أفاد تعريفًا ورفع[1] اشكالاً، والنّاس اليوم يكتبونه افتّخارًا[2] وربّما قصد به من ليس بمشهور إلى ذكره لحيازته له ولا يحتاج إلى ذكر[3] البلد إلاّ لرفع الاشكال عند توقّع الاشتراك » [4] انتهى.

قال في " العالي الرتبة " : « ويميّز في خطّه بين السّبعة والتّسعة وإن كان فيه مائة درهم كتب بعدها واحدةً ، وينبغي أن يذكر نصفها ، فإن كانت ألفًا كتب بعدها واحدة [5] وذكر نصفها رفعًا للّبس ، وإن كانت [6] ممّا يمكن الزّيادة فيه كالخمسة عشر خمسة وعشرون، والسبعين تسعين . » [7] انتهى.

قلت : المرشد لهذا كلّه، قوله عليه _ الصّلاة والسّلام _: ﴿إنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إسْمًا، مِائَةً إلاَّ وَاحِدًا ﴾ [8]

قال القرطبي [9] وغيره : « هذا [10] تأكيد وحفظ من التّصحيف بسبعة وسبعين لتقارب اللّفظ بعضه من بعض . »

---

(1) ض ، د : « ووقع »

(2) د : « افتخامًا »

(3) ر : « لذكر »

(4) ابن العربي ، عارضة الأحوذّي ، م.س ، 5 / 221- 223

(5) ط ، د ، هـ : « واحدًا »

(6) ض : « وإن كان »

(7) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 201

(8) مسلم بن الحجّاج ، م.س ، 17 / 4 - 6 (رواه أبو هريرة عن الرّسول _ صلّى الله عليه وسّلم _) ، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن محمّد (ت 458 هـ / 1065 م) ، شعب الايمان ، تحقيق أبو هاجر محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت ، 2000 ،1 / 115 (رواه أبو هريرة عن الرسّول _ صلّى الله عليه وسّلم _)

(9) أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ،الخزرجي، الأندلسي، القرطبي ، من كبار العلماء والمفسّرين ، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شما ل أسيوط بمصر وتوفيّ فيها ، من كتبه : الجامع لأحكام القرآن ويعرف بتفسير القرطبي ، ,الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة وغيرها من المؤلّفات ، توفيّ في شهر شوّال بمنية ابن خصيب من سنة واحد وسبعون وستمائة . أنظر ترجمته في :

المقري ، نفح الطّيب ، م.س ، 2 / 210-211 ، ابن العماد ، شذرات الذّهب ، م.س ، 7 / 584-585 ، الزركلي ، م.س ، 5 / 322

(10) ض : - « هذا »

الرّعيني [1] :

« لتعلم أولاً أنّ الموثّق إن سومح في النـزول إلى الألفاظ المبتذلة، والتّوسع في اللّغات[2] المستعملة[3]، فهو على ذلك مطلوب بتصحيح كتابته ، وملوم على أخطاء [4] طريق اصابته ، فلتكن مبانيه موصولة[5] ، ومعانيه مكملة ، و ليتجنّب [6] الألفاظ المحتملة و [7] المشتركة والمجملة حسمًا لوقوع الابهام ، وتوفيّة لأوضح وجوه الافهام [8] ، فيختار من العبارات أعذبها مساقًا ، و يفي [9] لكلّ مقامٍ بمقاله تقييدًا أو اطلاقًا، وعليه أن يمكّن أغراض وثيقته وينأى ما استطاع عن مجاز اللّفظ إلى حقيقته، ولا عذر له فقد أوسع عذرًا في التوكّيد والتّكرار، واعفي[10] من تكلّف الايجاز والاختصار، وعفي له عن علّي[11] الاطالة حيث يتوقّع

(1) أبو الحسن علي بن محمّد بن علي الرّعيني ، ويقال له ابن الفخّار ، من بني الحجّاج ، أديب أندلسي من الكتّاب العلماء ، ولد وتعلم في اشبيلية ، وأستقضى على مذهب مالك في مورو قرب شبيلية ، وغلبت عليه الكتابة فتنقّل في الأعمال الدّيوانية بين غرناطة واشبيلية ومرسيه ، من كتبه : برنامج شيوخه سمّاه الايراد لنبذة المستفاد من الرّواية والاسناد بلقاء حملة العلم بالبلاد ، جنا الأزاهر النّضيرة وسنا الزّواهر المنيرة ، اقتفاء السّنن في انتقاء أربعين من السّنن ، توفي بمراكش سنة (ت 666 هـ / 1267 م). أنظر ترجمته في :
ابراهيم شبّوح ، برنامج شيوخ ابن الفخّار الرّعيني (ت 666 هـ / 1267 م) ، مجلّة معهد المخطوطات العربية ، المجلّد الخّامس ، الجـزء الأوّل ، 1959 / 103-105 ، ابن عبد الملك ، السفر الخّامس، القسم الأوّل ، م.س / 323 ، الزركلي ، م.س ، 4 / 333

(2) ر : « الخلافات »

(3) ض : – « المستعملة »

(4) ط ، هـ : + « أخطاء » ، د : « خطأ»

(5) ط ، هـ : « موصلة »

(6) هـ ، ض : « و ليجتنب » ، د : « ليجتنب»

(7) ض : – « المحتملة و »

(8) ض : « الابهام »

(9) ض : « ويوجد »

(10) ط ، د ، ر : « أغفي » ، ض : « أعني»

(11) ط ، هـ : « غي » ، ض : – « علي » ، د : « من عي » ، ر : « عي »

اخلال [1] الاختّصار، ذلك [2] لتتخلّص معاني الكلام، وتنقطع علق الخصام، وليحفظ[3] عرى العقود مـــن الانفصام، فلا يواقع مواقع الاشكال المفتقرة للبيان، ولا يدان [4] موضع الاحتمال للزيادة و النقصان ، فقد قالوا : إذا كتب العاقد[5] مائة أو[6] ألفًا [7] فليؤكّد [8] بواحدة وبواحد خوفًا من الحاق نـــون [9] في آخـــر العددين فيتضاعفان ، ويثّبت مكان المائة مائتان، ومكان الألف ألفان. [10]

---

(1) هـ : « احتلال »

(2) ض : « بذلك » ، د : « ذاك » ، د : « ذلك ذلك »

(3) هـ : « ويتحفظ »

(4) ض : « يدر »

(5) ض : - « العاقد »

(6) ط ، ر : « و »

(7) ض : « ألفا و مائة »

(8) ض : « فيؤكّد ذلك »

(9) ط : - « نون »

(10) أنظر : الأسيوطي ، م.س ، 1 / 07 - 08

تنبيـــــه :

تعقّب الشّيخ أبو محمّد بن السّيد [1] _ رحمه الله تعالى _ على كثير من كُتّاب الشّروط استعمالهم في ذكـــر التّسليم : _ **غير** _ مكان _ **لا** _ [2] في قولهم : بغير دافعٍ ولا مانعٍ ، ظنًا منهم أنّ _ **غير** _ تنــوب مناب _ **لا** _ ، قال : وليس الأمر كذلك ، لأنّ _ **لا** _ حرف جحد لا يحتمل في هذا الموضع إلاّ معنى واحدًا ، و _ **غير** _ قد تكون بمعنى الكثرة كقولك : لقيت فلانًا غير مرّةٍ ، وجاءني غير واحــدٍ من الرّجــال. [3]

قال الرّعيني _ رحمه الله تعالى _ [4] :

« وهذا لايلزم لأنّ سياق اللّفظ إنّما هو على النّفي ، فلا يحتمل الموضع سواه »

وقد فسّر لي [5] شيخنا أبو محمّد عبد الكبير بن محمّد بن عيسى[6] _ رحمه الله _ من وثيقة ابتياع عند قــول العاقد : اشتراء تامًا بغير شرط، لفظ_ **بغير** _ ورده _ **بلا** _ لحظًا لهذا الذي قاله ابن السّيد والله أعلم .

قال : وتعقّب بعض متأخّريهم قول من يكتب منهم : بما في المبيع من الحقوق[7] أو بحقوق ما في المبيع [8] لأنّه يوجب بذلك البيع في جميع ما للبائع [9] من متاع ، ورأى أنّ الصّواب بما للمبيع من الحقوق، هــذا وإن كان قد علم أنّه لا يريد إلاّ حقوق ما في المبيع ممّا اشتملت عليه عقدة البيع، وأمّا متــاع البــائع فلــم تتضّمنه العقدة ولا هو من مقصودها، فتحرير اللّفظ أولى رفعًا للتّوهم البعيد، وأخذًا بالاحتياط الــشّديد .

انتهى

---

(1) أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن السّيد ، فقيه وعالم باللّغة والأدب ، ولد ونشأ بطليموس في الأندلس ، وانتقل إلى بلنسية فسكنها ، وتــوفي بها سنة احدى وعشرين وخمسمائة ، من مؤلّفاته : الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنــس ، التنبيــه علــى السبب الموجب وغيرها . أنظر ترجمته في :

الفيروز أبادي مجد الدّين محمّد بن يعقوب (ت 817 هـ / 1414 م) ، البلغة في تراجم أئمّة النّحو واللّغة ، تحقيق محمّد المــصري ، دار ســعد الدّين للطّباعة والنّشر ، ط1 ، دمشق ، 2000 / 174 – 175 ، المقري ، أزهار الريّــاض ، م.س ، 3 / 101- 103 ، الــضّبي ، م.س ، 2 / 436 ، الزركلي ، م.س ، 4 / 123

(2) ط ، د : – « لا »

(3) الغرناطي ، م.س / 13 - 14

(4) هـ : – « رحمه الله تعالى » ، ض ، د : – « تعالى »

(5) هـ : – « لي » ، ض ، د ، ح : « بشر لي » ، ر : « نشر لي »

(6) أبو محمّد عبد الكبير بن محمّد بن عيسى بن محمّد بن بقي الغافقي المالكي، شيخ الفقهاء بصير بالشّروط ، متقدّمًا في الفتيا ، من أهل مرسية ، سكن اشبيليّة وولّي القضاء والفتيا برندة ، ونيابة القضاء بقرطبة ، توفي سنة (617 هـ / 1220 م)، له كتــاب في التّفــسير ، ومختــصر في الحديث . أنظر ترجمته في : مخلوف ، م.س ، 1 / 176 ، الزركلي ، م.س ، 4 / 49-50

(7) ض : « المنافع »

(8) ض : – « أو بحقوق ما في المبيع »

(9) ض : « للمبيع »

الباب الرّابع : في ما ينبغي للموثّق أن يتحرّز[1] منه ويتفطّن إليه

الفصل [الأول : في ما ينبغي للموثّق أن يتحرّز منه]

اعلم جعلني [2] الله وإياك ممن أخذ حظّه من الحزم وكفله، وجنّبنا طرق الاهمال [3] والغفلة ، أنّ ممّا ينبغي للموثّق أن يتحرّز[4] منه :

« أن يتمم عليه[5] زيادة حرف في الكتاب، فقد تغير الألفاظ[6] المعنى إذا زيدت، مثاله : أن يقرّ رجل[7] بألف درهم لرجلٍ [8] فيكتب في الوثيقة : أقرّ أنّ له عنده ألف درهم ، فإن لم يذكر نصف المبلغ أمكن زيادة الياء فتصير ألفي درهم، وكذلك [9] لو كان في الوثيقة أنّه [10] أقرّ بألف درهم لزيد وعمرو ، فإذا زيدت ألف بين زيد وعمرو [11] صارت لزيد أو عمرو، فيبطل الدّين من أصله ، لأنّ الألف لم يجزم بها لواحد منهما، وقد يكون في الوثيقة دينارًا واحد فيجعل دينارًا ونصف لأنّ الواحد يصلح [12] نصف، وقد يكون آخر السطر بياضًا يمكن أن يزاد فيه شيء ، كما لو كان آخره بكر فيزيد [13] بكران ، أو يكون عمرو فيجعل [14] عمران. [15] » [16] أو محمّد فيجعل محمّدان، وما أشبه ذلك .

---

[1] ض : « يحترز »

[2] ط ، هـ ، ح : « جعلنا »

[3] ط : « الانتحال »

[4] ض : « يحترز »

[5] د : - « أن يتمم عليه »

[6] ط ، هـ ، ر : « الألف »

[7] ض ، د : « الرّجل »

[8] ط ، ض ، د : + « لرجل »

[9] ط : « وذلك »

[10] ر : - « فيكتب في الوثيقة : أقرّ أنّ له عنده ألف درهم ، فإن لم يذكر نصف المبلغ أمكن زيادة الياء فتصير ألفي درهم، وكذلك لو كان في الوثيقة أنّه أقرّ بألف درهم »

[11] ط ، هـ : + « فإذا زيدت ألف بين زيد وعمر » ،

[12] ض : « يصلح ويكون »

[13] ط ، هـ : « فيزاد »

[14] ض : « فيكون »

[15] د : - « وقد يكون في الوثيقة دينارًا واحد فيجعل دينارًا ونصف، لأنّ الواحد يصلح و نصف، وقد يكون آخر السطر بياض يمكن أن يزاد فيه شيء ، كما لو كان آخره بكر فيزيد بكران، أو يكون عمرو فيجعل عمران أو محمّد فيجعل محمّدان، وما أشبه ذلك »

[16] ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 197 – 198

وكذلك إذا دمى[1]رجل على زيد وعمرو، فإذا زيدت ألف بين زيد وعمرو بطلت التدمية على كل واحد منهما لعدم الجزم ، وكذلك في سائر الحقوق من البيوع والوصايا والطلاق والعتق [2] وغير ها ،

« وكذلك ينبغي له أن يتفقّد حواشي الوثيقة، فقد يبقى منها ما يمكن أن يزاد فيه ما يغير حكمًا في الكتب [3] إمّا [4] كلّه أو بعضه . » [5]

وقد ذكر الشيخ شّهاب الدّين القرافي [6]_ رحمه الله تعالى _ [7] في كتاب"الاحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام" [8] :« أنّ بعض العلماء المشاهير استفتي عن رجل مات وخلف أمًا وأخًا لأمٍ وابن عمٍّ ، وترك الكاتب في آخر السّطر بياضًا ثم قال المفتي في جوابه : للأمّ الثّلث، وللأخ للأم السّدس، والباقي لابن العمّ، فلمّا أخذ المستفتي الفتيا كتب في ذلك البياض وأبًا، ثم دوّر الفتيا على النّاس بالكوفة [9] وقال[10] : انظروا فلانًا كيف حجب الأب بابن العمّ ، وورّث الأخ[11] مع وجود الأب، فقال أصحابه :مثله ما يجهل هذا ، فقال : هذا خطّه شاهد عليه ، فوقعت فتنة عظيمة بين فئتين عظيمتين من الفقهاء و[12] قال : فينبغي

---

(1) ر : « إدّعى »

(1) دمى : دمى الجرح أي خرج منه الدّم و لم يسيل ، وأدمى فلانا أي ضربه حتى خرج منه الدّم ، ويقال أخرج من أنفه الدّم ، دمى الجرح و أدماه أي تقرّب إليه بإسالة الدّم . أنظر : المعجم الوسيط ، م.س (مادة دمى) / 298

(2) ط : « العتاق »

العــتق : عتق الشيء عتقًا، قدم وبلغ نهايته ومداه ، ويقال أعتق العبد أي حرّره وأخرجه من الرّق .أنظر :المعجم الوسيط (مادة عتق) / 582

(3) ض ، د ، ح ، ر : « الكتاب »

(4) ط : « أو »

(5) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 198

(6) أبو العبّاس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن ، شّهاب الدّين الصّنهاجي، القرافي ، البهنسي ، من أبرز علماء المالكية في عصره ، نسبته إلى صنهاجة من بلاد البربر، وإلى القرافة ، المحلّة المجاورة لقبر الامام الشّافعي بالقاهرة ، مصري المولد والمنشأ والوفاة ، له مصنّفات جليلة في الفقه والأصول منها : أنوار البروق في أنوار الفروق ، الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والامام ، العقد المنظوم في الخصوص والعموم ، الذّخيرة في فروع المالكية ، وغيرها من المصنّفات ، توفي سنة 684 هـ . أ نظر ترجمته في :

السّيوطي، حسن المحاضرة ، م.س ، / 316 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 188 ،حاجّي خليفة ، م.س ، 1 / 825 ، الزركلي ، م.س ،1 / 94-95

(7) هـ : + « تعالى » ، ض : - « رحمه الله تعالى » ، د : - « تعالى »

(8) عنوانه كاملاً : القرافي شّهاب الدين أحمد بن إدريس (ت 684 هـ / 1285 م) ، الاحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام وتصرّفات القاضي والامام ، اعتنى به عبد الفتّاح أبو غدة ، دار البشائر الاسلامية للطّباعة والنّشر، ط 3 ، بيروت (1416 - 1995) .

(9) الكوفة : مدينة عراقية ، تقع على نهر الفرات ، سميت بالكوفة لاستدارتها ، وقيل لاجتماع الناس بها ، وقيل سميت بجبل صغير في وسطها ، بنيت سنة (17 هـ / 638 م) ، اتخذها علي بن أبي طالب مقرّا لخلافته سنة (35 هـ / 656 م) وانتهت بعد خمسة أعوام بمقتله فيها ، وفي العصر العباسي الأول فضل العبّاسيون أتخاذها عاصمة لهم لقربها من ايران المحطة الأولى لضهور دعوتهم ، وقد استمر هذا ، حتى بناء بغداد سنة (144 هـ / 736 م) .

أنظر : ياقوت الحموي ، م.س ، 4 / 490 - 493 ، البغدادي ، مراصد الاطّلاع ، م.س ، 3 / 1187 ، العفيفي ، م.س / 408 - 409

(10) ح : « فقال »

(11) ض : « الأخ للأم »

(12) ض : « ثم » ، د : - « و »

للمفتي أن يحذّر من مثل هذا وأن يسدّ البياض ،كما يفعل الورّاقون في كتب [1] الأحباس وغيرها، حــذرًا من التتميم، وينبغي له إذا وجد سطرًا ناقصًا في آخر الفتيا أن يكمله بخطّه بما يكتبه في الفتيا . » [2]

« وينبغي للموثّق إذا ترك في آخر سطرٍ من الوثيقة فرجة لا تسّع [3] وضع الشهادة أن يكتب فيها حــسبيّ الله ونعم الوكيل أو الحمد لله، مستحضرًا لذكر الله تعالى ناويًا له ، ولا يضعها في آخر السطر بلا نيّة، فقد نصّ القرافي على النّهي عن ذلك . » [4] ثم يضع شهادته في أوّل السّطر بعده ثم [5] يعطف [6] عليه متصّلاً به [7] من بعده .

« وينبغي للموثّق إذا أتاه رجل لا يعرفه يزعم[8] أنّ اسمه كذا ، ويسأله [9] أن يكتب عليه مسطورًا بــألف درهم مثلاً لفلان ، أن يتوقف فإنّه [10] قد يتسمّى له باسم غيره ، ثمّ بعد مضي زمان[11] يخرج المكتــوب ويدّعي به على صاحب الاسم ، ولعلّ الكاتب قد نسيه أو مات الشّهود فيثبت ذلك بالخطّ فيحكم علــى ذلك المدّعو باسمه وهو بريء ، فلا يكتب إلاّ لمن عرف اسمه وعينه معرفة تامة وكذلك الحكم في كل

---

(1) ض : « كتاب »

(2) القرافي ، الاحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام ، م.س / 238 – 239

(3) ط : « لا يتسّع » ، هــ : « لا تضع »

(4) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 198 ، وقد ذكر القّرافي في هذا المجال تنبيهًا جاء فيه : « ينبغي للمفتي إذا وجد في آخر السّطر خللاً أو بياضًا خاليا أن يسدّه بما يصلح ، فإنّه ذريعة عظيمة للطعن على العلماء المفتين وذريعة للتوصّل للباطل والتتميم » أنظر : القّرافي ، الاحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام ، م.س / 238

(5) ط ، ض ، هــ ، د ، ر : « و »

(6) ط : « يضيف »

(7) هــ، ض ، ر : + « به »

(8) هــ : « فزعم »

(9) هــ : « ويسأل»

(10) هــ : « لأنّه »

(11) ض : « مدة زمان »

كتاب في مبايعة أو تمليك أو عتق أو وقف أو صداق أو طلاق ، و لا يكتفي بمجرّد قول الشخص [1] أنـا فلان ولا بالحليّة [2] على المشهود، [3] فإنّ الحليّة تتغير والنّاس يتشابهون، فينبغي له أن يكون ذكّيًا، فطنًا، عارفًا، لئلاّ يدخل الضرر على النّاس بجهله الصّناعة ،ولا يكتب لأحدٍ مبايعة إلاّ بعد[4] أن يحضر كتبها فـإن شهدت بصّحة [5] ما يطلب كتابته بانتقالها إليه بشراء أو ميراث أو هبة أو صدقة أو نحو ذلك كتب، وإلاّ لم يكتب ، إلاّ أن يكون رجلاً معروفًا مشهورًا [6] بالصّدق والأمانة. » [7]

« وكذلك إذا أتاه رجلان وهو لا يعرف إلاّ أحدهما ، فيشهده أنّي قبضت من هذا ويشير إليه ولا يـذكر إسمه حقًا لي عليه، وهو كذا وكذا وأبرأته ، أوله على كذا و[8] ما أشـبه ذلـك ممّـا يتعلّـق فيـه الحـقّ للمجهول[9] عنده ، ثم ينصّرف المقر ويريد المشهود له تقييد الشّهادة [10] ، فينبغي له أن يتوقف[11] إلاّ أن يعرف[12] المشهود له ولا يعتمد على [13] قول المشهود له في غيبة المقر أنّ اسمه فلان فلا يصّح ، لأنّه ربمـا سمّى [14] غير نفسه ممن [15] عليه للمشهد الغائب حق كبير ليضيعه ، أو خصام شديد ليقطعه، وشبه ذلك مما يتأذى به الغائب. » [16]

---

(1) ط : « الشيخ »

(2) الحلية : الصفة ، والصورة ، والخلقة ، يقال تحلاّه ، أي عرف صفته ، وتَحْلِّيتُك وجه الرّجل ، إذا وصفته .
أنظر إبن منظور ، م.س ، (مادة حلا) ، المجلد الثاني ،م.س ، 12 / 985 ، المعجم الوسيط ، (مادة حلا) ، م.س/ 195

(3) ض : « على المشهد وعليه »

(4) د : - « بعد » ، ر : « إلاّ بعد » مكررة

(5) ض : « بيّنة بصّحة »

(6) ض : - « مشهورًا »

(7) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 202 – 203

(8) د : « كذا وكذا أو »

(9) ض : « الحقّ فيه بالمجهول »

(10) ض : « شهادته »

(11) د : - « له أن يتوقّف »

(12) ض : - « إلاّ أن يعرف »

(13) هـ ، ض ، د ، ح : - « على »

(14) ط : « يسّمي »

(15) ض : « فما »

(16) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 195

قال في " تنبيه الحكّام " :

« ولا ينبغي للشّاهد أن يتوهّم أنّ أحدًا لا يفعل مثل هذا ، فقد يفعل ذلك لوجوه ، واقدام الكاتب على ذلك أمر فادح وغلط واضح . » [1]

وينبغي له إذا أتاه رجل يذكر [2] حقًّا عليه لغائب يشهده على نفسه للغائب بذلك ، فلا [3] يشهد لأنّه قد يريد بذلك [4] اثبات الخلطة بينه وبين الغائب حين يدّعي عليه، ولكّن يكتب القصّة على وجهها فيقول إنّه غائب لم يوافقه على الاقرار . [5]

« وينبغي له إذا آتاه رجل وامرأة تزعم أنّها زوجته ، وأنّه يقصد طلاقها وليس معهما كتاب نكاح يدّل على الزوجية، وأراد كتابة الطّلاق في رقعة مجرّدة أن يتفطّن[6] ويتوقّف، فإنّ بعض النّاس يجعل[7] ذلك ذريعة للنّكاح بلا وليّ ولا شهود[8] ، فلا يكتب براءة الطّلاق حتّى يعلم صّحة الزوجية بينهما. » [9]

---

(1) أبو الأصبغ ، تنبيه الحكّام ، م.س / ورقة 32 ض

(2) ر : « فذكر »

(3) ض : « أن لا »

(4) ر : – « بذلك »

(5) ابن فرحون ، تبصّرة الحكّام ، م.س ، 1 / 195

(6) ر : « يتعين »

(7) ر : « يجعلون »

(8) ر : « و شهود »

(9) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.ن ، 1 / 202

و في " فهرسة " [1] القاضي[2] أبي الفضل عيّاض [3] _ رحمه الله تعالى _ ، عن الشّيخ أبي بكر ابن البرّاء الخزرجي [4] :

---

(1) عنوانه كاملاً :

القاضي عيّاض أبو الفضل عيّاض بن موسى اليحصبي (544 هـ / 1149 م)، الغنية ، فهرست شيوخ القاضي عياّض (476 – 544 هـ /1083- 1149 م)، تحقيق ماهر زهير جرّار ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1982 .

ومن المآخذات التّي سجّلها محقق الكتاب على الغنية ، عددًا من الرّوايات والأخبار التي وردت عن شيوخ عيّاض ممّا لم تتضمّنه فهرسته ، ومثال ذلك ماورد في كتاب التعريف بالقاضي عيّاض لولده محمّد ، حيث ذكر ما أورده الونشريسي قائلاً : « وفي فهرست القاضي أبي الفضل عيّاض _ رحمه الله _ عن الشّيخ أبي بكر ابن البرّاء الخزرجي ... » فيبدو أنّ الونشريسي نقله عن التّعريف ، وذكر أنّه ورد في فهرست القاضي عيّاض ، ضنًا منه أنّ أبا عبد الله محمّد بن عيّاض أخد عن فهرسة أبيه ، وممّا يؤكّد ذلك ما ذهب إليه عددًا من الشّيوخ والعلماء ممن وصف الغنية أو نقل منها . أنظر : القاضي عياض ، الغنية ، م.س / 08 ، والنص الذي بين أيدينا يثبت ذلك ، حيث لانجد له أثرًا في كتاب الغنية ، بينما نجده في كتاب التعّريف بالقاضي عيّاض .

(2) ض : « الشّيخ القاضي »

(3) أبو الفضل عيّاض بن موسى بن عيّاض اليحصبي ، أصله من الأندلس ، ومولده بسبتة سنة ست وسبعين وأربع مائة ، أخد العلم بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمّد ابن علي ابن حمدين ، وعبد الملك ابن سراج ، وأبي محمّد ابن عتاب وغيرهم ، وأخد بالشرق عن أبي علي حسن بن محمّد الصدفي وعن غيره ، تفقّه في علم الحديث وله عناية كثيرة به ، تولى قضاء سبتة مدّة ، ثم قضاء غرناطة ، صنّف التّصانيف البديعة منها: الاعلام في حدود الأحكام ، اكمال المعلّم ، الالماع في صّحة الرّواية وتقييد السّماع ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، الشّفا بتعريف حقوق المصطفّى ، الغنية في أسماء الشيوخ وغيرها من التّصانيف ، توفي ودفن بمراكش سنة 544 هـ . أنظر ترجمته في :

النباهي ، م.س / 101 ، إب العماد ، م.س ، 6 /226 ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ،م.س ، 4 / 1304-1306 ، البغدادي ، هدية العارفين ، م.س ، 1 / 805

(4) الخزرجي : كذا في جميع النسخ ، وهو تصحيف ، صوابه الجزيري ، حسب ماثبت في الغنية ، والتعريف بالقاضي عياض وهو :

أبو بكر محمد بن عبد الله بن البرّاء الجزّيري ، روى عن أبي بكر المرشاني ، وروى عنه أبو الفضل عيّاض ، شاعرًا وأديبًا ، متقدّمًا في علم العربية والآداب ، مجيدًا في قرض الشّعر، اقرأ النّحو والآداب بسبته مدّة ، وتولّى خطّة الشّرطة بها ، عمّر طويلاً ، وتوفيّ ببلده بالجزيرة الخضراء ، في حدود عام خمسمائة . أنظر ترجمته في :

ابن عبد الملك ، السّفر السّادس، م.س / 277، القاضي عيّاض ، الغنية ، م.س / 60 ، 79- 80

« أنّ امرأة جاءت إلى مجلس القاضي أبي عبد الله محمّد /(1) بن عبد الله (2) ومعها رجل من السقّائين زعمت أنّه زوجها وأنّه طلّقها ومعها عقد مباراة (3) ، زعمت منه فزعمت (4) الاشهاد عليه في العقد فشهد، لها من بالمجلس عليه وعليها بمضمونها وتم طلاقها ، فلمّا أخذتها أخرجت صداقها وفيه اسم الرّجل الذي في المباراة(5) وطالبته بحال صداقها عليه، فلم يمكن الرّجل الانكار ولجأ إلى عدمه وأن ليس عنده ما يؤدّي ، وطلب منه (6) شاهد(7) بذلك، فقالت : يكذب والله يا سيّدي إلى أن(8) أخذ مثقالاً بحضرتي(9) وتراه في فيه ، فضمّ الرّجل فاه وعمد إليه بعض الأعوان، فأخرج من فيه دينارًا فدفع إليها وكأنّما بلعتها الأرض، فأقبل المسكين يصيح، وقال للقاضي ومن معه: اسمعوا قصّتي(10) مع هذه المرأة ، والله ما أنا لها بزوج ولكنّها احتالت عليّ ولقّتني فقالت لي : هذا مثقال في يدك في حاجة هي خفيفة عليك وما رأيت في يدي مثقالاً قبل(11) فقلت لها :

وما تريدين (12) مني فقالت : هذا عقد مباراة (13) وقد كتبتها وأنا أريد (14) أن يشهد الشّهود على طلاقي

---

(1) نهاية ورقة 8 و (ق)

(2) ر : « ابن عبد الوهاب » وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه في المتن ، و إتفقت عليه بقية النسخ .

(2) أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن محمّد الأموي ، أحد شيوخ عيّاض بسبتة ، وقاضيها ومفتيها ، وصف بالصلاح والعفّة والزّهد من أهل الورع ، ولّي القضاء مرتين ، مرّة أيام برغواطة ، والأخرى أوّل دّولة المرابطين ، سمع من القاضي أبي الأصبغ بن سهل ، ومروان بن عبد الملك تفقّه بأبي علي بن البرية ، وأبي عبد الله ابن العجوز ، والمسيلي ، وابن سهل ، توفيّ في السادس من رجب سنة سبع عشر وخمسمائة ، عن أربعة وسبعين سنة ، وضريحه موجود بمقبرة مسجد المحلّة بسبتة .

أنظر ترجمته في : القاضي عيّاض ، الغنيـة ، م.س / 58 ، ابن القاسم الأنصاري السّبتي ، ، م.س / 21

(3) ط : « المبارات » ، هـ ، ض ، د ، ح ، ر : « مبارات »

(3) مبارأة : يقال بارأه ، أي فارقه ، وبرأ امرأته مبارأة ، أي صالحها على الفراق .

أنظر : المعجم الوسيط ، مادة (برأ) ، م.س/ 53 ، الفيروز أبادي مجد الدّين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ / 1414 م) ، القاموس المحيط ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط 3 ، مصر ، 1978 ، ،مادة (برأ) ، 1 / 08 ، الزّبيدي محمّد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1965، مادة (بارأ) ، 1 / 148

(4) ط : « فطلّقت » ، ر : « و طلّقته »

(5) ط ، د ، ر : « المبارات » ، هـ ، ض ، ح : « مبارات »

(6) ط ، هـ ، ح : « وطلقته » ، ض ، د : « بذلك وطلعته »

(7) ض : « شاهدًا عليه » ، د : « شاهدةً »

(8) هـ ، ض ، ح : « كما » ، د : « لقد »

(9) ض : – « بحضرتي »

(10) هـ : « قضيتي »

(11) هـ : « قطّ »

(12) ط ، هـ ، ح ، ر : « تريد »

(13) ط : « المبارات » ، هـ ، ض ، د ، ح : « مبارات »

(14) ض : « وقد كتبته وأنا أرجوا »

فيها كأنّك زوجي لا غير، والمثقال لك على أن لا يلزمك فيه [1] خراج عدّة [2] ولا مؤونة حملٍ إن ظهر ، ولا تعقّب بل افتداء [3] تام ، فقلت : أمر خفيف وحملني حبّ الدّينار [4] والجهل بما يلزم على أن أجبتها [5] ، وجئت معها وأنا والله ما أعرفها فكان منّي ومنها ما رأيتم، فأدرك الجميع العجب من خبرهما وعلموا أنّها تحيّلت بذلك [6] لرجوع زوجٍ أو انحلال من زوج غائب، وعذروا الرّجل بالجهل [7] . » [8]

« وينبغي له إذا أتاه رجل وامرأة وأرادا تجديد الصّداق وهما بلديان أن لا [9] يكتب لهما، حتى يعلم صّحة الزوجية بينهما وإتصّالها . » [10] لأنّ ذلك ذريعة إلى النّكاح بلا وليّ أيضًا بخلاف الطارئين، وهل يشترط [11] قدومهما مصطحبين اصطّحاب الزّوجين أو لا [12] ؟ قولان لابن عبد السّلام عن المذهب والشيخ أبي الحسن اللّخمي [13] .

« وينبغي له إذا حضره الزوج والزوجة وطلب الزوج أن يكتب له على زوجته أنها أبرأته من الصداق أو من النفقة والكسوة و نحو ذلك ، أن [14] لا يكتب له حتّى يصّح عنده أنّها غير محجور عليها

---

(1) ط ، ض : - « فيه »

(2) ض : « خراج فيها من عدة »

(3) هـ : « ابراء » ، ض : - « بل »

(4) د ، ر : « الدّنيا »

(5) ض : « اتّبعتها »

(6) ط : - « بذلك »

(7) ط : « للجهل»

(8) أبو عبد الله محمّد بن عيّاض بن موسى بن عيّاض (575 هـ / 1179 م)، التّعريف بالقاضي عيّاض ، تحقيق وتقديم محمّد بن شريفة ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية مطبعة فضالة ، ط 2 ، المملكة المغربية ، 1982 / 76 - 77

(9) ط : « ألاّ » ، ر : - « أن »

(10) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 201- 202

(11) ط ، هـ ، د ، ر : « بشرط »

(12) ض : - « أو لا »

(13) أبو الحسن علي بن محمّد الربعي المعروف باللّخمي القيرواني ، الامام الحافظ ، رئيس الفقهاء في وقته ، تفقّه بابن محرز ، والسّيوري ، والتّونسي ، وابن بنت خلدون ، وجماعة ، وبه تفقّه جماعة منهم ، المازري ، وأبو الفضل النّحوي ، وأبو علي الكلاعي ، وعبد الحميد الصّفاقسي وغيرهم ، له تعليق على المدّونة ، سمّاه التّبصرة ، مشهور معتمد في المذهب ، توفي سنة (478 هـ / 1085 م) بصفاقس ، وقبره بها معروف.

أنظر ترجمته في :

مخلوف ، م.س ، 1 / 117 ، الدبّاغ ، م.س ، 3 / 199- 200 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب / 298 .

(14) ط : - « أن » ، ر : « ألاّ »

بأب [1] أو وصيٍّ أو حاكم وإن كانا غريبين لم يكتب ، وينبغي إذا حضرت المرأة وأرادت [2] أن يكتب لها هبة شيءٍ من مالها، فإن كان أزيد من الثّلث ولها زوج أن لا [3] يكتب لها حتّى يحضر زوجها ويأذن إذ الحق له في ذلك، فإن لم يعلم حالها سئلت [4] عن حالها وهل لها زوج أم لا . » [5]

« وينبغي له أيضًا أن لا يهمل سؤال المعتدّة إذا أرادت النّكاح ، ومباحثتها عن انقضاء العدّة بما يفهم به أحكامها على التفصيل وتعيين الاقراء ونحو ذلك من شرط الحيضة في عدّة الوفاة فيجتهد في ذلك ولا يكتفي بقولها : انقضت عدّتي على الاجمال، فإنّ النّساء اليوم قد جهلن ذلك جهلاً كبيرًا [6] بل جهله كثير ممن يظنّ به [7] علم ويرى لنفسه حظًّا وتقدّمًا . » [8]

قال في " تنبيه الحكّام" : « وقد عاينت بعض الجهلة من الموثّقين يستفتي [9] عن سؤال المرأة جملةً إذا وجد لتاريخ الطلاق شهرين فصاعدًا قال : وقد [10] اتخذ اليوم هذا المقدار من المدّة كثير من النّساء والرّجال أجلاً [11] في اكمال عدة الطلاق، وما أدري كيف كان أصل هذا الغلط القبيح . » [12]

---

(1) هـ : « لأب »

(2) د : « و أراد »

(3) ط ، ر : « ألاّ »

(4) ض : « سئلت له البيّنة »

(5) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 202

(6) ط : « كثيرًا »

(7) د : - « به »

(8) أبو الأصبغ ، تنبيه الحكّام ، م.س ، ورقة 33 و ، ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 195

(9) ط ، ض : « يستغني »

(10) ط : - « وقد »

(11) هـ : « أصلاً »

(12) أبو الأصبغ ، تنبيه الحكّام ، م.ن ، ورقة 33 ، ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 196

« وينبغي له [1] أن يجتنب الشهادة بموت غائب بتعريف من عرفه، فقد يكون بلغه ذلك بلاغًا غير موثوق به فيشهد بموته ثم يقدم [2] فتكون فضيحة. » [3]

قلت : وقد نزلت بشيخ شيوخنا الشّيخ الامام أبي الفضل[4] بن الامام [5]، شهد بموته ببلاد المشرق عند قضاة تلمسان، فقسّمت تركته ثم قدم وأملى في المسألة_ رحمه الله تعالى _ مقالةً سمّاها : " النشر بعد الطّي، فيمن قبر وهو حيّ ".

« وينبغي له أن يجتنب [6] الشّهادة بصّحة [7] ما عرّفه به العوام ومن لا يضبط ما يقول . » [8]

« وينبغي له إذا شهد في كتاب فيه ثقب في أصل الورق [9] أن ينّبه عليه فيقول : وفي سطر كذا من هذا الكتاب [10] ثقب قبله كذا وبعده كذا، وكذلك يفعل في عدّة مواضع ، ولا يكتب أن ّفي الكتاب قرض فأرٍ فإنّه لا يدري أقرضه الفأر أم غيره ، وكذلك إذا [11] شهد في كتاب سليم من الآثار ثم يجد فيه أثـرًا حين الأداء، فإن كانت مقاصد الكتاب قد سلمت أقام الشّهادة وقال : خلا موضع الآثار[12] وهي كذا وكذا موضعًا ويصفها ويقول : إنّها كانت سالمة يوم وضع الشّهادة، وإن كان القرض في موضع يحيل معنى من مقاصد[13] الكتاب فلا يشهد أصلاً. » [14]

وسيأتي في الباب الثّامن تمام هذا وبسطه [15] إن شاء الله تعالى .

---

(1) ض : – « له »

(2) ض : « فيقدم »

(3) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 199 – 200

(4) ط : + « أبي الفضل عيّاض »

(5) أبو الفضل محمّد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الله التلمساني ، الشهير بابن الامام ، عالم وإمام ، وفقيه ، وصاحب فنون عقلية ونقليه ، راسخ في البيان والتّصوف ، والأدبيات ، والشّعر والطّب ، أخد عنه ابن مرزوق الكفيف ، ومحمّد ابن عبد الجليل التنّسي ، وتقي الدّين السمني ، عرف برحلاته العلمية من تونس إلى القاهرة والشام ، توفي عام 845 هـ .
إبن مريم ، م.س / 220-221 ، السخّاوي ،الضوء اللامع ، م.س ، 10 / 74 ، المقريزي ، م.س ،3 / 87 - 88

(6) ض : « يكتب » ، ح ، ر : « يتجنّب »

(7) ر : « الشهادة بموت غائب بصّحة »

(8) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 200

(9) ط : « الورقة »

(10) ح : « الكتب »

(11) هـ : « وكذا إن » ، ض ، د ، ح ، ر : « إن »

(12) ط ، ض : « الأثر »

(13) ض : « معاني »

(14) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.ن ، 1 / 198

(15) ض : – « بسطه »

« وينبغي له إذا سئل عمّا لا يذكره أن يقول : ما أذكره ، ولا يقول : ما كان ذلك ، فإنّه قد يذكره ، و لو قال ما كان ذلك ثم ذكره وشهد به كان قد خالف ما قاله أولاً، وإن أمسك عن الشّهادة كان مأثومًا [1]، فينبغي أن يضبط هذا المعنى وكل ما تقدّم فإنّه ينفع[2] في أشياء كثيرة . »[3] وأمور أكيدة [4] أثيرة .

وفي " تبصرة الحكّام " عن " كتاب الشّهادة [5] " لأبي الفضل العبّاس بن اسماعيل ابن حبيب الجوهري [6] :

« ينبغي للشّاهد إذا جيء إليه بكتابٍ ليشهد فيه ، أن يقرأ جميع ما فيه ليعرف الخطأ إن كان فيه من الصواب، والصّحيح من السقيم فيعرف ما يشهد عليه ، ولتكن قراءته إيّاه على المشهود [7] عليه، قال : وكذلك ينبغي تجنّب الشّهادة على النّساء اللاتي ليس له بهن خلطة ، فلن تضبط معرفة المعروفة منهنّ فكيف بالمجهولة ، و التي لا يراها الشّاهد في عمره إلاّ [8] مرّة واحدة ، وهي مجهولة [9] مختفية مستترة أو من وراء حجاب متكلّمة، ولذلك قال مالك : وتكشف من لا تعرف، وليشهد على رؤيتها ويتثبت في شخصها . »[10]

وسيأتي في الباب السّادس مزيد تحصّيل في هذا المعنى إن شاء الله[11].

---

(1) ط ، هـ : « ماثوقا »

(2) ر : « ينتفع »

(3) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.ن ، 1 / 200

(4) ض ، د ، ر : « كبيرة »

(5) ح ، ر : « الشهادات »

(6) لم أقف على ترجمته

(7) ض : « المشهد و »

(8) د : « ولا »

(9) ط ، ح : - « مجهولة »

(10) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.ن ، 1 / 197

(11) ض : « إن شاء الله في هذا المعنى »

وفي "وثائق [1] الشّيخ أبي الحسن الرّعيني"_ رحمه الله _ : « لّما كان مقصود العقود [2] تحصّين الحقوق المالية كالمبايعات، والمداينات، وضروب المعاملات، والفروجية [3]، كالمناكحــات، والمباينــات، والمراجعــات، وتصحيح القرب الملتزمات [4] كالوصايا، والأحباس ، والهبات ، واستحفاظ الشّهادات وغير ذلك [5] من الأنواع المختلفات ، وكان من ضرورة ذلك أن يدور على المشهود عليه والمشهود له [6] ، ومتعلّق الاشهاد، وتاريخه، وإيداع ذلك كله تحت ضابط هذه [7] الشّهادة، ولهذه الأمركان [8] في دواهــا أحكــام ، تترتــب أحكام [9] المعاقدات عليها ويستند في ايجاب الحقوق أو نفيها إليها، لم يكن بدّ من اثباهما والتعريف بكلياهما ، والاستدراك لما أغفل من أصولها و أمّهاهما ، فمن ذلك كلّ عقد لا بدّ فيه من ايراد ما تقع به الكفاية في تمييز العاقدين من اسمٍ ونسبٍ، وقد يقرن بذلك [10] ذكر الصّناعة واللّقب أو أحدهما، وقد يذكر مع ذلك إذا لم يكن المعقود عليه شهيرًا ببلد سكناه أو [11] ملتزم حرفته [12] زيادة في البيان [13]، قالوا :

---

(1) لم أقف على هذا الكتاب

(2) ط : « العقد »

(3) د : « الفروجيات »

(4) ض : « الملزمات »

(5) ض : « وغيرها »

(6) ط ، ض ، د ، ح ، ر : « المشهد والمشهد له »

(7) ر : - « هذه »

(8) ح : « الأركان »

(9) ط ، د ، هــ ، ر : + « أحكام » ، ض : - « أحكام » ، ح : « مرتب أحكام »

(10) ض : « يعرض لذلك »

(11) ط : - « أو »

(12) ض : « حرفة كذا »

(13) ض : « للبيان »

ويستّحب أن يكتب اسم الرّجل[1] واسم أبيه وجدّه ليرتفع الاشكال ، فربّما اتفقت أسماء الرّجلين[2] وأبويهما، وقالوا في المقّر[3] له بنسب أو ولاء ، إن لم يحضرمع من أقرّ له فليذكر في العقد: موضعه، ومسكنه[4] ، وصّنعته، ونعته [5]، وما يتحقّق [6] به معرفة عينه، و كذلك ينبغي في نظائره كمن أوصى له بشيءٍ وهو غائب، وكمن طلّق امرأة [7] ذكر أنّها زوجه ولا تعرف عينه[8] تحرّزًا من أن يكون مشخّصًا، وإذا لم يكن المشهود بحق على نفسه معروفًا عند/ [9] الشهداء [10] استظهر بنعته[11] وتوخّى [12] من ذلك اثبات ما تقلّ فيه الشّركة ، فقد ينكر[13] يومًا ما ويذهل الشّاهد عن المشهود له فيتذكر بما أثبت من النّعت ويستدّل به، فإن ارتاب لم يكن في الشّهادة منتفع، وكذلك[14] كان الحزم أن لا يشهد للمتعاقدين[15] إلاّ من يعرفهم سدًا لمواضع الخلل . » [16]

---

(1) د : - « الرجل »
(2) ض : « أسماء الرجل من أسماء الرجلين »
(3) ض : « العقد »
(4) ض : « وسكنه »
(5) ض : « ونعمته » ، د : « ونعته وصّنعته »
(6) ط ، هـ ، ض ، د : « وما تتحقّق »
(7) د : « زوجته »
(8) ض : « عيناه »
(9) نهاية ورقة 8 ض (ق)
(10) ض : « الشّهود »
(11) ض : « بنعمة »
(12) ط ، هـ ، ض : + « وتوخّى »
(13) ض : « يذكر »
(14) ض ، ح ، ر : « ولذلك »
(15) ط ، هـ ، ح : « المتعاقدون » ، ض : « المتعاقدان »
(16) أبو الأصبغ ، تنبيه الحكّام ، م.س ، ورقة 32 ض ، 33 و

« وينبغي للموثّق أن يلتفت إلى ما كان شرطًا في نفس التّعاقد فيصرّح به، وما كان طوعًا فيــنصّ عليــه، ويعطي [1] كل معنى من اللّفظ أصّح ما يؤدّي إليه، ألا تراهم قد اختلفوا إذا أغفل الكّاتب [2] ذكر الشّرط أو[3] الطّوع فيما يلزمه [4] الزّوج للزّوجة [5] من ألاّ [6] يفعل كذا [7] وأن لا يفعل كذا [8] ، فإن فعــل [9] فأمرها بيدها وتنازعا فزعم الزوج أن ذلك تطّوع منه، وقالت الزّوجة هو مشترط عليه ، فذهب ابن العطّار ومن وافقه إلى أنّ ذلك محمول على التطّوع [10]، ويحلف الزّوج ماكان [11] النّكاح بالشّرط لّما كان [12] مكروهًا عند مالك ، وذهب قومٌ إلى فسخه، وكان الطّوع متفّقًا على جوازه دون لزوم [13] أن يحمل العقد عليه إلى أن يثبت أنّه شّرط في عقد [14] النّكاح ، وقال غيره : هو محمول على الشّرط . » [15]

(1) ض : « و يملي »
(2) هـ، ض ، د ، ح ، ر : « العاقد »
(3) ض ، د : « و »
(4) ح ، ر : « يلتزمه »
(5) ط ، هـ ، ض ، د ، ح : « لزوجه »
(6) ط ، هـ: « من أن لا »
(7) ض : « كذا وكذا » ، ر : – « كذا »
(8) هـ ، د : – « وأن لا يفعل كذا » ، ر : – « وأن يفعل كذا »
(9) ط : – « فإن فعل »
(10) ض ، د : « الطّوع »
(11) ض : « وأنّه لو كان »
(12) ط : – « لما كان » ، ض : « لكان »
(13) هـ : – « لزوم » ، ض : « لزم » ، د ، ر : « دون شّرط لزم »
(14) ط ، هـ ، د ، ر : « عقدة »
(15) ابن عـات هارون بن أحمد بن جعفر (582 هـ/ 1187 م) ، بلوغ الأمنية ومنتهى الغاية القصّية لشرح ما أشكل من الوثائق البونتية (مخ) ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، رقم 1298 (مج 03) ، ورقة 10 (بتصرف)

قال ابن فتحون [1] :

« وهو الصواب ، لأنّ كل ما عقد محمول على الشّرط إلاّ أن يصرّح فيه بالطّوع »

وقال غيره : ينبغي أن ينظر في ذلك إلى العرف الجاري في البلد الذي انعقد النّكاح فيه، فيكون القول قول مدّعيه ، وثمرة تشاحِ[2] الزوجين في هذا ، أنّ الزّوج إذا ملك زوجه أمرها [3] تطّوعًا منه ، فطلّقت نفسها له مناكرتها فيما زاد على واحدة واجبارها على الرجعة ، فإن وقع ذلك على الشّرط لم تكن له مناكرتها ، ولذلك [4] تحرّز بعض حذّاقهم في التطّوع [5] من هذا بأن قال : أمرها بيدها تطلّق نفسها بأي طلاقٍ شاءت . [6]

وينبغي له أن لا يرسل القول ارسالاً، ولا يوقع بإيراد اللّفظ المختلف فيه أشكالاً، ولا يضيق بتقييد [7] ما لا يحتاج إلى تقييده محالاً [8].

فمن الأوّل : ما وقع التّساهل به من بعض جهلة الموثّقين في ايراد محفوظة من العيوب فيما لايتبرأ منه البائع فربما ذكر منها ما ليس بموجود في المبيع ، زعمًا منه تقصّي البراءة، وهذا إذا وقع و عثر على عيب مندرج

---

(1) أبو القاسم خلف بن سليمان بن محمد ابن فتحون ، من أهل أوريولة من عمل مرسية بالأندلس ، فقيهًا ، وأديبًا ، وعالمًا بالشروط والقضاء ، استقضي بشاطبة ودانية ، ، وله كتاب في الشروط ، كما أشار إلى ذلك أبنه أبو بكر محمد بن خلف ، وزياد بن محمد ، توفي سنة خمس وخمسمائة ، من شهر ذي القعدة . أنظر ترجمته في :

الضبي ، 1 / 354 ، إبن الأبّار ، الصّلة ، م.س ، 12 / 275

(2) ط : « تشاجر »

(2) تشاح : تشاح الطرفان في أمر ، أي تسابقا إليه متنافسان فيه ، وإذا كان بين الخصمان بدا حرصهما على الغلبة ، والتشييح يعني التحذير و النظر إلى الخصم مضايقة .

أنظر : المعجم الوسيط ، مادة (شحا) ، م.س/ 474 ، الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، م.س ، مادة (تشييح) ، 1 / 230

(3) ض : « أمر نفسها »

(4) ط ، هـ : « وبذلك »

(5) هـ : « الطّوع »

(6) ط : « إن شاءت »

(7) ط : « ولا تضيق تقييد » ، هـ : « ولا يقّيد تقييد » ، ح : « ولا يضيق تقييد » ، ر : « ولا يقّيد »

(8) ح : « مجالاً »

فيما ذكر من العيوب التي ليست في المبيع، فلا تنفع البراءة منه البائع حتى يفرده بالتبري منه بتعيين موضعه والتبيين[1] على المبتاع [2] بجنسه، ومقداره ظاهرًا وباطنًا، فلا يبقى له فيه قول[3]، وقد نصّوا على أنّ البراءة في الدّواب [4] من الدُبر[5] لا ينتفع بها البائع ، حتى يبّين ما فيها من نقل [6] ، وكذلك البراءة من الابــاق [7] ، والسّرقة لا ينتفع أيضًا بها [8] حتى يقيّد غايتها لاختلاف ذلك في القلّة والكثرة، فيحمل[9] الباب كلّه في العيوب محملاً [10] واحدًا ، وعلى العاقد تحرّي [11] الصّواب في ذلك كله .

---

(1) ط : « والتعيين » ، ض : « والتبرّي »

(2) هـ : « المشتري المبتاع »

(3) ض : – « فلا يبقى له فيه قول »

(4) ض : – « الدّواب »

(5) ض : « الدّين »

(6) ض : « قول »

(7) الاباق : (أبق) هروب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كدّ وعمل.
أنظر : ابن منظور ، المجلّد الأوّل ، (مادة أبق) م.س ، 1 / 9 ، المعجم الوسيط ،(مادة أبق) ، م.س / 3

(8) ض : « ما ينتفع أيضًا بالتبري »، ر : « لاينتفع بها »

(9) ض : « ويحلّ »

(10) ض : « محلاً »

(11) ط : « تحرير »

« و من الثّـــاني : قوله في معجّل [1] الصّداق و [2] نقدها كذا ، فسحنون : يرى أنّ ذلك يبرئ الزّوج من النقد ، أخذ نقدها بمعنى أقبضها [3] ، قال الخليل [4] : نقدت الرّجل الدّراهم ، أعطيته ايّاها، فانتقدها، أي قبضها ، وابن حبيب [5] يرى أنّ ذلك لا يبرئه حتى ينص على الدّفع [6] » [7]

أخذ نقدًا بمعنى عجّل الذي في مقابلة أجّل، ولا تصريح فيه بالقبض، فلينسج الموثّق في التحـرّز[8] لمقالاتـه والتّحرير بكلماته على هذا المنوال، وليتأمل كيف طرأ الخلاف بين عالمين شهيرين للفظة هـي إلى الـنّص أقرب منها إلى الاحتمال .

---

(1) ط ، ض : « محل »

(2) ط ، هـ ، ض ، د ، ح : - « و »

(3) ض : « من النقد ، إذ بمعنى نقدها كذا دفع لها »

(4) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ،الأزدي ، اليحمدي ، من أئمّة اللّغة والأدب ، وواضع علم العروض ، وهو أستاذ سيبويه النّحوي ، له العديد من المؤلّفات منها : كتاب العين في اللّغة ، معاني الحروف ، تفسير حروف اللّغة ، كتـاب العـروض ، النقط والشكل ، وغيرها توفي بالبصرة سنة 170 هـ . أنظر ترجمته في :

الفيروز أبادي ، البلغة في تراجم أئمّة النّحو ، م.س / 133 - 134 ، السّيوطي ، بغية الوعّاة ، م.س ، 1 / 557 -560 ، الزركلي ، م.س ، 2 / 31 ، أحمد تيمورباشا ، م.س / 119- 120

(5) أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي، القرطبي ، البيري ، الفقيه والأديب ، العالم والامام في الحديث والفقه واللّغة والنّحو، انتهت إليـه رئاسة الأندلس بعد يحي بن يحي ، روى عن الغازي بن قيس ، وزيّاد بن عبد الرحمن ، وسمع ابن الماجشون ، ومطرف ، وعبد الله بن الحكم ، وعبد الله بن دينار ، وأصبغ وغيرهم ، ألّف كتب كثيرة تزيد على الألف في الفقه والأدب والتّاريخ منها : الواضحة في الفقه والسنن ، طبقات الفقهاء والتّابعين ، طبقات المحدّثين ، واستفتاح الأندلس و غيرها ، توفيّ في ذي الحجة سنة 238 هـ .

مخلوف ، م .س ، 1 / 74 – 75 ، المقري ، نفح الطّيب، م.س ، 2 / 5 – 8 ، الحميدي ، م.س / 282 – 284 ،ابن العماد، شذرات الذّهب م.س ،3 / 174 ، ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمّد بن عبيد الله الاشبيلي (529 هـ/ 1135 م) ، مطمح الأنفس و مسرح التأنّس في ملـح أهل الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، بيروت ، 1983 / 233- 237 ، الزركلي ، م.س ، 4 /157

(6) ح : - « على الدفع »

(7) الحطّاب الرعيني م.س ، 5 / 197

(8) د : « التحرير »

ومن الثّالث : قول بعضهم في طلاق غير الثلاث : طلّق[1] طلقة واحدة ملكت بها أمرها [2] وقطعت عصمة النّكاح بينهما ، فإنّه تقييد رديء لأنّ انقطاع العصمة مطلقًا لا يكون إلاّ بطلاق الثّلاث ، ومن قال لزوجته [3] المدخول بها لا عصمةً لي عليك فهي ثلاث ، نوى ذلك أو لم ينو ، وينوي في غير المدخول بها ويحلف على أنّه نوى واحدة إن أراد نكاحها بعد ، ومنه قول بعضهم في البياعات وما يلحق بها بلا شرط مفسد، وذلك يوهم وجود شرط صحيح.

قال الرّعيني : « وكان الشّيخ أبو محمّد عبد الكبير يرى أنّ ذلك هو الصّواب ، لأنّ البيوع كلّها لا تخلوا من شروط الصّحة. »

قال الرّعيني : « إن كان يريد _ رحمه الله تعالى _ شروط الصّحة التي من أركان البيع فذلك لا يسوغ [4] أن يريده العاقد [5] ، وكيف ينفي ما لا تنعقد صفقة التبايع[6] إلاّ به ، وإنّما يريد أن ينفي الشّروط الجائزة التي قد تقع من البيعين [7] أو من أحدهما خاصّة كاشتراط المشتري التمرة المأبورة [8] ، وكاشتراط البائع سكنى الدّار المبيعة لأمد [9] لا تتغير فيه وذلك دون السنة، وارتهان المبيع بثمنه إن كان عقّارًا أو عرضًا أو غير ذلك ، ويدخل في عموم النّفي كل شرط يطرق [10] الفساد إلى الصفقة، أو يوجب اشتراطه فسخ

---

(1) ط ، هـ : + « طلّق » ، ض : « طلّقها »

(2) ض : « أمر نفسها »

(3) ط ، هـ ، ض ، ر : « لزوجه »

(4) ط : « يصوغ »

(5) ط : – « العاقد »

(6) ض : « المتبايع »

(7) ض : « المتبايعين »

(8) ح : « المؤبرة »

(8) الثمرة المأبورة : أبر الثمرة (النخلة) أي لقّحها ، وأبر الزرع أي أصلحه . أنظر : المعجم الوسيط ، مادة (أبرا) ، م.س / 02

(9) ط : « لأمر »

(10) ط ، ض : « يتطرّق »

العقد كبيع الأنقاض [1] على شرط المتبقية و كوقوع البيع على شرط الثنيا [2] .
وقال بعض الموثّقين : إن كان في الوثيقة شرط ، فلا بدّ من تقييد الشّرط المنفي بالفساد لئلا يصير تناقضًا.
قال الرّعيني [3] : « وهذا غير محرر إذ يشذ [4] عنه مع تقييد الشّرط بالفساد سائر الشروط الجائزة فلا يتخلص اللّفظ لمقصود نفي الشّروط كلّها إلاّ باستثناء الشّرط المعين والنص عليه، ويتناول النفي ما عداه من شرط صحيح أو فاسد . »
قال ابن فتحون : « قولنا دون شرطٍ [5] ، أي لم يشترط أحدهما في ذلك شرطًا جائزًا ولا مفسدًا . » وكذلك قولهم : لم يستبق البائع لنفسه ، يوهم أنّه أبقى لغيره، هكذا نقدوا هذا الموضع وإن كان محمولاً على أنّه لم يبق له ولا لغيره شيئًا لأنّه بمثابة قولك : لم يستبق البائع في ملكه .
وينبغي له في كل عقد يتقيد في الرّباع وسائر العقّار من بيع وما في معناه، أو هبة ، أو حبس ، أو غير ذلك ما لم يكن البيع جزافًا أن يتّعرض لاثبات الحدود المحيطة به ، أو الذرع [6] الحاصر للمساحة فيما يمكن ذلك فيه ولا بدّ معه [7] من تقييد الموضع بذكر جهته ومن يلاصقه باختلاف الأرض [8] في الطيب والخبث

---

(1) هـ : « الأنقاع »

(2) الثـنيا : بضّم المثلّثة على وزن الدنيا إسم من الاستثناء ، وهي في البيع أن يستثني شيئًا مجهولاً ، والمعنى إذا كان الاستثناء معلومًا فهو ليس بمنهى عنه ، وإنما المنهى عنه هو الاستثناء المجهول ، قال إبن حجر : المراد بالثنيا الإستثناء في البيع نحو أن يبيع الرجل شيئًا ويستثني منه شيئاً معلومًا ، وإن كان مجهولاً نحو أن يستثني شيئًا غيرمعلوم لم يصّح بيعه ، والحكمة في النهي عن استثناء المجهول مايتضّمنه من الغرر مع الجهالة .
أنظر : المباركفوري أبو العلى محمّد عبد الرحمن (1353 هـ / 1934 م) ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترميذّي ، راجعه وصّححه عبد الوهاب عبد اللّطيف ، دار الفكر للطّباعة والنشر ، بيروت ، د.ت / 511 - 512
وبيوع الشّروط التي يسّميها أهل العلم (بيوع الثـنيا) فذلك مثل : أن يبيع الرّجل السّلعة على أن لا يبيع ولا يهب أو على أن يتّخدها أم ولدٍ أو على أن لا يخرج بها من البلد ، أو على أن لا يعزل عنها ،أو على أن لا يجيزها البحر أو على إن باعها فهو أحقّ بها بالثمن الذي يبيعها بـه، أو على أنّه فيها بالخيار إلى أجلّ بعيد لا يجوز الخيار إليه ، أو ما أشبه ذلك من الشّروط التي تقتضي التحجير على المشتري في السّلعة التي اشترى ، فهذا النوع من البيوع مختلف فيه .
أنظر : إبن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (520 هـ / 1126 م) ، المقدّمات الممهدات ، تحقيق أحمد أعراب ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1988 ، 2 / 64 – 65

(3) د : - « الرّعيني »

(4) ط ، هـ : + « يشذ »

(5) هـ : « شرط صحيح أو فاسد »

(6) هـ : « الزرع »

(7) ض : « من نص »

(8) ض : « الأواخر »

واللؤم والكرم ، والصواب في الحدود أن تقول : ينتهي الحدّ في كذا من هذا الملك إلى كذا، لأنّ في قوله: حدّه كذا ، لبسًا [1] في دخول الحدّ في المحدود أو خروجه عنه [2]، لكن إذا [3] وقع هذا لم يحكم بـدخول الحدّ في المحدود.

قال الشيخ[4] الرّعيني [5] : وكان شيخنا أبو محمّد عبد الكبير يكتب : قبلي الملك المبيع كذا ، وشرقيه كذا ، وغربيه كذا [6]، تخلّصًا من هذا الاعتراض ، ومن قبيل هذا ما نبّهوا عليه أيضًا في اضـافة [7] المبيـع إلى البائع ، لأنّ ذلك يقتضي عند بعضهم اقرار المشتري بصّحة تملّك البائع للمبيع، وذلك يوجب منع رجوعه إن طرأ [8] استحقاق، وهذا غير لازم ولا يعدّ ذلك اقرارًا من المشتري البتّـة، وإنّمـا الاضـافة عائـدة إلى زعم[9] البائع، وإن نصّ على اقرار المشتري بذلك وتصريحه ففي ذلك روايتان :

أحدهما : أنّه لا يضرّه اقراره ويرجع على البائع . قال ابن العطّار وغيره : وبذلك القضاء .

والثّانية : أنّه لا يرجع بشيء ، رواها أصبغ عن ابن القاسم [10]

إبن عبد السّلام : الأصّح من القولين عدم الرجوع .

---

(1) ط ، هـ ، د : + « لبسًا » ، ض : « ليس »

(2) ر :- « خروجه عنه »

(3) ح : « إن »

(4) ط ، هـ ، ض ، د ، ح ، ر : - « الشّيخ »

(5) ط ، هـ ، ر : + « الرّعيني »

(6) هـ : « أو جوفيه كذا وغربيه كذا »

(7) ض : « أن يتحرّز من اضافة »

(8) ر : « طي »

(9) ر : - « زعم »

(10) أنظر تفصيل ذلك : إبن رشد ، المقدّمات الممهدات ، م.س (كتاب الاستحقاق) ، 2 / 503 – 513

المتّيطي : « الرجوع [1] هو اختيار الشّيوخ بالأندلس ، وهو دليل " المدّونة" في مسألة ميمون من كتاب الاستحقاق [2] ، وانظر ما للإمام أبي عبد الله المازري [3] _ رحمه الله تعالى _ [4] في هذا المعنى ، وما لإبـن رشد [5] في " نّوازل سحنون ". » [6]

---

(1) هـ : - « الرجوع »

(2) أنظر : مالك إبن آنس ، المدّونة ، م.س ، 4 / 205 – 206 ، (كتاب الاستحقاق ، في الرجلين يصطلحان على الاقرار أو الانكـار ، ثم يستحقّ ما في يدي أحدهما)

(3) ويراد به كتاب : شرح التّلقين لمؤلفه : أبو عبد الله محمّد بن علي بن عمر التميمي (ت 536 هـ ، 1141 م)
أبو عبد الله محمّد بن علي بن عمر التميمي المازري ، يعرف بالإمام ، محدّث من فقهاء المالكية ، نسبته إلى مازر بجزيرة صقلية ، أخذ عـن أبي الحسن اللّخمي ، وعبد الحميد الصّائغ وغيرهما ، وعنه جماعة منهم أبو محمّد عبد السلام البرجيني ، وابن الفرس ، وابن تومرت ، وابن المقـري وابن عيشون والقاضي عيّاض و غيرهم ، له تآليف تدلّ على فضله وتبحّره في العلوم منها : شرح التّلقين ، شرح البرهـان ،و المعلـم بفوائـد مسلم في الحديث ، إيضاح المحصول في الأصول ، وغيرها من المؤلّفات ، توفي بالمهدية سنة 536 هـ ، ودفن بالمنستير. أنظر ترجمته في :
مخلوف ، م.س ، 1 / 127 ، ابن فرحون ، الدّيباج المذّهب ، م.س / 374 – 375 ، الزركلي ، م.س ، 6 / 277

(4) ح : - « تعالى »

(5) أبو الوليد محمّد بن أحمد بن رشد ، قاضي الجماعة بقرطبة ، ومن أعيان المالكية ، بصير بالأصول والفروع والفرائض ، روى عن أبي جعفر أحمد بن رزق ، وتفقّه معه ، وعن أبي مروان بن سراج ، وأبي علي الغسّاني ، وغيرهم وأجاز له أبو العبّاس العذري مارواه ، وكان فقيهّا عالمًا ، حافظًا للفقه ، متقدّمًا فيه على جميع أهل عصره ، عارفًا للفتوى على مذهب مالك ، ومن تآليفه : كتاب المقدّمات لأوائل كتاب المدّونـة، البيان والتحصّيل ، واختصار المبسوطة ، واختصار مشكل الآثار للطّحاوي وغيرها من التآليف ، تـوفي في شـهر ذي القعـدة سـنة عـشرين وخمسمائة . أنظر ترجمته في :
النباهي ، م.س / 98- 99 ، القاضي عيّاض ، الغنية ، م.س / 54- 57 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 129 ، أبو عبد الله عيّـاض ، م.س/ 123 ، المقري ، أزهار الرّياض ، م.س ، 3 / 59- 61 ، الزركلي ، م.س ، 5 / 316- 317

(6) ابن رشد أبو الوليد محمّد بن أحمد (520 هـ / 1126 م) ، البيان والتحصّيل والشّرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة ، تحقيق سعيد أعراب ، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، بيروت ، 1988، 7 / 497 – 513

الباب الخامس : في ذكــر الأسمــاء والأعــداد والحروف [1] / [2] التي تنقــلب وتتغير بإصــلاح يســير

الفصل [الأوّل : في ذكر الأسمــاء]

« اعلم جعلني الله وإيّاك ممن أخذ بالاحتياط وتجنّب التفريط والافراط، أنّ كثيرًا من الأسماء يمكــن قلبــها وتغييرها بأدنى شيء من الاصلاح نحو : مظفَّر، فإنّه ينقلب مطّهر، وبَكْر ينقلب [3] بكير، وصــفر فإنــه ينقلب ظفر، وياقوت فإنه يجيء [4] منه يعقوب ، ويجيء من جميل كميل، ويجيء منــه أيــضًا [5] خليــل، ويجيء من عبّاس عيّاش، ومن حسن حسين، ومن منصور منظور، ومن عباد عيّاد، ويجيء أيضًا منه منّاد، ومن ميمون سلمون، ومن صيّور صبور، ومن غالب طالب، ومن عبد الحميد عبد المجيد، ومن لبابة كنانة، ومن سعد سعيد، ومن عمر عمرو، ومن ريان زيّان [6]، ومن حبّان حيّان، ومن جمرة حمزة، ومن مفتــاح مصباح، ومن فرحون فتحون ، ومن أسدٍ أَسَيد وأُسَيْد ، ومن بَشّار بَشِير وبُشَيْر [7]، ومن عائشة عاتكــة، ومن سونة مونة وميمونة. » [8]

---

(1) ط ، ح : « الحرف »

(1) يقول طاش كبرى زادة في علم الحروف : «هو علم يبحث بين أشكال بسائط الحروف مطلقًا ، لا من حيث دلالتها على الألفاظ ، بــل من حيث حسنها في السّطور ، وكذلك من حيث حسن مخصوص حال تركيبها : من تناسب الشكل ، والــنّقط ، والبياضــات الواقعــة مــن الحروف والكلمات والسّطور ، وموضوع هذا العلم وأغراضه ظاهرة ، ومبادئها أمور استحسانية يرجع كلّهــا أو جلّهــا إلى رعايــة النّــسبة الطبيعية في الأشكال ، وله استمداد من الهندسات . » أنظر : طاش كبرى زادة ، م.س ، 1 / 91

(2) – نهاية ورقة 09 و (ق)

(3) هــ : « فإنّه ينقلب »

(4) ط : « ينقلب »

(5) ط ، د ، ح : « أيضًا منه »

(6) ط : « زيّان ريان »

(7) د : – « وبشيْر »

(8) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 197

الفصل [الثّاني : في ذكر الأعــداد]

وأمّا الأعداد[1] فقد قدّمت [2] في الباب الثّاني تأكّيد احتيّاج [3] الأسماء والأعداد [4] والتّواريخ إلى البيان، وإنّ اهتمام الموثّق بفصولها آكد من اهتمامه بغيرها، ولنذكر الآن من الأعداد التي يحذر الزلــل فيهــا مــا حضرني ذكره فنقول : يجب على الكاتب أن يحذر من جبذة ثاء [5] ثلاثين ، لئلاّ تغــير بإصــلاح يــسير وتبدّل بثلاث وثلاثين أو ستة[6] وثلاثين ، وعين أربعين لئلاّ تصير أربعة وأربعين ، وميم خمسين لئلاّ تصير خمسة وخمسين ، وسين [7] ستّين لئلاّ تصير ستة وستّين، أو سبع وستّين ، أو ثلاثة وستّين ، وباء سبعين أو عينها فإنّها تجعل سبعة وسبعين، أو ستة وسبعين ، أو ثلاثة وسبعين[8] وثاء ثمانين لئلاّ تصير ستة وثمانين، أو سبعة وثمانين، أو تسعة وثمانين، وجبذة ميم ثمانين لئلاّ تصير ثمانية وثمانين ، أو خمــسة وثمــانين [9] وعــين تسعين لئلا ّتصير تسعة وتسعين، وميم مائة لئلاّ [10] تصلح[11] ثلاثمائة وخمــسمائة وســتمائة وســبعمائة وثمانمائة وتسعمائة [12].

---

[1] هـ : + « الأعداد والتواريخ »

[2] ط ، د ، ر : « تقدّمت » ، ض : « فقدّم »

[3] هـ : « احتاج »

[4] ض : – « والأعداد »

[5] ض : « ياء »

[6] ط : « ست »

[7] ط : – « وسين »

[8] ط ، هـ ، ض ، ح ، ر : – « أو ثلاثة وسبعين »

[9] ط : – « أو سبعة وثمانين أو تسعة وثمانين، وجبذة ميم ثمانين لئلاّ تصير ثمانية وثمانين أو خمسة وثمانين »

[10] ض : – « لئلا »

[11] ط ، د : « تصير »

[12] د : « وسبعمائة »

« وينبغي له أن يميز بين وضع سبعة، وتسعة، وسبعين [1] ، وتسعين، وخمسة [2]، فإنّها تصلح بخمسة وخمسين[3]، وخمسة عشر، وخمسة وعشرين، ولقد أجاد ونصح وأفاد، من جعل في الوثائق كذا وكذا دينارًا، نصفها كذا ، وبعضهم يزيد و [4] ربعها كذا، وبعضهم يكتب [5] مائة واحدة، وألفًا واحدة [6] تحرّزًا من مائتين وألفين وإنّه لحسن [7] جدًا، وقد مر طرف منه وذكر نصف العدد وربعه أولى وأبلغ. » [8]

« وينبغي له أن يتأمّل تاريخ [9] المسطور وينظر في عدده ، فإنّ ستين سنة تصير بسرعة ثلاثين [10] سنة ، وثلاث وثلاثين سنة ، تصيرستة وثلاثين سنة [11] ، فيبطل التّاريخ ، فتفطّن لذلك كله وتحرّز من كثرة وقلّة . » [12]

---

(1) ط : - « وسبعين »

(2) هـ : « خمسمائة »

(3) د ، ر : - « بخمسة وخمسين » ، ح : « بخمسة وعشرين »

(4) ط ، هـ ، ض : - « و »

(5) ض : - « يكتب »

(6) ط : - « وحيدًا »

(7) ط : « يحسن »

(8) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 201

(9) د : « في تاريخ »

(10) ض : « أربعة وثلاثين »

(11) ط ، هـ : - « سنة »

(12) ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م.س ، 1 / 198

الفصل [الثّالث : في ذكر الحروف التي تنقلب بإصلاحٍ يسير]

وأمّا الحروف [1] التي تنقلب [2] بإصلاحٍ يسير فكالبزّاز [3] والقزّاز[4] والحـرّار [5]، والخـرّاز[6] والخبّـاز ، والجّيار[7]، والحنّاط[8] والخيّاط و العطّار و القطّان و القصّار [9]، والخضّار ، والحصّار[10] ، والحطّـاب ، والدقّاق [11] ، والرقّاق [12] ، والزقّاق [13] ، و القصّاب والقبّاب ، والبقّال والغسّال والعـسّال[14]، فقـس على هذا في الأنساب والكنى والألقاب تصب إن شاء الله تعالى .

---

(1) ط ، ح : « الحرف »

(2) ر : « تكتب »

(3) البزّاز : بائع البزّ ، وقيل البزّ ضرب من الثياب ، وقيل متاع البيت من الثياب ، والبزّة هي الهيئة والشارة واللبسة .
أنظر : ابن منظور ، (مادة : بزّ) ، المجلد الأول ، م.س ، 4 / 274

(4) ح ، د : - « القزّاز »

(4) القزّاز : بائع القزّ وناسجه ، والقزّ هو الحرير الذي يكون على حاله عند استخراجه من الصلحة .
أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : قزّ) ، م.س / 733

(5) هـ : - « الحرّار »

(5) الحرّار : بائع الحرير وصانعه . أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : الحرّ) ، م.ن / 165

(6) الخرّاز : صانع الجلد ونحوه ، حرفته خياطة الجلد . أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : خرز) ، م.ن / 226

(7) هـ : - « الجيّار »

(7) الجيّار : صانع الجير أو بائعه . أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : الجير) ، م.ن / 150

(8) الحنّاط : بائع الحنطة (البرّ) ، والحناطة حرفته . أنظر : ابن منظور ، (مادة : حنط) ، المجلد الثاني ، م.س ، 9 / 1023

(9) القصّار : المحوّر للثّياب لأنّه يدقّها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب ، وحرفته القصّارة .
أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : قصّر) ، م.ن / 3649

(10) الحصّار : صانع الحصيرة وهي البساط الصغير المنسوج من أوراق البردي أو البارئ أو نحوهما .
أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : الحصيرة) ، م.س / 733

(11) الدقّاق : من يدق الأبازير ، والدقّاقة مايدق بها الأرز . أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : أدقّ) ، م.ن / 291

(12) الرقّاق : صانع الرّق وهو جلد رقيق يكتب فيه . أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : أرقّ) ، م.ن / 366

(13) الزقّاق : صانع الأوعية من الجلد التي يجّز شعرها ولا ينتف ، وتستخدم للشرب .
أنظر : المعجم الوسيط ، (مادة : الزّق) ، م.ن / 396

(14) ر : - « العسّال »

تنبيـــــه :

حكى ابن حيّان [1] في كتاب " الاحتفال " أنّ قاضي الجماعة بقرطبة [2] محمّد بن بـــشير[3] صـّــح عنـــده تدليس رجلٍ في الوثائق فأمر بقطع يده . [4]

---

(1) أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان القرطبي ، مؤرّخ الأندّلس ومسندها ، سمع من عمر بن نابل ، ولزم ابن الحبّاب النّحوي ، وصاعد الرّبعي، له من المؤلّفات : المقتبس في تاريخ الأندّلس ، المبيّن في تاريخ الأندّلس ، وكتاب في تراجم الصّحابة ، تـــوفيّ في شـــهر ربيـــع الأوّل سن تسع وستين وأربعمائة ، وله اثنتان وتسعون سنة . أنظر ترجمته في :

الضّبي ، م.س ، 1 / 342 ، إبن العماد ، شذرات الذّهب ، م.س ، 5 / 296- 270 ، الزركلي ، م.س ، 2 / 289

(2) قرطبة : بظّم أوّله ، وسكون ثانيه ، وظّم الطاء المهملة ، والياء الموحدة ، تعني بلسان القوط القلوب المختلفة ، ولها في العربية مجال ، يجوز أن يكون من القرطبة ، وهو العدو الشديد ، قاعدة الأندلس وأم مدائنها ، ومستقر خلافة الأمويين بها ، وهي في ذاتها خمس مدن ، يتلو بعضها بعضًا ، وبين المدينة والمدينة سور حاجز ، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال ، وعرضها من باب القنطرة ، الى باب اليهود ميل واحد ، وهي في سفح جبلٍ ، تقع على نهر عظيم ، وبأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، أقام على هذا النّهر جسر عظيم ، لايعرف مثله في الـدّنيا ، وللمدينة عدّة أبواب ، باب القنطرة ، والباب الجديد ، وباب عامر .

أنظر : ياقوت الحموي ، م.س ، 4 / 324 ، الحميري ، م.س / 156 ، البغدادي ، مراصد الاطّلاع ، م.س ، 3 / 1078

(3) محمّد بن بشير ، قاضي الجماعة بقرطبة ، لقي مالك بن آنس وجالسه ، وسمع منه ، تولّى قضاء قرطبة بطلب من الحكم بن هشام ، فقبـــل بذلك ، وقيل قضاءه على شروط ، كانت له في قضاياه مذاهب ودقائق ، لم تكن لأحدٍ قبله بالأندلس ولا بفـــاس ، و لم يـــزل متوليًـــا خطّـــة القضاء ، إلى أن توفي سنة ثمان وتسعين ومائة .

أنظر ترجمته في : النباهي ، م.س / 47 – 51 ، الضّبي ، م. س ، 1 / 88 – 90 ، القاضي عيّاض ، ترتيب المدارك ، م.س ، 1 / 286 – 293

(4) النباهي ، م.س /48

وبذلك أفتى ابن أبي جعفر[1] فقيه مرسية [2] على إبن الغرابلي [3] المرسي وجدت عنده عقود مدلّسة أخذ بها [4] أموالاً، فلمّا افتضح فيها فأقرّ بذلك قطعت يده . انتهى [5]

ابن عرفة : « وكانت القضاة ببلدنا ينفون من ظهر عليه الضّرب على الخطوط بعد تأديبه، بحسب اجتهادهم إلى بلاد المشرق، فبعث فقهاء المشرق إليهم بالتّعقب عليهم في ذلك و[6] قالوا :

أنتم في فعلكم هذا كمن أراح نفسه [7] من معتدٍ[8] في محلّه بارساله إلى[9] غيره من المسلمين ، فأجابوهم

---

(1) أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عبد الله الخشني المعروف : بابن أبي جعفر الفقيه ، من بلدة مرسية ، شيخ فقهاء وقته ، وأحفظهم للمذهب مع المعرفة بالتفسير لكتاب الله ، سمع أباه وأبا القاسم الطرابلسي ، وأبا الوليد الباجي ، وابن سعدون القروي ، وهشام بن وضّاح ، ولقي فقهاء طليطلة وقرطبة ، أبا المطرف ابن سلمة ، وأبا جعفر ابن رزق ، وأبا الحسن بن حمدين وغيرهم ، توفيّ بمرسية سنة ستة وعشرين وخمسمائة وعمره تسعة وسبعون سنة . أنظر ترجمته في :

القاضي عيّاض ، الغنية ، م.س / 153 ، ابن بشكوال ، م.س ، 2 / 446 ، ابن الأبّار ، التكملة ، م.س ،1 / 447 ، أبو عبد الله عياض ، م.س / 127 ، الضبيّ ، م.س ، 1 / 131 – 132 .

(2) مرسية : بظّم أوّله ، والسكون ، وكسر السين المهملة ، وياء مفتوحة خفيفة ، وهاء ، مدينة بالأندّلس من أعمال تدمير ، اختطّها الأمير عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام ، و قام ببنائها جابر بن مالك بن لبيد سنة (216 هـ / 831 م) ، وسمّاها تدمير بتدمر الشام ، ومرسية على نهر كبير ، ولها جامع جليل ، وهي ذات أشجار ، وحمّامات وحدائق محدقة ، وأسواق عامرة .

أنظر : ياقوت الحموي ، م.س ، 5 / 107 ، الحميري ، م.س / 181 ، البغدادي ، مراصد الاطّلاع ، م.س 3 / 1258

(3) ض : – « إبن الغراب »

(3) محمّد بن عبد الله أحمد بن يونس الغرابلي القرطبي ، أجازه إبن عثمان وإبن أحمد وغيرهم مولده سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وسكناه عند دار إبن جهور الوزير الشاعر ببلاط مغيث ، وهو إمام مسجد. أنظر ترجمته في :

إبن بشكوال ، م.س ، 2 / 726

(4) هـ : « فيها »

(5) ابن القاضي ، م .س ، 2 / 503

(6) د : – « و »

(7) ض : – « كمن أراح نفسه »

(8) ط ، د : « متعدي »

(9) ح : « على »

بأنّ المنفي لا قوّة له على الضّرب على خطوط من وصل إليهم لعدم ممارسته (1) خطوطهم إلاّ بعد مــدّة(2) وعسر، و قد لا يجيء إليها، فلم نبعث إليكم (3) بمفسدة محقّقة . » انتهى. (4)

وممّا ينخرط في هذا السّلك ويجري على أسلوبه ما عمت به البلوى ، وتكررت بالابلاغ والامعــان (5) في تأدّيبه وعقوبته الفتوى، وهو ضارب الدّنانير والدراهم المدلّسة، قيل كان الشّيخ الامام (6) أبو عبد الله بــن عرفة _ رحمه الله _ يشدّد أقوى التشدّيد فيمن يتّهم بضربها، وأفتى فيمن اتّهم بذلك أن يخلــد في الــسّجن حتى يموت، وكذا وقع فيه (7) رجل يقال له : ابن أبي بكر، على أنّه يضرب الدراهم والــدنانير ، بقــي في السّجن حتى مات فيه، فخرجت منه جنازته بعد أن كان تكلّم فيه الشّيخ أبو الحسن البطريني (8) بالــشّفعة فأبى ابن عرفة أن يعطى فيه يدًا وقال :

هو أشدّ من قطع الدّنانير والدّراهم التي ورد فيها النّص(9) عن ابن المسيّب (10) أنّها من الفساد في الأرض

قلت : فإذا (11) كانت هذه عقوبته (12) مع التّهمة والظنّة (13)، فكيف بها (14) مع الثّبوت والتّحقيق ،

---

(1) ط : « ممارسة » ، هـ : « ممارستهم »

(2) ح : « مرات »

(3) ط ، هـ : « لكم »

(4) ابن القاضي ، م .س ، 2 / 502 - 503

(5) هـ : « بابلاغ الامعان »

(6) ط ، د : - « الإمام » ، ح : - « الشّيخ »

(7) ط : « به »

(8) هـ : « الطبري » ، ض : « البصري »

(8) أبو الحسن محمّد بن أحمد البطريني ويقال البطروني الأنصّاري التونسي ، أخد عن والده والقطب ماضي ابن سلطان وأجازه نورالدين ابــن فرحون والعزّ ابن جماعة ، وعنه أئمّة منهم ابن خلدون والبرزلي وابن الخطيب القسنطيني ، توفيّ في تونس سنة (793 هـ/ 1390 م)
أنظر ترجمته في :
الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 132 ، التنبكتي ، م .س / 461 - 462 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 226

(9) ض : « النّهي بالنّص »

(10) سعيد ابن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم القرشي ، من كبار سادات التابعين وأنبلــهم فقهًــا ، ودينًا ، وورعًا ، وعبادةً ، وفضلاً ، ومن كبار علماء الحجاز والمدينة المنورة ، كان أحفظ الناس لأقضية عمر بن الخطاب وأحكامــه ، تــوفي بالمدينة المنورة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، كان ذلك سنة أربعٍ وتسعين .
أنظر ترجمته في : العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، م .س ، 2 / 43 -45

(11) ط ، ض، د : « إذا »

(12) ض : « كانت عقوبته هكذا »

(13) د : « الظنّة والتّهمة »

(14) ط ، هـ : + « بها » ، ض : - « بها »

وانظر ما يجري مع ثبوت الضّرب على فتوى ابن أبي جعفر ، وحكم القاضي محمد بن بشير في المدلّس في الوثائق ، ونزلت قبل هذا التاريخ بيسير في رجلٍ يعرف ببريبر[1] تقوّت التّهمة عليــه بــضرب[2] الــدّراهم المدلّسة، فوقعت الفتوى فيه من خطيب الحضرة ومفتيها الشيّخ البركة الإمام[3] أبي مهدي الماواسي[4] أعزّه الله تعالى بمثل فتوى الإمام ابن عرفة _ رحمه الله تعالى _ ، فشفع فيه بعد مدّة بركة القطر، وظاهرة العصر، الشّيخ البركة الصّالح أبو عبد الله محمّد بن يحيى البوفرحي[5] _ حفظه [6] الله تعــالى _ ، فلــم يعــط المفــتي المذكور فيه يدًا وبقي في السّجن إلى أن خيف على أولاده الهلاك بالجوع، فتقدّم زعماء صّناعته وأعيــالهم من الصفّارين فضمنوه فأجاهم على أن [7] يسكن بين ثقاهم ومتى صدر منه شيء فعليهم احضاره وإلاّ فهم المأخذون بجريرته[8]، فالتزموا [9] ذلك برسم مشهود بأكابر العدول ، وحينئذ[10] أمر بتسريحه . [11]

---

(1) هـ : « برنير » ، ض : « بجرير » ، د : « بزبير » ، ر: « » بياض بمقدار كلمة

(2) ض : « عليه التّهمة أنّه يضرب »

(3) د : « الصّالح »

(4) ر : « أبي محمّد الماواسي » وهو تصحيف صوابه مأثبتناه ، وما اتفقت عليه جميع النّسخ

(4) عيسى بن أحمد بن مهدي الماوسي البطوي الفاسي ، من فقهاء فاس وأحد خطبائها أخد العلوم عن شيوخ فاس وتلمسان كالشيخ الإمام أبي محمّد عبد الله العبدوسي ، والقوري ، وعنه الشيخ زرّوق ، والمحدّث سقين وغيره ، نقا الونشريسي عنه فتاوى في كتابه المعيار ، توفي سنة (896 هـ / 1490 م) . أنظر ترجمته في : الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 141 ، التنبكتي ، م .س / 299 ، ابن القاضي ، م .س ، 2 / 502 ، الكتّاني ،سلوة الأنفاس، م .س ، 3 / 314 ، المنجور ، م .س / 18

(5) هـ ، ض ، ح ، ر: « البوفرجي »

(5) أبو عبد الله محمّد بن يحي بن سعيد البوفرحي الشّيخ الصّالح خاتمة صلحاء المغرب ، توفي بفاس سنة (886 هـــ / 1481 م) ، ودفــن داخل باب الفتوح .أنظر ترجمته في :

الونشريسي ، الوفيات ، م.س / 151 ، الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م .س ، 3 / 87 ، ابن القاضــي ، م .س ، 1 / 242 ، موســوعة أعــلام المغرب ، م .س ، 2 / 788

(6) د : « رحمه »

(7) ض : « بأن »

(8) ر : « جريمته »

(9) هـ : « وألتزموا »

(10) ض : « حينئذٍ »

(11) ابن القاضي ، م .س ، 1 / 242

الباب الثّامن : في حكم الاعتذار عمّا يقع في الوثيقة من محوٍ ، أو بشرٍ، أو ضربٍ ، أولحقٍ ، أو تخريجٍ ، أو اقحامٍ ، وكيفية الضّرب والتّخريج ، وكيفية الاعتذار ومحلّه

الفصل [الأوّل : في حكم الاعتذار]

اعلم أنّ الموثّق يجب عليه أن يعتذر عن كلّ ما يقع في الوثيقة من : محوٍ أو بشرٍ أو ضربٍ أو لحقٍ أو تخريجٍ أو اقحامٍ . قال القاضي[1] أبو بكر محمّد بن يبقى بن زرب [2]_ رحمه الله _ :

« فالمحو[3] والبشر واللّحق[4] في الوثائق [5] كالحلّي لها [6] ومن أقوى الأدلّة على براءتها وتصحيحها، وسلامتها من هذا ريبة فيها وشاهد على التصنّع والمداخلة فيها .» [7]

وانتقد عليه الرّعيني هذا [8] فقال : ليس هذا بشيءٍ يعرج عليه، بل سلامتها من ذلك دليل على حسن التّأمل قبل الكتب لمعانيها وجودة التّمهل [9] في تأسيس[10] مبانيها والتقدّم بامعان [11] النّظر فيها ، وأي ريبة تتطرّق إلى ما بولغ في الاتقان له والتجويد ، وحماه منشئه بفضل براعته واحكامه[12] لأصول صناعته من التسخّيم والتّسويد ،فمثلت أسطاره بمهرقة [13] كالحلّي على الجيد، ولم يكن في حسنه وحصانته[14] مزيد للمستزيد . [15]

---

(1) ر : - « القاضي »

(2) أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب ، قاضي قرطبة ومفتيها ، وصف بسعة العلم والنظر والنزاهة والفضل ، من أحفظ أهل زمانه لمسائل مالك ، سمع من قاسم بن أصبغ ، ومحمد بن عبد الله بن أبي دليم وطبقتهما ، وعني بالرأي وتقدّم فيه وتفقّه عند اللؤلؤي وأبي ابراهيم ، من تصانيفه كتاب الخصال ، عارض به كتاب الخصال لابن كابس الحنفي ، فجاء غاية في الاتقان ، وله كذلك ردابن مسرّة ، توفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة . أنظر ترجمته في :

، النباهي ، م.س / 77 - 82 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 100 ، الحجوي ، م.س ، ، 3 / 121 ، الزركلي ، م.س ، 1 / 135

(3) ط ، هـ ، ض ، د : « المحو »

(3) المحو : ازالة الزائد الذي يقع في الكتاب ممّا ليس منه ، إمّا بأصبعٍ أو بخرقةٍ أو بغير ذلك دون سلخٍ وهو أولى من الكشط .

أنظر : محمود المصري ، م.س / 51

(4) اللّحق : شيئ يلحق بالأوّل وهو الشيئ الزائد ، واللّحق مشتق من اللّحاق أي الادراك ، واصطّلاحًا ما سقط من أصل الكتاب ملحق بالحاشية أو بين السطور . أنظر : محمود المصري ، م.ن / 50

(5) ض : « الوثيقة »

(6) ض : - « لها »

(7) الغرناطي ، م.س / 14 ، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 10 / 167

(8) هـ : - « هذا »

(9) ط ، هـ : « التأمّل »

(10) ض : « حسن »

(11) د : « بانعام »

(12) د : « و احكام »

(13) المهرقة : كلمة فارسية معربة تعني الصّحيفة البيضاء التي يكتب فيها . أنظر : المعجم الوسيط (مادة مهرق) ، م.س / 982

(14) هـ : « صناعته »

(15) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 10 / 167 - 168

« وإن وقع اللّحق و[1] المحو في اسم من أسماء الله تعالى ، أو في اسم سيّدنا ومولانا [2] محمّد ـصلّى الله عليه وسلّم ـتسليمًا ، أو غيره من الأنبياء ـصلوات الله وسلامه علي أنبيائه ـ، لم ينبغ أن تعتذر منه وَقطّعت الكتاب واستأنفت عقد الوثيقة [3] من أوّلها اجلالاً لهم واعظامًا [4] ـصلوات الله وسلامه عليهم ـ، ومنهم من لا يقطّع الكتاب[5] ولا يبدّل الوثيقة ، فيقول : إذا ألحق اسم الجلالة أواسم[6] محمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـ[7]، أو غيره من أنبياء الله تعالى [8] فوق السّطر به مرفّعًا [9] كذا وأنّه لحسنٌ . » [10]

واختلف في الاعتذار من المحو على قولين، والأصّح والأجود منهما الاعتذار، وقيل لا يعتذر منه ووجه [11] بأنّه لا يقع في الغالب إلاّ من الكاتب.

« وكان الإمام سحنون بن سعيد ـرضي الله عنه ـ ربّما كتب الشيء ثم لعّقه ، وروي عن ابراهيم النّخعي[12] ـرضي الله عنه ـأنّه كان يقول : من المروءة أن يرى في ثوب الرّجل وشفتاه [13] مدادٌ. » [14]

---

(1) ط ، هـ ، ح : « أو »

(2) ض : « سيدنا محمّد »

(3) ض : « بل تقطع الكتب وتستأنف الوثيقة »

(4) ض : « وتعظّيمًا »

(5) ض : « الكتب »

(6) ط ، ض : « سيدنا محمّد »

(7) ط : « وسلّم تسليما » ، هـ : « وسلم تسليما كثيرا أثيرًا »

(8) ط : « أنبيائه »

(9) ط : « مربّعًا »

(10) الغرناطي ، م.س / 14 – 15 ، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 10 / 167 - 168

(11) ط ، هـ ، ض ، ر: « ووجهه »

(12) أبو عمران ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النّخعي الكوفي ، من التابعين أدرك بعض متأخري الصّحابة ، وهو من كبار الفقهاء روى عن علقمة ومسروق والأسود ، أخد عنه حمّاد إبن أبي سليمان ، وسمّاك بن حرب والحكم بن عتبة وغيرهم ، توفي في أواخرسنة 95 هـ أنظر ترجمته في : الذهبي ، تذكرة الحفّاظ ، م .س ، 1 / 73 -74 ، العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، م .س ، 1 / 92 -93

(13) ط ، ح : « وشفته » ، ض : « أو شفته »

(14) القاضي عيّاض أبو الفضل (544 هـ / 1149 م)، الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، ط 1 ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1970 / 173 ، الشهرزوري أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (643 هـ / 1245 م) ، علوم الحديث لابن الصلاح ، تحقيق وشرح نور الدين عتر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 1986 / 201 ، الجزائري طاهر بن صالح بن أحمد (1339 هـ / 1920 م)، ، توجيه النّظر إلى أصول الأثر ، المطبعة الجمالية ، مصر ، 1910 / 358 ، عبد الرحمن عائشة ، مقدمة ابن الصلاح ومجالس الاصطلاح ، دار المعارف ، مصر ، 1989 / 384

فـــرع : قال في " الطّرر"[1] :

« إذا [2] وقع في الوثيقة بشر أو محو أو ضرب [3] في غير مواضع العدد [4] ، مثل عدد [5] الدنانير أو أجلها [6] أو تاريخ الوثيقة لم يضر الوثيقة و لم يوهنها إن لم يعتذر[7] منها، وإن كان في تلـك المواضـع سـئلت البينة، فإن حفظت الشيء بعينه الذي وقع فيه ذلك من غير أن يروا الوثيقة مضت، وإن لم يحفظوا سئلت عن البشر، فإن حفظوه [8] مضت أيضًا [9]، وإن لم يحفظوه سقطت الوثيقة. » [10]

« وسئل بعض شيوخ الموثّقين بتلمسان عمن ابتاع جنانًا من ورثة بمنافعه ومرافقه وكافّة حقوقه وماله من ماء وغيره، فطلب منهم بعد الشّراء موجبات الجنان المذكور فمكّنوه من نّسخة رسمٍ مسجّل على القاضي وشهد عليه عدلان [11] مبرزان ، وثبت عنده أيضًا أنّ للجنان [12] المذكور من[13] ماء عين قريبة [14] ليلتين ويومين بعد كل ّتسعة أيام ، وأنّ الماء [15] المذكور حقٌّ من حقوق الجنان المذكور ومرفقٌ من مرافقــه [16] فقال له بعض[17] من ينتفع بتلك العين المذكورة : مالك منها إلاّ يوم وليلة في كل عشرة أيام [18] فتنازعـا وترافعـا إلى القاضي واستظهـر المشتري المذكـور بالنّسخـة المذكـورة ، فلـم يجـد خصـمه مدفـعًـا

---

[1] هـ ، د ، ر : « الطراز » والصواب ما أثبتناه ، حسب ماورد في باقي النسخ ، وفي كتاب المعيار المعرب وتبصرة الحكّام .

[2] ض ، د : « فإنّ »

[3] الضّرب : لايحرك همة ولا يفسد الورق ، وهو أن يصل بالحروف المضروب عليها ويخط بها خطًا ممتدًا بيّنًا على إبطاله ولا يطمسه ، بـل يكون ممكن القراءة ، ويسمّى الشّق عند أهل المغرب ، وهو التفريق فكأنّه فرّق بين الزائد ومابعده من الثّابت بالضّرب .
أنظر : محمود المصري ، م.س / 51

[4] د ، ر : « العقد »

[5] ض : - « عدد »

[6] ض : « أو أجلّها أو ضرب »

[7] ح : « يتعذّر »

[8] ح : « حفضته »

[9] هـ : - « أيضًا »

[10] ابن فرحون ، تبصرة الحكّام ، م .س ، 1 / 221 ، الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 10 / 168

[11] ض : « شاهدان »

[12] ط : « الجنان »

[13] ط : « و »

[14] ط ، هـ : « قريته » ، ض : « فدية » ، ر : « مرتب »

[15] ط : - « أيام وأن ّالماء »

[16] ط : + « من مرافقته »

[17] ض : « فقال لبعض »

[18] ض : - « أيام »

ولا مقالاً إلاّ أنّه بعد أيام كثيرة أتى بشاهد واحدٍ عدل مبرز من غير شهود الأصل والنّسخة فقال للقاضي : إنّي إطّلعت على الأصل الذي انتسخ منه هذا ، رأيت به تقطيعًا وترقيعًا ولصقًا ، فقبله القاضي وأوجب عنه التّهمة وردّ النّسخة [1] وقال لصاحبها : لا أحكم لك بها إلاّ بعد أن تحضر أصلها، فبحث المشتري على أصلها مدةً فلم يجده ، فهل يحكم القاضي بما تضمّنته النّسخة لأجل صحّتها وثبوتها عند من له ذلك مع عدم احضار أصلها أم لا ؟ جوابكم ولكم الأجر والسلام عليكم ورحمة الله . فأجاب :

الحمد لله شهادة شهيدي النّسخة المسجّلة على [2] القاضي بالصّحة بعد المقابلة، مع اتصافهما بصفة العدالة له [3] والمعرفة بما تقتضيه ألفاظ التسجيل وتصحيح النّسخة من أصلها ماضية ومعمول بها ، ويجب على القاضي الذي استظهر صاحبها بها [4] عنده الحكم بها ، ولا يصدّه [5] عن الحكم بها ما شهد به الشّهيد[6] الذي لم يشهد في النّسخة لاحتمال وجوه تصرّف شهادة الشّهيد[7] المذكور، على أن يحكم الحاكم بردّ النّسخة منها أنّه لم يذكر الشّاهد في شهادته محلّ[8] / [9] التقطيع والترقيع وما ذكر معه هل هو في محلّ يفسد الرّسم [10] بسببه أو [11] لا ؟ وهل فيه اعتذار عن ذلك أو لا ؟ فإنّه يمكن أن يكون ذلك[12] في موضع افتتاح الرّسم أو [13] في تخطيط الموصوف في الرّسم ، ومنها أن يكون ذلك الذي رآه الشّاهد

---

(1) ض : – « واستظهر المشتري المذكور بالنّسخة المذكورة، فلم يجد خصمه مرفعاً ولا مقالاً ، إلاّ أنّه بعد أيام كثيرة أتى بشاهد واحدٍ عدل مبرز من غير شهود الأصل والنّسخة، فقال للقاضي إني اطّلعت على الأصل الذي انتسخ منه هذا ، رأيت به تقطيعا وترقيعا ولصقا فقبله القاضي »

(2) ط : « عند »

(3) ض ، ر : – « له »

(4) ض : – « بها صاحبها »

(5) هـ : « يضره » ، ض : « ولا يعدله »

(6) ط ، ض ، د : « الشّاهد »

(7) ض ، د : « الشّاهد »

(8) ض : « على »

(9) نهاية ورقة 14 ض (ق)

(10) هـ : « العقد الرسم »

(11) ط ، ض : « أم »

(12) ض : – « ذلك »

(13) ض : « و »

المذكور مع الفرض أن يكون موجبًا للتّهمة في النّسخة نظير[1] لهذا الذي نسخ[2] منه الشّهيدان [3] شهادة غيرهما إذا [4] لم يعين الشّهيد [5] المذكور أنّه بشهادة فلان وفلان أو يكون بشهادتهما وعدلاً عنه لما اتصّف به من البشر وغيره ، وكتب غيره سليمًا من ذلك وترك الآخر لا عبرة به، ومنها تجويز أن يكون ذلك طرأ عليه بعد تسجيل النّسخة ومقابلتها والشّهادة فيها إلى غير ذلك من وجوه الاحتمال، فيجب العمل بالنّسخة [6] والله الموفق بفضله . انتهى [7]

---

(1) د : - « نظير »

(2) ض : « لنظير هذه النّسخة الذي نسخ »

(3) ض : « الشاهدان »

(4) هـ ، د : « إذ »

(5) ض : « الشّاهد »

(6) ض : « النّسخة المذكورة »

(7) الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 10 / 168 - 169

الفصل [الثّاني : في كيفية الاعتذار]

وأمّا كيفية الاعتذار، فاعلم أنّ بعض الموثّقين قال : إذا وقع في الوثيقة لحق بين سطرين فإنك تقول : وعلى السّطر الثّاني أو الثّالث أو الرّابع من البسملة لحق كذا أو كذا (1) وهو صحيح من العقد، وإن كان اللّحق في أوّل السّطر أو في آخره خارجًا عن طرّة الكتب (2) قلت : وفي السّطر الثّاني أو الثّالث من البسملة لحق كذا وكذا (3) وهو صحيح من العقد، و في آخر السّطر الثّاني من البسملة خارجًا (4) عن طرّة الوثيقة عن يسار الكتاب (5) لحق كذا وكذا (6) وهو صحيح منه، وإن وقع فيه محو، قلت فيه (7) : في السّطر الكذا من البسملة إصلاح كذا وهو صحيح منه، وإن كان الاصلاح أو المحو في بعض الحروف (8) دون بعضه (9) اعتذرت منه بأن تقول : وفيها (10) إصلاح كذا وكذا (11) تصف الحرف كلّه، فإذا اعتذرت من هذا كلّه قلت : شهد وتمضي إلى التّاريخ (12).

---

(1) ض : – « أو كذا »

(2) هـ ، ض ، د ، ح ، ر : « الكتاب »

(3) ض : – « و كذا »

(4) ط ، ر : – « عن طرّة الكتب قلت: وفي السّطر الثّاني أو الثّالث من البسملة نحوكذا وكذا وهو صحيح من العقد، و في آخر السّطر الثّاني من البسملة خارجًا »

(5) ح : « الكاتب »

(6) ض : – « و كذا »

(7) ط : + « فيه »

(8) ط ، ح ، ر : « الحرف »

(9) هـ ، ض ، د : « بعض »

(10) ط ، هـ ، ض ، د : « و فيه »

(11) ر: – « و كذا »

(12) ض : « و تمضي بذلك إلى آخر التّاريخ »

الرّعيني : « وجرت عادة الموثّقين في الاعتذار عن بشر يكون في الوثيقة أن يقولوا : وعلى مصلحٍ ببــشر كذا خاصّة، وعندي أنّه يلزم أن يزاد في ذلك قبله كذا وبعده كذا، تحرّزًا من تدّليس من يبشّر [1] مــن أي الجانبين شاء ، أو منهما جميعًا ويمد المصلح عليهما. » انتهى

قلت : وكذلك يقال في المقحم به مقحمًا كذا [2] ، قبله كذا وبعده كذا [3] ، أو ما بــين كــذا وكــذا صحيح به وكذا في المصلح، وينبغي تعيين السّطر أيضًا فتقول: به مصلحاً أو مقحماً في السّطر الكذا كذا وكذا .

---

[1] ض ، ج : « ببشر »

[2] هـ ، ض : - « كذا »

[3] ط : - « كذا »

الفصل [الثالث : في كيفية الضرب والتخريج]

وأما كيفية الضرب والتخريج، فاعلم أن أئمة الصنعة [1] من المحدثين وغيرهم إختلفوا في كيفية الضرب فأكثرهم[2] على ما قال القاضي عياض وهو :

« مد الخط على المضروب عليه مختلطًا بالكلمة [3] المضروب عليها ويسمّى ذلك الشق[4] أيضا، ومنهم من لا يخلطه ويثبته فوقه، لكنه يعطف طرفي الخط على أول المضروب عليه وآخره ، ومنهم من يستقبح هذا ويراه تسويدًا أو تطليسًا بل يحوق [5] على أول الكلام المضروب عليه بنصف دائرة ، وكذلك في آخره ، ومنهم من يستقبح الضرب والتحويق [6] ويكتفى بدائرة صغيرة أول الزيادة وآخرها ويسميها صفرًا كما يسميها أهل الحساب، وربما كتب عليه بعضهم - لا - في أوله ، و- إلى- [7] في آخره . » [8]

وذهب إبن خلاد [9] « إلى أن أجود الضرب أن لا يطمس المضروب عليه، بل يخط من فوقه خطًا جيدًا بينًا يدل على إبطاله، ويقرأ من تحته ما خطه عليه. » [10]

وأما الضرب على الحرف المكرر [11] ويسمى في عرف الموثقين التمريض، فقد اختلفوا في المضروب عليه منهما .

---

(1) ض ، ر : « الصناعة »

(2) هـ : « و أكثرهم »

(3) هـ : « الكلم »

(4) ح : « شق »

(5) ح : « يحوط »

(6) ح : « التحويط »

(7) ط ، ر : « و لا »

(8) القاضي عياض ، الإلماع ، م.س / 171 ، الشهرزوري ، م.س / 199- 200 ، الأبناسيّ برهان الدين (802 هـ / 1399 م) ، الشذا الفياح من علوم إبن الصلاح ، تحقيق صلاح فتحي هلل ، شركة الرياض للنشر والتوزيع ، ط 1 ، المملكة السعودية ، 1998 / 347 – 348 ، عبد الرحمن عائشة ، م.س / 382 – 383

(9) أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي الرامهمزي ، القاضي صاحب كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، في علوم الحديث ، سمع أباه ومحمد بن حبّان المازني ، وعبيد بن غنّام النخعي والحسن إبن المثّنى وغيرهم ، حدّث عنه أبو الحسين محمد بن أحمد الصيداوي في معجمه ، والقاضي أبو عبد الله النهاوندي وطوائف من أهل فارس ، توفي في حدود سنة (360 هـ / 970 م) بمدينة رامهرمز . أنظر ترجمته في :

الذهبي ، تذكرة الحفّاظ ، م .س ، 1 / 905 - 906 ، سركين فؤاد ، م .س ، 1 / 388 ، الزركلي ، م.س ، 2 / 194

(10) إبن خلاد الرامهمزي الحسن بن عبد الرحمن (360 هـ / 970 م) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تحقيق محمد عجّاج الخطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1771 / 606 ، الشهرزوري ، م.س / 199 ، الأبناسيّ، م.س / 347 ، عبد الرحمن عائشة ، م.س / 382 ، البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي ، م.س ، 1 / 433 - 434

(11) ر : « المذكور »

فذهب إبن خلاّد « إلى أن [1] أوّلاهما أن يبطل الثّاني لأنّ الأوّل كتب على صواب، والثّاني كتب على الخطأ، فالخطأ [2] أولى بالإبطال، وذهب آخرون إلى أن الكتب [3] علامة لما يقرأ فأولى الحرفين بالإبقاء أدلهما عليه وأجودهما صورة . » [4]

« وفصل القاضي أبو الفضل [5] عيّاض [6] رحمه الله تفصيلاً حسنًا، فرأى أن تكرار الحرف إن كان في أوّل [7] السّطر فليضرب على الثّاني صيانة لأوّل السّطر عن التّسويد والتّشويه، وإن كان في آخر سطر فليضرب على أولّهما صّيانة لآخر السّطر، فإنّ صّيانة أوائل السّطور وآواخرها [8] عن ذلك أولى، فإن اتّفق أحدهما في آخر سطر، والآخر في أوّل سّطر آخر فليضرب على الذي في آخر السّطر فإن أول السّطر أولى بالمراعاة، فإن كان التكرار في المضاف أو المضاف إليه أو في الصفة أو الموصوف أو نحو ذلك لم نراع[9] حينئذٍ أول السطر وآخره بل نراعي[10] الاتصال بين المضاف والمضاف إليه ونحوهما في الخط، فلا يفصل بالضرب بينهما ويضرب على الحرف المتطرف من المتكرر دون المتوسط. » [11]

---

(1) د : « بأن »

(2) هـ ، ر : « و الخطأ »

(3) ض ، د ، ح : « الكتاب »

(4) إبن خلاد ، م.س / 607

(5) هـ : - « أبو الفضل »

(6) ض : - « عياض »

(7) ط : « في آخر »

(8) ض : « وآخرها »

(9) هـ : « يراع »

(10) هـ : « يراع » ، ض : « تراع »

(11) القاضي عياض ، الإلماع ، م.س / 172 ، الشهرزوري ، م.س / 199- 201 ، عبد الرحمن عائشة ، م.س / 383 – 384

« وأمّا كيفية تخريج السّاقط في الحاشية ويسمى اللّحق[1] بفتح الحاء [2] عند المحدثين، والمخرج عند الموثّقين، فالمختار أن يخطّ من السّطر خطًا صاعدًا [3] إلى فوق ثم يعطفه بين السّطرين عطفة يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللّحق، ويبدأ في الحاشية بكتابة [4] اللحق مقابلاً للخط المنعطف، وليكن ذلك في الحاشية [5] ذات اليمين وإن كانت تلي وسط الورقة إن اتّسعت له ، وليكتبه [6] صاعدًا إلى أعلى الورقة لا نازلاً به إلى أسفل بحيث يكون منتهاها إلى جهة باطن الورقة، ثم يكتب عند انتهاء اللّحق صّح منه، ومنهم من يكتب في آخر اللّحق الكلمة المتصّلة به داخل الرسم في موضع التخريج ليؤذن باتصال الكلام، وهو اختيار جماعة وليس بمرضي[7] عند الحذاق، إذ ربّ كلمة تجيء في الكلام مكرّرة [8] حقيقة فيوقع [9] هذا التكرار [10] بعض الناس في توهّم، وإنّما اختير كتب اللّحق والتخريج صاعدًا إلى أعلى الورقة لئلاّ يخرج بعده نقص آخر فلا يجد ما يقابله من الحاشية فارغًا . » [11]

---

(1) ض : « المحو »

(2) ض : « الميم »

(3) ض : « خطًا من السطر صغيرًا »

(4) ط : « بكتبة »

(5) ط ، ض ، د : « حاشية »

(6) ض : « ويكتب »

(7) ض : « مرضي »

(8) ض : « مكررة في الكلام »

(9) ض : « فيؤرخ »

(10) هـ : « التكرر » ، د : « التكرير »

(11) الشهرزوري ، م.س / 193 – 194 ، الأبناسيّ، م.س / 341 - 342 ، الجزائري طاهر بن صالح ، م.س / 355 عبد الرحمن عائشة ، م.س / 378 – 379

تنبيـــــه :

أطلق موثقو العصر على ما تقدم من الضّرب والبشر[1] تمريضًا، فيقولون في الإعتذار عما يقع في الوثيقة من هذا القبيل به ممرضًا [2] عليه كذا، وليس بسديد ، « لأن التمريض ويسمّى أيضًا التضبّيب [3] عند الحذاق المتقنين[4]، أن يجعل على ما صحّ وروده كذلك من جهة الفعل[5] غير أنّه [6] فاســد لفظًــا أو معــنى، أو ضعيف أو ناقص، مثل أن يكون غير جائز من حيث [7] العربية، أو يكون شاذًا عند أهلها يأباه أكثرهم، أو مصّحفًا، أو ينقص من جهة الكلام كلمة أو أكثر، وما أشبه ذلك، فيمرّ[8] على ما هذا سبيله عند المحدثين خطاً أوله مثل الصاد ولا يلزق [9] بالكلمة المعلّم عليها كي لا يظهر[10] ضربًا وكأنّه صاد التّصحيح بمدّها دون حائها [11] كتب [12] كذلك مابين صح مطلقًا من جهة الرواية وغيرها، وبين ما صح من جهة الرواية

---

(1) هــ ، ض ، د : « الشق »

(2) ض : « القيد معرضًا »

(3) ض : « التضعيف »

(3) التضبيب : جمع مفرده ضبة ، وهي حديدة عريضة يضبب بها الباب أي يغلق ، وأستعملت هنا لكون الحرف مقفلاً بها لا يتجه لقــراءة ، كما أن الضبة مقفل بها . أنظر : محمود المصري ، م.س / 54

(4) هــ : « المتقدمين » ، ض : « حذاق الموثقين »

(5) ط ، د : « النقل »

(6) ض : « يخبر أنه »

(7) ض : « من ناحية »

(8) ط ، د : « فيمد »

(9) ط : « يلزف »

(10) ط : « لا يصير » ، هــ ، ض ، د : « لا يضن » ، ر : « لا ينظر »

(11) ض : « هائها»

(12) هــ : « كتبت »

دون غيرها ، فلم يكمل[1] عليه التّصحيح وكتب حرف ناقص على حرف ناقص إشعارًا بنقصه ومرضه [2] مع صّحة نقله وروايته وتنبيهًا بذلك لمن ينظر في كتابه [3] على أنه قد وقف/ [4] عليه ونقله على ما هــو عليه ، ولعل غيره قد يخرج له [5] وجهًا صحيحًا أو يظهر له بعد ذلك صحّة [6] ما لم يظهر له الآن. » [7]

وهذا في الوثيقة متعذر ما لم تكن نسخة من أصل وقع فيه لحق أو خروج عن الحاجة [8] فيحــسن فيهــا التّمريض والتّضبيب فاعلمه، وعمل الكثير من الموثقين اليوم أن يكتب على ما كان في النسخة من هــذا القبيل كذا إشارة إلى ذلك والله أعلم .

---

(1) ض : « يكتب »

(2) ط : – « ومرضه »

(3) ض : « كتبه » ، ر : « الكتابة »

(4) نهاية ورقة 15 و (ق)

(5) ض : « عليه »

(6) ط ، هـ ، ض ، د ، ح : « في صحته »

(7) الشهرزوري ، م.س / 197 ، الأبناسيّ، م.س / 344 – 345 ، الجزائري طاهر بن صالح ، م.س / 354 عبد الرحمن عائــشة ، م.س / 380 – 381

(8) ط ، ض ، د : « الجادة »

(9) ض : « التطبيب »

الفصل [الرابع : في محّــل الإعتــذار]

وأمّا محلّ الاعتذار، فأعلم أنّ لمتقدّمي أئمّة الصّناعة ومتّأخريهم في ذلك [1] اختيارات وأنظار.
قال الشيخ أبو الحسن الرعيني رحمه الله : « الوجه فيما يقع في الوثيقة من إلحــاق أو إصــلاح، أن يكــون الاعتذار عنه داخلاً تحت تاريخها حتى يكون التّاريخ خاتمًا لها تمنع الزيادة معه، وذلك أضبط للعقد، وعليه جرى عمل[2] كثير من الحكّام قديمًا فيما يكتب بين أيديهم مما يشهدون به على أنفسهم، وقد كان منــهم من يعتذر بعد التّاريخ لئلاّ يقع فيه ما يجب الاعتذار عنه فيكون الاعتذار في موضعين . »
قال ابن فتحون : وكل حسن .

قلت : بالقول الثاني من هذين القولين، جرى عمل العدول بتلمسان وفاس ، وهو أوجــه لمــا [3] تقــدم، وعلى القول[4] الأول ، فهل محلّه قبل عقد الإشهاد وهو الذي صحّحه غير واحد من المــوثّقين، أو بعــده وقبل التّاريخ في ذلك قولان.

تفريع : فان أغفل الاعتذار حتى سبق [5] وضع شاهد في الوثيقة عقب شهادته [6] فليجعل الاعتذار عقب شهادته عطفًا بالواو فيقول وبمصلحٍ أو بملحقٍ [7] أو وبمقحمٍ أو ماكان كذا وكذا أو[8] يقول علــى [9] أن فيها مصلحًا أو ملحقًا أو مقحمًا [10] كذا وكذا [11] صحيح به ، وإسقاط الواو يوهم أن الشهادة وقعــت على المعتذر عنه [12] فقط [13].

---

(1) ط ، ض : + « في ذلك »
(2) ر : – « عمل »
(3) هـ : « مما »
(4) د : « الوجه »
(5) د : – « سبق »
(6) ض ، د ، ح ، ر : – « عقب شهادته »
(7) ض : – « أو بملحق »
(8) ط : « و » ، ض : – « و كذا أو »
(9) ط : « و على »
(10) ر : – « أو مقحمًا »
(11) ض : – « و كذا »
(12) ض : « منه »
(13) هـ : – « فقط »

قال الرعيني : « وان كان ذلك لا يلزم فهو أولى لأن الوثائق شأنها رفع الالتباس ، وإنما يلزم إثبات الـــواو فيما يزيده [1] الشاهد من شهادته زائدًا على نص العقد ، وإسقاطها في هذا خـــروج عـــن نـــص العقـــد ، وإيقاع للشهادة على ما تزيد [2] منها خاصة، وإن أغفل الاعتذار حـــتى وضـــع الثـــاني شـــهادته فليكتـــب أحدهم[3] وفلان ابن فلان [4] أعاد [5] شهادته لبشرٍ أو لحقٍ في الكتاب ما لم [6] يعتذر منه وهو كذا صحيح منه ثم يعيد الباقون شهادتهم . »

---

(1) د : « يذيله » ، ح : « يزيله »

(2) ض ، ح : « من تزيل » ، د : « من تذيّل »

(3) ض : « أحدهما »

(4) د : « وفلان بن فلان بن فلان »

(5) ط : « أخر »

(6) ض : « و لم » ، ح : - « ما »

الخاتمـــة :

على الرغم من السبق التّاريخي الذي حازته عدد من الأبحاث والدّراسات لكتاب :
المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق وأحكام الوثائق ، لمؤلّفــه أبي العبّــاس أحمــد الونشريسي ، إلاّ أنّها كشفت وفي آن واحدٍ عن عدم التزامها الدّقيق بمقوّمات البحــث وقواعــد وأصــول التّحقيق العلمي .

وفي غيــاب دراســةٍ تحليليّــة تشخّص عن قــربٍ الواقــع السياســي والحضــاري الــذي عاصره الفقيــه أبو العبّاس أحمد الونشــريسي ، وجد قسم الدّراسة طريقه في الكشف عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في أكبــر حاضرتين مــن حواضــر المغرب الاسلامي (تلمسان ، فاس) ، في القرنين (9 – 10 هــ / 14 – 15م) .

لقد كان الاضطراب السّياسي ، والصّراع العسكري الذي ظلّ قائمًا على أشدّه في بلاد المغرب بين المرينيين وبني عبد الواد من جهةٍ ، وبين هؤلاء والحفصيين من جهة أخرى هو ما طبع التّاريخ السّياسي العام لــدول المغرب الثلاث ، وأعاد رسم خارطة جديدة للمنطقة لم تكن ثابتة أو مستقرّة على وضــع معــيّن ، بفعــل ديمومة حركة القبائل البربرية والعربية ، وحالة القوّة والضعف للدّولة الزيّانية ، وردود الفعل من قبــل بــني مرين وبني حفص ، تلك الحتمية التي فرضت على الدولة ككيان سياسي التعايش معها كــسبيلٍ لا منــاص منه ، للمحافظة على وجودها بين خصومٍ ومتنافسين على السّلطة داخليًا وخارجيًــا .
كما أنّ غياب الأمن واستمرار التهديد الدائم لحياة الأفراد ، الذي كانت تتسبب فيه القبائل المنافــسة لــبني عبد الواد وبني مرين (عرب الديلم ، سويد ، بني عامر، قبيلة جشم ...) على منــاطق الثّــروة والنفــوذ ، وتلك المخلّفات النّاجمة عن سوء التسيير والانفراد بالسّلطة ،والصّراع بين أفراد الأسرة الواحدة ، وتبعــات الحروب ، وتزايد خطر النصارى ،كلّــها معطيات أكيدة على ضعف الــسّلطة الحاكمــة وتــوفر شــروط زوالــها .

و إذا كان التنــوع الاجتماعي في التركيبة البشريــة قــد أضفى نوعًــا مــن الثّــراء السوسيولوجي وفــق معاييــر محدّدة ، إلاّ أنّه أخــفى في الوقت نفسه مســألة التفاوت الطبقي ، وتركّز الثروة والجاه لدى فئة خاصّة دون أخرى ، وفتح المجال لانتشار بعض مظاهر الفساد والانحــلال الخلــقي في المجتمع المغربي ، ممّــا أحدث شــرخًــا واضحًــا انعــكست نتائــجــه سلبيًــا على وحــدة المجتمع وأدائــه المتكامــل سياسيًــا واجتماعيًــا واقتصاديًــا وثقافيًــا ، وحمل في طيتّه تذمّر الرعيّــة من السّلطة في المغــرب الأوسط ، و كان بداية لزوال دولة وظهور أخرى في المغرب الأقصى .

وممّا ميّز الواقع الاقتصادي للدّولتين (الزيّانية ، المرينية) ، تلك الامكانيات المتنوعة التي شكّلت دعائمــًا قويّة للقطاعات المنتجة والتي شملت الزّراعة والصّناعة وسائر الأنشطة التّجارية الأخرى .

وكشفت هذه الامكانيات عن حيوية الموقع ، و وفرة مصادر المياه ، وجودة التربة ، وتنــوع المناخ ، و

بعض النّظم المحكمة المتعلقة بكيفية إستغلال الأرض الزراعية (مزارعة ، مغارسة ، مساقاة) وطريقة سقيها وفق ما تقتضيه الشّريعة الاسلامية و ماتمليه عادات وتقاليد المجتمع المغربي ، إلى جانب التّنظيم الجيّد لظاهرة الرعي وتربية الماشية ، كمصدرٍ من مصادرة الثّروة .
كما شهد القطاع الصّناعي ازدهارًا كبيرًا ، بسبب الاهتمام المتزايد لسّلاطين الدّولة ، ووفرة وتنوع المواد الخّام ، وما اكتسبه الصنّاع من خبرات اضافية بفضل الهجرة الأندّلسية إلى مدن المغرب ، حيث كان ذلك عاملاً مشجّعًا على وفرة الانتاج وتنوعّه ، وشكّل قاعدة جديدة لبداية ترويجه وتسويقه .
ونظرًا لخصّوصية الأوضاع السياسية والأمنية التي سادت بلاد المغرب ، فقد حرص سلاطين الدّولتين من بني زيّان وبني مرين على توفير الأمن والاستقرار ، وتأمين طرق النقل والمواصلات والضّرب على أيدي كلّ من تسّول له نفسه الاعتداء على الأموال والقوافل ، من القبائل المعارضة للسّلطة و قطّاع الطّرق ، فاستحدثوا تنظيمات جديدة (الرتب ، الغرباء) وفتحوا المجال لإقامة علاقات تجارية متنوعة بين الشمال والجنوب وداخل مدن الدّولة .
وإلى جانب العناية الخاصّة بالتّجارة الخارجية فقد توفرت للنّشاط التّجاري الأسواق الداخلية ، التي حضيت بعناية خاصّة من قبل السّلطة الحاكمة في حاضرتي الدّولتين (تلمسان ، فاس) بيعًا وشراءً وذلك بتنظيمها وحسن إدارتها ، من خلال توزيع الأسواق حسب طبيعة نشاطها ، وإقامة الفنادق وتجديدها خدمةً للتّجار والغرباء ، مع تفعيل دور المحتسب ، وتحديد نظام التسعّير لوضع حدٍّ لكلّ أشكال الغشّ والتّدليس ، والمضاربة في السّلع والأسعار.
وقد ارتبط بتلك الأوضاع المتأزّمة سياسيًا والمتردّية اجتماعيًا ، على غير العادة تطورًا وازدهارًا للجانب الفكري من الحياة الثّقافية للدّولتين الزيّانية والمرينية ، حيث شهدت الحياة الفكرية آفاقًا أرحب وأوسع ، أتاحت للعقلية المغربية مزيدًا من النّضج والرقيّ ، بفضل الجهود الخاصّة لفئة الحكّام والفقهاء .
وقد مثّلت المؤسسات التّعليمية بجميع أنماطها ، معاهدًا علمية هامّة في بلاد المغرب من حيث كونها موضعًا للتّدريس وإقامة الطلبة ، وأماكنًا للعبادة والذكر واجتماع الفقهاء والمتصّوفة ، يؤطّرها كبار الأساتذة والفقهاء ، ويسهر على تمويلها العام والخاص من الحكّام والمحكومين .
إذ لم يضع سلاطين بني زيّان وبني مرين أمام العلماء المغاربة وغيرهم من فقهاء الأندلس وأدبائها المهاجرين إلى أرض المغرب ،أيّة عوائق تعوق اقامتهم في ربوع الدّولة ، وتحرمهم من التّمتع بكل الميزات التي يتمتع بها أقرانهم من العلماء الزيّانيين و المرينيين ، بل لقد انظمّ كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس السّلاطين العلمية ، وشغل بعضهم مناصبًا هامّة في الدّولة ، وقد أدّى ذلك إلى تأطير الحركة الفكرية برصيد هائل وضخم من الثقافة الأندلسيّة المتنوعة .
واستطاع بنوزيّان وبنو مرين بهده الدعائم تنمية الحركة الفكرية ، وتعميق جذورها في بلاد المغرب ، حيث أصبحت حاضرتي تلمسان وفاس ، عاصمتين للفكر والعلوم ، زيادة على كونهما عاصمتين سياسيتين للدّولتين .

وإذا كانت شخصية الونشريسى كرجل علمٍ وفقيــه ، لم تحضــى بدّراسة مستقلّة رغــم دوره المؤثــّر في السّاحة الفقهية وشهرته كمثقّفٍ ، فإنّ علاقاته بالسّلطة الزيّانيــة لم تخــلوا مــن بعض مظاهــر التّوتــر والانسداد على غرار عددٍ من علماء وفقهاء الدّولة .

كلّ ذلك كان كافيًا رغم قلّة المادة الخبرية للبحث عن المعطيات الأساسية في شخصية الونشريسي ومسار نشأته ومكانته العلمية والفقهية ، وما تعرضّ له من ضغطٍ وإكراه ، ممّا دفعه للهجرة إلى فاس لبداية عصر جديد في ظلّ ظروف مغايرة عمّا كانت تعيشه الدّولــة الزيّانيــة .

وقد كشفت الدّراسة إلى جانب ذلك عن ثراء مؤلّفاتــه وكثرتــها ، فهــي كتب جامعة لمختلف المعارف والنّصوص الفقهية المتصّلة بعلوم الدّين والشّريعة ، حيث لقيت اهتمامًا كبيرًا من قبــل معاصريه ومن جــاء بعده من العلماء والفقهاء في بلاد المغرب والمشرق .

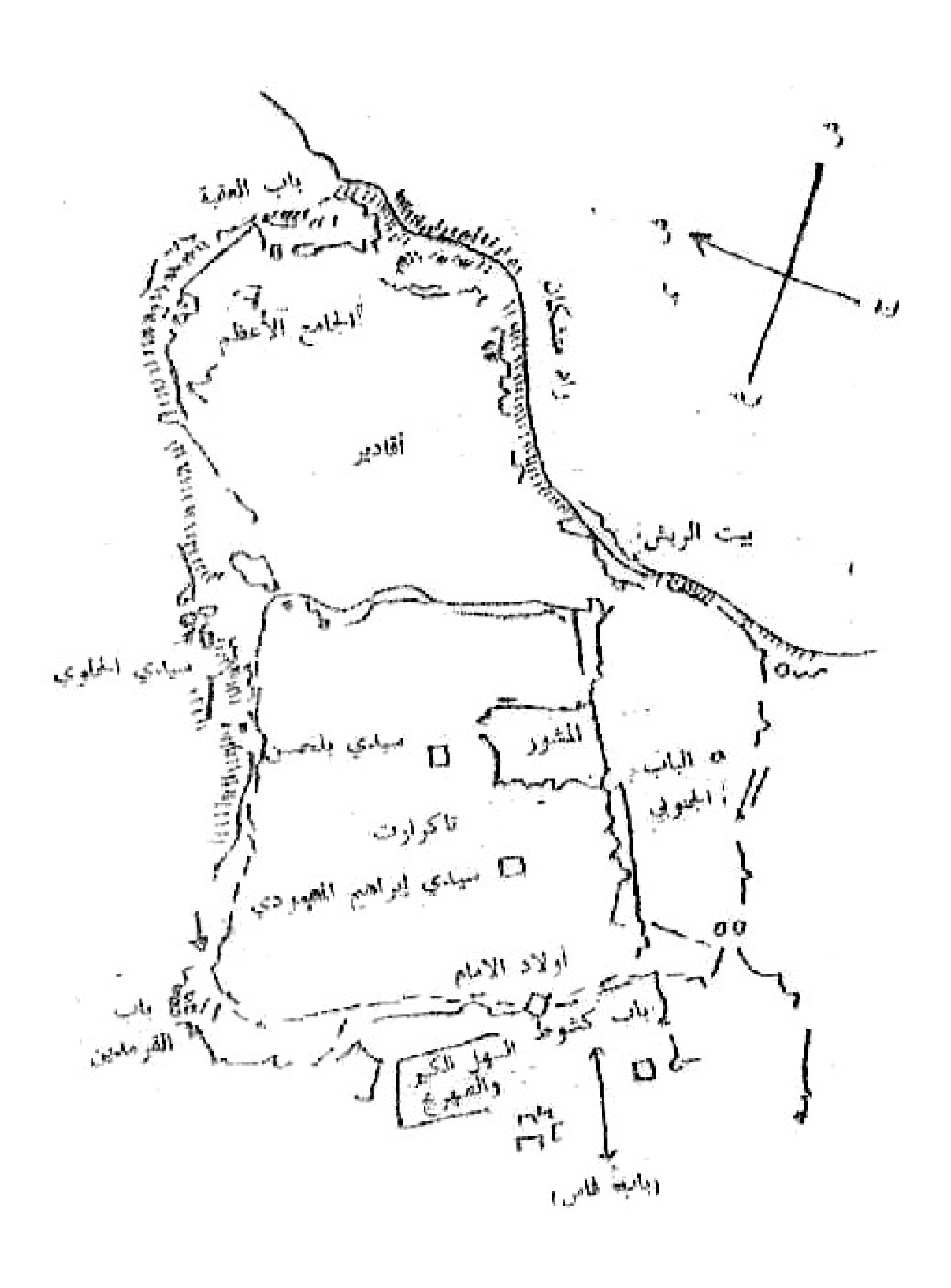
وما كتاب : المنهج الفائق ، والمنهل الرّائق ، والمعنى اللاّئق ، بآداب الموثّق وأحكام الوثائق ، إلاّ تصنيف من مجموع ما صنّفه الونشريسي ، وخصّصه لعلم الشّروط والوثائق ، أبان فيه عن كثرة وتنوع مصادره الفقهية بين كتب التّــوثيق والقضــاء من جهــة لطبيعــة الموضــوع ، وأمهّــات كتب الفــقــه المالــكي للنّقــل والإستدلال والشّــرح والتفسيــر ، لعددٍ من القضايــا ذات الصّلة بعلم الشــروط والوثائق ، وأضــاف إلى ذلك عــددًا آخر من الكتب المتنوعة للوقــوف على الأحداث والوقائع التي تخدم الموضوع ، وقــد وضع المؤلف من خــلال تلــك المعــارف التي جاءت في ستــة عشر بابًا _ مدّعمــة بنصوص وأقــوالٍ لفقهــاء المالكيــة المحققّين والصّحابة والتّابعــين _ تنبيهات و فــروع وتعقيبات شخصّية ، تبــرز بــوضوحٍ عــن شخصيته الفقهية وكثرة اطّلاعه وإلمامه بالفقه المالكي كيف لا ؟ وهو الملّقب بحامــل لواء المذهب المالــكي على رأس المائة التّاسعة .

الملاحق



الشكل (01) : المغرب والأندلس في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي

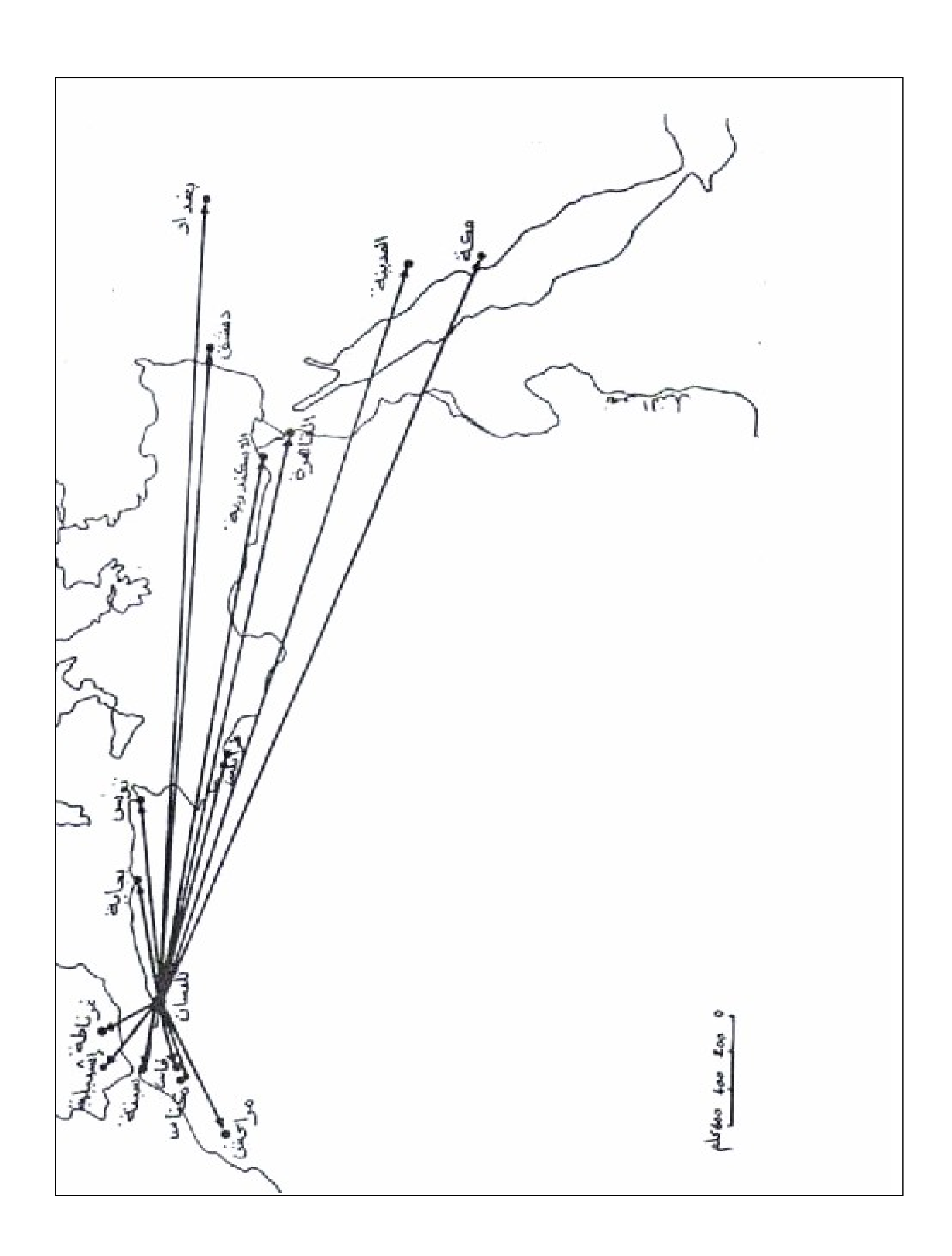
المرجع : عبد الحميد حاجيات ، أبو حمّو موسى الزيّاني (حياته وآثاره) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 / 398



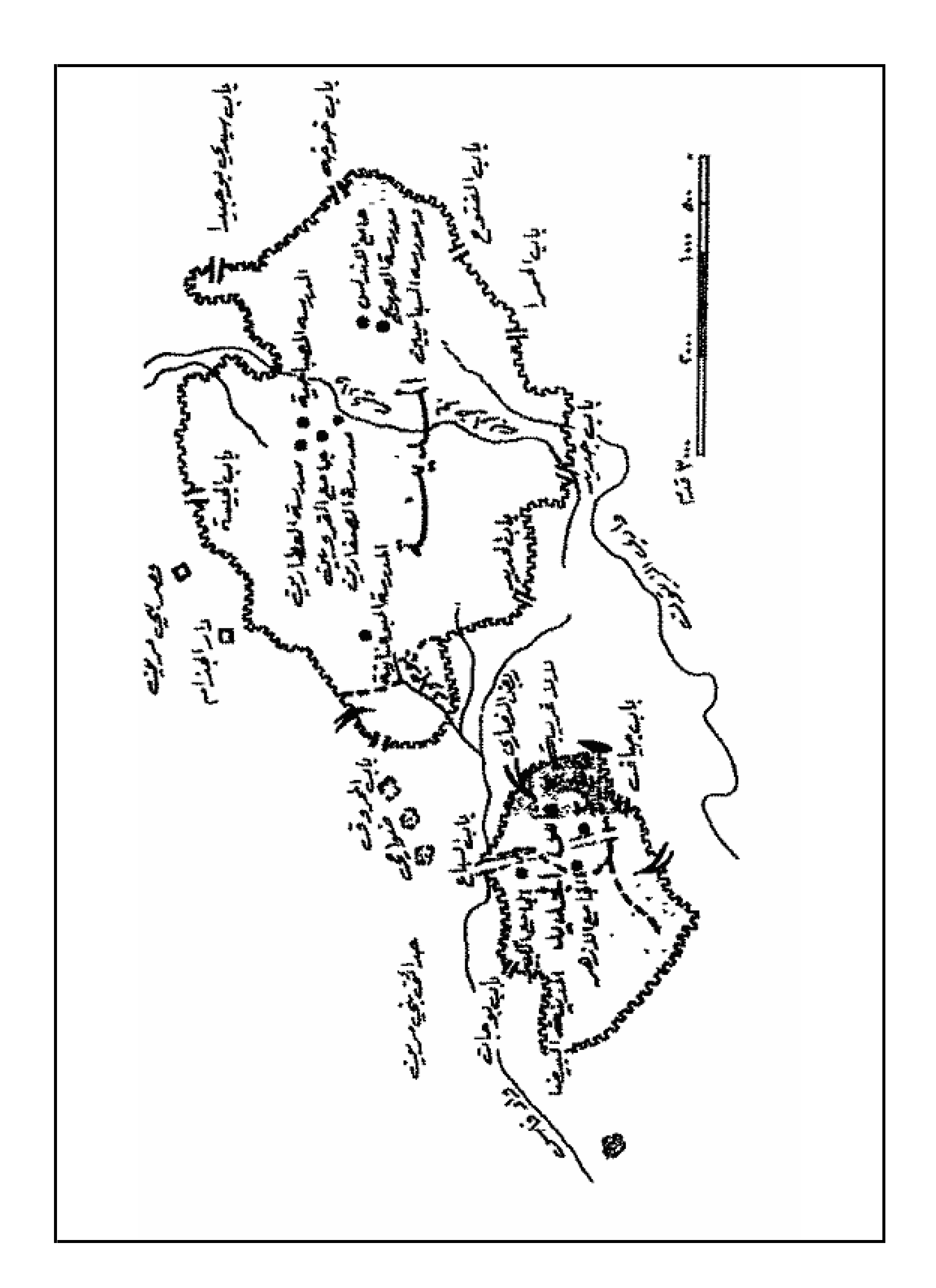
الشكل (02) : مخطط مدينة تلمسان في العهد الزياني

المرجع : أنظر جورج مارسي ، تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني ، دار التل للنشر ، الجزائر ، 2004 / 206

المرجع أنظر : فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية) ، فوم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2004 ، 2 / 626

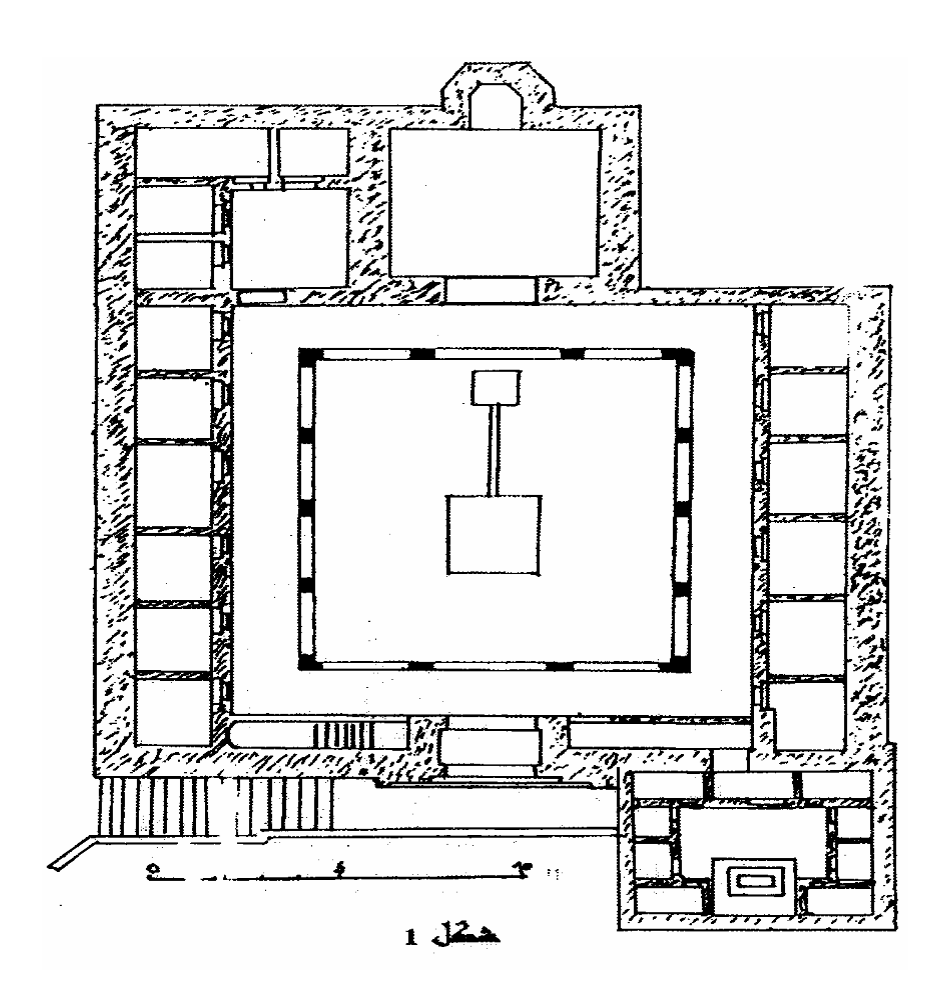


الشكل (03) : الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة من تلمسان إلى حواضر العالم الإسلامي



الشكل (04) : مدينة فاس في عصر بني مرين

المرجع : أنظر روجيه لوترنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نيقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت 1962 / 01



الشكل (05) : مخطط المدرسة التاشفينية [1]

(1) أنظر :

-Georges Marcais ,L`architecture Musulman d` occident (Tunise- Algerie-Maroc-Espagne-Sicile) Arts et matier graphique, paris, 1954 / 290

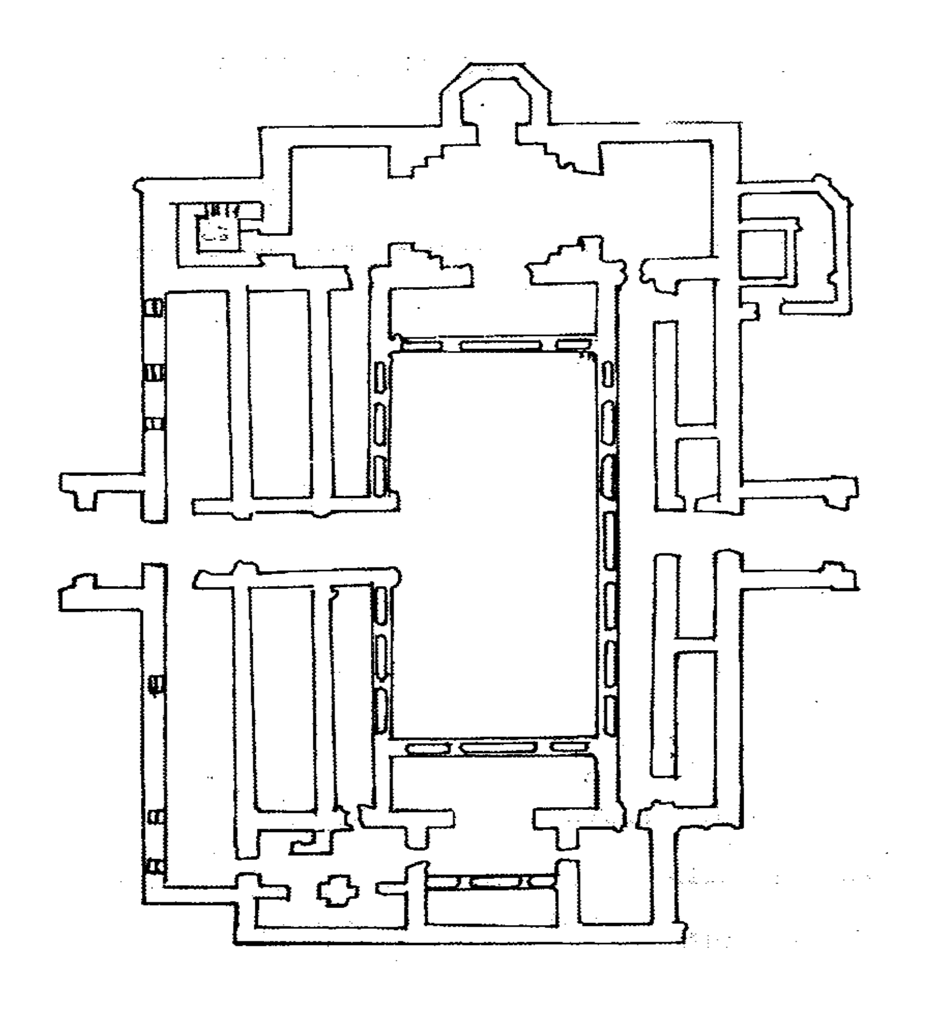
- بن قربة صالح وآخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007 / 165 ، شاوش ، م.س / 398 ،

- إنّ المخطط الهندسي للمدرسة التاشفينية يظهر على شكل مربع ، يتمركز فيه الصحن الذي يشكّل المساحة الأكبر، وتحيط بالصحن بعض المرافق منها : المسجد ، يكون قبالة الصحن بغرض أداء الصلوات ، البيوت أو الحجرات تخصص لإيواء الطلبة والفقهاء وأحيانا يستغل بعضها للتدريس ، الأواوين ، تطل على الصحن وتكون موضعا لجلوس المدرسين أو العلماء أثناء إلقاء الدروس على الطلبة ، المكتبة وتظم أمهات الكتب في مختلف العلوم موجهّة للطلبة والمدرسين ، وبصورة مدققة يمكن القول أن المدرسة التاشفينية تحفة فنية بهندستها الراقية في البناء ، وجودة زخارفها وجمال فسيفسائها .

أنظر : الونشريسي ، المعيار ، م.س ، 1 / 7 – 17 ، 7 / 266 -371 -392 ، إبن مريم ، م.س / 39 -40 إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 133– 134 ، الوزان ، م.س ، 2 / 19 بن قربة وآخرون ،تاريخ الجزائر ، م.س / 176

-Rachid Bourouiba op.cit /197

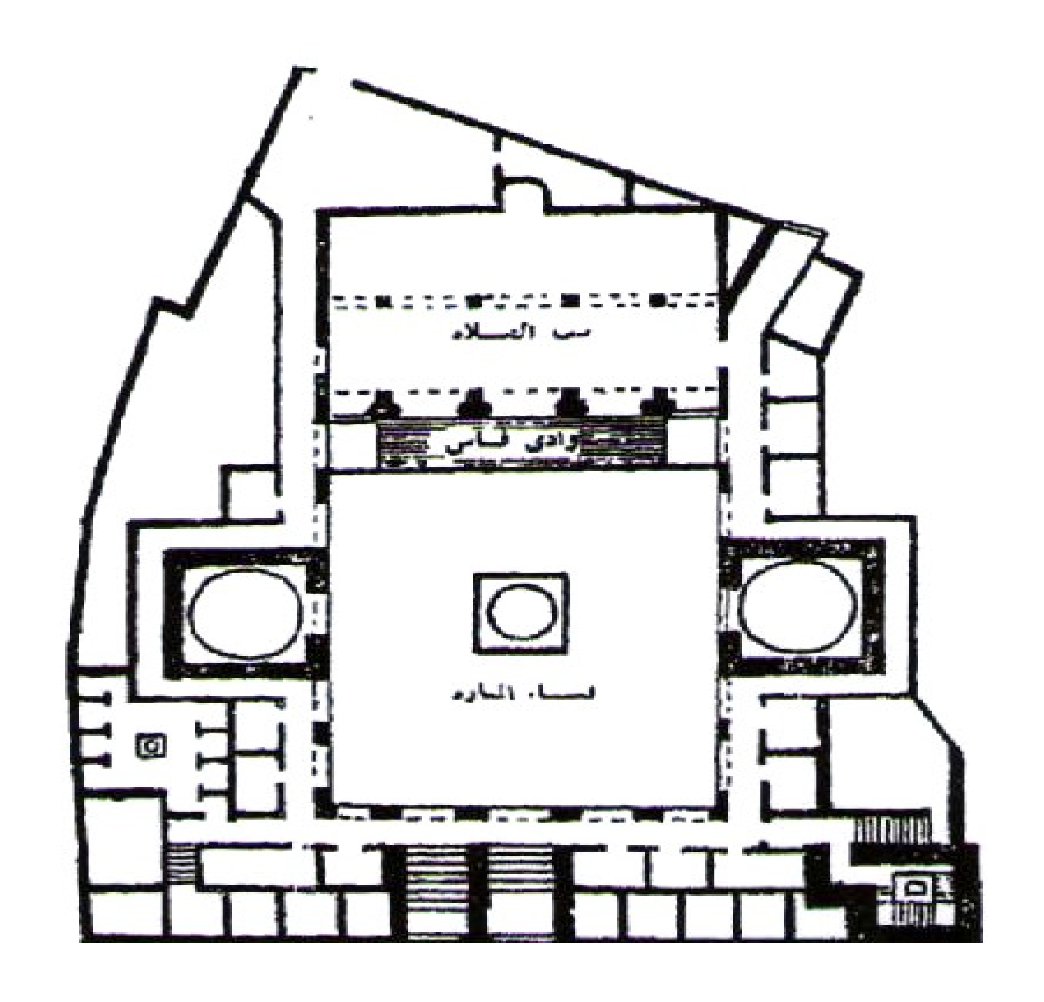
-Georges Marcais, op.cit / 1



الشكل (06) : مخطط مدرسة العبّــاد [1]

(1) أنظر : بن قربة وآخرون ، ، م.س / 176

– على الرغم من قدم مدرسة العُبّاد ، فقد ظلت محتفضة بشكلها وهيكلها العام ، ومع ذلك فقد عرفت بعض الترميمات التي شملت قبتها ومحرابها ، خلال العهد العثماني ، إلاّ أنها تعرضت مرة أخرى للتخريب والهدم من قبل الفرنسيين خاصة مايتعلق بالجدران والنافورة .



الشكل (07) : مخطط المدرسة البوعنانية بفاس [1]

(1) أنظر : شارل أندري جوليان ، م.س ، 2 / 242

الفهارس العامة

1- فهرس المصادر والمراجع

● القرآن الكريم : رواية ورش عن الإمام نافع ، مؤسسة الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر، 2005

أولاً : المصادر

أ / المصادر المخطوطة :

● إبن أبي زمنين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله عيسى المري (399 هـ / 1008 م)

01- المنتخب من الأحكام (رقم : 1368 ، المكتبة الوطنية الجزائر)

● أبو الأصبغ : عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت 486 هـ/ 1093 م)

02- تنبيه الحكّام على مآخذ الأحكام (رقم : 08892 ، المكتبة الوطنية تونس)

●الجزيري : علي بن يحي بن القاسم (ت 585 هـ/ 1189 م)

03- المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود (رقم : 00539 ، المكتبة الوطنية تونس)

● إبن عات : هارون بن أحمد بن جعفر (582 هـ/ 1187 م)

04- بلوغ الأمنية ومنتهى الغاية القصية لشرح ما أشكل من الوثائق البونتية ، (مجموع 03 رقم : 1298 ، المكتبة الوطنية الجزائر)

● المازوني يحي بن موسى بن عيسى المغيلي (883 هـ/ 1478 م)

05- الدّرر المكنونة في نوازل مازونة ، (ج2 رقم 1336 ، المكتبة الوطنية الجزائر)

● المتيطي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (570 هـ ، 1285 م)

06- النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام (رقم : 3861 ، المكتبة الوطنية الجزائر)

ب / المصادر المطبوعة :

● إبن الأبّار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658 هـ/ 1260 م)

07- التكملة لكتاب الصلة ، مطبعة روخس ، مجريط ، إسبانيا ، 1887

08-كتاب الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط 2 ، القاهرة ، 1985

● الأبناسيّ : برهان الدين (802 هـ / 1399 م)

09- الشذا الفياح من علوم إبن الصلاح ، تحقيق صلاح فتحي هلل ، شركة الرياض للنشر والتوزيع ، ط 1 ، المملكة العربية السعودية ، 1998

● إبن الأحمر :

10- تاريخ الدولة الزيانية ، تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1 ، 2001

● الأسيوطي : شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي (ت 880 هـ/ 1475 م)

11- جواهر العقود و معين القضاة و الموقعين والشهود ، مطبعة السنة المحمدية ، ط 2 ، القاهرة ، 1954

● إبن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (494 هـ/ 1183 م)

12- الصلة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ،ط1 ، القاهرة ، بيروت 1989،

● البعلي : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلي (709 هـ / 1309 م)

13- المطلع على أبواب المقنع ، المكتب الإسلامي ، ط 3 ، بيروت ، 2000

● البغدادي : إسماعيل باشا بن محمد أمين

14- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقبق محمد شرف الدين و رفعت بيلكله الكليسي ، دار إحياء الترات العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت

15- هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنّفين ، تحقبق محمد شرف الدين و رفعت بيلكله الكليسي ، دار إحياء الترات العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت ،

● البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن (739 هـ/ 1338 م)

16- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ط 3 ، بيروت ، 1992

● البغوي : أبو القاسم عبد الله بن محمد (317 هـ / 929 م)

17- معجم الصحابة ، دراسة وتحقيق محمد الأمين الجكني ، مكتبة دار البيان ، الكويت ، 2000

● البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ / 1094 م)

18- المغرب في ذكر إفريقية وبلاد المغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت

● البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن محمد (ت 458 هـ / 1065 م)
19- شعب الإيمان ، الجزء الأول ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت ، 2000
● التازي : أبو الحسن علي بن محمد (731 هـ / 1330 م)
20- القصد النافع لبغية الناشيء والبارع على الدرر اللوامع في مقرىء نافع ، تحقيق التلميدي محمد محمود ، ط1 ، دار الفنون للطباعة والنشر، جدّة ، المملكة العربية السعودية ، 1993
● الترميذي أبو عيسى محمد بن عيسى (279 هـ / 892 م)
21- الجامع الكبير ، تحقيق وإخراج بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1996
● التليدي عبد الله بن عبد القادر
22- المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، ط 4 ، الرباط ، 2003
● التنبكتي : أحمد بابا (ت 1036 هـ / 1626 م)
23- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم الهرامة عبد الحميد عبد الله ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ط1 ، طرابلس ، ليبيا ، 1989
● التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التلمساني (ت 899 هـ / 1493 م)
24- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق ، محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985
● الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر البيان والتبيين (255 هـ / 868 م)
25- البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7 ، 1998
● الجزائري : طاهر بن صالح بن أحمد
26- توجيه النظر إلى أصول الأثر ، المطبعة الجمالية ، مصر ، 1910
● الجزنائي: أبو الحسن علي (ق 8 هـ / 14 م)
27- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب إبن منصور ، المطبعة الملكية ، ط 2 ، الرباط ، 1991
● إبن جزي : أبو القاسم محمد الكلبي الغرناطي (ت 741 هـ / 1340 م)
28- القوانين الفقهية ، دار القلم ، بيروت ، د .ت
● الجواليقي أبو منصور موهوب بن أحمد (481 هـ / 1088 م)
29- شرح أدب الكاتب ، دراسة وتحقيق طيبة حمد بودي ، مطبوعات جامعة الكويت ، ط1 ، 1995
● حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت 1067 هـ / 1656 م)
30- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت

● الحجوي : محمد بن الحسن الثعالبي
31- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، مطبعة النهضة ، تونس ، د.ت
● أبو الحسن : مسلم بن الحجّاج بن مسلم (261 هـ/ 874 م)
32- صحيح مسلم ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط 1، مصر ، 1930
● الحطاب الرعيني : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت954 هـ/ 1547 م)
33- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، ضبط وتخريج زكرياء عميرات ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1995
● أبو حمو موسى : العبد الوادي (ت 791 هـ/ 1388 م)
34- واسطة السلوك في سياسة الملوك ، مطبعة الدولة ، تونس ، 1862
● الحفناوي : أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الديسي
35- تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر ، 1906
● الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت 488 هـ / 1095 م)
36- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، 1966
● الحميري : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم السبتي (ت في أواخر ق 9 هـ/15م)
37- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، عني بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال ، دار الجيل ، ط 2 ، بيروت ، 1988
● إبن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي (ق 4 هـ / 10 م)
38- صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992
● مسلم بن الحجّاج : أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261 هـ / 873 م)
39- صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط 1 ، مصر ، 1929
● إبن خاقان : أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله الإشبيلي (ت529 هـ/ 1135 م)
40- مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، بيروت ، 1983
● الخشني : أبو عبد الله محمد بن حارث (ت361 هـ / 971 م)
41- أخبار الفقهاء والمحدثين ، دراسة وتحقيق ماريا لويس أبيلا و لويس مولينا ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، 1991
● إبن الخطيب لسان الدين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت776 هـ / 1374 م)
42- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة ، 1973
43- مثلى الطريقة في ذم الوثيقة ، تحقيق وتقديم عبد المجيد التركي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983

44- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1928

● إبن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ/ 1405 م)

45- تاريخ إبن خلدون ، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان ، 2000

46- المقدمة ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان ، 2000

● إبن خلدون : أبو زكرياء يحي بن محمد (ت 780 هـ/ 1378 م)

47- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق ألفريد بال ، الغوثي أبو علي ، مطبعة فونطانة ، الجزائر ، 1903

● إبن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681 هـ ، 1283 م)

48- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1968

● الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (463 هـ / 1070 م)

49- تاريخ مدينة السلام ، وأخبار محدّثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها ، تحقيق بشّار عوّاد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ،2001

50- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق محمد عجّاج ، مؤسسة الرسالة ، 1989

● إبن خلاد الرامهمزي : الحسن بن عبد الرحمن (360 هـ / 970 م)

51- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجّاج الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1971

● إبن خير الإشبيلي (ت 575 هـ / 1179 م)

52- فهرسة إبن خير الإشبيلي ، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1999

● الدبّاغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت 696 هـ / 1296 م)

53- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق وتعليق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، د.ت

● الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 558 هـ / 1162م)

54- نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، د.ت

● الذهبي شمس الدين : أبو عبد الله محمد بن أحمد (748 هـ / 1347 م)

55- تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت

56- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط و صالح السّر ، مؤسسة الرسالة ط 11، بيروت ، 1996

57- العبر في أخبار من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت ، د.ت

● إبن رجب : أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين (795 هـ / 1392 م)

58- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النـور ، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ، ط 2 ، القاهرة ، 2002

● إبن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد (520 هـ / 1126 م)

59- المقدمات الممهدات ، تحقيق أحمد أعراب ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1988

60- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة ، تحقيق سعيد أعراب ، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، بيروت ، 1988

● الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني

61- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1965

● إبن أبي زرع : علي بن عبد الله الفاسي (ت 741 هـ / 1341 م)

62- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط ، 1972

● الزبيدي محمد مرتضى الحسيني

63- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1965

● الزركشي : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيًا سنة 894 هـ / 1488 م)

64- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 2002

● الزهري : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ق 6 هـ / 12 م)

65-كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت

● السبكي : تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي (ت771 هـ / 1369 م)

66- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1964

● السخّاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ / 1496م)

67- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، دراسة وتحقيق عبد الكريم الخظير ، و محمد بن فهيد ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، المملكة السعودية ، 2005

68- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ، 1992

● السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (911 هـ / 1505 م)
69- بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ط 2 ، بيروت ، 1979
70- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، ط 1 ، القاهرة ، 2003
71- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط 1 ، 1967
● إبن شاس : جلال الدين عبد الله بن نجم (ت 616 هـ / 1219 م)
72- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، و عبد الحفيظ منصور ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1995
● الشهرزوري : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (643 هـ / 1245 م)
73- علوم الحديث لإبن الصلاح ، تحقيق وشرح نور الدين عتر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 1986
● الشفشاوني : محمد بن عسكر الحسني (986 هـ / 1578 م)
74- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب للتأليف والترجمة ، ط2 ، الرباط ، 1977
● الشوكاني : محمد بن علي (ت 1250 هـ / 1839 م)
75- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، ط 1 ، القاهرة ، 1944
76- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تحقيق وإخراج عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، 1994
● الشيرازي : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشافعي (476 هـ / 1083 م)
77- طبقات الفقهاء ، تحقيق وتقديم إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1970
● أبو الأصبغ : عيسى إبن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت 486 هـ / 1093 م)
78- ديوان الأحكام الكبرى ، أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام ، تحقيق يحي مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، 2007
● الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ / 1362 م)
79-كتاب الوافي بالوفيات ، تحقيق وإعتناء أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1 ، بيروت ، 2000
● الأصبهاني : أبو بكر أحمد بن علي بن منجويه (428 هـ / 1036 م)
80- رجال صحيح مسلم ،تحقيق عبد الله الليثي ، دار المعرفة ،ط 1 ، لبنان ، 1987

• الضبيّ : أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599 هـ / 1202 م)
81- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1989
• طاش كبرى زادة أحمد بن مصطفى (ت 968 هـ / 1067م)
82- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1985
• الطيبي : محمد بن حسن (ق 10 هـ / 16 م)
83- جامع محاسن كتابة الكتاب ، نشره وقدم له صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1962
• إبن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت 463 هـ / 1070 م)
84- بهجة المجالس ، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1981
• العبدري : أبو عبد الله محمد بن محمد (ق 7 هـ / 13 م)
85- رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسي ، الرباط ، 1968
• إبن عرضون : أبو العباس أحمد بن الحسن بن يوسف الشفشاوني (992 هـ / 1584 م)
86- الكتاب اللائق لمعلم الوثائق ، طبعة حجرية ، فاس ، المملكة المغربية ، 1271 هـ
• إبن عبد الملك : أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري المراكشي (ت 703 هـ / 1303 م)
87- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة ، تحقيق إحسان عباس و محمد بن شريفة (ثمانية أسفار) ، دار الثقافة ، بيروت ، 1984
• إبن عبد ربه : أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328 هـ / 939 م)
88- العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983
• إبن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي (ت 543 هـ / 1148 م)
89- أحكام القرآن ، تحقيق علي بن محمد البجاوي ، دار المعرفة ، لبنان ، 1972
90- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترميذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت
• العسقلاني إبن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي (852 هـ / 1448 م)
91- تهذيب التهذيب ، إعتناء إبراهيم الزيبق و عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ت
92- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، 1993
• إبن عطية : أبو محمد عبد الحق الأندلسي (541 هـ / 1146 م)
93- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق ، عبد الله الأنصاري ، عبد العالي السيد إبراهيم ، محمد الشافعي ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، دار الخير ، ط 2 ، قطر ، 2007

• العقباني : محمد بن أحمد بن قاسم التلمساني (ت 871 هـ / 1467م)
94- تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق ونشر علي الشنوفي ، مجلة الدراسات الشرقية ، المعهد الفرنسي داماس ، العدد 19 ، 1967
• إبن العماد : شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089 هـ / 1678)
95- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق وإخراج عبد القادر الأرناؤوط ، ومحمود الأرناؤوط ، دار إبن كثير ، ط 1 ، بيروت ، 1986
• إبن عيشون الشراط : أبو عبد الله محمد (ت 1109 هـ / 1697 م)
96- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهراء النظام ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1997
• إبن عياض : أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى (575 هـ / 1179 م)
97- التعريف بالقاضي عياض ، تحقيق وتقديم محمد بن شريفة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مطبعة فضالة ، ط 2 ، المملكة المغربية ، 1982
• إبن غازي المكناسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (919 هـ / 1513 م)
98- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، الرباط ، 1952
• الغرناطي : أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج بن عبادة الأنصاري (576 هـ ، 1183 م)
99- الوثائق المختصرة ، أعدها مصطفى ناجي ، مركز إحياء التراث المغربي ، الرباط ، ط 1، 1988
• أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت 732 هـ ، 1331 م)
100- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت
• إبن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799 هـ / 1396 م)
101- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1996
102- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه جمال مرعشلى ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1995
• إبن الفرضي أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف (ت 403 هـ / 1012 م)
103- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، مكتبة الخانجي ، ط 2 ، القاهرة ، 1988
• الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ / 1414 م)
104- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تحقيق محمد المصري ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، ط1 ، دمشق ، 2000
105- القاموس المحيط ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط 3 ، مصر ، 1978

● إبن القاسم : محمد بن إبراهيم الأنصاري السبتي (ق 08 هـ / 14 م)

106- إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1983

● إبن القاضي : أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت 1025 هـ / 1616 م)

107- جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، المملكة المغربية ، 1973 - 1974

● القاضي عياض : أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت 544 هـ / 1149 م)

108- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1998

109- الغنـــية ، فهرست شيوخ القاضي عياض ، تحقيق ماهر زهير جرار ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1982

110- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، ط 1 ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1970

● القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي (ت 422 هـ / 1030 م)

111- التلقين في الفقه المالكي ، ، دار الفكر ، بيروت ،1995

● القرافي : شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت 684 هـ / 1285 م)

112- الإحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ، إعتنى به عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، ط 3 ، بيروت ، 1995

113- الذخيرة ، تحقيق محمد حاجي ، سعيد اعراب ، محمد بوخبزة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1994

● القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (671 هـ / 1272 م)

114- الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وأي الفرقان ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 2006

● القلصادي : أبو الحسن علي (ت 891 هـ ، 1486 م)

115- رحلة القلصادي أو تمهيد الطالب ومنهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب ، تحقيق محمد أبو الأجغان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، د ت

● القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ / 1418 م)

116- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1922

● إبن قانع : أبو الحسن عبد الباقي (351 هـ / 962 م)

117- معجم الصحابة ، ضبطه وعلق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن سالم المصراتي ، د.ت

● القيرواني : أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن (386 هـ / 996 م)

118- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، محمد الأمين بوخبزة ،محمد حجي وآخرون، ، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، 1999

● الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير

119- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلالات ، إعتناء إحسان حقي ، دار الغرب الإسلامي ، بيرروت ، د.ت

● الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (1354 هـ / 1935 م)

120- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق عبد الله الكامل وحمزة بن محمد ومحمد بن حمزة بن علي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية، 2004

● ابن كثير أبو الفداء اسماعيل ابن عمر (774 هـ / 1372 م)

121- البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط 1 ، 1998

● المباركفوري أبو العلى محمد عبد الرحمن (1353 هـ / 1934 م)

122- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترميذي ، راجعه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت

● مارمول كربخال (ق 10 هـ / 16م)

123- إفريقيا ، تحقيق محمد حجي وآخرون ، مطبعة المعارف ، الرباط ، 1948

● المازري : أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر (536 هـ / 1141 م)

124- المعلم بفوائد مسلم ، تحقيق وتقديم محمد الشاذلي النيفر ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، تونس ، 1991

● مالك بن أنس : أبو عبد الله الأصبحي (179 هـ / 795 م)

125- المدوّنة ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1994

126- الموطأ ، برواية يحي بن يحي بن كثير الأندلسي القرطبي ، ضبط وتوثيق وتخريج ، صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط 3 ، بيروت ، 2002

● مجهول

127- الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعيد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ،1987

● مجهول

128- نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر ضبطه وعلق عليه ألفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط2 ، القاهرة ، 2002

● المجيلدي أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 1094 هـ / 1346 م)
129- التسيير في أحكام التسعيير ، تحقيق موسى لقبال ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1 ، الجزائر ، 1981
● مخلوف محمد بن محمد
130- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، (1930- 1931)
● المراغي أحمد مصطفى
131- تفسير المراغي ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، ط 1، بيروت ، 1964
● المراكشي : أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت 625 هـ / 1227 م)
132- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، 1963
● إبن عذارى : أبو العباس أحمد المراكشي (كان حيًا سنة 712 هـ / 1312 م)
133- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط 2 ، بيروت ، 1983
● إبن مرزوق : أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م)
134- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981
135- المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون اللإسلامية ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1 ، الدار البيضاء ، 2008
● إبن مريم : أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيا سنة 1014 هـ / 1605 م)
136- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، إعتنى بمراجعته محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، 1908
● المزاري بن عودة
137- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، دراسة وتحقيق ، يحي بوعزيز ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، لبنان ، 1990
● إبن مغيث أحمد الطليطلي (459 هـ / 1067م)
138- المقنع في علم الشروط ، تقديم وتحقيق فرانشيسكو خابيير أغيري شادابا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد، إسبانيا ، 1994
● المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
139- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1877
● المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1631 م)
140- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988

141- أزهار الرياض في أخبار عياض ، الجزء الأول ، الثاني ، الثالث ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقى ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1 ، القاهرة ، 1940 ، الجزء الرابع ، الخامس ، حققه سعيد أحمد عراب ، عبد السلام الهراس ، محمد بن تاويت ، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي ، المملكة المغربية ، الإمارات العربية ، 1980

142- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1983

• المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (845 هـ / 1442 م)

143- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمود الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 2002

• المنجور : أحمد بن علي بن عبد الرحمن (ت 995 هـ ، 1087 م)

144- فهرس أحمد المنجور ، تحقيق محمد حجي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1976

• إبن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت 711 هـ / 1311 م)

145- لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، و هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، د.ت

• النباهي : أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ت ق 08 هـ / 14 م)

146- تاريخ قضاة الأندلس ، المعروف بإسم المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط 5 ، بيروت ، 1983

• إبن النديم : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب الوراق (380 هـ / 990 م)

147-كتاب الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، 1971

• الهواري : محمد عبد السلام بن محمد

148- شرح الهواري على وثائق البناني ، دار الكتب العلمية ، تونس ، 1949

• الورثيلاني : الحسين بن محمد (ت 1193 هـ/ 1783 م)

149- الرحلة الورثيلانية ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، تقديم محمد بن أبي شنب ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت ، 1974

• الوزان : الحسن بن محمد الشهير بليون الإفريقي (ت 939 هـ/ 1532 م)

150- وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983

• الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد (ت 914 هـ ، 1508 م)

151- إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك ، تحقيق ودراسة الصادق بن عبد الرحمن الغرياني ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2006

152- إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك ، تحقيق ودراسة أحمد بطاهر الخطابي ، صندوق إحياء التراث الإسلامي ، الرباط ، المملكة المغربية ،1980

153- عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق ، دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1، بيروت ، لبنان ، 1990

154- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981

155- الوفيات (نشر ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات) تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، المملكة المغربية ، 1976

156-كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية ، تشر وتعليق محمد الأمين بلغيث ، مطبعة لافوميك ، الجزائر ، 1985

- ياقوت الحموي : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626 هـ ، 1228 م)

157- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1977

ثانيًا : المراجع

أ / المراجع العربية :

- أحمد تيمور باشا

01- ضبط الأعلام ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1947

- أحمد جمال طه

02- الحياة الإجتماعية في المغرب الأقصى في العصر الإسلامي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2004

03- مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (دراسة سياسية وحضارية) ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، د.ت

- أحمد الشيخ عبد الطيف

04- التوثيق لدى فقهاء المذهب المالكي ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1، 2004

- بن قربة صالح

05- المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986

- بن قربة صالح وآخرون

06- تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007

- بورويبة رشيد وآخرون

07- الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

- بوزياني الدراجي

08- نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993

- بوعزيز يحي

09- الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1999

- التازي عبد الهادي

10- التاريخ الديبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم ، مطبعة فضالة ، الرباط ، 1988

- الترغي عبد الله المرابط

11- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة (منهجيتها – تطورها – قيمتها العلمية) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تطوان ، المملكة المغربية ، ط1 ، 1999

● التونجي محمد

12- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات ، عالم الكتب ، د.ت

● الجيدي عمر

13- محاظرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عياض ، الرباط ، د.ت

● حاجيات عبد الحميد

14- أبو حمو موسى الزياني – حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982

● حركات إبراهيم

15- المغرب عبر التاريخ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين) دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1978

● الحريري محمد عيسى

16- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ط2 ، الكويت ، 1987

● حساني مختار

17- تاريخ الدولة الزيانية ، (الأحوال الإقتصادية والثقافية) منشورات الحضارة ، الجزائر ، 2009

● داوود محمد

18-تاريخ تطوان ، القسم الأول من المجلد الأول،مطبعة مكتبةكريماديس ، ط 2 ، المملكة المغربية ، د.ت

● دهينة عطاء الله

19- الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

● دياب عبد المجيد

20- تحقيق التراث العربي وتطوره ، دار المعارف ، ط 1 ، القاهرة ، 1993

● ريه عطاء علي محمد شحاته

21- اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين ، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، سوريا ، 1999

● الزركلي خير الدين

22- الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ،ط15 ، بيروت ، 2002

● السبتي عبد الأحد وحليمة فرحات

23- المدينة في العصر الإسلامي (قضايا ووثائق من تاريخ المغرب الإسلامي) ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 1994

• سركيس يوسف إلياس

24- معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت

• سزكين فؤاد

25- تاريخ التراث العربي ، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1991

• سعد الله أبو القاسم

26- تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1998

• سعد الله فوزي

27- يهود الجزائر ، هؤلاء المجهولون ، دار قرطبة ، المحمدية ، الجزائر ، ط 2 ، 2005

• سعيدوني ناصر الدين

28- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988

• شاوش محمد بن رمضان

29- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995

• شريط عبد الله و محمد مبارك الميلي

30- مختصر تاريخ الجزائر (السياسي والثقافي و الإجتماعي) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 2 ، الجزائر ، 1985

• ابن شقرون محمّد بن أحمد

31- مظاهر الثقافة المغربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية، 1985

• شكري فيصل

32- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1981

• ضيف أبو مصطفى أحمد

33- أثر القبائل العربية في الحياة الإجتماعية المغربية (خلال عصري الموحدين وبني مرين) ، مطبعة دار النشر المغربية ، ط 1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1982

• ضيف شوقي

34- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات) ، دار المعارف ، ط 1 ، القاهرة ، د.ت

• الطمار محمد

35- تلمسان عبر العصور ، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، تقديم عبد الجليل مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007

●عبد الرحمن عائشة

36- مقدمة ابن الصلاح ومجالس الإصطلاح ، دار المعارف ، مصر ، 1989

● عبد العزيز بن عبد الله

37- الوقف في الفكر الإسلامي ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1996

● العروي عبد الله

38- مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 1999

● عز الدين أحمد موسى

39- النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983

● العفيفي عبد الحكيم

40- موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، مكتبة الإسكندرية ، ط1 ، مصر ، 2000

● علي النيفر التونسي

41- الدّر المنظوم في كيفية كتب الرسوم ، مطبعة الدّولة التونسية ، تونس ، 1298 هـ

● عنّان محمّد عبد الله

42- دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الرابع (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين) ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1997

● الغرياني الصادق عبد الرحمن

43- تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ، منشورات مجمّع االفاتح للجامعات ، ليبيا ، ، 1989

● فيلالي عبد العزيز

44- تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية) ، فوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002

45- العلاقات السياسية بين الدّولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع ، ، الجزائر ، 1982

● قطب سانو

46- معجم مصطلحات أصول الفقه ، دار الفكر المعاصر ط 1 ، دمشق ، 2000

● كحّالة عمر رضا

47- معجم القبائل القديمة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968

48- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة ، ط1، بيروت (الجزء الأول ، 1957 ،الجزء الثاني ، 1993)

●كردي محمد طاهر بن عبد القادر
49- تاريخ الخط العربي وآدابه ، المطبعة التجارية الحديثة ، 1939
● كمال السيد أبو مصطفى
50- جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 1996
● محمّد جميل بن مبارك
51- التوثيق والإثبات بالكتابة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، مطبعة النجاح الجديدة ، المملكة المغربية ، 2000
● محمد القبلي
52- مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الأوسط ، الدار البضاء ، 1987
● محمّد محفوظ
53- تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1982
● محمّود مصطفى
54- إعجام الأعلام ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1983
● المشوخي عابد سليمان
55- أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط 1 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1994
● مصطفى أبو شعيشع
56- دراسات في الوثائق ومراكز المعلومات الوثائقية ، دار العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دت
● المطوي محمّد العروسي
57- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986
● مجمع اللغة العربية
58- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، إخراج شعبان عبد العاطي عطية ، أحمد حامد حسين وآخرون ، مكتبة الشروق الدولية ، ط 4 ، مصر ، 2004
● بن معجوز محمّد
59- وسائل الإثبات في الفقه الإسلامي، ط 1 ، 1984
● المنجد صلاح الدّين
60- قواعد تحقيق المخطوطات ، دار الكتاب الجديد ، ط7 ، بيروت ، 1987

● المنّوني محمّد

61- ورقات عن الحضارة المغربية ، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية ، مطابع أطلس ، المملكة المغربية ، 1979

● الميلي مبارك بن محمّد

62- تاريخ الجزائرفي القديم والحديث،تقديم وتصحيح محمد الميلي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ، د.ت

● نويهض عادل

63- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر ، ط2 ، بيروت ، 1980

● الناصري : أبو العباس أحمد بن خالد السلاّوي (ت 1315 هـ / 1897 م)

64- الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى القسم الثاني ،دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1955

● هارون عبد السلام

65- تحقيق التصوص ونشرها ، مكتبة السنّة ط5 ، القاهرة ، 1994

● هلاّل ناجي

66- محاضرات في تحقيق النصوص ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، 1994

ب / المراجع المعرّبة :

• برونشفيك روبير

66- تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيرروت ، 1988

• جوليان شارل أندري

67- تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنـــشر ، تـــونس ، 1978

•كارل بروكلمان

68- تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، ط 3 ، مصر ، د.ت

• لوترنو روجيه

69- فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نيقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1962

• ليفي بروفنسال

70- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، مطبعة المعهد العلمي للأثار الشرقية ، القاهرة ، 1955

• مارسي جورج

71- تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني ، دار التل للنشر ، الجزائر ، 2004

ثالثًا : الدّوريات

- ابراهيم شبّوح

01- برنامج شيوخ ابن الفخّار الرّعيني ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلّد الخامس ، الجزء الأوّل ، 1959

- أحمد مختار العبّادي

02- من مظاهر الحياة الإقتصادية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، العدد 01 ، المجلّد الحادي عشر ، الكويت، 1980

- بوعزيز يحي

03- ماضي مدينة تلمسان وأمجادها الحضارية ، مجلة الأصالة ، الجزء الأوّل ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1989

- الحسناوي محمد صكر

04- الوثيقة مفهومها وأهميتها في الدّراسات التّاريخية ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد 53 ، السنة الرابعة عشر ، مركز جمعة الماجد ، الإمارات العربية ، أفريل 2006

- الحفيان فيصل

05- فن فهرسة المخطوطات (مدخل وقضايا) ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، 1999

- الرحموني محمد الشريف

06- نوازل الشرطة من كتاب المعيار ، مجلة العدل ، المملكة السعودية ، العدد 13 ، د. ت

- الزواوي رشيد

07- التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي، مجلة الحضارة الاسلامية ، العدد 1 ، الجزائر ، 1993

- عبد العزيز عبد الله

08- الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ، مجلّة الدارة ، السنة الخامسة ، العدد 3 ، 1980

- عفيف بهنسي

09- جمالية الفنّ العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 14 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1979

- القدّوري سمير

10- الفقيه القاضي عيسى بن سهل الأسدي ، مجلة التاريخ العربي ، العدد 37 ، 2006

- محمد فتحة

11- المؤسّسة السلطانية والمجال (أمثلة من العصر الوسيط) ، مجلة البحث التاريخي ، العدد 02 ، 2004

● محمود المصري

12- تأصيل قواعد النصوص عند العلماء العرب المسلمين ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلــد 49 ، القاهرة ، نوفمبر 2005

● المهدي البوعبدلّي

13- الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الامام أحمد بن يحي الونشريسي ، مجلــة الأصــالة (ملحــق خــاص بالملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي) العدد 83 ، الجزائر ، 1980

رابعًا : المراجع باللغة الأجنبية

- Bourouiba Rachid

01- L`art religieux musulman en Algerie , S.N.E.D,Alger, 2`eme, édition , 1981

- Brunshvig roubert

02-Deux récit de voyage inedits en Afrique du Nord au XV siècle Abdelbassi B .Hillal et Adore , Paris,1936, P 44

- Dhina Atalla

03- Les Etats de l`Occident musulman aux XIII , XIV, et XV`eme siécle , édition , O.P.U- ENAL., Alger, 1984

- Dufourc Charles Emmanuel

04- L` Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV, Paris, 1966

- Gautier Emil Felix

05- L`islamisation de l`Afrique du Nord , les siecle obsccurs du Maghreb, Paris,1927

- Marcais Georges

06- La Berberie musulmane et l`orient au Moyen Age, Casablanca. Editions Afrique Orient. 1991

- Marcais Georges

07- L`Architecture musulmane de d`occident , paris , 1955

- Richard Ayoun Bernard Cohen

08- Les juifs d`Algerie 2000 ans d`histoire, Paris,1982

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النّبوية

الصفحة	الراوي	نص الحديث
16 226	رواه أبو إسحاق عن البرّاء بن عازب	﴿ أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب الصلح يوم الحديبيه بين يدي النبي صلّى الله عليه وسلّم ﴾
17	رواه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن آنس رضي الله عنه	﴿ أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّـم إشترى طعامـًا من يهودي إلى أجـلٍ ورهـنه درعـا من حديد ، فلم يكتب هـذه المداينـة و لم يشهد عليـها ﴾
268	رواه الوليد بن عبادة عن والده عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم	﴿ أوّل ما خلق الله القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ﴾
265	رواه عاصم بن مهاجر الكلاعي عن أبيه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم	﴿ الخط الحسن يزيد الحق وضوحًا ﴾
271	رواه محمد بن بشّار عن عباد بن ليث عن عبد المجيد بن وهب	﴿ هذا ما إشترى العدّاء بن خالد بن هوذة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اشترى منه عبدًا أو وليدةً شك المحدث لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع المسلم من المسلم ﴾
271 - 272	رواه عيسى بن يونس عن زكرياء عن أبي إسحاق عن البرّاء بن عازب	﴿ هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهـل مكّة ، أي صالحهم، وكتب عنه أيضًا ، هذا كتاب مـن محمّـد رسول الله إلى منذر ﴾

فهرس الشّعر والنظم

صــدر البيــت	عــجز البيــت	بحــره	عدد الأبيات	قائـلــه	الصفحة
ان كنت للتّوثيق من أبنــائه	ولبست من أوصافه جِلبابَــا	الكامل	08	مجهول	263
أيَــاذا الوثائــق لا تغــترر	بما في يديك مــن المرتقــب	المتقارب	05	إبن أبي زمنين	257
أرى الكساد قد استولى على ا لكتبة	لا عقد في بيع فــدّان ولا عتــبة	المتقارب	02	مجهول	229
عليك بكاتب لبــق رشيــق	ذكّي فــي شمــائله حرارة	الوافر	02	إبن عبد الربيع	255
بكيت لصنعة التوثيق لما	تبدلت الصناعــة بالشناعــة	الوافر	02	مجهول	229
سئمت صناعة التّوثيق لمــا	أشاع الجهل فيها ما أشاعه	البسيط	02	مجهول	228
لقد أظلمت فاس بل الغرب كله	بموت الفقيه الونشريشي أحمد	الطويل	06	أبو عبد الله الوادي آشي	180
وهل أفسد الدين إلاّ الملــوك	و أحــبار سوء و رهــبانــها	المتقارب	01	عبد الله بن المبارك	240
رأيت نجــوم الدّيــن تبكي حزينة	على فقد من قــد كان قطب زمانــه	الطويل	05	أبو عبد الله محمد الوادي آشي	180
فسدت خــطة الوثيقــة لمــا	أن بدا كــل جاهل يدّعيــها	الخفيف	02	مجهول	230
نبــدأ أولا بــحمد الله	و نستعــينه على الــدواهــي	المتقارب	16	أبوعلي الحسن بن عثمان بن عطية	239 - 240

فهرس الكتب الواردة في المتن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

فهرس البلدان والأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

فهرس الموضوعات